



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية  
عليه صلوات الله  
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

آية الله العظمى شهاب الدين

# الكتاب الأم

شرح مختصر على نسخة الشيخ الألباني

مكتبة دار الفقه  
إصدار المجلس العلمي

للجزء الخامس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# نفحات الولاية: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه

كاتب:

آيت الله العظمى ناصر مكارم شيرازى

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب ( عليه السلام )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٢٠	نفتح الولايه (شرح عصرى جامع لنهج البلاغه) المجلد ٩
٢٠	اشاره
٢١	اشاره
٢٥	مقدمه
٢٩	الرساله ١: إلى أهل الكوفه، عند مسيره من المدينه إلى البصره
٢٩	اشاره
٢٩	نظره إلى الرساله
٣١	القسم الأول
٣١	اشاره
٣١	الشرح والتفسير: حقيقه ما وقع فى حادثه قتل عثمان
٣٤	تأملان
٣٤	١. حكايه أبى موسى وتعبئه أهل الكوفه لنصره الإمام عليه السلام
٣٤	٢. عند الإمتحان يكرم المرء أو يهان
٣٩	القسم الثانى
٣٩	اشاره
٣٩	الشرح والتفسير
٤٠	تأمل: مصير الناكثين
٤٣	الرساله ٢: إلیهم، بعد فتح البصره
٤٣	اشاره
٤٣	نظره إلى الرساله
٤٥	الشرح والتفسير: إظهار الإمام عليه السلام رضاه عن أهل الكوفه
٤٦	تأمل: النص الكامل لرساله الإمام عليه السلام لأهل الكوفه
٤٩	الرساله ٣: لشريح بن الحارث قاضيه

٤٩	.....	اشاره
٤٩	.....	نظره إلى الرساله
٥١	.....	القسم الأول
٥١	.....	اشاره
٥١	.....	الشرح والتفسير: من أين لك هذه الدار؟! -
٥٥	.....	القسم الثاني
٥٥	.....	اشاره
٥٥	.....	الشرح والتفسير: وثيقه عديمه النظر -
٦١	.....	تأملان
٦١	.....	١. الباعث لكتابه السند
٦٢	.....	٢. من هو شريح؟ -
٦٧	.....	الرساله ٤: إلى بَعْضِ أَمْراءِ جَيْشِهِ
٦٧	.....	اشاره
٦٧	.....	نظره إلى الرساله
٦٩	.....	الشرح والتفسير: يجب إقاله الضعفاء
٧١	.....	تأملان
٧١	.....	١. جرائم الناكثين في معركة الجمل
٧٣	.....	٢. على مَن يمكن الاعتماد؟ -
٧٥	.....	الرساله ٥: إلى الأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ عَامِلِ أَدْرَبِيجَانَ
٧٥	.....	اشاره
٧٥	.....	نظره إلى الرساله
٧٧	.....	الشرح والتفسير: المناصب الحكوميه في الإسلام أمانه إلهيه -
٨٠	.....	تأملات
٨٠	.....	١. دستور كامل
٨١	.....	٢. من هو الأشعث بن قيس؟ -
٨٣	.....	٣. آذربايجان في خارطه البلاد الإسلاميه سابقاً -

٨٥	الرسالة ٦: إلى معاوية
٨٥	اشاره
٨٥	نظرة إلى الرسالة
٨٧	الشرح والتفسير
٩٠	تأمل: لماذا استدلل الإمام عليه السلام بالشورى والبيعة؟
٩٣	الرسالة ٧: إتيه أيضاً (معاوية)
٩٣	اشاره
٩٣	نظرة إلى الرسالة
٩٥	الشرح والتفسير: موعظه الضالين!
٩٨	تأمل: رساله معاوية لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام
١٠٣	الرسالة ٨: إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية
١٠٣	اشاره
١٠٣	نظرة إلى الرسالة
١٠٥	الشرح والتفسير: حلّ المشكل بآيات الصلح
١٠٦	تأمل: من هو جرير بن عبد الله؟
١٠٩	الرسالة ٩: إلى معاوية
١٠٩	اشاره
١٠٩	نظرة إلى الرسالة
١١٣	القسم الأول
١١٣	اشاره
١١٣	الشرح والتفسير: بنو هاشم حماة الإسلام الأوائل
١١٩	القسم الثاني
١١٩	اشاره
١١٩	الشرح والتفسير: حماة الإسلام الأوائل
١٢٧	القسم الثالث
١٢٧	اشاره

- ١٢٧ ..... الشرح والتفسير: ما أنت وقتله عثمان؟! .....
- ١٣٠ ..... تأمل: كلام عن قتله عثمان .....
- ١٣٥ ..... الرسالة ١٠: إلى معاوية .....
- ١٣٥ ..... اشاره .....
- ١٣٥ ..... نظره إلى الرسالة .....
- ١٣٧ ..... القسم الأول .....
- ١٣٧ ..... اشاره .....
- ١٣٧ ..... الشرح والتفسير: نظره إلى الأفق الغائم .....
- ١٤١ ..... القسم الثاني .....
- ١٤١ ..... اشاره .....
- ١٤١ ..... الشرح والتفسير: حذارٍ من الغفلة .....
- ١٤٥ ..... القسم الثالث .....
- ١٤٥ ..... اشاره .....
- ١٤٥ ..... الشرح والتفسير: أنا أتحرّك دوماً في خطّ الحقّ والهدايه .....
- ١٤٨ ..... تأملان .....
- ١٤٨ ..... ١. مقارنة شجاعه الإمام عليه السلام بالأعداء .....
- ١٤٩ ..... ٢. هل كان معاوية حاضراً في معركة بدر؟ .....
- ١٥١ ..... القسم الرابع .....
- ١٥١ ..... اشاره .....
- ١٥١ ..... الشرح والتفسير: المستقبل المظلم والأفق المشؤوم للعدو! .....
- ١٥٣ ..... تأمل: التنبؤات الواقعه .....
- ١٥٥ ..... الرسالة ١١: وَصَى بِهَا جَيْشاً بَعَثَهُ إِلَى الْعُدُوِّ .....
- ١٥٥ ..... اشاره .....
- ١٥٥ ..... نظره إلى الرسالة .....
- ١٥٧ ..... الشرح والتفسير: الاستعداد الصحيح للجيش .....
- ١٦٣ ..... الرسالة ١٢: وَصَى بِهَا مَعْقِلِ بْنِ قَيْسِ الزِياحِي حِينَ أَنْفَذَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثَةِ آلاَفٍ مُقَدَّمَةً لَهُ .....



- ١٦٣ ..... اشارة
- ١٦٣ ..... نظره إلى الرساله
- ١٦٥ ..... الشرح والتفسير: تعليمات ضروريه قبل التوجه إلى الميدان
- ١٦٩ ..... تأمل: من هو معقل بن قيس ؟
- ١٧١ ..... الرساله ١٣: إلى أميرتين من أمراء جيشه
- ١٧١ ..... اشارة
- ١٧١ ..... نظره إلى الرساله
- ١٧٣ ..... الشرح والتفسير: مالك الأشتر القائد الفذ
- ١٧٤ ..... تأملان
- ١٧٤ ..... ١. مالك الأشتر المدير والمدبر الشجاع
- ١٧٦ ..... ٢. شريح بن هانيء الحارثي وزياد بن النضر
- ١٧٩ ..... الرساله ١٤: لِعَشْكِرِهِ قَبْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ بِصَفَيْنِ
- ١٧٩ ..... اشارة
- ١٧٩ ..... نظره إلى الرساله
- ١٨١ ..... الشرح والتفسير: فصل آخر من القيم الأخلاقيه في الحرب
- ١٨٥ ..... تأملان
- ١٨٥ ..... ١. مكانه المرأة في نهج البلاغه
- ١٨٧ ..... ٢. الخلق الإسلامي في مقابل العدو
- ١٩١ ..... الرساله ١٥: كَانَ يَقُولُ إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ مَحَارِبًا
- ١٩١ ..... اشارة
- ١٩١ ..... نظره إلى الرساله
- ١٩٣ ..... الشرح والتفسير: دعاء جامع في ساحه القتال
- ١٩٧ ..... الرساله ١٦: لِأَضْحَابِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ
- ١٩٧ ..... اشارة
- ١٩٧ ..... نظره إلى الرساله
- ١٩٩ ..... الشرح والتفسير: تقويه عزائم الجند

- تأملان ----- ٢٠٤
١. شواهد حثيه على عقائد بنى اميه الواقعيه ----- ٢٠٤
٢. فضائل الامام على عليه السلام على لسان أعدائه ----- ٢٠٧
- الرساله ١٧: إلى معاوية جواباً عن كتاب منته إليه ----- ٢٠٩
- اشاره ----- ٢٠٩
- نظره إلى الرساله ----- ٢٠٩
- القسم الأول ----- ٢١١
- اشاره ----- ٢١١
- الشرح والتفسير: المدين في هيئه الدائن ----- ٢١١
- القسم الثاني ----- ٢١٧
- اشاره ----- ٢١٧
- الشرح والتفسير: النبوه افتخار كبير ----- ٢١٧
- تأمل: أتباع رسول الله صلى الله عليه و آله ----- ٢١٩
- الرساله ١٨: إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصره ----- ٢٢٣
- اشاره ----- ٢٢٣
- نظره إلى الرساله ----- ٢٢٣
- الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنه بماء المداراه ----- ٢٢٥
- تأمل: خصائص أهل البصره ----- ٢٢٩
- الرساله ١٩: إلى بغض عماله ----- ٢٣١
- اشاره ----- ٢٣١
- نظره إلى الرساله ----- ٢٣١
- الشرح والتفسير: شمول الرأفه الإسلاميه لجميع الناس ----- ٢٣٣
- تأمل: الإسلام وأهل الذمه ----- ٢٣٦
- الرساله ٢٠: إلى زياد بن أبيه ----- ٢٣٩
- اشاره ----- ٢٣٩
- نظره إلى الرساله ----- ٢٣٩

- ٢٤١ ..... الشرح والتفسير: إنذار شديد للمتخلفين
- ٢٤٣ ..... تأمل: لماذا اختار الإمام عليه السلام زياداً لهذا المنصب
- ٢٤٥ ..... الرسالة ٢١: إلى زياد بن أبيه
- ٢٤٥ ..... اشاره
- ٢٤٥ ..... نظره إلى الرسالة
- ٢٤٧ ..... الشرح والتفسير: الإمام عليه السلام يحذر «زياد» مزه أخرى
- ٢٥١ ..... تأملان
- ٢٥١ ..... ١. العلاقة بين الأعمال والجزاء
- ٢٥٢ ..... ٢. زياد ابن أبيه الانتهازي
- ٢٥٣ ..... الرسالة ٢٢: إلى عبد الله بن العباس
- ٢٥٣ ..... اشاره
- ٢٥٣ ..... نظره إلى الرسالة
- ٢٥٥ ..... الشرح والتفسير: السرور والحزن الموهومان
- ٢٥٧ ..... تأملان
- ٢٥٧ ..... ١. الجواب عن سؤال
- ٢٥٨ ..... ٢. الإنسان فاعل مختار
- ٢٦١ ..... الرسالة ٢٣: قاله قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى سَبِيلِ الوَصِيَّةِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعْنَةُ اللَّهِ
- ٢٦١ ..... اشاره
- ٢٦١ ..... الوصيه في نظره عامه
- ٢٦٣ ..... الشرح والتفسير: وصايا مهمته
- ٢٦٨ ..... تأملان
- ٢٦٨ ..... ١. القصص أو العفو؟
- ٢٦٩ ..... ٢. معنى «لا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ»
- ٢٧١ ..... الرسالة ٢٤: بِمَا يُعْمَلُ فِي أَمْوَالِهِ، كَتَبَهَا بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّين
- ٢٧١ ..... اشاره
- ٢٧١ ..... نظره إلى الرسالة

٢٧٣	الشرح والتفسير: توصيات مدروسه لإداره الموقوفات
٢٨١	تأملان
٢٨١	١. الجواب عن سؤالين
٢٨٢	٢. أهتية الوقف فى الإسلام
٢٨٥	الرسالة ٢٥: كَانَ يَكْتُبُهَا لِمَنْ يَشْتَعِلُهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ
٢٨٥	اشاره
٢٨٥	نظره إلى الرسالة
٢٨٧	القسم الأول
٢٨٧	اشاره
٢٨٧	الشرح والتفسير: الثقة بالجمهور فى جمع الضرائب الإسلاميه
٢٩٢	تأمل: آداب جمع الزكاه وحقوق بيت المال
٢٩٥	القسم الثانى
٢٩٥	اشاره
٢٩٥	الشرح والتفسير: غايه الاحترام لمطالب الدافعين للزكاه
٣٠١	القسم الثالث
٣٠١	اشاره
٣٠١	الشرح والتفسير: الرأفه الإسلاميه بالحيوانات
٣٠٥	تأملان
٣٠٥	١. التأكيد على إيصال أموال الزكاه إلى المحرومين
٣٠٦	٢. حمايه الحيوانات فى الإسلام
٣٠٩	الرسالة ٢٦: إِلَى بَعْضِ عَمَلِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ
٣٠٩	اشاره
٣٠٩	نظره إلى الرسالة
٣١١	القسم الأول
٣١١	اشاره
٣١١	الشرح والتفسير: التعامل الحسن مع دافعى الضرائب الإسلاميه

القسم الثاني	٣١٥
اشاره	٣١٥
الشرح والتفسير: اعمل بحيث لا يشكوك المحرومون يوم القيامة	٣١٥
تأملان	٣١٩
١. الأصناف الثمانية لمستحقّي الزكاه	٣١٩
٢. الأمانه، أصل القيم الأخلاقيه في الإسلام	٣٢٠
الرساله ٢٧: إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَلَدَهُ مِضْرًا	٣٢٣
اشاره	٣٢٣
نظره إلى الرساله	٣٢٣
القسم الأول	٣٢٧
اشاره	٣٢٧
الشرح والتفسير: حسن الخلق مع جميع الأفراد	٣٢٧
القسم الثاني	٣٣١
اشاره	٣٣١
الشرح والتفسير: الدنيا والآخرة لمن يعيش البساطه والزهد	٣٣١
القسم الثالث	٣٣٥
اشاره	٣٣٥
الشرح والتفسير: تحذيرات متواليه	٣٣٥
تأمل: التعادل بين الخوف والرجاء	٣٤٢
القسم الرابع	٣٤٥
اشاره	٣٤٥
الشرح والتفسير: المهّمه الثقيله	٣٤٥
القسم الخامس	٣٤٩
اشاره	٣٤٩
الشرح والتفسير: الخوف على الأّمه من فئه معينه	٣٤٩
تأملان	٣٥١

- ٣٥١ ..... ١. خطر المنافقين
- ٣٥٢ ..... ٢. رساله غريبه من المعتضد العباسي
- ٣٦١ ..... الرساله ٢٨: إلى مُعاوِيَةَ جَوَاباً
- ٣٦١ ..... اشاره
- ٣٦١ ..... نظره إلى الرساله
- ٣٦٥ ..... القسم الأول
- ٣٦٥ ..... اشاره
- ٣٦٥ ..... الشرح والتفسير: كيف يجلس المحكوم للحكم والقضاء؟
- ٣٧٣ ..... القسم الثاني
- ٣٧٣ ..... اشاره
- ٣٧٣ ..... الشرح والتفسير: الامتيازات النادره
- ٣٧٧ ..... تأملان: فضائل حمزه سيد الشهداء
- ٣٧٩ ..... المرتبه الساميه لجعفر بن أبى طالب
- ٣٨٣ ..... القسم الثالث
- ٣٨٣ ..... اشاره
- ٣٨٣ ..... الشرح والتفسير: نقاط مهمه أخرى فى فضائل أهل البيت عليهم السلام
- ٣٨٩ ..... تأملان
- ٣٨٩ ..... ١. قصه السقيفه المثيره!
- ٣٩٠ ..... ٢. فضائل بنى هاشم فى عصر الجاهليه والإسلام
- ٣٩٣ ..... القسم الرابع
- ٣٩٣ ..... اشاره
- ٣٩٣ ..... الشرح والتفسير: هذه الأمور لا تخصك!
- ٣٩٧ ..... القسم الخامس
- ٣٩٧ ..... اشاره
- ٣٩٧ ..... الشرح والتفسير: المقصر الأصلي فى قتل عثمان
- ٤٠٥ ..... القسم السادس

- ٤٠٥ ..... اشارة
- ٤٠٥ ..... الشرح والتفسير: تهديدنى بالحرب!
- ٤٠٩ ..... تأمل: مدين فى لباس دائن!
- ٤١٢ ..... الرساله ٢٩: إلى أهل البصره
- ٤١٢ ..... اشارة
- ٤١٢ ..... نظره إلى الرساله
- ٤١٤ ..... الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة فى البصره
- ٤١٩ ..... الرساله ٣٠: إلى معاويه
- ٤١٩ ..... اشارة
- ٤١٩ ..... نظره إلى الرساله
- ٤٢١ ..... الشرح والتفسير: ينبغى أن تفكر بعاقبه أمرك!
- ٤٢٧ ..... الرساله ٣١: لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَتَبْتُهَا إِلَيْهِ «بِحَاضِرَيْنِ»
- ٤٢٧ ..... اشارة
- ٤٢٧ ..... نظره إلى الرساله
- ٤٣١ ..... القسم الأول
- ٤٣١ ..... اشارة
- ٤٣١ ..... الشرح والتفسير: هذه الوصيه ممن وإلى من؟
- ٤٣٧ ..... القسم الثانى
- ٤٣٧ ..... اشارة
- ٤٣٧ ..... الشرح والتفسير: علّه كتابه هذه الوصيه
- ٤٤١ ..... القسم الثالث
- ٤٤١ ..... اشارة
- ٤٤١ ..... الشرح والتفسير: أوثق وسيله للنجاه
- ٤٤٥ ..... القسم الرابع
- ٤٤٥ ..... اشارة
- ٤٤٥ ..... الشرح والتفسير: أحى قلبك بالموعظه

تأملان ..... ٤٤٩

١. الحياه وإعمار القلب ..... ٤٤٩

٢. الوعظ الكثيرون ..... ٤٥١

القسم الخامس ..... ٤٥٥

اشاره ..... ٤٥٥

الشرح والتفسير: الاستقامه سبب تحقيق النصر والنجاح ..... ٤٥٥

تأملان ..... ٤٦٠

١. رعايه الاحتياط عند الإحساس بالخطر ..... ٤٦٠

٢. الطريق لنيل الفضائل الأخلاقيه ..... ٤٦١

القسم السادس ..... ٤٦٤

اشاره ..... ٤٦٤

الشرح والتفسير: لا تتساهل في هذه الوصيه ..... ٤٦٤

تأمل: العلوم النافعه وغير النافعه ..... ٤٦٧

القسم السابع ..... ٤٧٠

اشاره ..... ٤٧٠

الشرح والتفسير: الباعث لكتابه هذه الوصيه ..... ٤٧٠

تأمل: معطيات التربيه في سنّ الشباب ..... ٤٧٤

القسم الثامن ..... ٤٧٥

اشاره ..... ٤٧٥

الشرح والتفسير: تجارب الآخرين وإطاله عمر اللاحقين ..... ٤٧٥

تأملان ..... ٤٧٩

١. تشكيله منسجمه من أسرار التاريخ ..... ٤٧٩

٢. كيف توصل الإمام عليه السلام لتاريخ الأقسام الماضيه؟ ..... ٤٨١

القسم التاسع ..... ٤٨٢

اشاره ..... ٤٨٢

الشرح والتفسير ..... ٤٨٢



٤٨٧	القسم العاشر
٤٨٧	اشاره
٤٨٧	الشرح والتفسير: الحذر من سلوك الطرق المشكوكه
٤٩٣	القسم الحادى عشر
٤٩٣	اشاره
٤٩٣	الشرح والتفسير: كلّ شىء من اللّٰه
٤٩٦	تأقل: المقارنه بين علم الإنسان وجهله
٤٩٩	القسم الثانى عشر
٤٩٩	اشاره
٤٩٩	الشرح والتفسير: اجعل من النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله مرشداً لك
٥٠٣	القسم الثالث عشر
٥٠٣	اشاره
٥٠٣	الشرح والتفسير: الإيمان بالواحد الأحد
٥٠٧	تأقلان
٥٠٧	١. العلاقه بين الأيديولوجيه والرؤيه الكونيه
٥٠٩	٢. بدايه الخلقه ودوام الفيض
٥١١	القسم الرابع عشر
٥١١	اشاره
٥١١	الشرح والتفسير: السالكون طريق الآخره
٥١٥	القسم الخامس عشر
٥١٥	اشاره
٥١٥	الشرح والتفسير: نظره واحده لمصلحه الفرد والجماعه
٥١٩	القسم السادس عشر
٥١٩	اشاره
٥١٩	الشرح والتفسير: لا تكن خازناً لغيرك
٥٢٣	القسم السابع عشر

٥٢٣	.....	اشاره
٥٢٣	.....	الشرح والتفسير: الآخرون يحملون متاعك إلى الآخرة!
٥٢٧	.....	القسم الثامن عشر
٥٢٧	.....	اشاره
٥٢٧	.....	الشرح والتفسير: ضع عن كنتفك هم يومك!
٥٣١	.....	القسم التاسع عشر
٥٣١	.....	اشاره
٥٣٢	.....	الشرح والتفسير: فتح أبواب التوبه والدعاء أمام الإنسان
٥٤٢	.....	تأمل: شروط استجابته الدعاء
٥٤٥	.....	القسم العشرون
٥٤٥	.....	اشاره
٥٤٥	.....	الشرح والتفسير: الغايه من الخلق
٥٥١	.....	القسم الحادى والعشرون
٥٥١	.....	اشاره
٥٥١	.....	الشرح والتفسير: الدنيا الخداعه وأهلها
٥٥٧	.....	القسم الثانى والعشرون
٥٥٧	.....	اشاره
٥٥٧	.....	الشرح والتفسير: السائرون بمركب الليل والنهار
٥٥٩	.....	تأمل: السالكون إلى العالم الآخر!
٥٦١	.....	القسم الثالث والعشرون
٥٦١	.....	اشاره
٥٦١	.....	الشرح والتفسير: لا تذلل نفسك أبداً
٥٧١	.....	القسم الرابع والعشرون
٥٧١	.....	اشاره
٥٧١	.....	الشرح والتفسير: سبع وعشرون موعظه ثمينه
٥٨٥	.....	القسم الخامس والعشرون

- ٥٨٥ ..... اشارة
- ٥٨٥ ..... الشرح والتفسير: الإحسان فى مقابل الإساءة!
- ٥٩٥ ..... القسم السادس والعشرون
- ٥٩٥ ..... اشارة
- ٥٩٥ ..... الشرح والتفسير: لا تضيع حقّ الصديق
- ٦٠١ ..... القسم السابع والعشرون
- ٦٠١ ..... اشارة
- ٦٠٢ ..... الشرح والتفسير: ثمان وعشرون موعظه أخرى
- ٦٢٣ ..... القسم الثامن والعشرون
- ٦٢٣ ..... اشارة
- ٦٢٣ ..... الشرح والتفسير: السلوك العادل والحكيم مع المرأة
- ٦٢٧ ..... تأمل: مكانه المرأة فى المجتمع
- ٦٣٣ ..... القسم التاسع والعشرون
- ٦٣٣ ..... اشارة
- ٦٣٣ ..... الشرح والتفسير: تقسيم المسؤوليات
- ٦٣٧ ..... القسم الثلاثون (القسم الأخير)
- ٦٣٧ ..... اشارة
- ٦٣٧ ..... الشرح والتفسير: ضع كلّ وديعه عند الله
- ٦٣٩ ..... تعريف مركز

عنوان و نام پديد آور: نفحات الولاية: شرح عصرى جامع لنهج البلاغه المجلد ۹ / ناصر مكارم شيرازى، بمساعده مجموعه من الفضلاء؛ اعداد عبدالرحيم الحمدانى.

مشخصات نشر: رقم: مدرسه الامام على ابن ابى طالب (ع)، ۱۴۲۶ ق. -- ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهرى: ۱۰ ج.

شابك: ۳۰۰۰۰ ريال: دوره ۹۵۸-۸۱۳-۹۶۴ X؛ ج. ۱ ۹۰۷-۸۱۳-۹۶۴ ۵:؛ ج. ۲ ۹۰۸-۸۱۳-۹۶۴ ۳:؛ ج. ۳ ۹۶۴-۸۱۳-۹۶۴ ۲-۹۱۷:؛ ج. ۴ ۹۱۸-۸۱۳-۹۶۴ ۰:؛ ج. ۵ ۹۶۴-۸۱۳-۹۶۴ ۵-۹۴۱:؛ ج. ۶ ۹۷۸-۸۱۳-۹۶۴ ۵۳۳-۱۲۰-۵:؛ ج. ۷ ۹۷۸-۸۱۳-۹۶۴ ۵۳۳-۱۲۱-۲:؛ ج. ۸ ۹۷۸-۸۱۳-۹۶۴ ۵۳۳-۱۲۲-۹:؛ ج. ۹ ۹۷۸-۸۱۳-۹۶۴ ۵۳۳-۱۲۳-۶:؛ ج. ۱۰ ۹۷۸-۸۱۳-۹۶۴ ۵۳۳-۱۲۴-۳:

يادداشت: عربى.

يادداشت: ج ۱-۵ (چاپ دوم: ۱۳۸۴).

يادداشت: ج ۶-۱۰ (چاپ اول: ۱۴۳۲ ق. = ۱۳۹۰).

يادداشت: کتابنامه.

مندرجات: ج ۶. من خطبه ۱۵۱ الى ۱۸۰ - ج ۷. من خطبه ۱۸۱ الى ۲۰۰ - ج ۸. من خطبه ۲۰۱ الى ۲۴۱ - ج ۹. من رساله ۱ الى ۳۱ - ج ۱۰. من رساله ۳۲ الى ۵۳

موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- كلمات قصار

موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نهج البلاغه -- نقد و تفسير

شناسه افزوده: حمرانى، عبدالرحيم

شناسه افزوده: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نهج البلاغه. شرح

شناسه افزوده: مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رده بندی کنگره: ۲/۳۸/۰۲/ BP م/ ۱۳۸۴۷

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: م ۸۴-۴۰۳۴۷

ص: ۱

**اشاره**



نفحات الولاية: شرح عصرى لجامع لنهج البلاغه المجلد ٩

ناصر مكارم شيرازى، بمساعده مجموعه من الفضلاء

اعداد عبدالرحيم الحمدانى

ص: ٣





القسم الثانى من نهج البلاغه

القسم الثانى والمهم من نهج البلاغه يتضمّن رسائل وكتب الإمام أميرالمؤمنين إلى الأولياء، الأعداء، الأمراء، قادة الجيش وبعض أبنائه، والتي تختزن فى مضمونها مسائل فى غاية الأهميه عن بناء الذات، التقوى، إداره البلاد، النصيحة للأعداء وفتح المجال لهم للعودة إلى أحضان الحق، ومسائل مهمه أخرى من هذا القبيل.

ومحتوى هذه الرسائل بدرجه من الحيويه والحركه، كأنّها صدرت من الإمام فى هذا العصر ومن أجل المخاطبين فى زماننا هذا.

وهذه الرسائل، التى بإمكانها أن تكون درساً لمختلف شرائح المجتمع وينتفع بها جميع الأفراد، تعتبر من الكنوز الغاليه للتراث الإسلامى ولسيره أميرالمؤمنين الإمام على عليه السلام، وليت جميع السياسيين فى العالم يلتفتوا إلى أهميتها ويعملوا على استثمارها لإصلاح الوضع العالمى والمجتمع البشرى، وليت أنّ هذه الرسائل قد وصلت إلينا كلّها.

ومما يجدر ذكره أنّ عهد الإمام لمالك الأشتر الوارد فى نهج البلاغه «وهو الدستور العملى الذى أرسله الإمام على عليه السلام لواليه على مصر مالك الأشتر وورد فى

نهج البلاغه برقم (٥٣) من رسائل الإمام» قد ترجم إلى بعض اللغات الأجنبيّه وقد تمّ وضعه في هيئه الأمم المتحده كسند تاريخي، و وقع مورد إعجاب وثناء لنواب وممثلي الدول المختلفه في الأمم المتحده.

وهناك الكثير من أمثال هذه الرساله التاريخيه في نهج البلاغه من بين ٧٩ رساله وكتاب للإمام على عليه السلام، رغم أنّ كلّ واحده منها تهدف لغرض خاص.

ومن الرسائل المهمّه في هذا الصدد وصيه الإمام عليه السلام لابنه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام التي تتضمن مسائل عرفانيه، أخلاقيه، وتعاليم لتهديب النفس، وكذلك رساله الإمام عليه السلام المعروفه لعثمان بن حنيف التي يعترض فيها الإمام عليه السلام على واليه لحضوره وليمة لطبقه الأغنياء والأشراف، ورساله الإمام عليه السلام المعروفه لشريح القاضي، ورساله الإمام عليه السلام إلى «حارث الهمداني»، ورساله الإمام عليه السلام لأهل مصر التي أرسلها مع مالك الأشر، وهناك رسائل متعدده كتبها الإمام عليه السلام لمعاويه بن أبي سفيان وحدّره من العواقب الوخيمه لأعماله الشنيعه، وجميع هذه الرسائل تعتبر من الوثائق التاريخيه التي قلّ نظيرها في تراثنا الإسلامى.

\*\*\*

ص:٦





## الرساله ١: إلى أهل الكوفه، عند مسيره من المدينه إلى البصره

إشاره

إلى أهل الكوفه، عند مسيره من المدينه إلى البصره (١)

### نظرة إلى الرسالة

الحقيقه أنّ الغرض من كتابه هذه الرسالة يتمثل في ثلاثة أمور:

١. إنّ الإمام عليّ عليه السلام أراد في كتابه هذا أن يبين أنّ طلحه والزبير وعائشه الذين اتخذوا من قتل عثمان ذريعه لإثارة الناس ضدّه عليه السلام وتحركوا لتهيئته مقدمات حرب الجمل مع عائشه، أنّهم شركاء في قتل عثمان، في حين أنّ الإمام عليه السلام كان قد دافع عنه بالمقدار الممكن.

ص: ٩

١- (١) سند الرسالة: طبقاً لنقل ابن أبي الحديد وما ورد في الروايات أنّ الإمام عليّ عليه السلام عندما تحرك من المدينه باتجاه البصره وصل في مسيره إلى منطقته الربذه، وهناك أرسل محمد بن جعفر بن أبي طالب و (امّه أسماء بنت عميس) مع محمد بن أبي بكر بهذه الرسالة إلى أهل الكوفه، وقد وردت بعض الإضافات في ذيل هذه الرسالة وفقاً لنقل ابن أبي الحديد حيث يشير إلى وجود مصدر آخر لهذه الرسالة. وأورد (ابن قتيبه) في كتاب «الإمامه والسياسه» هذه الرسالة مع بعض الإضافات، ونقلها الشيخ المفيد في كتاب، «الجمل» الذي تمّ تأليفه قبل السيد الرضى، ولكنه قال: إنّ الإمام عليّ عليه السلام أرسل هذه الرسالة بواسطه الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر إلى أهالي الكوفه. وذكرها المرحوم الشيخ الطوسي أيضاً في الأمالي مع بعض التفاوت، ومن الواضح أنّ السيد الرضى لم ينقل جميع ما ورد في الرسالة، بل اقتطف منها ما ذكره في كتابه (انظر: مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ١٩٤).

٢. إنّ جميع الناس قد بايعوا الإمام عليه السلام طواعيه ورغبه وبدون أيّ شكل من أشكال الجبر والإكراه وإنّ المسلمين قد قبلوا بخلافته على الأُمّة الإسلاميّه.

٣. نظراً لما وقع من فتنه طلحه والزبير وعائشه، فإنّهم يتوجّب على أهل الكوفه أن يهبوا لنصره الإمام وإطفاء نار الفتنة من خلال الالتحاق بجيش الإمام.

\*\*\*

ص: ١٠

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَهُ الْأَنْصَارِ وَسَيَامِ الْعَرَبِ. أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْنَابَهُ، وَأَقْلُ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَهُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حَدَائِهِمَا الْعَنِيفُ.

وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتُهُ غَضَبٌ، فَأَتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ.

### الشرح والتفسير: حقيقه ما وقع في حادثه قتل عثمان

بدأ الإمام علي عليه السلام في هذه الرساله، وطبقاً لما كان متداولاً في ذلك العصر، بالتعريف بكاتب الرساله والمخاطبين له، حيث قال: «مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبْهَهُ الْأَنْصَارِ (١) وَسَيَامِ الْعَرَبِ».

ومن البين أن مراده من كلمه الأنصار هنا ليس أنصار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في المدينه الذين يقعون في مقابل المهاجرين، لأنه لم يكن هناك في الكوفه جبهه للأنصار وأخرى للمهاجرين، بل المراد من الأنصار هنا أنصار الإمام علي عليه السلام والتعبير بـ «جبهه» إشاره إلى شرفهم وعلو مكانتهم، لأن الجبهه تعتبر من أشرف

ص: ١١

١- (١). «الجبهه» في الأصل بمعنى أعلى الوجه، وما بين الجبينين، وبما أن هذا المكان يعدّ من الأعضاء الشريفة والبارزه في البدن فتطلق هذه الكلمه على الجماعه القويه الذين يتحركون لجلب الخير أو دفع الشر، وكذلك تطلق على رئيس الجمعيه.

كلمه «سنام» رغم أنّها فى الأصل بمعنى أعلى مكان فى ظهر الجمل، إلّا أنّها تطلق على كلّ شىء متميز وكلّ شخص ذى مكانه عليه فى المجتمع.

ثم إنّ الإمام عليه السلام قال فى رسالته: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّى أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعَيْنِهِ».

هنا يثار هذا السؤال: لماذا اهتمّ الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة قبل كلّ شىء بالبحث عن جذور حادثه مقتل عثمان؟

من المعلوم أنّ الإمام عليه السلام قد كتب هذه الرسالة إلى أهل الكوفة فى زمن إرهابات معركة الجمل، ونعلم أنّ مسأله الطلب بشار عثمان كانت ذريعه استخدمها المخالفون وقوى التمرّد «طلحه، الزبير، عائشه، وأنصارهم» وعندما يبين الإمام عليه السلام تفاصيل هذه المسأله بشكل واضح فإنّ ذلك من شأنه أن يدفع بأهل الكوفة للاشتراك مع الإمام من موقع الوضوح فى الرؤيه.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ».

وقد ذكر جميع المؤرخين وعامه المحققين تقريباً أنّ اعتراض الناس على عثمان يعود إلى أمرين: التقسيم غير العادل لبيت المال، والعطايا والمواهب الجزيله لأقربائه وأرحامه، والآخر وضع المقاليد الحساسه للحكومته الإسلاميه بيد أشخاص غير كفؤين من أقربائه وأتباعه.

ثم أضاف الإمام عليه السلام: «فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْتَابَهُ (١)، وَأَقْلَّ عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ (٢)، وَأَرْفَقَ حَدَائِهِمَا الْعَنِيفُ (٣). وَكَانَ

ص: ١٢

١- (١). «استعتاب» من ماده «عتبى» بمعنى اللوم والتوبيخ، وبهذا المفهوم نعاتب الطرف الآخر حتى يرضى، ثم استعمل بمعنى طلب الرضا.

٢- (٢). «وجيف» من ماده «وجف» على وزن «وقف» تعنى الاضطراب والاهتزاز، وبما أنّ الإنسان بمسيره السريع يواجه حاله من الاهتزاز والاضطراب فى حركته، استعملت هذه المفرده بمعنى السرعة أيضاً.

٣- (٣). «حِدَاء» وكذلك «حُدَاء» على وزن «دعاء» بمعنى اطلاق الصوت فى مسير القافله لتسريع حركه الابل ثم اطلقت على كلّ ما يبعث على التحرك لأداء عمل معين. «عنيف» من ماده «عنف» وتعنى الغلظه والشده فى الاسلوب والعمل.



مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتُهُ (١) غَضِبَ، فَاتِيحٌ (٢) لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ».

ويحتمل أيضاً في تفسير عبارته «أكثر استعبابه» (٣) أنني كنت أطلب من عثمان دائماً أن يهتم بكسب رضا الناس.

ثم أضاف عليه السلام: «وَبَايَعِنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ».

وفي الحقيقة أن الإمام عليه السلام بهذه العبارة الوجيزه والعميقه المعنى أشار إلى ثلاث نقاط ليتيح للناس الحكم على المتمردين بوضوح:

١. إن الإمام عليه السلام كان من المدافعين عن عثمان وكان يريد له الصلاح والسير في الطريق القويم واطفاء نار الفتنة.

٢. إن طلحه والزبير هما اللذان أشعلا نار الفتنة، وبالرغم من أن الانتفاضه ضد عثمان كانت عامه وشامله، ولكن طلحه والزبير كانا ينفخان في هذه النار ويمدونها بالوقود، وكذلك الحال مع عائشه التي أثارت المهاجرين والأنصار في مسجد النبي على عثمان بجمله قصيره عندما رفعت بيدها قميص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ونعله كما ورد في الروايه: «وَلَمَّا بَلَغَ عَائِشَةُ مَا صَنَعَ عُثْمَانُ بِعَمَارٍ فَغَضِبَتْ وَأَخْرَجَتْ شَعْرًا مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَنَعْلًا مِنْ نَعَالِهِ وَثُوبًا مِنْ ثِيَابِهِ، وَقَالَتْ: مَا أَسْرَعَ مَا تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَهَذَا ثُوبُهُ وَشَعْرُهُ وَنَعْلُهُ لَمْ يَبَلِّ بَعْدُ» (٤).

ص: ١٣

١- (١). «فلته» تعنى صدور العمل بشكل عفوى وبدون تدبير مسبق، و«فلتات اللسان» الكلام الذى يصدر من الإنسان من موقع الغفله والعفويه بدون تأمل.

٢- (٢). «أتيح» من ماده «تيح» على وزن «شىء» بمعنى الاستعداد لأداء عمل معين، وجمله «فاتيح له قوم» تعنى أن جماعه من الناس استعدوا لقتل عثمان.

٣- (٣). وفي هذه الصوره يكون ضمير «استعبابه» ضمير للفاعل ومفعوله محذوف، يعنى «استعبابه من الناس» فى حين على التفسير الأول يكون الضمير مفعولاً ويتناسب أكثر مع الجمله اللاحقه.

٤- (٤) بحار الأنوار، ج ٣١، ص ١٩٤.

٣. إنَّ البيعه التي بايعني فيها المسلمون «وخلافاً للبيعه مع الخليفة الأول والثاني والثالث» بيعه عامّه وشامله ولم يجبر أحد على بيعته.

ومن هذا المنطلق بين الإمام عليه السلام معالم الحقيقة ليعلّم الناس أنّه على الحق وأنّ المتمرّدين والمناوئين له في معركة الجمل، على باطل.

## تأملان

### ١. حكاية أبي موسى وتعبئه أهل الكوفة لنصره الإمام عليه السلام

سبق وأنّ تعرّضنا في الأقسام السالفه وبشكل وافٍ إلى وقائع خلافة عثمان والأخطاء الكبيره التي ارتكبتها في مجال إداره الحكومه الإسلاميه والتي أدت بالتالي إلى ثوره الناس عليه وانتهت بقتله، وكذلك تقدّم الكلام عن نقض طلحه والزبير لبيعتهم للإمام عليّ عليه السلام وتمردهم على خلافته، وكذلك واقعه بيعه الناس العامّه لأبي المؤمنين عليه السلام (١).

أمّا قصه كتابه رساله إلى أهل الكوفة من قبل الإمام عليه السلام فهي ذات تفاصيل متشعبه وقد أشار ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه بشكل موجز إلى هذه الحكاياه، ويمكن الإشارة إلى خلاصه ما ورد في كلامه:

ص: ١٤

١- (١). إنّ قصه قتل عثمان ومعركه الجمل وأبعادها وعواملها وتداعياتها تعتبر قصه ذات تفاصيل وفروع كثيره ومطول، وقد سبق أن استعرضنا في الأجزاء السابقه لهذه المجموعه بعض الأبعاد المهمه لهذه الوقعه التاريخيه، وهنا نذكر قائمه للقراء الأعزاء لمصادر هذه الوقعه في هذا الكتاب يتسنى لهم مراجعتها والإحاطه بكافه أبعاد وخفايا هذه الوقعه: (أ) عوامل ثوره المسلمين ضد عثمان، ج ١، ص ٣٧١ إلى ٣٧٦. (ب) حوادث معركة الجمل، ج ١، ص ٣٨٩ إلى ٣٩١. (ج) قتل عثمان وعدم مشاركة الإمام عليّ عليه السلام ودور طلحه والزبير في تحريك الجمهور، ج ٢، ص ٣٠. (د) تحليل آخر حول قضيه مقتل عثمان، ج ٢، ص ٢٣٢ تا ٢٤١. (ه) دور طلحه والزبير في معركة الجمل، ج ٢، ص ٢٥١. (و) الأعمال التي قام بها عثمان وأدت إلى سخط الناس عليه، ج ٢، ص ٤٨٨. (ز) بحث آخر حول دور طلحه وتحريك الناس على قتل عثمان، ج ٦، ص ٥٢٧.

ينقل ابن أبي الحديد عن محمد بن إسحاق أنّ الإمام عليّ عليه السلام أرسل محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر إلى الكوفة، ولما قدما الكوفة استنفرا الناس، فدخل جماعه منهم على أبي موسى الأشعري - وكان والياً على الكوفة في زمن خلافة عثمان، وبعد مقتل عثمان أبقاه الإمام في منصبه - ليلاً فقالوا له: أشتر علينا برأيك في الخروج مع هذين الرجلين إلى عليّ عليه السلام، فقال أبو موسى الأشعري - والذي كان رجلاً خبيثاً في سريره وقد تجلى خبثه في هذا الموقع -: «أما سبيل الآخرة فالزموا بيوتكم، وأما سبيل الدنيا فاشخصوا معهما» فمنع بذلك أهل الكوفة من الخروج لنصره الإمام عليه السلام.

وبلغ المحمّدين ذلك فأغظا لأبي موسى الأشعري، فقال أبو موسى: «والله إنّ بيعه عثمان لفي عنق عليّ وعنقكمما، ولو أردنا قتالاً ما كنّا لنبدأ بأحدٍ قبل قتله عثمان»، فخرجا من عنده فلحقا بعليّ عليه السلام فأخبراه الخبر، فكتب الإمام عليه السلام رساله لأبي موسى الأشعري، ولكنّ أبا موسى هدّد رسول الإمام بالقتل، وكتب الإمام رساله أخرى لأبي موسى وأرسلها مع عبد الله بن عباس ومحمد بن أبي بكر وعزله من منصبه.

ولكنّ أبا موسى الأشعريّ استمرّ في مخالفته لأوامر الإمام عليه السلام، ثم إنّ الإمام عليّ عليه السلام أرسل مالك الأشتر، فشخص الأشتر نحو الكوفة، فأقبل حتى دخلها والناس في المسجد الأعظم، فجعل لا- يمرّ بقبيله إلّادعاهم وقال: اتبعوني إلى القصر، حتى وصل القصر، فاقتحمه وأبو موسى يومئذٍ يخطب الناس على المنبر ويتبّطهم، وعمّار يخاطبه، والحسن عليه السلام يقول: اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا، لا أم لك! فصاح به الأشتر: «أُخْرِجْ مِنْ قَصِيرِنَا لَا أُمَّ لَكَ أَخْرَجَ اللَّهُ نَفْسَكَ فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَمِنْ الْمُتَنَافِقِينَ قَدِيمًا».

فلما رأى أبو موسى الأشعري ضعف موقعه واهتزاز مكانته قال: أجلسني العشيّه، قال: لقد أجلستك ولا تبيتنّ في القصر.

وفى هذه الواقعة استطاع رُسل الإمام عليه السلام من تعبئه اثني عشر ألف رجل من أهل الكوفة لنصره الإمام عليه السلام وتوجهوا إلى البصرة (١).

## ٢. عند الإمتحان بكرم المرء أو يهان

من المعلوم أنّ غالبية أهل السنّة يذهبون إلى تنزيه الصحابه، يعنى أنّ جميع الصحابه بدون استثناء هم أشخاص مؤمنون وعادلون وسيرتهم نقيته، وقد أفرط البعض فى هذا الأمر وسلك سبيل المبالغه إلى درجه أنّه ذهب إلى أنّ المخالف لأحد الصحابه هو زنديق وكافر، ومن هؤلاء ما ذكره «ابن حجر العسقلانى» فى كتابه «الإصابة» نقلًا عن أبى زرعه الرازى قال: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاعلم أنّه زنديق وذلك أنّ الرسول حقّ والقرآن حقّ وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلينا ذلك كلّ الصحابه وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنّه، والجرح بهم أولى، وهم زنادقه» (٢).

عندما يواجه هؤلاء المؤرّخون الحوادث التاريخيه المسلّمه من قبيل واقعه الجمل وأنّ طلحه والزبير وعائشه قد أشعلوا نار الحرب أمام خليفه المسلمين الذى بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار وقتل فى تلك الوقعه أكثر من عشره آلاف رجل وعلى روايه قتل سبعة عشر ألف فسوف يصاب بالحيره والتردد فى الجواب لتبرير هذا العمل، وكذلك عندما يرى أنّ معاويه بن أبى سفيان وقف بوجه خليفه المسلمين الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام وما ترتب على ذلك من حرب صقّين وتداعياتها المؤلمه ومقتل عشرات الأُولوف من المسلمين وحتّى قتل بعض الصحابه، كعمّار بن ياسر على يد أتباع معاويه، فسوف يجد نفسه فى ورطه ومناهه عجيبه.

ص: ١٤

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٤، ص ٨-٢١.

٢- (٢). الإصابة، ج ١، ص ١٧.

هؤلاء لا يستطيعون إنكار الحقائق التاريخيه المسلّمه من جهه، ومن جهه أخرى لا يستطيعون التخلّي عن مقوله تنزيه الصحابه، ولذلك يتمسكون بمنطق غريب.

فتاره يقولون: إننا لا ينبغي لنا أن نتحدّث عن الصحابه لأنّه «تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ» (١) بهذه الطريقه يوصدون نوافذ الفهم والإدراك على عقولهم، فهل يستطيع أيّ إنسان عاقل أن يغضّ بصره أمام الحقائق التاريخيه التي تتضمّن بيان الكثير من المسائل التي نحتاجها في عالمنا المعاصر؟

وتاره أخرى يقولون: إنّ الصحابه مجتهدون كلّهم، وإنّ كلّ فرد منهم قد عمل باجتهاده، فالإمام عليّ عليه السلام عمل باجتهاده وطلحه والزبير وعائشه ومعاويه عملوا أيضاً باجتهادهم ولذلك هم معذورون أمام الله تعالى.

هؤلاء غفلوا عن أنّ الاجتهاد يتعلق بالمسائل النظرية التي تقع مورد الشك والتردد، وأمّا المسائل البديهيه والمسلّمه فلا مجال للاجتهاد فيها، فهل يستطيع الشخص أن يقلب باجتهاده الليل إلى نهار أو النهار إلى ليل؟ إنّ مسأله حرب الجمل أو صفين والتي تعتبر ثوره ضدّ الحكومه الإسلاميه المقبوله لدى المسلمين، وسفك دماء المسلمين بدوافع دنيويه ونوازع نفسانيه وحبّ المقام والمنصب، لا مجال للشك والتردد في حرمة، فلا يقال حينئذٍ أنّ مثل هذا الشخص مجتهد في ارتكاب هذا الفعل الشنيع، وإنّ أخطأ في اجتهاده فهو معذور ومغفور!

لماذا لا يتخلّى هؤلاء الإخوه عن التعصّب ويعترفوا بأنّ صحابه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله حالهم حال سائر الناس من وجود الصالح والطالح فيهم؟

لقد تحدّث القرآن الكريم في سوره البقره، التوبه، الأحزاب، المنافقين وفي موارد عديده، عن المنافقين وذمّهم، فمن هؤلاء المنافقون؟ إنّ تعريف الصحابه المذكور ينطبق عليهم بشكل كامل، فلماذا يقول الإنسان شعراً يعجز عن الإتيان بالقافيه كما يقول المثل؟

ص: ١٧

أليس من الأفضل القول بوجود جماعه فى زمان النبى الأكرم صلى الله عليه و آله من المنحرفين والفاسقين، وجماعه أخرى من الصالحين، والصالحون بدورهم على قسمين:

فجماعه منهم استقاموا فى خط الصلاح والخير والإيمان حتى بعد رحله النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، وجماعه منهم انحرفوا عن جاده الصواب والحق بسبب الأطماع الذاتيه، وقد اصيب العالم الإسلامى من جزاء ذلك بمصائب كبيره، أجل هؤلاء لم ينجحوا فى الامتحان الإلهى بعد النبى الأكرم عليه السلام وسقطوا فى متهات الضلاله وحب الدنيا.

وهكذا قيل: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان(١).

\*\*\*

ص: ١٨

---

١- (١). ورد فى تنزيه الصحابه توضيحات أخرى فى ذيل الخطبه الثالثه، ج ١، ص ٣٧٦ وما بعدها وفى ج ٤، ص ٣٢٠ وذيل الخطبه ٩٧، و ج ٥، ص ٥١٨ وذيل الخطبه ١٣٥، وكذلك ورد فى كتاب «الشيعة تجيب»، بحث مفصل ووافى حول هذا الموضوع.

وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

## الشرح والتفسير

يستطرد الإمام في هذا القسم من الخطبة في بيان ماهية المتمردين في البصرة والموقدين لنار الفتنة ويطلب من أهل الكوفة أن يستعدوا لنصرة الإمام ومواجهه هذا العدوان وإطفاء نار الفتنة، ولذلك ومن أجل تحريضهم وإيجاد حافز لهم يقول:

«وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ (١) جَيْشَ الْمَرْجَلِ (٢)، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ (٣)».

والإمام عليه السلام يشير هنا إلى اعتراضه على جلوسهم غير مكترئين بما يدور في عاصمه الإسلام المدينة المنورة التي عاشت الغليان والتقلبات الكبيرة وقد تحرك المؤمنون في المدينة معى لإطفاء نار الفتنة التي أوقدها المناوئون في البصرة.

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

ص: ١٩

١- (١). «جَاشَتْ» من ماده «جيش» على وزن «حيف» بمعنى الغليان والهيجان.

٢- (٢). «مَرْجَلٍ» بمعنى القدر سواء كان مصنوعاً من الفخار أو من النحاس وما إلى ذلك، ولذلك عندما يسيطر الغضب والحدّه على الإنسان يقال: «جاشت مراجله».

٣- (٣). «قُطْبٍ» فى الأصل بمعنى الحديده التى توضع فى وسط حجر الطاحونه كمحور لدوران الحجر العلوى حوله، ثم اطلق على كلّ أمر يكون له دور محورى فى قضيه معينه.

وكما أسلفنا قبل قليل أنّ المراد من «دار الهجرة» المدينة المنوره التي كانت معروفه بهذا الاسم، وقد عاشت أكبر هجره في تاريخ الإسلام وهي هجره المسلمين والنبيّ من مكه إلى المدينه، وأمّا ما ذكره بعضهم من احتمال أن يكون المراد الكوفه أو كلّ بلاد الإسلام فهو احتمال بعيد جدًّا.

أمّا تشبيه المدينه بالقدر الموضوع على المرجل وفي حال الغليان فهو بسبب ما عاشته المدينه في تلك الظروف من حوادث عصبية وتدايعات خطيره في أواخر خلافه عثمان وبعد مقتله.

والتعبير بكلمه «قامت الفتنة على القطب» إشاره إلى فتنة طلحه والزبير وعائشه، الذين خططوا لعزل الإمام عليّ عليه السلام عن مركز الخلافه أو تجزئه بلاد الإسلام بحيث تكون المدينه والحجاز بيد الإمام عليّ عليه السلام، ويكون العراق والكوفه والبصره بيد طلحه والزبير وعائشه، والشام من حصه معاويه، وهذه هي الفتنة العظيمه التي حدّرها الإمام عليّ عليه السلام في هذه الرساله.

إنّ هذه الرساله القصيره الغزيره المعنى أثرت أثرها في أهل الكوفه فخرج منها أكثر من اثني عشر ألف رجل لنصره الإمام عليه السلام في معركة الجمل وتوجّهوا إلى البصره، وكان لذلك دور مؤثر في انتصار جيش الحقّ على المنافقين والناكثين في معركة الجمل.

واللافت أنّ الطبري ينقل في تاريخه عن أحد الرواه ويدعى أبو الطفيل قال: قال عليّ عليه السلام: «يأتيكم من الكوفه اثنا عشر ألف رجل ورجل، فقعدت على نجفه ذي قار وأحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً»<sup>(١)</sup>.

### تأمل: مصير الناكثين

إنّ كلّ مؤرخ ومحقّق، بل كلّ إنسان عارف بوقائع معركة الجمل، يعلم أنّ الإمام

ص: ٢٠

١- (١). تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥١٣.



علّي عليه السلام مضافاً إلى كونه منصوباً للخلافه بأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فإن جماهير المسلمين بايعوه للخلافه وقد استلم زمام الأمور ومقاليد الحكومه الإسلاميه برصيد شعبي أقوى من الخلفاء السابقين، ولكن الطامعين بالثروه والمقام انتفضوا عليه وسفكوا في سبيل تحقيق نوازعهم الذاتيه دماء كثيره، ومعلوم أنّ جميع هؤلاء المتمردين على الإمام من العصاه والمدنيين ولا يقبل لهم أيّ عذر في محكمه العدل الإلهي.

ولكن الملفت للنظر أنّ ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغه» يتحدّث في هذا المجال ويقول: «اختلف المتكلّمون في حالها، أي عائشه، وحال من حضر واقعه الجمل، فقالت الإماميه: كفر أصحاب الجمل كلّهم الرؤساء والأتباع، وقال قوم من الحشويه والعامه: اجتهدوا فلا إثم عليهم ولا نحكم بخطئهم ولا خطأ علّي عليه السلام وأصحابه.

وقال قوم من هؤلاء: بل نقول: «أصحاب الجمل أخطأوا ولكنّه خطأ مغفور، وكخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع عند من قال بالأشبه، وإلى هذا القول يذهب أكثر الأشعريه»<sup>(١)</sup>.

وقال أصحاب المعتزله «وابن أبي الحديد منهم»: «كلّ أهل الجمل هالكون إلمان ثبتت توبته منهم، قالوا: وعائشه ممن ثبتت توبتها، وكذلك طلحه والزبير، أمّا عائشه فإنّها اعترفت لعلّي عليه السلام يوم الجمل بالخطأ، وسألت العفو، وقد تواترت الروايه عنها بإظهار الندم، وأنّها كانت تقول: ليته كان لي من رسول الله صلى الله عليه وآله بنون عشره كلّهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وثكلتّهم، ولم يكن يوم الجمل! وأنّها كانت تقول:

ليتني متّ قبل يوم الجمل، وأنّها كانت إذا ذكرت ذلك اليوم تبكي حتى تبلّ خمارها.

وأما الزبير فرجع عن الحرب معترفاً بالخطأ، لما ذكره على عليه السلام بما ذكره، وأمّا طلحه فحاله أيضاً حال الزبير...»<sup>(٢)</sup>.

ص: ٢١

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٢٤.

٢- (٢) المصدر السابق، ج ١٧، ص ٢٤.

وهنا يطرح هذا السؤال على ابن أبي الحديد وأمثاله، وهو أنه إذا صدر عمل معيّن من شخص وأدى إلى سفك دماء جماعه المسلمين، فهل يكفي إظهار الندم والتوبه أمام حقّ الناس العظيم أو ينبغي جبران هذا الحقّ؟

\*\*\*

ص: ٢٢

إِلَيْهِمْ، بَعْدَ فَتْحِ الْبَصْرَةِ (١)

### نظرة إلى الرسالة

تقدّم آنفاً في بحث سند هذه الرسالة أنّها تمثّل مقطعاً صغيراً من رساله مطوّله كتبها الإمام عليّ عليه السلام بعد معركة الجمل، وتتضمّن تقدير أتعايبهم وما بذلوه للإسلام وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في قبولهم دعوه الإمام واشتراكهم معه في قمع المتمرّدين من أصحاب الجمل والثناء عليهم من موقفهم واستقامتهم في هذا السبيل.

\*\*\*

ص: ٢٣

---

١- (١). سند الرسالة: إنّ ما أورده السيّد الرّضى في هذه المقام يمثّل مقطعاً من رساله مطّوله نسبياً أرسلها الإمام عليه السلام بعد فتح البصره إلى أهالى الكوفه: «مَنْ عَبِدَ اللَّهَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى قُرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ (أحد صحابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله المشهورين الذي ارسل إلى الكوفه) وَمَنْ قَبِلَهُ مَنِ الْمُسْلِمِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...». وقد كتب هذه الرسالة كاتب الإمام عليه السلام عبيدالله بن رافع في سنة ٣٦ من الهجره، وقد أوردها الشيخ المفيد في كتابه «النصره» من كتاب «الجمل» للواقدي (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ١٩٥). وقد جاء في كتاب نهج البلاغه الكامل، ص ٧٨٨، أنّ الإمام عليه السلام أرسل هذه الرسالة بعد فتح البصره مع «زحر بن قيس الجعفي» إلى أهالى الكوفه ومطلع الرسالة: «مَنْ عَبِدَ اللَّهَ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ».



وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ.

### الشرح والتفسير: إظهار الإمام عليه السلام رضاه عن أهل الكوفة

يتبين من هذه العبارة أنّ الإمام يدعو بها لأهل الكوفة ويشكر قيامهم وأتباعهم ويثنى على مواقفهم ويصفهم بعده أوصاف مهمّة ويقول: «وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ».

وبديهي أنّ المخاطب في الرسالة هم أهل الكوفة كما ذكر ذلك المرحوم السيد الرضوي في عنوان هذه الخطبة وتؤيد ذلك القرائن الحالية أيضاً، فإنّ أهل البصرة انضموا في غالبيتهم إلى جيش طلحة والزبير وقد ذمهم الإمام عليه السلام في خطب أخرى في نهج البلاغة (١)، ولكن أهل الكوفة هم الذين استجابوا لدعوه الإمام عليه السلام ونصروه في هذه المعركة الحاسمة وبذلك استحقوا الشكر والثناء.

أضف إلى ذلك أنّ المستوحى من مجموع الرسائل، كما سيأتي في بحث الملاحظات نقلاً عن بعض مصادر أخرى، أنّ المخاطبين بهذه الرسالة هم أهل الكوفة.

وعبارته: «عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ» إشارته إلى أنّ قيامكم هذا لا يعتبر نصرته للإسلام والقرآن فحسب، بل نصرته لأهل البيت عليهم السلام أيضاً، وهذا يستوجب الثواب المضاعف لكم.

ص: ٢٥

ويصف الإمام عليه السلام أهل الكوفة في هذه الرسالة بخمس صفات استحقوا على أثرها دعاء الإمام لهم:

الأولى: العمل بطاعه الله عزّ وجلّ.

الثانية: أداء شكر نعمائه.

والثالثة: الاستماع لأوامره.

والرابعة: إطاعه أمره.

والخامسة: إجابته دعوته، وهذه كلّها في الحقيقة تعبيرات مختلفه عن حقيقه واحده.

### تأمل: النصّ الكامل لرسالة الإمام عليه السلام لأهل الكوفة

لقد أورد المرحوم السيّد الرضى، وطبقاً لمنهجه الانتقائي الذي اتّبعه في «نهج البلاغه»، مقطعاً صغيراً جداً من رساله الإمام عليه السلام إلى أهل الكوفة، في حين أنّ هذه الرسالة غزيره المحتوى وعميقه المضمون، ومن الجدير أن يستعرضها كلّها في هذه الفقرة، لأنها تتضمّن فنوناً من البلاغه إضافه إلى نكات حساسه ومصيريه للمسلمين.

وقد أورد المرحوم العلّامة المجلسي في «بحار الأنوار» نصّ هذه الرسالة نقلاً عن كتاب «الكافي في ابطال توبه الخاطئه» (للشيخ المفيد) نقلاً عن أبي مخنف: ورد كتاب أمير المؤمنين عليه السلام مع عمر بن سلمه الأرجبي (الأرجبي) إلى أهل الكوفة، فكبر الناس تكبيره سمعها عامه الناس واجتمعوا لها في المسجد، ونودي بالصلاه جامعه فلم يتخلف أحدٌ وقرأ الكتاب و فيه:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى قُرْظَةَ بْنِ كَعْبٍ (وَالِي الْكُوفَةِ) وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمْ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا لَقِينَا الْقَوْمَ النَّاكِثِينَ لِبَيْعَتِنَا وَالْمُفَارِقِينَ لِحِمَامَتِنَا، الْبَاغِينَ عَلَيْنَا فِي أَمْتِنَا، فَحَجَّجْنَاهُمْ فَحَاكَمْنَا هُمْ إِلَى اللَّهِ فَأَدَّالْنَا عَلَيْهِمْ، فَقَتَلَ طَلْحَهُ وَالزُّبَيْرُ وَقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِمَا بِالْمَعْدِرَةِ وَأَقْبَلْتُ إِلَيْهِمَا بِالنَّصِيحَةِ وَاسْتَشْهَدْتُ عَلَيْهِمَا صَلْحَاءَ الْأُمَّةِ فَمَا أَطَاعَا الْمُرْشِدِينَ وَلَا أَجَابَا النَّاصِحِينَ.

وَلَاذِ أَهْلِ الْبَغْيِ بَعَائِشَهُ فَقَتَلَ حَوْلَهَا مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَالِمَ جَسِيمٍ وَضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَ بَقِيَّتِهِمْ فَأَذْبَرُوا فَمَا كَانَتْ نَاقَهُ الْحَجَرِ بِأَشْأَمَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا عَلَى أَهْلِ ذَلِكَ الْمِضِيرِ مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْحَوْبِ الْكَبِيرِ فِي مَعْصَةِ بَيْتِهَا رَبِّهَا وَنَبِيِّهَا وَاعْتِرَازِهَا فِي تَفْرِيقِ الْمُسْلِمِينَ وَسَيْفِكَ دِمَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِلا بَيِّنَةٍ وَلَا مَعْدِرَةٍ وَلَا حُجَّةٍ ظَاهِرَةٍ.

فَلَمَّا هَزَمَهُمُ اللَّهُ أَمَرْتُ أَنْ لَا يُتَّبَعَ مُدْبِرٌ وَلَا يُجَازَ (وَلَا يُجَهَّزَ) عَلَى جَرِيحٍ وَلَا يُكْشَفَ عَوْرَةٌ وَلَا يُهْتَكَ سِتْرٌ وَلَا يُدْخَلَ دَارٌ إِلَّا بِإِذْنٍ وَأَمَنْتُ النَّاسَ.

وَقَدْ اسْتَشْهَدَ مِنَّا رِجَالٌ صَالِحُونَ ضَاعَفَ اللَّهُ حَسَنَاتِهِمْ وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِمْ وَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّادِقِينَ الصَّابِرِينَ.

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِضِيرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ جَزَاءِ الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِوَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَأَجَبْتُمْ إِذَا دُعِيتُمْ فَنِعْمَ الْإِخْوَانِ وَالْأَعْوَانِ عَلَى الْحَقِّ أَنْتُمْ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» (١).

\*\*\*

ص: ٢٧





لشريح بن الحارث قاضيه (١) وَرَوَى أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، اشْتَرَى عَلَيَّ عَهْدَهُ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً، وَقَالَ لَهُ:

### نظرة إلى الرسالة

تعتبر هذه الرسالة فريده في حد ذاتها، وتبين موقف الإمام عليّ عليه السلام من أحد قضاة المعروفين حين اشترى له داراً غاليه الثمن نسبياً، ومضمون الرسالة أن الإمام عليه السلام بعد أن يوبّخ شريح على شرائه لهذه الدار، يكتب له سنداً ووثيقه لها، ولكن هذا السند ليس كالأسناد المتداوله للدور والعقارات، بل سند زاخر بالعبير والدروس ويتضمّن تغيّر الدنيا وعدم الوثوق بها، ويشير إلى غفلة الناس عن هذا الأمر واغترارهم بزخارفها وأنهم بعيدون عن حقيقه الأمر، ولو أنّ شريح القاضي

ص: ٢٩

---

١- (١) . سند الرسالة: لقد نقل المرحوم الصدوق في «الأمالي» (قبل نهج البلاغه) قصه هذه الرسالة، ولا تختلف عمّا ورد في «نهج البلاغه» إلّا بتفاوت يسير، والأشخاص الذين أوردوا هذه الرسالة بعد السيّد الرضّي نقلوها مع بعض الاختلاف ممّا يشير إلى وجود مصادر أخرى لهذه الرسالة قبل «نهج البلاغه» للسيّد الرضّي ومن ذلك ما أورده سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»، وكذلك القاضي القضاعي في «دستور معالم الحكم» والشيخ البهائي في كتاب «الأربعين» (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ١٩٩).

اطّلع على هذا السند الأخلاقيّ قبل شرائه الدار كما يقول الإمام عليه السلام فسوف يصرف النظر عن شرائها.

والسؤال الذى يفرض نفسه: لماذا اتّخذ الإمام عليه السلام هذا الموقف المتشدّد من شريح القاضى؟ هل أنّ شريح قد اشترى تلك الدار من مال الحرام ومن الرشاوى؟ نستبعد هذا الاحتمال فى حين أنّ الإمام عليه السلام قد جعله قاضى الكوفه وهو بهذا الحال، أو يقال: إنّ الإمام علىّ عليه السلام فى هذه الرساله يريد أن يقول أنّ الشخص إذا تولّى منصب القضاء بما فيه من ولايه على نفوس وأموال وأعراض الناس، فلا بدّ أن يعيش بعيداً عن زخارف الدنيا والتكالب على مطاعمها، ويكون قدوه للناس فى هذا المجال.

\*\*\*

ص: ٣٠

بَلَّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُودًا.

فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:

يَا شُرَيْحُ، أَمَّا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَمَّا يُنْظَرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسْرِيلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ! أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَزْعَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهِمٍ فَمَا فَوْقَ.

### الشرح والتفسير: من أين لك هذه الدار؟!!

بعد أن استدعى الإمام عليه السلام شريح القاضي قال له: «بَلَّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُودًا».

فَقَالَ لَهُ شُرَيْحٌ: «قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

قَالَ (الراوي): فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ لَهُ:.

«يَا شُرَيْحُ، أَمَّا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَمَّا يُنْظَرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيْتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسْرِيلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا».

وفى الحقيقة أنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول - فى كلامه هذا - لشريح: إنك وإن دعيت لتثبيت هذه الدار باسمك ومن خلال السند والوثيقه لثلا- يزاحمك عليها شخص آخر، ولكن عندما يأتى إليك ملك الموت فإنه لا يعتنى بهذه الوثائق، بل يأخذك رغماً عنك ويخرجك من هذه الدار، لأنّ هذه الأسناد والمستمسكات إنّما تنفعك فى أمور الدنيا لا فى أمر الآخرة، فلا تنفع الإنسان عندما يحين أجله ويتوجه إلى العالم الآخر.

وعبارة «شاخص» من الشخوص، بمعنى المسافر، ومفهوم الجملة هو: أنك سوف تخرج من الدنيا إلى العالم الآخر كالمسافر.

واحتمل البعض أنّ كلمة «شاخص» تعنى الشىء البين والظاهر للعيان، والإنسان عندما يرحل من هذا الدنيا يُحمل على الأكف بشكل ظاهر للناس حيث يساق إلى قبره، ويحتمل أيضاً أنّ أحد معانى هذه الكلمة هو الشخوص وتركّز البصر على شىء معيّن، وهذا يشير إلى أنّ الكثير من الناس عندما يحين أجلهم تشخص أبصارهم وتبقى مفتوحة بدون حركة وكأنّه ينظر إلى نقطه معينه، ولكنّ المعنى الأول أنسب من الجميع.

وجمله: «وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً» إشاره إلى هذه الحقيقة وهى أنّ الإنسان لا يحمل من أمواله ودنياه إلى القبر سوى الكفن.

وطبعاً هذا كله فى حال أنّه قد اشترى الدار من ماله الحلال والطيب والطاهر، ولكن إذا كان قد اشتراها من مال حرام ومشبوّه، فإنّ المصيبة أعظم، ولذلك يشير الإمام على عليه السلام فى كلامه إلى هذه النقطه ويقول: «فَانظُرْ يَا شَرِيحُ لَاتَكُونُ ابْتِغَتْ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكٍ (١) ، أَوْ نَفَدْتَ التَّمَنَّ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ! فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَ دَارَ الْآخِرَةِ».

ص: ٣٢

١- (١). ورد فى بعض النسخ «مِنْ غَيْرِ مَالِكِهَا» وهو إشاره إلى عمليه الغصب، ولكن مع الالتفات إلى جملة «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ» يبدو أنّ الكاف فى «غَيْرِ مَالِكِ» للخطاب.

وفى مقام الفرق بين جملة «مِنْ غَيْرِ مَالِكَ» وجملة «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ» مع أنّهما متّحدان فى المعنى والمضمون ظاهراً، إلّا أنّه يمكن القول أنّ الجملة الأولى إشاره إلى المال الذى لا يعتبر من أموال الشخص ظاهراً، مثلاً يكون شريح قد اشترى هذه الدار ودفع ثمنها من بيت المال، وهذا المال ليس ماله ظاهراً وواقعاً، أمّا جملة: «مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ» فهى إشاره إلى الأموال التى تعتبر من ماله ظاهراً وتحت تصرّفه، ولكنّه قد اكتسبها من طريق الرشوه وغيرها من الطرق المشبوّهه والمحرّمه.

وجمله: «قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا» ربّما تشير إلى أنّ المال الحرام يترتب عليه آثار وضعيّه خطيره ويؤدى إلى شقاء الإنسان وإيقاعه فى المهالك، كما ورد هذا المعنى فى الكلمات القصار لأمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «الْحَجْرُ الْعُصْبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا»<sup>(١)</sup> أو أنّه إشاره إلى أنّك يا شريح لو اشتريت هذه الدار من المال الحرام فإنّك عمّا قريب سوف تفتضح وتخسر الدنيا مضافاً إلى خسراتك الآخره.

ثم إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى نقطه مركزيه فى هذا المقام ويقول:

«أَمَّا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسَيْخَةِ، فَلَمْ تَزْعَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهِمٍ فَمَا فَوْقَ».

وجمله: «بِدِرْهِمٍ فَمَا فَوْقَ» يمكن أن يقصد بها أنّ الثمن درهم أو أكثر منه فى القلّه كما ورد فى تفسير الآيه الشريفه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا»<sup>(٢)</sup>. فهنا يقصد من هذا المثل الموجودات الصغيره ظاهراً كالبعوض وما هو أصغر منها.

\*\*\*

ص: ٣٣

١- (١). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ٢٤٠.

٢- (٢). سورة البقره، الآيه ٢٦.



وَالنُّسْخَهُ هَذِهِ:

«هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيْتٍ قَدْ أُزْعَجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخَطَهُ الْهَالِكِينَ. وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودَ أَرْبَعَةٍ: الْحُدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَفَاتِ، وَالْحُدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحُدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحُدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ. اشْتَرَى هَذَا الْمُعْتَرِّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَحْيَالِ، هَذِهِ الدَّارُ بِمُخْرُوجٍ مِنْ عِزِّ الْقَمَاعَةِ، وَالِدُخُولٍ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبْدِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفِرَاعَةِ، مِثْلَ كِسْرَى وَقَيْصِرٍ، وَتُبَّعٍ وَحَمِيرٍ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيْدَ، وَرَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ، إِشْخَاصَهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ وَالْحَسَبِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطُلُونَ» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا».

### الشرح والتفسير: وثيقه عديمه النظير

في سياق ما ورد في القسم الأول من هذه الرسالة، وطبقاً لبعض الروايات فإنَّ شريح القاضي طلب من الإمام عليه السلام وثيقه هذه الدار فأوصاه الإمام عليه السلام بأن يكتب

هذه الوثيقة بهذه العبارة: «هَذَا مَا اشْتَرَى عَيْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أَرْعَجَ (١) لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ حَيَابِ الْفَانِينَ، وَخَطَهُ (٢) الْهَالِكِينَ».

والجدير بالذكر أنّ المتداول في تنظيم الأَسناد والمستمسكات لزوم رعايه ستّ جهات:

١. اسم البائع والمشتري.

٢. عنوان الدار أو العقار مورد المعاملة.

٣. الحدود الأربعة لها وموقع الباب الرئيسي.

٤. الثمن والقيمه.

٥. تعيين المسؤول في حاله انكشاف الغش والخلل.

٦. الشهود.

هنا نرى أنّ الإمام عليّ عليه السلام في هذه الوثيقة التي كتبها لشريح يبدأ بذكر صفات المشتري والبائع ثم يشير إلى عنوان محلّ الدار كما ذكر في العبارة أعلاه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام أشار إلى الجهة الثالثة: يعنى تعيين حدود الدار الأربعة وقال:

«وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُرْدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي (٣) الْأَفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصْتَبِيَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي (٤)، وَفِيهِ يُشْرَعُ (٥) بَابُ هَذِهِ الدَّارِ».

وبما أنّ الإنسان يعيش في هذه الدنيا محاطاً بأربعة عوامل خطيره: أحدها: ما يصيب الإنسان من آفات وبلايا، ومن السيل والأمراض والحروب التي تفرض على

ص: ٣٦

١- (١). «أزعج» من «إزعاج» يعنى دفعه ورفع له لتحريكه.

٢- (٢). «خطه» في الأصل بمعنى الأرض التي يختارها الإنسان ويضع لها علامات وحدوداً للدلالة على حيازتها، وهي في الأصل من ماده «خط»، ثم استخدمت بمعنى المنطقه والناحيه، وجاءت في الجمله أعلاه بهذا المعنى الأخير.

٣- (٣). «داوعى» جمع «داعيه» بمعنى السبب والعلّه.

٤- (٤). «المغوى» اسم فاعل من «الإغواء» بمعنى المضلّ.

٥- (٥). «يشرع» من ماده «شرع» وتستخدم في هذه الموارد بمعنى الانفتاح.



الإنسان نفسها، والآخر: المصائب التي يتلى بها الإنسان في داخله، من قبيل فقدان بعض أعضاء البدن أو موت الأعزّه والأقرباء وأمثال ذلك من مصائب الدنيا، ومن جهه ثالثه ورابعه، ما يواجهه الإنسان من إفرازات الأهواء والشهوات التي تضغط على الإنسان من داخله وتقوده إلى مهاوى الرذيله، والشيطان الذى يوسوس للإنسان من خارجه كما يقول الإمام عليه السلام عنه: «الشَّيْطَانِ الْمُغْوَى».

هذه العوامل الأربعة تحيط بالإنسان من كلّ الجهات، ويستطيع الإنسان من خلال تهذيب النفس والسيطره على الأهواء والنوازع النفسانيه وكبح جماح الشهوات وبالتصدى بحزم لوساوس الشيطان أن يخلص نفسه من هذين العاملين الآخرين، ولكن الآفات والمصائب التي تصيب جميع الناس بلا استثناء غير قابله للاجتنا، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى مورد آخر عن الدنيا أنّها: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْفُوفَةٌ وَبِالْعَذْرِ مَعْرُوفَةٌ»<sup>(١)</sup>.

والتعبير بـ «دَوَاعِي» فيما يخص الآفات والمصائب، إشاره إلى الأسباب التي تحيط بالإنسان وتنغص معيشته.

والتعبير بـ «الهُوَى الْمُرْدِي» إشاره إلى الأهواء والشهوات التي تقود الإنسان فى خطّ الضلاله والهلكه الماديه والمعنويه، لأنّ «ردى» بمعنى الهلكه أو الأهواء والنوازع النفسانيه التي تسوق الإنسان نحو هاويه السقوط، لأنّ اتباع هوى النفس يؤدى إلى أن يهوى الإنسان من مقام الإنسانى السامى ويسقط فى أعماق جهنم.

وجمله: «وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ» إشاره إلى أنّ طريق نفوذ الشيطان يكمن فى باب هذه الدار الخطيره، رغم أنّ سائر العوامل الأخرى تؤثر بدورها فى زعزعه استقرار الإنسان وسوقه فى خطّ الرذيله والسقوط المعنوى.

وفى سياق هذا الكلام يبين الإمام عليه السلام القسم الرابع من هذه الوثيقه ويقرّر أنّ المشتري لهذه الدار من يتصف بالصفات التاليه: «اشْتَرَى هَذَا الْمُعْتَرِّ بِالْأَمَلِ، مِنْ هَذَا

ص: ٣٧

١- (١). نهج البلاغه، الخطبه ٢٢٦.

الْمُرْعَجِ بِالْأَجْلِ، هَذِهِ الدَّارُ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقِنَاعِ، وَالْدُخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ (١)».

أى أنّ ثمن الدار هو أن يخرج الإنسان من عزّ القناعه ويرتدى لباس الذلّ والحرص وحبّ الدنيا.

إنّ عبارات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرساله وأشكال التجانس والتضادّ الموجود فى هذه الجمل مثيره للإنتباه: «خروج» و «دخول»، «عزّه» و «ذله»، «قناعه» و «حرص».

وفى العبارات أعلاه نشاهد كلمات من الجناس المطلوب مثل: «آفات» و «مصيبات» و «مردى» و «مغوى».

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشرع فى بيان النقطه الخامسه المتعلّقه بسند ملكيه هذه الدار وتعيين المسؤول فى مقابل كشف الخلل والضرر والخساره الناشئه منها ويقول: «فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرَى فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكَ فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِكَ الْفِرَاعِنَةِ، مِثْلِ كَشِيرَى وَقَيْصِرَى، وَتُبَّعِ وَحَمِيرَى، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، زَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَأَدَاخَرَ وَاعْتَفَدَ، وَنَظَرَ بَزْعِمِهِ لِلْوَلَدِ».

إنّ روح كلام الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرساله يقرر أنه إذا اكتشف الإنسان غشاً وفساداً أو عيباً ونقصاً فى المعامله، فينبغى أن يكون أحدهم مسؤولاً عن هذا الضرر والعيب، وكذلك إذا تبين أنّ المتاع أو البضاعه مغصوبه ومن أملاك الغير، فيجب العمل طبقاً للعقد المكتوب فى المعامله، وهنا يقول الإمام عليه السلام: ينبغى التوجه بالمسؤوليه وجبران هذه النقائص إلى عزرائيل ملك الموت الذى بيده قبض أرواح الملوك وهدم الحكومات، والمزيل لملك الفراعنه والقياصره وأمثالهم من الجبابره الذين قصروا همّتهم على جمع الأموال وبناء القصور وتشيد المنازل الفخمه

ص: ٣٨

١- (١). «ضراعه» تعنى الذله (ولها معنى مصدرى وكذلك اسم المصدر)؛ وهذه المفرده تعنى أيضاً التواضع.

والإكثار من استملاك الضياع والعقار، فهؤلاء كلهم محكومون بالفناء والزوال من واقع الحياة.

«مبلبل» من مادة «بلبله» على وزن «مزرعه» ولها معانٍ متعدّده، فأحياناً تأتي بمعنى التشويش والاضطراب، وأحياناً أخرى تأتي بمعنى الفرقة والتشردم، و«ثالته» بمعنى الفساد، وفي هذه العبارة الأنسب هو المعنى الأخير وهو الفساد والمرض الذي يترتب على سلب النفوس من جراء زوال الملك الوارد في العبارة أعلاه.

وينبغي الالتفات إلى أنّ مفردة «كسرى» الواردة في كلام الإمام عليه السلام هي في الأصل من «خسرو»، ولها مفهوم عامّ يشمل جميع ملوك الفرس كما أنّ مفردة «قيصر» تستعمل لجميع ملوك الروم، أمّا «تبع» فتستعمل لملوك اليمن وحمير (وكذلك لبعض الملوك في اليمن) وكلّها تأتي بمعنى الملك والسلطان رغم تنوع التعبير لكل قوم من الأقوام.

وجمله: «مَنْ بَنَى وَشَيَّدَ» يحتمل فيه معنيان نظراً لوجود كلمه «تشيد» التي تأتي معنى تقويه البناء وكذلك علوه وارتفاعه، ولا مانع من الجمع بينهما، أي الأشخاص الذين يشيدون الأبنية والعمارات المرتفعه والقويه.

وعبارته: «رَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ» كل واحده منها تشير إلى نوع من أشكال الزينه، «زخرف» إشاره إلى تزيين البناء والعماره، و«نجد» إشاره إلى تزيين الوسائل والأدوات من قبيل الفرش والأثاث والستائر وأمثال ذلك.

جملة: «اعتقد» التثبيت والتركيز والاهتمام بدقه في حفظ وتنظيم الأسناد والمدارك حيث يسعى طلاب الدنيا بوسواس كبير في حفظ ذخائرهم وأموالهم من خلال هذه الأسناد وحفظها من عدوان الآخرين وإبعادهم عن ممتلكاتهم وهم يظنون أنّها باقيه لأبنائهم من بعدهم.

ثم إنّ الإمام عليه السلام في سياق هذه الوثيقه يقول: «إِشْخَاصُهُمْ (١) جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ

ص: ٣٩

---

١- (١). «إشخاص» بمعنى إحضار، إرسال وسوق، وفي العبارة أعلاه الأنسب هو المعنى الأول.

الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ: إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ «وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» (١).

وكلمه: «إشخاصهم» طبقاً للتفسير أعلاه يقع مبتدأ، و «إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ» بمنزله الخبر (٢) ولكن جمع من مفسرى «نهج البلاغه» ذهبوا إلى أن (إشخاص) مبتدأ مؤخر، وجمله: «فَعَلَى مُبْتَلٍ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ...» خبر مقدم، وعلى ضوء ذلك يكون مفهوم الجمله: إن ملائكة الموت التى تنزل أجساد الملوك والسلاطين وتقبض أرواحهم وتزيل سلطانهم هم المسؤولون عن كشف الخلل والفساد فى الأملاك الدنيويه يوم القيامة وعند موقف العرض والميزان الأعمال.

أجل، إن جميع أشكال القدره والهيمنه معرّضه للزوال، وجميع الثروات والأموال ستبقى بعد رحيل الإنسان من هذه الدنيا، «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...» (٣) ويحضرون إلى الحساب وينالون جزاءهم من الثواب والعقاب.

وفى ختام هذه الوثيقه يشير الإمام عليه السلام، كما فى الأسناد والمدارك الدنيويه، إلى الشهود لهذه المعامله المعنويه، ويقول: «شَهَدَ عَلَى ذَلِكِ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَىٰ وَسَلِمَ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا».

وبما أن الشاهد يجب أن يكون عادلاً وثقة فإن الإمام عليه السلام يقول فى هذا الصدد:

إنّ العقل يمكنه أن يكون شاهداً على هذا الأمر إذا خرج عن أسر الأهواء النفسانيه وتخلص من العلائق الماديه والدنيويه التى من شأنها تكبيل العقل وحجبه عن درك الحقيقه.

ص: ٤٠

١- (١) . سورة غافر، الآية ٧٨.

٢- (٢) . من جملة القرائن المؤيده لهذا الرأى وجود قرينتين: أ) ورد فى رساله أعلاه فى كتاب دستور معالم الحكم لابن سلامه، ص ١٣٧ أنها تنتهى إلى «وتبع وحمير» بدون جمله «إشخاصهم...» فى حين أن الرساله متواصله. ب) ورد فى كتاب حليه الألياء، ج ٨، ص ١٠٢ جمله «إشخاصهم» بهذه الصوره: (وأشخصهم...) والذى يشير إلى أنها جمله منفصله عن الجمله السابقه.

٣- (٣) . سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

وعلى هذه الأساس يبيّن الإمام عليّ عليه السلام بأجمل صورته وأبلغ بيان، الأركان الستة لهذه السند المعنويّ.

## تأملان

### ١. الباعث لكتابه السند

هذا السند العجيب الذين كتبه الإمام عليّ عليه السلام لأحد قضاة يستحقّ دراسته والتمعنّ من عدّه جهات:

الأولى: إنّ ثمانين ديناراً لهذه الدار لم يكن بالثمن الباهض للدار، ولكن بما أنّ المشتري لهذه الدار أحد القضاة، ومعلوم أنّ القاضي يقع دائماً في دائره الاتّهام والوساوس النفسانيه، فمن هذه الجبهه لم يرتض الإمام عليه السلام لشريح دفع هذا الثمن من المال للدار.

أضف إلى ذلك فنحن نعلم أنّ عصر حكومه وخلافه الإمام عليه السلام جاءت بعد سنوات مريه وخطيره من خلافه عثمان التي اقترنت بمظاهر الإسراف والتبذير بشكل واسع لبيت المال، وتوجّه بعض رموز المجتمع الإسلاميّ للحياه المرفّهه، والتوغّل في التجيّل والثراء، ومن أجل أن يتصدّى الإمام لهذه الظاهره الخطيره ويوقف هذا التيار عند حدّه، كان يكثر في خطبه وكتبه الوارده في «نهج البلاغه» من التحذير من زخارف الدنيا وبريقها الخادع واتّخذ لنفسه أيضاً حياه الزهد والتقشّف، وفي حين أنّه يقف على رأس الحكومه الإسلاميّه لم يكن مستعدّاً أبداً أن يعطى لأخيه عقيل شيئاً - ولو قليلاً - من بيت المال، وعندما أُخبر بأنّ واليه على البصره (عثمان بن حنيف) استجاب لدعوه أحد أثرياء تلك المدينه وجلس على مائده يستطاب فيها أنواع الأطمعه وقد دعى معه طبقه من الأشراف والأغنياء ولم يدع إليها الفقراء، اغتمّ لذلك بشدّه وكتب إليه رساله شديده اللهجه يوبّخه فيها على عمله واستجابته لدعوه الأغنياء.

كل ذلك من أجل أن يغيّر الإمام عليّ عليه السلام تلك الثقافه الخاطئه والمنافيه للتعاليم الإسلاميه، ويعيد المسلمين إلى ثقافه الإسلام الأصيله التي عاشوها في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ومعلوم أنّ شراء القصور الفخمه والبيوت المجلّله الباهضه الثمن والتي ربّما تكون أعلى بكثير من دار شريح، كان متداولاً بين الطبقة المترفه من المسلمين، ولكن هذه الرساله كانت بمثابة إنذار للجميع أن يأخذوا حذرهم ويحسبوا حسابهم وخاصه من المنتسبين للحكومه الإسلاميه ليكونوا على فاق تامّ مع توجّهات الحكومه الإسلاميه.

ومعلوم أيضاً أنّ هذه الرساله قد انتشرت في ذلك الوقت بين الناس من يد لأخرى وقد أطلع الكثير على مضمونها وأنّ الإمام عليه السلام كتب رساله بهذه المضمون إلى شريح القاضي، وبالتالي اتبه البعض إلى تطلّعات الإمام عليه السلام وربّما أدّى بالبعض الآخر أن يوفّق مسيرته وسلوكياته مع تعاليم الإمام عليه السلام خوفاً من اعتراض الناس.

هذه الرساله لا تخصّ ذلك العصر والزمان، بل تمتدّ بمضمونها وفحواها إلى عصرنا هذا والمستقبل، وتصدّق على جميع الأجيال والعصور ولا تختصّ بطائفه معيّنه أو شريحه خاصه من الناس.

نحن اليوم نرى بعض الأشخاص يبذلون الكثير من الأموال لبناء الدور الفخمه ويتعبون أنفسهم في تشييدها بأعلى الزينه ويشترون لها الكثير من الأثاث وغير الأثاث واللوازم غير الضروريه ويجلبون لها من التحف والزخارف والأموال النفيسه من شتى بقاع العالم وأحياناً ينفقون عمرهم لبناء هذه الدار وربّما ينتهى عمرهم دون أن ينتهى البناء، وغنى عن البيان أنّ مثل هذه النفقات الباهضه لا يمكن للإنسان توفيرها من طريق مشروع، وبالتالي يكون وزرها وإثمها على عاتقه، بينما يستفيد منها الآخرون.

## ٢. من هو شريح؟

شريح بن الحارث، أبوأُميه من قبيله «بنى كنده» وما ذكره البعض من كونه شريح

بن هانى فهو خطأ، ولكن هناك بحث بين المؤرخين هل أن شريح من الصحابه أم لا؟ فقد ورد فى كتاب «أسد الغابه»: أن شريح أدرك عصر رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه لم يحض بلقائه، وقال بعضهم: إنه لقي النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأسلم على يده وقال شريح:

يا رسول الله! أنا من اسره كثيره العدد فى اليمن، فقال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: فات بهم.

ولكنه عندما أتى بأسرته إلى المدينه كان النبى قد رحل من هذه الدنيا.

يقول ابن الأثير فى «اسد الغابه»: كان عمر بن الخطاب قد نصبه قاضياً للكوفه وبقى على هذا المنصب إلى زمان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وقد أبقاه الإمام فى منصبه لسابقته فى هذا العمل، ولكن طبقاً للروايه المعتمده الوارده فى كتاب «وسائل الشيعه»: أن الإمام عليه السلام اشترط عليه أن لا يصدر حكماً دون اطلاعه وإعلامه: «لَمَّا وَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شُرَيْحًا الْقَضَاءَ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُنْفِذَ الْقَضَاءَ حَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ» (١).

وبقى شريح فى هذه المنصب إلى زمان الحجاج.

وذهب جماعه من المؤرخين أن شريحاً كان ذكياً وبارعاً، ولكن هذا لا يعنى أنه لم يتركب بعض الأخطاء الفاحشه فى أمر القضاء والتي وردت موارد منها فى كتب الحديث (٢).

كتب الدميرى صاحب كتاب «حياه الحيوان»: قيل للشعبى (وهو من التابعين) يقال فى المثل «إِنَّ شُرَيْحًا كَانَ أَذْهَى مِنَ الثُّعْلَبِ وَأَخْيَلٌ»، فما هذا؟

فقال: خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلى يجىء ثعلب فيقف تجاهه ويحاكيه ويخيل بين يديه ويشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبه وأخرج كميته وجعل قلنسوته عليها، فأقبل الثعلب فوقف بين يديه على عادته فأتاه شريح من خلفه وأخذه بغتة فلذلك يقال: «إِنَّ شُرَيْحًا كَانَ

ص: ٤٣

١- (١). وسائل الشيعه، ج ١٨، ص ٦٤، ح ١، الباب ٣ من أبواب صفات القاضى.

٢- (٢). الكافى، ج ٧، ص ٣٨٥، ح ٥.

ويرى ابن خلكان أنّ شريحاً كان من التابعين رغم أنّه أدرك عصر الجاهليه وقال ابن خلكان: إنّ شريحاً جلس على كرسى القضاء خمس وستين عاماً وفي طيله هذه المده لم يترك القضاء سوى ثلاث سنوات فى زمن فتنه عبداللّه بن الزبير، وقد استقال من منصبه فى زمان الحجاج ولم يمارس القضاء إلى آخر عمره.

وذكر المؤرخون أنّه كان أمرداً.

أمّياً فيما يخصّ عمره فهناك خلاف، حيث ذهب بعض إلى أنّه بلغ من العمر مائه وعشرين سنه، وذهب آخرون إلى عمره مائه وعشر سنوات، بينما ذكر آخرون أقلّ من هذا وأكثر.

ولا شكّ أنّ شريحاً قد اصيب فى خاتمه عمره بسوء العاقبه، وأحد الشواهد على ذلك القصّه التى يذكرها الطبرى فى تاريخه عن أبى مخنف، يقول: حدّثنى الصقعب ابن زهير عن عبدالرحمن بن شريح قال: سمعته يحدث إسماعيل بن طلحه، قال:

دخلت على هانى بن عروه (فى زمن إماره ابن زياد على الكوفه) فلما رآنى قال: يا لله، يا للمسلمين أهلكت عشيرتى فأين أهل الدين وأين أهل المصر، إياى يخلّون وعدّوهم وابن عدّوهم، والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرّجّه على باب القصر، وخرجت واتبعنى فقال: يا شريح إننى لأظنّها أصوات مذبح وشيعتى من المسلمين، إن دخل علىّ عشره نفر أنقذونى، قال: فخرجت إليهم ومعى حميد بن بكر الأحمريّ - أرسله معى ابن زياد - وكان من شرطته وممن يقوم على رأسه، وأيم الله لولا مكانه معى لكنت أبلغت أصحابه ما أمرنى به، فلما خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لَمّا بلغه مكانكم ومقاتلكم فى صاحبكم أمرنى بالدخول إليه، فأتيته ونظرت إليه فأمرنى أن ألقاكم وأن اعلمكم أنّه حىّ وأنّ الذى بلغكم من قتله كان باطلاً، فقال عمرو وأصحابه: فأما إذ لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا(٢).

١- (١) . منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه، ج ١٧، ص ١٥٨؛ سفينه البحار، ماده شرح.

٢- (٢) . تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٢٧٤ فى باب حوادث سنه ٦٠هـ.



فلما انصرف الناس أقدم ابن زياد على قتل هانى، وفي الحقيقه أنّ شريحاً كان يعلم أنّ هانى فى خطر، فلماذا أمر أصحابه وأنصار بالعوده والانصراف وقدّم رضا ابن زياد على رضا الله عزّ وجلّ؟! إنّ المواقف غير المسؤوله أو السكوت المشبوه فى مقابل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأسر ذريته وأهل بيته والمجىء بهم إلى الكوفه، كلّها شواهد أخرى على خبث طبعه وضعف نفسه واهتزاز إيمانه، فلو أنّ شريحاً لم يأمر قبيله بنى مذحج بالعوده عندما أحاطوا بدار الإماره، فإنّه من الممكن أن تتغيّر أوضاع الكوفه وتنقلب الموازين ضدّ قوى الكفر والانحراف ويكون مصير ثوره الإمام الحسين عليه السلام بشكل آخر(١).

يستفاد من روايه أبى مخنف فى كتابه (مقتل الحسين) أنّ المختار عندما ولى أمر الكوفه عزل شريحاً من منصبه بسبب تقصيره فى أمر نصره الإمام الحسين عليه السلام(٢).

\*\*\*

ص: ٤٥

- 
- ١- (١) . انظر: الاصابه فى معرفه الصحابه، ج ٢، ص ٧٠، ترجمه حال الحسين بن على عليه السلام.
  - ٢- (٢) . يستفاد من التواريخ أنّ شريحاً عاد بنفسه فى زمان الحجاج، ولكنّه استقال من منصبه بعد ذلك ووافق الحجاج على استقالته. ولمزيد من التوضيح راجع: الاستيعاب، ص ٥٩٠ و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ص ٢٨ و ٢٩.



إلى بَعْضِ أُمَرَاءِ جَيْشِهِ (١)

### نظرة إلى الرسالة

إنّ مضمون هذه الرسالة بين وجليّ، فالإمام على عليه السلام يأمر فيها أحد قادة جيشه الذي كان يواجه فئه من المنحرفين والعصاه أن يأخذهم بالنصيحه والعوده إلى خطّ الطاعه والإيمان، فإن لم يقبلوا فيجب عليه استخدام القوّه في سبيل إسكات هذا التمرد وإطفاء نار الفتنة.

وكما سنشير لاحقاً أنّ المخاطب لهذه الرسالة هو عثمان بن حنف والى البصره والذي كان في ذلك الوقت قائداً لجيش الإمام عليه السلام في تلك المنطقه، ومن هنا عبّر السيّد الرضى في عنوان هذه الرسالة أنّها: «إلى بَعْضِ أُمَرَاءِ جَيْشِهِ».

\*\*\*

ص: ٤٧

---

١- (١) . سند الرسالة: هذه الرسالة التي أوردتها الشريف الرضى تمثّل مقطعاً من الرسالة التي أرسلها الإمام عليه السلام لبعض امراء جيشه وقد ذكرها سبط ابن الجوزى في كتاب تذكره الخواص بشكل موسع ومختلف، ومن الواضح تماماً أنّه اقتبسها من مصدر آخر غير نهج البلاغه، ولكن ابن الجوزى في أول الباب السادس من كتابه يقول: كل كلام أنقله عن على ابن أبى طالب في هذا الكتاب نقلاً باسنادى المتصل إلى الإمام عليه السلام نفسه. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٠١).



فَإِنْ عَيَّادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَيْدُ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَعْنِ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارَةَ مَغِيْبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهوضِهِ.

### الشرح والتفسير: يجب إقاله الضعفاء

قبل البحث في تفسير هذه الرسالة لابد من الالتفات إلى شأن صدورها، فقد ذكر المرحوم الشيخ المفيد في كتاب الجمل:

«لَمَّا ثَمَّ أمر البيعه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأتفق على طاعته عامه بنى هاشم ووجوه المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأيس طلحه والزبير ممَّا كانا يرجوانه بقتل عثمان من بيعه الناس لأحدهما بالإمامه، وتحققت عائشه بنت أبي بكر تمام الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام واجتماع الناس عليه وعدو لهم عن طلحه والزبير و كانت تعلم أن كثيراً من الناس يميل لها لمكانها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأنها من أمهات المسلمين، و....

ولمَّا عرف طلحه والزبير من حالها وحال القوم، عملا على اللحاق بها والتعاقد على شقاق أمير المؤمنين عليه السلام وسارا إلى مكه خالعين الطاعه ومفارقين الجماعه، فلما وردا إليها فيمن تبعهما من أولادهما وخاصتهما، طافا بالبيت طواف العمره وسعيا بين الصفا والمروه، وبعثا إلى عائشه عبدالله بن الزبير وقالاه: إمضِ إلى خالتك فاهدِ

إليها السلام منّا وقل لها: إنّ طلحه والزبير يقرء انك السلام ويقولان لك: إنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوماً، وأنّ علي بن أبي طالب ابتزّ الناس أمرهم وغلبهم عليه بالسفهاء الذين تولّوا قتل عثمان ونحن نخاف انتشار الأمر به، فإن رأيت أن تسيرى معنا، لعل الله يرتق بك فتق هذه الأمّة ويشعب بك صدعهم ويلمّ بك شعثهم ويصلح بك امورهم، فأتاها عبدالله فبلغها ما أرسله به، فأظهرت الامتناع من إجابتها إلى الخروج عن مكة وقالت: يا بني لم آمر بالخروج لكنى رجعت إلى مكة لأعلم الناس ما فعل بعثمان إمامهم....

فقال لها عبدالله: فإذا كان هذا قولك في عليّ يا أمّه، ورأيك في قاتلي عثمان فما الذي يقعدك عن المساعدة على جهاد عليّ وقد حضر ك من المسلمين من فيه غنىّ وكفايه فيما تريدين! فقالت: يا بني افكر فيما قلت وتعود إليّ... ولما كان الغد أجابت إلى الخروج....

إن عائشه وطلحه والزبير لما ساروا من مكة إلى البصره أغدّوا السير مع من اتبعهم من بنى أميه وعمال عثمان وغيرهم من قريش حتى صاروا إلى البصره فنزلوا حفر أبي موسى، فبلغ عثمان بن حنيف وهو عامل البصره يومئذٍ وخليفه أمير المؤمنين عليه السلام).

فكتب عثمان بن حنيف كتاباً للأمير المؤمنين عليه السلام يعلمه فيه بدخول عائشه وطلحه والزبير البصره ويطلعه على مجريات الأمور فيها، فكانت هذه الرساله - مورد البحث - جواباً على رساله عامله عثمان بن حنيف، يأمره فيها والمخلصين له من أهل البصره بالوقوف بوجه المتمردين وقتالهم(١).

والآن نأتى إلى شرح هذه الرساله، فالإمام يقول فيها: «فَبِأَنِّ عَيَادُوا - أى المتمردين الذين لم يمثلوا الأوامر فى جيش طلحه والزبير، فعليكم بتقديم النصحيه لهم - إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ (٢) الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى

ص: ٥٠

١- (١). الجمل، ص ١٢٢.

٢- (٢). «توافت» من ماده «وفا» وتعنى المصافحه والاجتماع والتلاقى، والمراد من الجمله أعلاه أنّه إذا اجتمعت الحوادث وتظافت فيما بينها واستمر المخالفون على تمردهم.

الشُّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدْ (١) بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَعْنِ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ (٢) عَنْكَ).

والتعبير بـ «ظَلُّ الطَّاعَةِ» تعبير لطيف ويشير إلى أنّ العصيان والتمرد ومخالفه أوامر الحاكم الإسلامى حالها حال الشمس المحرقة، بينما الطاعة والسكينة وامتثال أوامر القادة العدول بمثابة الظل الوارف الذى يعمّ خيره المجتمع الإسلامى.

والفرق بين الشقاق والعصيان، أنّ الشقاق بمعنى الفرقة والانفصال، وأمّا العصيان والتمرد فشيء أعلى وأشدّ من مجرد الافتراق عن جماعه المسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير فى ختام هذه الرسالة إلى الدليل على أمره هذا ويقول:

«فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ (٣) مَغِيبُهُ (٤) خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقُعُودُهُ أَعْنَى مِنْ نُهُوضِهِ».

وهذا هو ما ذكر القرآن الكريم عن بعض المنافقين فى سورة التوبة وقال: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ» (٥).

فالعناصر الضعيفة التى تخاف من النزول إلى ساحة القتال وتكره مواجهه الأعداء لا تزيد الجيش الإسلامى إلّا ضعفًا، وبالتالى فإنّ غيابهم وعدم حضورهم أفضل من مشاركتهم فى المواجهه الحاسمه.

## تأملان

### ١. جرائم الناكثين فى معركة الجمل

يستفاد من تاريخ الطبرى وبعض الكتب الأخرى وكذلك فى خطبه ١٧٢ التى

ص: ٥١

١- (١). «انهد» صيغته أمر من «النهود» بمعنى الظهور والارتفاع والقيام بأداء عمل معين.

٢- (٢). «تقاعس» من ماده «قعس» على وزن «فحص» وبمعنى التماهل والتواكل وإلقاء المسؤوليه على الآخرين والتراجع عن القيام بالوظيفه والتكليف أو الحرب.

٣- (٣). «المتكاره» تعنى الشخص الذى يكره القيام بعمل معين ويعيش حاله السخط وعدم الرضا منه، وهى من ماده «كره».

٤- (٤). «مغيبه»: «مغيب» و «مشهد» مصدر ميمي بمعنى الغيبه والحضور.

٥- (٥). سورة التوبه، الآيه ٤٧.

سبق وأن شرحناها بالتفصيل أنّ عثمان بن حنيف بعد ورود طلحه والزبير وجيشهما إلى البصره جاء إلى هذه المدينه ومعه أمر من الإمام عليّ عليه السلام بمواجهه المتمرّدين وعناصر الشغب في البصره إلى أن يأتي إليها الإمام عليه السلام بنفسه، ولكن أهل البصره انقسموا إلى فئتين: فئه تقول بوجوب نصره الإمام عليّ عليه السلام ضد مناوئيه، وفئه أخرى تؤيد المخالفين والمتمرّدين وتقول بوجوب نصره عائشه زوجة النبيّ وأنصارها، وكانت هناك بعض المناوشات بين هاتين الفئتين، والجدير بالذكر أنّ (جاريه بن قدامه) وهو أحد رؤساء قبائل البصره جاء إلى عائشه فقال: يا أمّ المؤمنين، والله فإنّ قتل عثمان بن عفّان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضه للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكتي سترك وأبحتي حرمتك، إنّه من رأى قتالك فإنّه يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعه فارجعي إلى منزلك وإن كنت أتيتنا مستكرهه فاستعيني بالناس.

وعلى أيّه حال، فإنّ طلحه والزبير وأتباعهم كانوا قد لبسوا الدروع تحت لباسهم وجاءوا إلى المسجد عند الفجر لإقامه صلاه الصبح، وجاء عثمان بن حنيف إلى المسجد وهو لا يعلم بمجريات الأمور ليصلّي بالناس أيضاً، فجاءه أنصار طلحه والزبير وسحبوه من ردايه وقدموا الزبير للصلاه، وكانت طائفه من حراس بيت المال يدعون «السبابجه» أخرجوا الزبير من المسجد ووضعوا عثمان مكانه، ولكنّ أنصار الزبير هجموا عليهم ودفعوا عثمان بن حنيف وأتباعه من موقعهم، واستمرّ هذا التدافع والمناوشات إلى طلوع الشمس، فصاحت جماعه: يا أصحاب محمّد اتّقوا الله فإنّ الشمس قد أوشكت على الطلوع فكيف الصلاه؟ وأخيراً تغلّب الزبير وأنصاره وأقام الزبير صلاه الصبح بالناس، وبعد الصلاه هجم الزبير مع أنصاره المسلّحين على عثمان بن حنيف وأتباعه وقبضوا عليه وضربوه حتى كاد أن يموت واتفوا شعر رأسه ولحيته وأهدابه، وعذبوا جماعه من أنصاره وقتلوه.

وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام في الخطبه ١٧٢ إلى هذه القضيّه وقال: «قَوْلَ اللَّهِ لَوْ لَمْ



يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ، بِلَا جُرْمٍ جَزَاءَهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ، كَلَّهِ» (١).

وطبعاً فإنّ هذه المناوشات غير ما حدث من تنازع واختلاف بين طلحه والزبير على مسألة إمامه الصلاه، حيث كان كلّ منهما يريد إمامه الجماعة فتوسّط عائشه بينهما وتقرّر أن يصلّى بالناس عبدالله بن الزبير.

وقد ارتكب أتباع طلحه والزبير وعائشه في هذه المدّة جرائم عجيبة، منها أنّهم قتلوا «السبابجه» الذين كان عددهم سبعين رجلاً وقيل: أربعه نفر، وقطعوا رؤوسهم بأمر من عائشه، وقد استمرّت هذه الأوضاع الداميه إلى أن جاء الإمام عليّ عليه السلام وجيشه وسحقوا المتمرّدين والناكثين في معركة الجمل وقتل طلحه والزبير وأرسل الإمام عليه السلام عائشه مع جماعة من الحرس إلى المدينة، وعاد الهدوء والأمن إلى البصره (٢).

## ٢. على من يمكن الاعتماد؟

وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام في هذه الرساله إلى نقطه مهمّه جديره بتدبّر واهتمام جميع القاده والعسكريين، وهي أنّه لا ينبغي الاعتماد على العناصر المهزوزه وضعيفه الإراده في حسابات المعركه، ولا ينبغي تحشيدهم لمجرّد تكثير السواد في ميدان القتال، لأنّ ضررهم وخطرهم أكثر من نفعهم، فعدم حضور هؤلاء المزيّفين، في ميدان القتال يوجب السكينه والطمأنينه في قلوب المجاهدين وبالعكس فإنّ حضورهم ومشاركتهم تؤدّي إلى اهتزاز الموقف وتشويش النوايا واضطراب الدوافع.

وقد ورد في القرآن الكريم ما يشبه هذا المعنى كما أسلفنا في معركة تبوك (وكذلك معركة احد) وفي المورد الأول يقول القرآن الكريم: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا

ص: ٥٣

١- (١). نهج البلاغه، الخطبه ١٧٢.

٢- (٢). ولمزيد من التوضيح انظر: تاريخ الطبري، ج، ٣ في باب حوادث سنه ٣٦ و شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٣٠٥ إلى ٣٢٣.

زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ» (١). والفتنه هنا العمل على إيجاد الفرقه والنفاق وتمزيق الصف.

وبالنسبه لغزوه أحد تقول الآيه الشريفه بعدها: «لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبِيلٍ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ» (٢) أى أنّ هؤلاء كان قد سبق أن طلبوا الفتنة وتشويش الأمور فى معركة احد.

وخلاصه الكلام، أنّ الآيات الشريفه أعلاه تبين لجميع المسلمين درساً مهماً وهو أنه لا ينبغي لهم الاهتمام بزيادة عدد الجيش وكثره الجنود، بل ينبغي الاهتمام بكسب واختيار الأشخاص الذين يتمتعون بروح الإيمان والإخلاص مهما كان عددهم قليلاً، كما يظهر ذلك من الآيات الشريفه التى تتحدث عن قصه بنى اسرائيل وطالوت وجالوت: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ» (٣).

\*\*\*

ص: ٥٤

---

١- (١) . سورة التوبه، الآيه ٤٧.

٢- (٢) . سورة التوبه، الآيه ٤٨.

٣- (٣) . سورة البقره، الآيه ٢٤٩.

إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان (١)

### نظرة إلى الرسالة

هذه الرسالة تشير في الأساس إلى نقطه واحده، وهي أن المقامات والمناصب في الحكومه الإسلاميه ليست وسيله للوصول إلى المال والثروه وما إلى ذلك، بل هي أمانات إلهيه يجب مراعاتها بدقه والالتزام بلوازمها من موقع الوعي والإيمان، ولهذا السبب لا ينبغي استخدام وسائل الإكراه ومنهج الاستبداد في إداره الأمور وكذلك لزوم الاحتياط التام في التعامل مع بيت المال.

\*\*\*

ص: ٥٥

---

١- (١). سند الرسالة: من جمله الأشخاص الذين أوردوا هذه الرسالة: نصر بن مزاحم في كتاب صفين، نقل هذه الرسالة من مطلع كلام الإمام عليه السلام، ومع الأخذ بالحسبان أن نصر بن مزاحم كان يعيش قبل السيد الرضى بقرنين من الزمان تقريباً، مضافاً إلى أنه ذكر هذه الرسالة بشكل كامل، فيتين من ذلك أنه نقلها من مصادر أخرى. ونقلها أيضاً «ابن عبد ربّه» مع بعض الإضافات وابن قتيبه في كتابه الإمامه والسياسه باختصار يسير بالنسبه لما أورده نصر بن مزاحم. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٠٢).



وَإِنَّ عَمَلَك لَيْسَ لَكَ بِطَعْمِهِ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّتِهِ، وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقِهِ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرًّا وَلَا تَكَّ لَكَ، وَالسَّلَامُ

### الشرح والتفسير: المناصب الحكوميه في الإسلام أمانه إلهيه

كما أشرنا آنفاً أنّ السيد الرضى الذى أورد هذه الرساله نقل مقطعاً من رساله مفصله وردت فى كتاب وقعه صفين، ويستفاد من هذه الرساله أنّ الأشعث بن قيس وبسبب السوابقه السيئه كان يشعر بالقلق على موقعه بعد استلام الإمام على عليه السلام مقاليد الخلافه فربما عزله الإمام عليه السلام عن إماره آذربايجان وبذلك اتّخذ من معركة الجمل وقتل عثمان ذريعه للتمرد على حكومه الإمام عليه السلام، ومن أجل ذلك والحيلولة دون وقوع الفتنة، كتب له الإمام عليه السلام هذه الرساله ليتدارك أمره وقد ذكر فى بدايتها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ أَمِيَّا بَعِيدُ، فَلَوْ لَاهِنَاتٌ وَهَنَاتٌ كُنَّ مِنْكَ لَكُنْتَ الْمُقَدَّمُ فِي هَذَا الْأَمْرِ قَبْلَ النَّاسِ وَلَعَلَّ آخِرَ أَمْرِكَ يَحْمَدُ أَوَّلَهُ، وَيَحْمِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا، إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام، فى سياق هذه الرساله، أشار إلى قتل عثمان وبيعه الناس له وتمرد طلحه والزبير ونقضهم البيعه له وأضاف: أنّهما أخرجا عائشه من بيتها إلى البصره وأنى قد سرت إليهم مع ثلّه من المهاجرين والأنصار حتى اصطفّ الجيشان

وتقابل جيش الحقّ مع زمرة المتمرّدين والمخالفين وطلبت منهم الكفّ عن التمردّ والعناد والعودة إلى البيعه والوفاء بالعهود، وقد أتممت عليهم الحجّه ولكنهم لم يقبلوا إلّما بالقتال، وما كان من أمر المعركة ما كان ودارت عليهم الدوائر وجرح بعضهم وفز الآخرون، وقد أمرت أن لا- يجهز على المجروحين ولا يتمّ تعقيب الهاربين وكل من ألقى سلاحه على الأرض ورجع إلى داره وأغلق بابه عليه فهو آمن(١).

ثم إنّ الإمام عليه السلام في هذه المقطع من الرسالة الذي ينقله السيّد الرضويّ يقول محذراً بجملتين ذات معنى عميق: «وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمِهِ (٢) وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ».

التعبير أعلاه يبيّن رؤية الإسلام للمناصب الحكوميه والمسؤوليات التي تقع على عاتق أصحاب الشأن السياسي، ومن وجهه نظر الإسلام أنّ رئيس الحكومه، الوزراء، الأمراء، والولاة، ليسوا سوى اماناء يتولّون إداره أمور المجتمع الإسلامي ويتحمّلون الأمانه الإلهيه في هذا الشأن، فلا ينبغي استخدام هذه المناصب وسيله لاحتراز التفوق وتغليب المصالح الشخصيه والتوصّل إلى المآرب الذاتيه والفئويه بل ينبغي مراعاة هذه المسؤوليه كالشخص الأمين الذي يجب عليه إعاده الأمانه سالمه إلى أهلها.

وقد ورد هذا المعنى في روايات عديده في تفسير الآيه الشريفه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» (٣)، فإنّ هذه الأمانه هي الولايه وحكومته الأولياء الصالحين(٤).

وطبعاً أنّ تفسير هذه الآيه لا يعنى أنّ مفهوم الآيه ينحصر في أمر الحكومه

ص: ٥٨

١- (١). نهج البلاغه الكامل، ص ٨٠٣؛ وقعه صفيين، ص ٢٠.

٢- (٢). «طعمه» تعنى الشىء المطعوم والمأكول، ولكن تأتي على سبيل الكنايه، مثلاً يقال عن الشخص الفلاني خبيث الطعمه، يعنى أنّ كسبه وعمله غير مشروع، وفي الرسالة أعلاه وردت بمعنى ما يعتاش به الإنسان.

٣- (٣). سوره النساء، الآيه ٥٨.

٤- (٤). انظر: تفسير نور الثقلين، ذيل الآيه المذكوره؛ والكافي، ج ١، ص ٢٧٦ باب أنّ الإمام يعرف الإمام الذي يكون من بعده.

والإمامه، بل هي من المصاديق البارزه والمهمه لهذا المفهوم الأخلاقي الواسع.

ثم إن الإمام عليه السلام بعد أن يتقدم للأشعث بهذا الإنذار يبين ثلاث وظائف له بوصفه والياً، فيقول أولاً: «لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ (١) فِي رَعِيَّتِهِ (٢)».

بل يجب عليك العمل وفق الموازين الإلهيه وما ورد في تعاليم الإسلام عن حقوق الله، لا أن تتصرف كما يحلو لك، وتتعامل مع الرعيه كما يتعامل السيد مع عبيده.

ثم إن الإمام عليه السلام يقرر الأمر الثاني ويقول: «وَلَا تُخَاطِرُ إِلَّا بِوَثِيْقِهِ». أي أنه لا ينبغي لك في الأعمال المهمه والخطيره أن تسرع وتقدم عليها بدون اطمئنان من النتائج.

ومع الالتفات إلى أن جملة «وَلَمَّا تُخَاطِرُ» من ماده خطر، وأن كلمه خطير تستخدم للأمر المهمه بسبب الأخطار المترتبه عليها، فيكون مراد الإمام عليه السلام من هذه العبارة هو اجتناب الإقدام على أي عمل مصيري للناس والمجتمع إلا بعد التأمل والدقه والمشوره، وإذا لزم الأمر يجب الاستئذان من الإمام والقائد الأعلى، لأنه من أجل حفظ الأمانات المهمه لابد من الامتناع من أي عمل خطير، وعلى ضوء ذلك فإن مفرد «وثيقه» تستوعب في مضمونها التفكير والتأمل وكذلك المشوره والاستئذان من الإمام عند اللزوم.

وفي الأمر الثالث الذي أكد عليه الإمام عليه السلام فيما يتصل بحفظ الأموال وبيت المال،

ص: ٥٩

١- (١). «تفتات» في الأصل من ماده «فوت»، التي تأتي أحياناً بمعنى فقد الشيء وأخرى بمعنى السبق، وطبقاً للمعنى الثاني عندما تأتي من باب افتعال تعني الاستبداد والتزمت بالرأى، وكأنه يسبق الآخرين في اختيار مقصوده، ويحتمل أيضاً أن هذه المفرده من ماده «فأت» (بالهمزه)، وتأتي أيضاً بمعنى التفرد والاستبداد.

٢- (٢). «رعيه» صفه مشبهه بمعنى المراعاة، من ماده «رعى» وهي في الأصل تعني رعى الأغنام والذي يقترن عادة بالمراعاة والمحافظة عليها، وهذا التعبير يشير إلى أن الدوله في الحكومه الإسلاميه مكلفه بخدمه الناس والمحافظة عليهم ومراعاة حقوقهم، وقد ورد في الحديث النبوي المعروف: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» وهو إشاره إلى هذا المعنى، أي أن جميع الناس يجب أن يرعى أحدهم الآخر ويتعامل معه من موقع المسؤوليه ومراعاة الحقوق والواجبات، والحديث المذكور ورد في بحار الأنوار وجامع الأخبار وفي كتب أهل السنه صحيح البخاري و مسند أحمد ومصادر أخرى).

قال عليه السلام: «وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ».

وفى نهايه هذه الرساله يثير الإمام على عليه السلام فى نفس واليه الطمأنينه بأنه إذا سار فى الخطّ السليم وحفظ هذه الأمانه الإلهيه ورعى شؤون هذه المسؤوليه فالإمام عليه السلام لا- يتعرّض له بأى مكروه وسيكون فى أمان من المؤاخذه، يقول: «وَلَعَلِّي أَلَّا أَكُونَ شَرًّا وُلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ».

وبديهي أنّ هذا التعبير زاخر بالتواضع ومفعم بالأبوه.

## تأملات

### 1. دستور كامل

اللافت أنّ الإمام عليه السلام فى هذا المقطع القصير من الرساله بين جميع ما ينبغى عمله لمسؤول سياسى فى الحكومه الإسلاميه، فى البدايه بين حقيقه منصبه وماهيه هذه المقام ليعيش الوالى الوعى الكامل بمقتضيات هذا المقام وأنه ليس سوى أمين لا حاكم متسلط على رقاب الناس.

ثم يلفت الإمام عليه السلام النظر إلى أول شىء يصيب الولاه فى عمليته الحكم وهو مسأله الاستبداد بالرأى وترجيح الرغبات الشخصيه والرؤى الذاتيه على منافع الناس ومصالح الأُمَّه، وخاصه أنّ الإمام عليه السلام استخدم فى هذه العبارة مفرد «الرعيه» التى توحى بمفهوم ضروره مراعاة هذه الطبقة ولزوم النظر فى مصالحهم وتقديم النفع الجمعى فى سلم الأوليات.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر واليه بأن لا- يحسب الأمور الاجتماعيه المهمه كالأُمور الشخصيه، فلا ينبغى أن يتسرع فى اتّخاذ التدابير الخطيره بدون النظر إلى أبعادها وآثارها فى المجتمع، وأن لا يتصرّف من دون الاطمئنان والنظر إلى عواقبها وتداعياتها.

وأخيراً أشار الإمام عليه السلام إلى أحد العوامل التى تؤدى إلى فساد وانهيار الحكومات وهى مسأله الأموال والثروات العامه واعتبر هذه الأموال «مال الله» وهذا هو التعبير



الذى ورد فى القرآن الكريم عندما تحدّث عن العبيد الذين تحرّروا من ربه الرّق والأمر الشرعى بإعطائهم المال الكافى لمزاولة العمل والكسب وأداء ديونهم فقال تعالى: «وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ» (١).

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر واليه بوصفه أميناً وخازناً لمال الله ويأمره بالمحافظة على هذا المال إلى أن يصل بيد الإمام ويتم توزيعه على مستحقّيه.

وفى ختام الرسالة يثير الإمام عليه السلام الاطمئنان فى نفس واليه أنّه لو لم ينحرف عن جادّه الصواب ومسير الحقّ فإنّه سيكون فى أمان من المؤاخذه والعقوبه، ولكنّ الإمام عليه السلام فى ذات الوقت يحذّر من معبته عدم العمل بالنصائح الثلاث المذكوره لهذه الرسالة وأنّه ينبغى للأشعث أن ينتظر العواقب السيئه من جرّاء عدم امتثال الأوامر.

ومما يجدر ذكره أنّ نصر بن مزاحم يذكر فى كتاب «صفين»: «لما كتب عليه السلام إلى الأشعث مع ماضيه الأسود، قال الأشعث لأصحابه: قد أوحشنى وهو آخذنى بمال آذربايجان، وأنا لاحق بمعاويه، فقالوا: الموت خير لك من ذلك، أتدع مصرك وجماعه قومك وتكون ذنباً لأهل الشام، فسار حتّى قدم عليه عليه السلام». فانتبه الأشعث إلى خطئه وجاء أخيراً إلى الإمام عليه السلام وسكن فى الكوفه» (٢).

## ٢. من هو الأشعث بن قيس؟

تقدّم فى الجزء الأول من هذه الدوره وفى ذيل الخطبه ١٩ أنّ الإمام علىّ عليه السلام كتب رساله شديده اللهجه للأشعث بن قيس، وكتبنا شرحاً وافياً عن حال الأشعث واسمه الحقيقى، معدى كرب وبسبب شعره الجعد سمى بالأشعث بحيث غلب على اسمه الأصليّ وبقي هذا الاسم الثانى متداولاً ومعروفاً بين الناس.

وللأشعث ماضٍ أسود وسوابق سيئه كثيره، فقد ارتكب الكثير من الجرائم فى

ص: ٦١

١- (١). سورة النور، الآيه ٣٣.

٢- (٢). شرح نهج البلاغه العلامه التستري، ج ٨، ص ٧.

عصر الجاهلية وتم أسرهم من قبل أعداء قومه واضطرّ قومه إلى دفع مبلغ كبير كفديته لتحريره من الأسر.

أمّا تاريخه المظلم فيشير إلى أنّه كان من المنافقين، وكان في زمان حكمه الإمام عليّ عليه السلام - كما يذكر ذلك بعض المؤرّخين - الأساس والأصل لجميع المفسدات والخلل في المجتمع الإسلاميّ، وقد عمل مع عمرو بن العاص في حرب صفّين لإيجاد النفاق والبلبله في صفوف جيش الإمام عليه السلام.

وقد نُصّب الأشعث بن قيس والياً على آذربايجان، وبعد ذلك أبقاه الإمام عليه السلام في منصبه - طبقاً لروايه - مداراه له لئلا يتوجّه إلى الشام ويلتحق بمعاويه.

واللافت أنّ أبابكر زوج اخته ام فروه للأشعث ليأمن خطره، ولدت له هذه المرأه ثلاثه أبناء أحدهم محمّد الذي كان أحد قادة جيش ابن زياد في كربلاء لمواجهه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وكانت للأشعث بنت تسمى جعده، ونعلم جميعاً أنّها زوجة الإمام الحسن عليه السلام وقد أهدمت على قتل الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بالسّم، ومعلوم أنّ الأشعث أيضاً كان من الأشخاص الذين اشتركوا في قتل أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام (١).

ونختم هذا الكلام بحديث عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حول الأشعث حيث قال عليه السلام مخاطباً الناس: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْأَشْعَثَ لَا يَزِينُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضِهِ وَإِنَّهُ أَقْلٌ فِي دِينِ اللَّهِ مِنْ عَفْطِهِ عَنزٌ» (٢).

والجدير بالذكر أنّ الأشعث أصبح والياً على آذربايجان في عهد خلفه عمر ابن الخطاب وبقي في هذا المنصب في عهد عثمان وكذلك بقي فيه لمدّه معينه من خلفه الإمام عليّ عليه السلام.

ص: ٦٢

١- (١) انظر: الكافي، ج ٨، ص ١٦٧، ح ١٨٧.

٢- (٢) . بحار الانوار، ج ٢٩، ص ٤٢٠ ولمزيد التوضيح في ترجمه الأشعث راجع الجزء الأول من هذا الكتاب، ذيل الخطبه ١٩.

### ٣. آذربايجان في خارطة البلاد الإسلاميه سابقاً

يستفاد من كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري و «تاريخ الطبري» و «معجم البلدان» للحموي بشكل إجمالي أن منطقه آذربايجان تم فتحها في عام ٢٠ للهجره تقريباً ودخلت في دائره البلاد الإسلاميه، ولكن لم تمض فتره وجيزه حتى قامت جماعه من الأقباط المعاديه واستولت على تلك المنطقه، فبعث الخليفه الثاني الأشعث بن قيس واستطاع فتحها مره ثانيه وبقى الأشعث والياً على تلك المنطقه.

أمياً حدود آذربايجان في ذلك الوقت فكانت أوسع من آذربايجان الحاليه حيث كانت تضم مضافاً إلى مدينه تبريز، خويي سلمان وأروميه وأردبيل ومناطق من كيلان ومازندران أيضاً وكانت تمتد من جهه الغرب إلى الحدود الرسميه الحاليه، يقول الحموي: «تعتبر هذه المنطقه مملكه عظيمه وتمتع ببركات كثيره وهي منطقه خضراء وفيه المياه وفيها عيون كثيره» ويقول اليعقوبي في تاريخه: «إن معاويه كان يستلم في كل عام ثلاثين ألف درهم من خراج آذربايجان، وهذا يشير إلى وسع تلك المنطقه ووفره خيراتها»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

ص: ٦٣

---

١- (١). انظر إلى كتاب تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٣٣ و تاريخ الطبري في حوادث سنه ٢٢ و كذلك معجم البلدان الحموي، ج ١، ص ١٢٨ وفتوح البلدان للبلاذري، ج ٢، ص ٤٠٠.



إلى معاويه (١)

### نظرة إلى الرسالة

كان الإمام علي عليه السلام يهدف من خلال هذه الرسالة إلى إتمام الحجّة على معاويه من خلال عدّه أمور:

الأول: إنّ بيعته من قبل المهاجرين والأنصار حالها حال بيعه الناس للخلفاء السابقين (بل أفضل منها من جهات معيّنه) وعلى هذا الأساس لا يحقّ لأيّ شخص مخالفه هذه الحكومه الشرعيه ويجب على الجميع الامتثال والطاعه والعمل على التنسيق معها لإداره الأمور.

الثاني: إنّ الأشخاص الذين يقطنون في المناطق البعيده من منطقته البيعه يجب عليهم حال وصول خبر بيعه المهاجرين والأنصار لشخص معيّن أن يبايعوا بدورهم

ص: ٦٥

---

١- (١) . سند الرسالة: تمثّل هذه الرسالة مقطعاً من رساله مطوّله أرسلها الإمام عليه السلام لمعاويه وبعثها مع «جرير بن عبد الله البجلي» وفي جملة الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضى، نصر بن مزاحم في كتاب صفين، ابن قتيبه في الإمامه والسياسه، وابن عبد ربه في العقد الفريد. مضافاً أنّ الطبري في تاريخه ينقل هذه الرسالة ويذكر قصّه مفصّله عنها في الجزء الثالث من تاريخه في حوادث سنه ٣٦. وابن عساكر في تاريخ مدينه دمشق في شرح حال معاويه (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٠٩).

كما بايعوا فى الماضى.

الثالث: إنّ كلّ شخص إذا أراد الخروج من دائره هذه البيعه يجب إعادته إلى الطاعه، فإن امتنع وقاوم وتمرد على الحكومه الشرعيه فيجب على المسلمين التصدى له ومقاتلته.

الرابع: إنّ جعل قتل عثمان ذريعه للتمرد وعدم البيعه أمر غير صحيح وغير معقول، لأنّ الإمام على عليه السلام لم يتدخل إطلاقاً فى قتل عثمان.

وفى الختام وطبقاً لما ورد فى كتاب نهج البلاغه، يدعو الإمام على عليه السلام معاويه أن يبايع رسوله ووكيله جرير بن عبد الله ويعمل على إطفاء نار الحرب والفتنه بهذا العمل.

\*\*\*

ص: ٦٦

إِنَّهُ يَا يَعْنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمَهْرَجِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا، فَإِنِ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْنٌ أَوْ بَعْدَ عَهْدِ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنِ أَبِي قَسَاتْلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى. وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةَ، لِيُنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لِتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلِهِ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى؛ فَتَجَنَّنَا مَا بَدَا لَكَ! وَالسَّلَامُ.

## الشرح والتفسير

تقدّم في بيان سند هذه الرسالة أنّ ما أورده السيّد الرضّي من هذه الرسالة يمثّل مقطعاً من رساله مطوله أرسلها الإمام عليّ عليه السلام بعد واقعه الجمل إلى معاوية بيد جرير بن عبد الله البجلي وهو من مشاهير الصحابه.

وفي بدايه هذه الرساله كما أوردها صاحب نهج البلاغه الكامل رقم الكتاب ٢٩ ولم ينقله السيّد الرضّي، جاء فيه أنّ الإمام بعد الحمد والثناء قال: «إِنَّهُ يَا يَعْنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ».

واللافت أنّ الإمام عليه السلام لم يشر في هذا المورد لا إلى مسأله الغدير ولا إلى وصيّيه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في حقّه والروايات الكثيره الوارده في إمامته وولايته على المسلمين، لأنّ معاوية يستطيع، إنكار كلّ هذه النصوص الجليّه، ولكنّ مسأله خلافه

الخلفاء السابقين لم تكن مسأله قابله للانكار، وفي الحقيقه أنّ استدلال الإمام عليه السلام استدلال جدليّ كما في الاصطلاح، حيث يتخذ المتكلم مسلّمات ومقبولات الطرف المقابل ويستدلّ بها ضدّه، ومن هذا المنطلق بما أنّ معاويه كان يرى نفسه من ولاه الخلفاء السابقين أبوبكر، عمر، وعثمان، فإنّه لا يستطيع إنكار مشروعيه خلافتهم وكيفيه وصولهم إلى سدّه الحكم والخلافه، وهذا الأمر هو ما وقع أيضاً للإمام عليّ عليه السلام في خلافته بصوره أكمل وأتمّ، فإنّ عموم المهاجرين والأنصار بايعوا الإمام عليّ حتى طلحه والزبير اللذين نكثا البيعه بعد ذلك كانا من أوائل المبايعين للإمام في أمر الخلافه، وكانت السنّه جاريه في ذلك العصر أنّ المهاجرين والأنصار في المدينه إذا اختاروا شخصاً للخلافه فيجب على الغائبين والبعيدون عن المدينه أن يتبعوا المهاجرين والأنصار في مركز الخلافه، وعلى هذا الأساس لا يمكن لمعاويه أن يعترض على استدلال الإمام عليه السلام في هذا الأمر.

ومن هنا فإنّ الإمام عليّ عليه السلام يقول في هذا السياق: «وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٍ وَسَيِّمُوهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا».

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يستنتج من ذلك ويقول: «فَإِنِ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٍ أَوْ بَدْعَةٍ رُدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنِ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَعِيهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى».

وكما أسلفنا أنّ هذا الاستدلال يتسم بالمنهج الجدليّ والاستفاده من مسلّمات الطرف المقابل في دحض حجّته، فلا ينبغي استنباط هذا المفهوم وهو أنّ الإمام عليه السلام ترك مسأله الإمامه المنصوبه وذهب إلى أنّ الإمامه هي من اختيار الناس لا من شؤون البارئ تعالى وليست بوسيله التنصيب الإلهيّ كما تصوّر ذلك بعض شراح نهج البلاغه، بل إنّ الطريق الوحيد للاستدلال في مقابل معاويه لا يمكن بغير هذا المنهج الجدليّ، ونرى كثيراً من قبيل هذا النحو من الاستدلال في القرآن الكريم فيما يخصّ المجادله مع المشركين.

وفي مقطع آخر من هذه الرساله يذكر الإمام عليه السلام مسأله قتل عثمان التي جعلها



معاويه ذريعه للتمرد في مقابل الإمام عليه السلام كما سبقه بذلك طلحه والزبير أيضاً، يقول الإمام عليه السلام: «وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةَ، لَيْسَ نَظَرْتُ بِعَقْدِكَ دُونَ هَيَوَاكَ لَتَجِدُنِي أُبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلِهِ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّنِي (١)، فَتَجَنَّنِي (٢) مَا بَدَأَكَ، وَالسَّلَامُ».

إن من القضايا العجيبه في تاريخ صدر الإسلام أن جماعه كانوا في زمن خلافه عثمان قد رفعوا لواء المخالفه الشديده له، وحتى كان لهم دور مباشر أو غير مباشر في قتله، ولكن بعد مقتل عثمان تغير مسارهم فجأه وأخذوا يطالبون بدمه وبالثأر له ويذرفون عليه وعلى مظلوميته دموع التماسيح، ومثل هذا التغيير في المسار لا يعدّ أمراً عجبياً في أمر السياسه، ولكن كيف يمكن تبرير مثل هذه السلوكيات عندما تصدر ممن يدعون الإسلام ويعتبرون أنفسهم من قادة المسلمين؟

إن حادثه قتل عثمان والعوامل التي أدت إلى إثارة الناس ضدّه وكذلك الحوادث التي وقعت في هذه القضيه التاريخيه، وكذلك مسأله إجبار الثوار عثمان على التوبه واعتزال الخلفه وقبول عثمان للتوبه وعدم قبوله الاعتزال عن مقامه وكذلك دفاع أميرالمؤمنين عليه السلام عنه ومنع الثوار من قتله لثلاثه تسع دائره الفتنه وتعم جميع مناطق البلاد الإسلاميه، وأيضاً كيفيه قتل عثمان والحوادث التي وقعت بعد مقتله كلّها تعدّ من المسائل المهمه في تاريخ الإسلام، التي تستدعي الدقه والتمعن لاكتشاف الحقائق الكامنه في طيات التاريخ لهذه الوقعه.

وقد أسلفنا في البحوث السابقه بعض الأمور عن حقيقه ما جرى في هذه الوقعه في الجزء الأول من هذه المجموعه في شرح الخطبه الشقشقيه وكذلك الجزء الثاني ذيل الخطبه الثلاثين، وكذلك ذيل الخطبه ٤٣ أيضاً.

ص: ٦٩

- ١- (١). «تجنني» في الأصل من ال «جنايه»، وإذا كانت من باب تفعل فإنّها تعني أنّ شخصاً يريد أن يلقي بالجريمه على الآخر في حين أنّ ذلك الشخص لم يرتكبها وهذا هو معنى التهمه.
- ٢- (٢). «تجنن» هذه المفرده فعل أمر من «تجنني» كما سبق ذكره ومفهوم الجمله أنك يا معاويه تعلم بأن انتساب قتل عثمان إليّ مجرد تهمه فإذا كان الأمر كذلك فقل ما شئت وتحذث بما بدا لك.

## تأمل: لماذا استدلّ الإمام عليه السلام بالشورى والبيعة ؟

نعلم أنّ المسلمين قد اختلفوا في مسألة الإمامة والخلافه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على رؤيتين: فطبقاً لعقيدته الشيعيه فإنّ الإمامه والخلافه بالنصّ، أى أنّ تعيين الإمام والخليفه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يكون بالنصّ الإلهي من خلال بيان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهناك آيات قرآنيه تؤيّد هذه الرؤيه وكذلك الأحاديث الشريفه الوارده في هذه المجال من قبيل حديث الغدير، المنزله، حديث الثقلين، مضافاً إلى أنّ الشيعه يقيمون أدلّه عقليّه على هذه المسأله ليس هنا مجال لاستعراضها(١).

ولكن أهل السنّه ذهبوا إلى مقوله الشورى حيث يعتقدون بأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ترك تعيين الخليفه بعده للأمه وقد تمّ تعيين الخليفه بعد النبي صلى الله عليه وآله من خلال شورى المهاجرين والأنصار وبيعه المسلمين وقد اتخذ أبو بكر لهذا المقام في سقيفه بنى ساعده بحضور ثله قليله من المهاجرين والأنصار، وأمّا عمر بن الخطاب فقد أصبح خليفه بتعيين من أبى بكر وانتخب عثمان بالخلافه بأربعة آراء من أعضاء الشورى السنّه الذين اختارهم عمر لهذا الغرض، وأمّا الإمام عليّ عليه السلام فقد بويع بعد مقتل عثمان من قبل المهاجرين والأنصار وجمهور المسلمين عامه.

أمّا أنصار مدرسه الشورى فإنّهم عندما يصلون إلى الخطبه الشقشقيه التي تثير علامات استفهام على خلايفه الخلفاء الثلاثه الأوائل، فإنّهم يعترضون تاره على سند الروايه وأخرى على دلالتها، ولكن عندما يصلون إلى الرساله السادسه المذكوره أعلاه، يشرحون صدرهم لها ويستقبلون ما ورد فيها ويعتبرونه دليلاً على حقّانيه مذهبهم ورأيهم في مسألة الخلافه في حين أنّ كلّاً من هذه الرساله وتلك الخطبه للإمام عليّ عليه السلام.

والنقطه المهمّه هنا هي أنّه لا بدّ من الأخذ بنظر الاعتبار المخاطب للكلام

ص: ٧٠

١- (١). ولمزيد من هذه الأدله القرآنيه والروايه والعقليه راجع نفحات القرآن، ج ٩.

والنصّ، لأنّ عقائد المخاطب وأفكاره وتوجّهاته مؤثّره كثيراً في كيفية بيان المتكلّم، ففي الخطبه الشقشقيه نرى أنّ المخاطب لها عموم الناس، ولكن المخاطب لهذه الرساله هو معاويه نفسه.

كيف يمكن للإمام عليه السلام أن يستدلّ في هذه الرساله على حقّانته في مقابل معاويه بالنصّ، وهذا هو الشىء الذى يخالفه معاويه من الأساس، لابدّ من الاستفاده من دليل يعجز عن إنكاره، ويجد نفسه مضطراً للتسليم أمامه، وليس ذلك سوى مسأله الشورى، أى الشورى التى انتخب على أساسها الخلفاء السابقون الذين نصبوا معاويه في زمن خلافتهم على الشام.

وهذا هو الشىء الذى يعبر عنه في علم المنطق بفنّ الجدل، وهو بأن يتمسك المستدلّ بمسلّمات الخصم ويستدلّ بها ضده وإن كان لا يعتقد بها أو ليست مسلّمه لديه.

وهذا من قبيل أن نستدلّ بالتوراه والإنجيل الحاليين في مقابل اليهود والنصارى، وأنّه طبقاً لما ورد في الآيه الفلانيه في السفر الفلانى من كتابكم المقدّس فإنّ العقيدته التى تعتقدون بها في هذا الشأن باطله، مثلاً نقول: أنتم أيها المسيحيون تعتقدون بأنّ عيسى عليه السلام صلب ومات ودفن، وبعد عدّه أيام بعث من قبره ورفع إلى السماء، وطبقاً لهذه العقيدته يجب القبول بمسأله رجعه الإنسان إلى هذه الحياه الدنيا رغم أننا لا نعتقد بمقتل المسيح عليه السلام.

وقد ورد في القرآن الكريم مثل هذا النمط من الاستدلال، من قبيل ما ورد في قصه إبراهيم عندما وقف أمام عبده النجوم والقمر والشمس وقال لهم: «هذا ربّى» أو «هذا ربّى هذا أكبر»<sup>(١)</sup>، فقد وافقهم ظاهراً على ما يعتقدونه وما هو من المسلّمات لديهم، ولكن عندما أفلت هذه الكواكب استدللّ إبراهيم عليه السلام من افولها وغروبها على أنّها حادثه ومخلوقه، وبذلك أبطل حجّتهم وأجهض مزاعمهم.

ومن العجيب أنّ ابن أبى الحديد بالرغم من أنّه سلك مسلك الاعتدل في الكثير

ص: ٧١

١- (١). سورة الأنعام، الآيتان ٧٧ و ٧٨.

من المسائل، عندما يصل إلى هذه الرسالة يقول: «إعلم أنّ هذا الفصل دالٌّ بصريح العبارة على كون الاختيار طريقاً إلى الإمامه كما يذكره أصحابي المتكلّمون (أهل السنّه...) فأما الإماميّة فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام على التقيّه وتقول: إنّ ما كان يمكنه أن يصرّح لمعاويه في مكتوبه بباطن الحال ويقول له: أنا منصوص علىّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعهود على المسلمين أن أكون خليفه فيهم بلا فاصله، فيكون في ذلك طعن على الأئمّه المتقدّمين...»(١).

إنّ خطأ ابن أبي الحديد هو أنّه أوّلاً: لم يلتفت إلى مخاطب هذه الرسالة أبداً، وهو معاويه.

وثانياً: أنّه خلط بين مسأله الجدل ومسأله التقيّه، فالشيعة لا يقولون إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد سلك مسلك التقيّه في مقابل معاويه، بل يقولون: إنّ استدلال بما لا يمكن لمعاويه إنكاره ومخالفته، أي أنّ الإمام استدللّ بالأمر المسلّمه لدى معاويه ضدّه، وقد ورد في نهج البلاغه عبارات أخرى شبيهه أيضاً بما ذكر أعلاه، ويتبيّن جواب الجميع ممّا قلنا آنفاً ولا حاجة للتكرار.

\*\*\*

ص: ٧٢

---

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٣٦ و ٣٧.

تقدم في بيان مدرك هذه الرسالة أنها وقعت جواباً على رساله كتبها معاويه للإمام عليه السلام في أواخر معركة صفين وكانت رساله معاويه تتضمن الوقاحه وعدم رعايه الأدب وتشير إلى نقاط مختلفه أهمها عدم الاعتراف ببيعه المسلمين للإمام عليه السلام بذريعه أن أهل الشام لم يحضروا هذه البيعه ولم يوافقوا عليها، وقد أجاب الإمام جواباً حاسماً على كل هذه التقولات والكلمات اللامسؤوله (٢).

\*\*\*

ص: ٧٣

---

١- (١) . سند الرسالة: من جمله الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى ابن أعثم الكوفى فى كتاب الفتوح والمبرد فى الكامل ونصر بن مزاحم فى كتاب صفين، هؤلاء نقلوا الرسالة مورد البحث بتفاوت يسير، وهذه الرسالة فى الحقيقه رساله جوابيه أرسلها الإمام عليه السلام إلى معاويه جواباً على رسالته المليئه بالعبارات الوقحه والكلمات المنكره فى أثناء معركة صفين، بل كتبها فى أواخر هذه الحرب (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢١١).

٢- (٢) . سيأتى ذكر رساله معاويه فى نهايه هذا البحث.



أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقَتْهَا بَضُّ لِمَالِكَ، وَأَمُضَتْ يَتَّهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابٌ امْرِي لَيْسَ لَهُ بَصِيرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لِأَعْيُنِهَا، وَضَلَّ خَابِطًا.

وَمِنْهُ: لِأَنَّهَا بَيَعَهُ وَاحِدَةً لِأَيْتَنِي فِيهَا النَّظْرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ.

الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ.

## الشرح والتفسير: موعظه الضالين!

بما أن معاوية قد تمسك في رسالته للإمام عليه السلام ببعض الآيات القرآنية ليعض الإمام عليه السلام بالتقوى والورع!! منها قوله تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (١) وهذه الآية كما هو معلوم ليس لها أى إرتباط بادعاءات معاوية الباطلة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى مطلع رسالته له:

«أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ (٢)، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ (٣)، نَمَّقَتْهَا (٤) بَضُّ لِمَالِكَ،

ص: ٧٥

١- (١). سورة الزمر، الآية ٦٥.

٢- (٢). «موصلة» تعنى أمور متنافره وغير مرتبطه تم جمعها فى مورد واحد، وهى من ماده «وصل» أى ربط.

٣- (٣). «محبرة» وتعنى تزيين الشىء من ماده «حبر» على وزن «ابر» وتعنى بفتح الأول التزيين و «حبر» بكسر الأول تعنى الجمال.

٤- (٤). «نمق» من «التنميق» بمعنى التزيين؛ ولكن الثلاثى لها «نمق» على وزن «نقد» تعنى الكتابه، وعندما تأتى من باب التفعيل

تعنى التزيين.

وَأَمْضَيْتَهَا (١) بِسُوءِ رَأْيِكَ».

والتعبير ب (مُؤَصَّلَةً) إشاره إلى عدم التجانس المشهود في رساله معاويه حيث يتمسك ببعض الآيات القرآنيه التي ليس لها أى علاقته بالمقصود، ومن جهه أخرى يتهم الإمام عليه السلام بشق عصا المسلمين وإيجاد الاختلاف بين الأمة، فى حين أنّ كلماته وعباراته تعتبر مصداقاً بارزاً لإثاره الخلاف وإيجاد الفتنة فى المجتمع الإسلامى.

وعبارته (رِسَالَةٌ مُّحَبَّرَةٌ) (مع الالتفات إلى أنّ «محبّره» تعنى التزيين والتنميق) إشاره إلى أنّ معاويه كان يسعى بأى وسيله ممكنه إلى إظهار أنّ الحقّ بجانبه، فأحياناً يتحدّث عن يوم القيامة والعذاب الإلهي، وأخرى عن مصالح المسلمين، وثالثه يتمسك بالآيات القرآنيه للدفاع عن مواقفه المتهرئه.

وجمله: (نَمَقَّتْهَا بِضَمِّ لَمَلِكٍ) إشاره إلى أنّ العبارات الجميله فى الظاهر هى ذاتها العبارات والكلمات التى كان يتوصّل بها المنافقون الضالّون لإظهار إيمانهم فى مقابل النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، وجمله (أَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ) إمّا أن يكون المقصود بها أنّ إمضاء مثل هذه الرساله لا يصدر إلّا من الإنسان المنحرف والسائر فى خطّ الضلاله والجهاله، أو يكون المعنى فيما لو أخذنا الإمضاء بمعنى الإرسال فىكون مفهومها أنّ فكرك المنحرف والباطل أجاز لك كتابه هذه الرساله الوقحه للإمام وقائد المسلمين.

وفى سياق كلام الإمام عليه السلام فى رسالته، يبيّن الإمام مضمون رساله معاويه وشخصيته الانتهازية فى عبارات قصيره وزاخره بالمعنى ويقول: «وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصِيرَةٌ يَهْدِيهِ، وَلَمَّا قَامَتْ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهُوَى فَأَخْرَبَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ (٢) لَأَغْطًا (٣)، وَضَلَّ خَابِطًا (٤)».

ص: ٧٦

١- (١). «أَمْضَيْت» من «الإمضاء» وتعنى الإرسال والإجراء والتنفيذ لشيء، وبما أنّ إمضاء السند أو الوثيقه يعتبر نوعاً من إنفاذها وإجرائها، فهذه المفرده تطلق على هذا العمل.

٢- (٢). «هجر» من ماده «هجر» على وزن «زجر» وتعنى الهديان.

٣- (٣). «لاغط» من ماده «لغط» على وزن «وقت» بمعنى إثاره الفوضى واللغو والشغب.

٤- (٤). «خابط» من ماده «خبط» على وزن «وقت» وتعنى المتحير والسائر بدون هدف معين.



والملفت للنظر أنّ الإمام عليه السلام في هذه الجمل الثلاث استفاد من التجانس بين الثنائيات بشكل لازم وملزوم، فيقول في الجملة الأولى: (لَيْسَ لَهُ بَصِيرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ) وقال في الجملة الثانية التي تعتبر نتيجة لما سبق: «قَدْ دَعَا الْهَوَى فَاَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلْمَالُ فَاتَّبَعَهُ» وفي الجملة الثالثة التي تعتبر نتيجة للجملة الثانية يقول: «فَهَجَرَ لَأْغِطًا، وَضَلَّ خَابِطًا»، أى يتحدث في خبط وهذيان بسبب الضلاله والسير في متاهه الحيره، والحقيقه كذلك، لأنّ نور الهدايه إما أن ينبع من باطن الإنسان أو يحصل عليه الإنسان من خارجه من خلال التمسك بالقاده الإلهيين والمرشدين الصالحين، وفي غير هذه الصوره فإنّ الإنسان يعيش الظلمات الباطنيه والضلاله الخارجيه التي تنشأ بسبب مشوره الأشخاص المنحرفين والانتهازيين، وهكذا ينحدر الإنسان في هوه الضلاله ومنزقات الجهاله، فلا يملك حينئذٍ كلاماً منطقيّاً ولا تسير أعماله وفق التخطيط العقلانى المدروس.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير في رسالته الجوابيه إلى أحد اشتباهات معاويه الكبيره التي ذكرها في رسالته، فقد كتب معاويه في رسالته أنّ بيعه المسلمين للإمام عليه السلام لم تكن صحيحه، لأنّ أهل الشام لم يقبلوا بها، فيقول الإمام في مقام الجواب: «لِأَنَّهَا بَيْعُهُ وَاحِدَةٌ لَأَيُّنِّي فِيهَا النَّظَرُ (١)، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ. الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرْوَى (٢) فِيهَا مُدَاهِنٌ (٣)»، يعنى أنّ بيعه الخلفاه لا تقع سوى مرّه واحده غير قابله للتعديل ولا للتجديد.

وفي الحقيقه أنّ الإمام عليه السلام استدللّ في هذا المقطع بإحدى المسلّمات في مسأله الخلفاه عند معاويه، لأنّه يعتقد بأنّ خلفاه الخلفاء السابقين قامت على أساس آراء

ص: ٧٧

---

١- (١). «النظر» تعنى هنا التأمل والتدبر، يعنى أنّ البيعه بعد انعقادها غير قابله للتأمل والتشويه (هذا في صوره أن تكون «فى» متعديه).

٢- (٢). «مروى» الشخص الذى يشك ويتردد فى أمر ويفكر ويتأمل فيه وهى من «الترويه»، وتأتى أحياناً بمعنى شرب الماء وإزاله الظمأ، وأخرى بمعنى المطالعه والتأمل فى شىء.

٣- (٣). «مداهن» تعنى المتملق والمنافق والمتزلف.

المهاجرين والأنصار وأنّ الأشخاص الذين كانوا يعيشون بعيداً عن المدينة يجب عليهم احترام آراء المهاجرين والأنصار في المدينة وإتباعهم والقبول بمن اختاروه لهذه المقام، هكذا كانت سنّة الخلفاء السابقين، والإمام عليه السلام يقول: كيف تقبل برأى المهاجرين والأنصار وأهل الحلّ والعقد بالنسبة لما يتصل بالخلفاء السابقين، ولكنك تشكك في بيعتهم الآن مع أنّها أوسع وأشمل وأكثر امتداداً في الوسط الجماهيري من بيعه الخلفاء السابقين؟ أمّا عدم قبول أهل الشام فهذا يشير إلى أحد أمرين: إمّا أنّك ترى بطلان منهج الخلفاء السابقين، أو حالك حال المنافقين الذين يقبلون أحياناً بشيء وينكرونه أحياناً أخرى حسب المصالح وما تمليه عليهم مطامعهم الشخصية بعيداً عن واقع الإيمان وتعاليم الرساله.

فلو وجب انتخاب جميع المسلمين في مختلف مناطق البلاد الإسلاميّة لقبول حكومه الإمام عليّ عليه السلام وتحقق مشروعيتها فيلزمك أن تعتقد ببطلان حكومه الخلفاء السابقين وبالتالي فإنّ حكومتك تقتبس مشروعيتها منهم فستكون باطله أيضاً.

وأشار الإمام عليه السلام في جملة «لَأَنَّهَا بَيَعَةٌ وَاحِدَةٌ...» إلى حقيقة حاسمه ومسلّمه في التاريخ الإسلامي وهي أنّ البيعه كالبيع اللازم لا خيار فيه للفسخ ولا التكرار، فإذا وقعت البيعه فإنّها تقع مرّه واحده وللأبد.

### **تأمل: رساله معاويه لأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام**

مع الالتفات إلى أنّ رساله الإمام عليه السلام المذكوره آنفاً ناظره لرساله سابقه أرسلها معاويه للإمام عليه السلام، ومن هنا لزم نقل نصّ رساله معاويه المذكوره في كتب التاريخ رغم أنّها وقحه جدّاً وخاليه من الأدب، ولذلك نعتذر قبل ذلك للقراء الكرام وخاصّه من الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على إيراد مثل هذه الرساله والكلمات اللامسؤوله فيها:

«مَنْ عَبَدَ اللَّهَ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:

أَمَّا بَعِيدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» إِنِّي أَحْذَرُكَ اللَّهُ أَنْ تُحْبِطَ عَمَلُكَ وَسَابَقَتْكَ بِشَقِّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَتَفْرِيقِ جَمَاعَتِهَا فَاتَّقِ اللَّهَ وَادْكُرْ مَوْقِفَ الْقِيَامَةِ وَاقْلَعْ عَمَّا أُسِرَفَتْ فِيهِ مِنَ الْخَوْضِ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: «لَوْ تَمَالَأَ أَهْلُ صَنْعَاءَ وَعَدَنٍ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَأَكْبَهُمُ اللَّهُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ» فَكَيْفَ يَكُونُ حِيَالُ مَنْ قَتَلَ أَعْلَامَ الْمُسْلِمِينَ وَسَادَاتِ الْمُهَاجِرِينَ بَلَهَ مَا طَحَنَتْ رَحَى حَرْبِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَذَوَى الْعِبَادَةِ وَالْإِيْمَانِ مِنْ شَيْخٍ كَبِيرٍ وَشَابٍّ غَرِيرٍ كُلُّهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى مُؤْمِنٌ وَلَهُ مُخْلِصٌ سُوْلُهُ مُقَرَّرٌ عَارِفٌ فَإِنْ كُنْتَ أَبَا حَسَنِ إِنَّمَا تُحَارِبُ عَلَى الْأَمْرِ وَالْخِلَافَةِ فَلَعَمْرِي لَوْ صَيَّحَتْ خِلَافَتُكَ لَكُنْتَ قَرِيباً مِنْ أَنْ تُعِذَرَ فِي حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ وَلَكِنَّهَا مَا تَصَحَّحَ لَكَ أَنِّي بَصَّحْتُهَا وَأَهْلُ الشَّامِ لَمْ يَدْخُلُوا فِيهَا فَقَدْ وَاللَّهِ أَكَلْتَهُمُ الْحَرْبُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا كَالثَّمِيدِ فِي قَرَارِهِ الْغُدِيرِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»(١).

هذه الرسالة المسيئة وغير المؤدبه من جهه، والسخيفه من جهه أخرى، تبين سوء طويته معاويه وبطلان رأيه لأنها أولاً: تتمسك بآيه حبط الأعمال بسبب الشرك، في حين أنه لا يوجد في الموضوع أدنى كلام عن الشرك، وبالنسبه لشق عصا المسلمين وإيجاد الفرقه بينهم على فرض أن يكون صحيحاً لا يرتبط بمسأله الشرك، وهذا هو ما وصفه الإمام عليه السلام بأنه: «مَوْعِظَةٌ مَوْصَلَةٌ» أي أنه كلام متشئت وغير متجانس في مضامينه وعباراته.

ثانياً: إن الإمام عليه السلام في جوابه على هذه الرسالة والذي لم يذكره السيد الرضى في نهج البلاغه يقول: إنك أمرتني بالتقوى وأنا أرجو أن أكون من أهل التقوى ولكنني

ص: ٧٩

١- (١). مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢١١ ونقل ابن أبي الحديد هذه الرسالة أيضاً مع اختلاف يسير في: ج ١٤، ص ٤٢.

أعوذ بالله أن أكون ممن يأمر الناس بالتقوى وفي ذات الوقت يجزّهم إلى المعصية وطلب الدنيا (وأنت من هؤلاء).

ثالثاً: يقول الإمام عليه السلام في مقام الجواب عن مسأله حبط الأعمال وسابقته في الإسلام: إذا كنت قد خرجت مع الخارجين على عثمان فجدير بك هذا التحذير لى، ولكنى أرى الله تعالى يقول: «فَقَاتِلُوا النَّبِيَّ تَبِغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ» (١). فيجب عليك النظر بعقلك دون هواك لتعرف من هم أهل البغي هل نحن أم أنتم؟ وبديهي أن أهل البغي هم أنت وجماعتك، لأن بيعتي وقعت في المدينة من قبل المهاجرين والأنصار وهي ملزمه لكم في الشام، كما أن بيعه عثمان في المدينة كانت ملزمه لكم أيضاً، في حين أنك كنت والياً على الشام من قبل عمر بن الخطاب، وكما أنها - بيعه عمر - كانت ملزمه لأخيك يزيد في حين أنه كان والياً على الشام من قبل أبي بكر.

ثم إن الإمام عليه السلام يجيب عن هذه النقطة التي ذكرها معاويه، وهي من هو المسؤول عن شق عصا المسلمين؟ ويقول: يجب أن احذرك وأنهاك عن هذا العمل، فقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بجهاد أهل البغي وخاطب أصحابه قائلاً: إن منكم من يجاهد على تأويل القرآن كما جاهد على تنزيله، وأشار إلي في كلامه هذا وكنت أول شخص أطاق رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الأمر.

ثم إن الإمام عليه السلام يستعرض الجواب عما تبقى من الرسالة وهو المقطع الذي ذكره السيد الرضى في «نهج البلاغه» وسبق أن شرحناه.

وعلى ضوء ذلك يتبين صدق الإمام عليه السلام وصراحته في موقفه من معاويه وكذلك، تتبين وقاحه وحمق معاويه من جهه أخرى.

وقد تمسك الطغاه على امتداد التاريخ بهذا المنطق المتلون، وقد أورد القرآن الكريم بيان جلي ذلك في قصه موسى عليه السلام وفرعون وذلك عندما دعا موسى عليه السلام الفراعنه للتوحيد وترك الظلم والجور وقال فرعون: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُدْخِلَكُمُ الْيَوْمَ الْجَنَّةَ فَيُخْرِجَكُمُ مِنْهَا وَأَسَدِلَ عَلَيْكُمُ السُّيُوفَ وَنُحِيطَ بِحَمْرِكُمْ» (١). سورة الحجر، الآية ٩.

ص: ٨٠

يُظهِرُ فِي الْمَأْرُضِ الْفَسَادَ»<sup>(١)</sup>، في حين أنّ المفسد الحقيقيّ في الأرض هو فرعون نفسه الذي كان يقتل حتّى الأطفال الأبرياء ويشقّ بطون الحوامل.

وفي ختام البحث يفرض علينا هذا السؤال نفسه، وهو أنّ معاويه مع علمه بكذبه في محتوى رسالته، وأنّه هو الذي شقّ عصا المسلمين وأثار الغبار حول إجماع المسلمين على البيعه، وهو الذي سلك طريق الانحراف والتمرد والطغيان على الحكومه الإسلاميّه، وإن كان له عمل صالح في الماضي فقد أحبطه بما ارتكبه من حرب طاحنه ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه هو وأصحابه شركاء في قتل عثمان لا الإمام عليّ عليه السلام، إذن فلماذا يتخذ لنفسه شخصيّة محقّه ويكتب للإمام تلك الرساله الزاخره بالأكاذيب والدجل؟

ويتبيّن الجواب عن كلّ هذه الاستفهامات إذا عرفنا هذه الحقيقه، وهي أنّ معاويه لم يكتب في الواقع هذا الكتاب للإمام عليّ عليه السلام بل كتبه لاستغفال أهل الشام وخلط الأوراق، وبذلك يريد أن يقول لهم إنّني إنسان صالح وأرفع لواء الصلح والعداله، ولكن عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يستمع لكلامي ولا يرضخ لواقع العدل والحقّ، وفي الحقيقه أنّ عمله هذا يشبه ما قام به من رفع المصاحف على الرماح في معركة صفّين، ولم يكن معاويه وأصحابه يريدون تحكيم القرآن قطعاً، بل كانوا يريدون أن يخدعوا أهل الشام من جهه، ومن جهه أخرى العمل على إيجاد الفرقة والنفاق في جيش الإمام عليّ عليه السلام.

\*\*\*

ص: ٨١

---

١- (١). سوره غافر، الآيه ٢٤.



## الرساله ٨: إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاويه

### إشاره

إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاويه (١)

### نظره إلى الرسالة

إن مضمون هذه الرسالة بيّن وجليّ تماماً، فالإمام عليه السلام يريد من رسوله جرير أن يتمّ الحجّه على معاويه وأخذ البيعه منه، إذا أراد البيعه للإمام عليه السلام، وإن لم يكن مستعدّاً للبيعه، فعليه أن يكون مستعدّاً لقتاله.

\*\*\*

ص: ٨٣

---

١- (١). سند الرسالة: من الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيّد الرضّي، نصر بن مزاحم في كتاب صفين وابن عبد ربه في كتاب العقد الفريد (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢١١).





أَمَّا بَعْدُ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَضْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيَّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سَلْمٍ مُخْزِيَةٍ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بِيَعْتَهُ، وَالسَّلَامَ.

### الشرح والتفسير: حلّ المشكل بآليات الصلح

جاء في المصادر التاريخيه أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أرسل جرير إلى معاوية لأخذ البيعه منه بهذا الكتاب، وقد أوصل جرير هذا الكتاب لمعاوية، أخذ معاوية يسوّف بالأمر ويتباطأ في الجواب إلى أن ظنّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام به سوءً واتهموه بالتعاطف والتعاون مع معاوية، حتّى قال الإمام عليه السلام عنه: إنّ جريراً لبث عند معاوية طيله هذه المدّة فإنّما أن يكون مذنباً أو مخدوعاً.

ومن هنا كتب الإمام عليه السلام هذه الرساله لجرير حتّى لا يطيل المسأله ويوصد بذلك باب المماطله على معاوية وطلب منه أن يلزم معاوية بأحد أمرين: فإنّما البيعه أو الحرب، فالإمام يقول في هذه الرساله:

«أَمَّا بَعْدُ - بعد الحمد والثناء الإلهي - فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَضْلِ (١)، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيَّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ (٢)، أَوْ سَلْمٍ

ص: ٨٥

١- (١). «الفصل» في الأصل بمعنى الفرقة والانفصال، ويطلع على الحكم القطعي الذي يصدر من القاضى وغير القاضى، لأنّه يفصل بين المتخاصمين ويميّز المسائل المشتبه بها.

٢- (٢). «مجلية» من «الإجلاء» بمعنى إخراج من الوطن وأصله من «جلاء» بمعنى الوضوح والظهور، ولذلك يطلق على الخروج من المدينة وكأنّ الشخص كان مختفياً فيها ومع خروجه يظهر ويبرز إلى العيان، و«الجلاء» بمعنى تلميع الشئء وصقله، وكذلك نوع من ظهور اللون الحقيقي المستور تحت الصدأ.

مُخْزِيهِ (١)، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ (٢) إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بِيَعْتَهُ، وَالسَّلَامُ».

وعندما وصلت هذه الرسالة لجريير في الشام سلمها بيد معاوية ونهض من مكانه وخطب بالناس وذكرهم بقضية عثمان وأن جميع المسلمين بايعوا الإمام علي عليه السلام بدون تردد، يعني أننا لو خَلينا ومسأله الخلافه لم نكن نختار غير الإمام علي عليه السلام.

### تأمل: من هو جريير بن عبدالله؟

يعتبر جريير بن عبدالله من مشاهير الصحابه، ومن قبيله بجيله من قبائل اليمن، وبجيله اسم امرأه معروفه فى تلك القبيله حيث سميت قبيلتها باسمها، وتاره يسمي الشخص بجلياً لانتمائه إلى هذه القبيله، وقد جاء جريير فى السنه العاشره للهجره إلى رسول الله صلى الله عليه وآله على رأس جماعه من مائه وخمسين رجلاً من قبيله بجيله، وأسلموا على يد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فاستقبله النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بكل احترام، وعندما مدّ يده للبيعه قال: أقبل بيعتك بشرط أن تشهد بالتوحيد وتؤمن بالنبوه وتقيم الصلاه وتوتى الزكاه وتحب، الخير للمسلمين وتصوم شهر رمضان وتطيع إمام المسلمين.

وسأله النبى الأكرم صلى الله عليه وآله عن أوضاع منطقته، فقال جريير: لقد ظهر الإسلام فى هذه المنطقه وكسر الناس الأوثان، فقال: وما حال صنم «ذوالخلصه»؟

فقال: هذا صنم كبير بقى لحاله.

ص: ٨٦

- ١- (١). «مخزيه» من ماده «خزى» من باب افعال و «الخزى» تعنى الفضيحه والذله، ولعل أصلها من الفضيحه التى تسبب الذله، وذهب جماعه من أرباب اللغه إلى أنّ جذره الأصلي سوء حال النتائج من وقوع البلاء والفضيحه والذله.
- ٢- (٢). «فانبذ» من ماده «نبذ» على وزن «نصر» فى الأصل بمعنى القاء الشىء بعيداً لعدم اعتباره أو لكونه غير ذى قيمه، وأحياناً تأتي بمعنى الاعلام وكأنّ المتكلم يطرح الكلمات إلى الطرف المقابل سواء كان هذا امضاء لعهد أو اعلاناً لحرب أو شيئاً آخر، وفى الجمله أعلاه ورد بمعنى إعلان الحرب.

فأمر النبي الأمر بتحطيم هذا الوثن، فتوجه جرير مع مائتي نفر من قبيلته وبعد عدّه أيام رجع إلى النبي وقال: والله لقد حطّمته وأحرقتة أمام أعين عابديه.

وقد اشترك جرير مع قبيلته بجيله في معركة القادسيه، وكان سهمه كبيراً ومؤثراً في الفتح، وبعد ذلك نصبه عثمان والياً على منطقه همدان، وبعد قتل عثمان ووصول كتاب أمير المؤمنين عليه السلام إليه دعا جرير الناس للبيعة للإمام عليّ عليه السلام، وبعد مدّه جاء إلى الكوفه، ولمّا كان يتمتّع بشهره لدى أهل الشام اختاره الإمام عليه السلام لإيصال رسالته إلى معاويه وبعثه إلى الشام، ولكنّه لم يستطع أداء مهمّته بشكل صحيح وعاد إلى الكوفه فظنّ به أهل العراق سوءاً واتّهموه بالتواطؤ مع معاويه، فاستاء جرير من ذلك وعزم على التوجّه إلى جزيره قرقيسا واختار العزله هناك وترك النشاط السياسي والاجتماعي.

\*\*\*



إلى معاويه (١)

### نظرة إلى الرسالة

بما أنّ هذه الرسالة بمثابة جواب على رساله معاويه الوقحه والمهينه والملينه بالخبث والشيطنه فإنّ رساله الإمام عليه السلام هذه تجيب على شيطنه معاويه وخبثه وناظره إلى الكشف عن زيف مدّعياته وأباطيله.

في أحد مقاطع هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهي أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عندما قام بالدعوه ونشر الرسالة الإلهيه همّت جماعه من المشركين من قريش بقتل النبيّ، إلّا أنّ الله تعالى أنقذه منهم ومنع عتاه قريش من إجهاض الرسالة،

ص: ٨٩

---

١- (١). سند الرسالة: يقول مؤلف كتاب مصادر نهج البلاغه بعد بيان كيفيه كتابه هذه الرسالة، هذه القصّه مشهوره في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، وأمّا ما ذكره السيد الرضى فيمثّل قسمًا ختامياً للرساله، ثم أضاف: وقد نقل هذه الرسالة ككتاب آخرون أيضاً في كتبهم، ومنهم: ١. ابن عبد ربه في العقد الفريد. ٢. البلاذري في كتاب انساب الأشراف. ٣. الشيخ المفيد في كتاب الفصول المختاره وقد أورد مقطعاً منها. ٤. الخطيب الخوارزمي في كتاب المناقب (والجدير بالذكر أنّ الثلاثة المتقدمين كانوا يعيشون قبل السيد الرضى) (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢١٧).

وأن قريش كانت تتصدّر المتمرّدين والمخالفين لهذه الدعوة الجديدة.

وفى قسم آخر من الرساله يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقه وهى أنّ الرسول الأكرم عليه السلام كان يجعل أهل بيته فى ميدان القتال فى الخطّ الأول للمواجهه، وبذلك يحفظ أصحابه من الخطر من خلال توضّحه وجهاد أهل بيته وأرحامه، والشاهد على ذلك استشهاد حمزه وجعفر وآخرين من بنى هاشم فى ميادين الجهاد ضدّ قوى الكفر والباطل، وهذا الكلام فى الحقيقه جواب على ادّعاء معاويه فى رسالته أنّ غير بنى هاشم كالخليفه الأول والثانى كانوا من أكثر الناس تحرّقاّ للدعوه الجديده واستعداداّ للتضحيه والفداء فى سبيل الإسلام.

وفى المقطع الثالث من الرساله يظهر الإمام عجبته الشديد كيف أنّ الدهر جعله فى صفّ معاويه الذى لم يقدّم أىّ خدمه للإسلام ولا يملك أىّ سابقه فى الدين؟

وأخيراً وفى القسم الرابع من الرساله يتحدّث الإمام عليه السلام عن عدم قبوله لطلب معاويه فيما يخصّ تحويل قتله عثمان، لأنّه إذا تقرّر محاكمه وإنزال العقوبه بقتله عثمان، فهذا من شأن الحكومه الإسلاميه لا من شأن شخص متمرد على الحكومه.

والجدير بالذكر أنّ لمعاويه فى رسالته وجواب الإمام علىّ عليه السلام عليها حكايه مثيره ولا- بأس من استعراضها من أجل الكشف بشكل أفضل عن مضمون رساله الإمام عليه السلام لمعاويه، والحكايه كالتالى:

«كان أبو مسلم الخولانى وهو من أهل اليمن قد أدرك عصر الجاهليه ولكنّه لم يؤمن بنبيّ الإسلام أبداً وكان يعيش فى الغالب فى الشام، وقد جاء إلى معاويه مع جماعه من أهل الشام قبل حركه الإمام علىّ عليه السلام باتجاه صقّين وطلب منه أن يجتنب قتال علىّ بن أبى طالب الذى يتمتّع بمقام شامخ ومنزله كبيره من جهه قرابته للنبيّ وسابقته فى الإسلام وهجرته، وقال له بأنك لا تملك مثل هذا الموقع الاجتماعى والدينى الممتاز.

وفى مقام الجواب عن كلامهم توّسل معاويه بهذه الدرعه، وهى أنّ علىّ بن

أبى طالب قد أجار قتله عثمان فلو أنه دفعهم إليه ليقترض منهم فإنه سيمتنع من قتاله، فطلب أبو مسلم وأتباعه أن يكتب هذا الطلب إلى الإمام علي عليه السلام في رساله ويبعثها إليه، فكتب معاوية رساله بهذه المضمون وسلمها إلى أبى مسلم ليوصلها إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

فجاء أبو مسلم بالرساله إلى الإمام علي عليه السلام وسلمها له بحضور جماعه من أصحابه ثم نهض واقفاً وتوجه للإمام بالقول: إننى لا أحب أن تكون ولايه امور المسلمين بيد غيرك، ولكن عثمان قتل بغير حق، فادفع قتله إلينا، فإن خالفك أحد فنحن سنكون في اختيارك.

فأجابه الإمام عليه السلام: ائتنى غداً لتستلم جواب الكتاب، فجاء أبو مسلم في اليوم التالي لاستلام جواب الرساله، فرأى المسجد حاشداً بالناس وكلهم ينادى: نحن جميعاً اشتركنا في قتل عثمان.

واللافت أن اجتماع هذا الجمهور الغفير في المسجد كان بدافع أن الناس تصوّروا أن يقوم الإمام عليه السلام بتسليم قتله عثمان إلى معاوية ليزيل أيه ذريعه يمكن لمعاوية التمسك بها، ومن هنا اجتمع أنصار الإمام عليه السلام وأتباعهم في المسجد ليؤكدوا أن قاتل عثمان لا يمثل شخصاً واحداً أو عدّه أشخاص معدودين، ومع أن الإمام عليه السلام لم يكن يقصد أبداً تسليم بعض الأشخاص لمعاوية، فإن مثل هذا العمل ليس بالأمر الممكن عملاً.

وفي هذا الموقع سلم الإمام عليه السلام جواباً مكتوباً لأبى مسلم لينقله إلى الشام ويسلمه إلى معاوية، فقال أبو مسلم في نفسه: «الآن طاب الضراب»<sup>(١)</sup> أى حان الأوان للقتال طلباً للتأثر بدم عثمان.

وتبين من ذلك أن أبا مسلم وأتباعه كأنهم لم يكونوا قد أدركوا هذه الحقيقه وهى أولاً: أن قتل عثمان وقع بعد انتفاضة شعبيه عارمه ضده بسبب أعماله وتصرفاته

ص: ٩١

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ٧٣ إلى ٧٥.

السليبه فى إداره الأمور، فلم يكن عمل شخص واحد أو عدد من الأشخاص.

وثانياً: على فرض أنّ الحكومه الإسلاميه أرادت محاكمه قتله عثمان والاقتصاص منهم، فإنّ هذه العمل لا يرتبط بشخص متمرد كمعاويه بل هو من شأن رئيس الحكومه الإسلاميه الذى انتخب من قبل المهاجرين والأنصار وبايعه الناس.

\*\*\*

ص: ٩٢



فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا الْفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَغَرٍّ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنِ حَوْزَتِهِ، وَالرَّهْمِ مِنْ وَرَاءِ حُزْمَتِهِ، مُؤْمِنْنَا يَبْغِي بِعَدْلِكَ الْمَاجِرَ، وَكَافِرْنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ.

### الشرح والتفسير: بنو هاشم حماه الإسلام الأوائل

كما تقدمت الإشارة إليه فإن هذه الرسالة تمثل جواباً على رساله معاويه، وبما أن معاويه فى بدايه رسالته قد ارتدى قناع الصلاح والإيمان وأخذ يتحدث عن الإسلام وعظمه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأعوانه وأنصاره، وسعى لرفع مكانه الخلفاء الثلاثة زياده عن الحد من جهه، ومن جهه أخرى فإن والد معاويه هو أبو سفيان العدو الأول للإسلام الذى أشعل نار الحروب ضد الإسلام والمسلمين، فالإمام فى هذا المقطع من رساله يقول:

«فَأَرَادَ قَوْمُنَا - قريش - قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَ (١) أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ (٢) وَفَعَلُوا بِنَا

ص: ٩٣

١- (١). «اجتياح» تعنى الإهلاك، وهدم وتخريب، وأصلها من «جوح» على وزن «قوم» وتأتى بهذا المعنى المذكور.  
٢- (٢). «هموم» جمع «هم» بمعنى الأ-حزان، وأشكال القلق والاضطراب، التخطيط والتدبير، وهنا وردت بمعنى التأمر من قبل قريش ضد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وهو يفضى إلى الغم والحزن الشديد، وأصل هذه المفردة بمعنى القصد، وبما أن القصد فى كثير من الموارد يقترن بالقلق والحزن، فجاء بمعنى القلق والحزن أيضاً.

الْأَفَاعِيلَ (١)، مَعُونَا الْعَذْبَ (٢)، وَأَخْلَسُونَا (٣) الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ (٤)، وَأَوْقَدُوا (٥) لَنَا نَارَ الْحَرْبِ».

هذه العبارات إشاره إلى مقطع مهمّ وعظيم من تاريخ الإسلام يبيّن فيها الإمام عليه السلام سلوك الأعداء وخاصة قبيله قريش تجاه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والرسالة الإلهية، فقد واجه النبي والمسلمون في مكة صنوف الأذى من قريش والقذف بالحجاره والاستهزاء والتعذيب بمختلف الأشكال، وأخيراً عندما شعروا بالخوف من تقدّم الإسلام وامتداده في القبائل العربيه حوالى مكة، عزموا على محاصره المسلمين الذين كانوا ثلّة قليله، اجتماعياً واقتصادياً وكتبوا ذلك الكتاب المعروف بأن لايتواصل أى شخص من قريش وسائر العرب مع المسلمين ولا يبيعونهم شيئاً ولا يشتروا منهم ولا يتزوّجوا منهم ولا يزوّجهم، وختموا هذا العهد ووضعوه داخل الكعبه تأكيداً منهم على الالتزام بهذا الميثاق، والتجأ المسلمون إلى شعب أبى طالب (٦) الذى كان وادياً موحشاً ومليناً بالأحجار وعاشوا هناك ثلاث سنوات من الحرمان الشديد تحت طائله الحصار الاقتصادى، فكانت تلك الأيام من أصعب الأيام التى عاشها المسلمون مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى درجه أنّ أصوات بكاء الأطفال والجائعين كانت تسمع من خارج الشعب، وأخيراً عندما أخبرهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

ص: ٩٤

- ١- (١). «الأفاعيل» جمع «أفعال» وهو جمع «فعل»، وفي هذه الموارد وردت بمعنى الأعمال الكبيره وأشكال التآمر والدسيسه.
- ٢- (٢). «العذب» بمعنى الرواء الهنيء، وتاره يقصد به البعد الظاهري، والبعد الباطن والمعنوى.
- ٣- (٣). «أخلسونا» أصلها «جلس» على وزن «حرص» وتعنى القماش الناعم الذى يوضع تحت أقتاب الإبل، وفي الحقيقه يلتصق ببدن الإبل، ثم اطلق على كل شىء يلازم شيئاً آخر، مثلاً، يقال: فلان جلس البيت؛ يعنى أنّه لا يخرج من بيته، والجمله أعلاه «أخْلَسُونَا الْخَوْفَ» تعنى أنّ الأعداء فرضوا علينا حالات الخوف والرعب الدائم.
- ٤- (٤). «وعر» الأرض الصعبه والملينه بالأحجار وغير المعبده.
- ٥- (٥). «أوقدوا» أصلها من «الإيقاد» بمعنى اشعال النار وهى من «الوقود» بمعنى إشعال الشىء.
- ٦- (٦). خلافاً لما يتوهم البعض من أنّ شعب أبى طالب هو محل قبر أبى طالب الذى يقع الآن على مقربه من جسر الحجون، لأنّه تفصله فاصله كبيره مع المسجد الحرام والكعبه، وشعب أبى طالب كان وادياً إلى جانب جبل أبى قبيس، ولذلك ورد فى التواريخ أنّ صوت بكاء أطفال المسلمين من شدّه جوع والآلام الآخري كان يسمع ليلاً فى المسجد الحرام من ذلك الوادى.

بواسطه أبى طالب أن الأرضه قد أكلت وثيقه العهد فى الكعبه سوى كلمه البسمله، فشر الأعداء بالخوف الشديد واعتنق جماعه منهم الإسلام وطلب جماعه منهم أن يحزروا المسلمين من هذا الحصار الآثم، وهكذا كسر طوق الحصار المضروب على المسلمين.

وجمله: «وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ» إشاره إلى حياه المسلمين فى المدينه الذين خاضوا حروباً عديده سنّها كفار قريش عليهم. وعلى رأس قوى الكفر والشرك كان أبو سفيان والد معاويه، وكان الإمام على عليه السلام فى جميع هذه الحروب يمثّل أبرز المضحين والمجاهدين الذين دافعوا عن النبى والإسلام فى معركة بدر وأحد والأحزاب وما إلى ذلك، وفى المقابل كانت اسره معاويه لها النصيب الوافر فى إشعال نار هذه الحروب ضدّ النبى ورسالته السماويه، ومع كلّ ذلك يتحدّث معاويه عن عظمه الإسلام والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وعن أعوانه وأنصاره ويشنى عليهم غايه الثناء ويذكر الإمام على عليه السلام بوصفه حاسداً له ولأمثاله على مواقفهم المخزيه.

وفى سياق هذه الرساله يتقدّم الإمام عليه السلام لإبطال مزاعم معاويه الواهيه فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين ويأخذ بيده إلى الماضى من تاريخ الإسلام والحوادث الواقعه فيه ويقول له: عندما تحرك أعداء الإسلام ضدّ النبى والرساله وحشدوا جميع قواهم لإجهاض الدعوه الجديده، فإنّ الله تعالى أراد الدفاع عن رسالته بواسطتنا «فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الدَّبِّ (1) عَنْ حَوْزَتِهِ، وَالرَّمِي مِنْ وَرَاءِ حُزْمَتِهِ». (وفى ذلك الوقت كان بنوهاشم على مجموعتين وطائفتين، فطائفه منهم المؤمنون والأخرى الذين لم يلتحقوا بالإيمان والإسلام، وكلا الطائفتين هبوا للدفاع عن الدين الحنيف «مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِجَدَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يَحَامِي عَنِ الْأَصْلِ» أى يدافع عن عشيرته وعن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بخلفيات عشائريه وبدافع الرحم.

وجمله: «وَالرَّمِي مِنْ وَرَاءِ حُزْمَتِهِ» كناية عن حفظ حريم الإسلام والنبى

ص: ٩٥

---

١- (١). «ذب» بمعنى دفع وأبعد ودافع.

الأ-كرم صلى الله عليه و آله، لأنّ الرماه عاده يقفون خلف المتاريس للدفاع عن الجيش وحفظ أفراده، وعلى حدّ تعبير العلامة المجلسى كلمه «وراء» فى هذا المورد ربّما تشير إلى معنى المقدم والأمام لأنّ الوراأ أحياناً تأتي بهذا المعنى، وربّما تأتي بمعنى الخلف كما أنّ الرماه بحسب اللزوم والموقع الذى يفرضه ميدان المعركة يقبعون أحياناً خلف الجيش وأحياناً أخرى يتقدمون الجيش.

وجمله «وَكَافُرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ» ذهب جماعه من مفسرى نهج البلاغه أنّ هذه العبارة إشاره إلى بعض رموز بنى هاشم مثل العباس، أبوطالب، وحمزه وأمثالهم الذين اشتهروا بالدفاع عن الإسلام والنبي الأ-كرم صلى الله عليه و آله حتى قبل اعتناقهم الإسلام بدافع الوفاء للقيم القبليه وعواطف الرحم والقرايه.

والملفت للنظر أنّ بعض المحققين ذهب إلى أنّه عندما فرضت قريش الحصار الاقتصادى على النبي الأكرم صلى الله عليه و آله والمسلمين فى شعب أبى طالب كان بعض الأفراد من بنى هاشم ممّن لم يعتنق الإسلام لحدّ الآن كالعباس، وعقيل بن أبى طالب وأخيه طالب بن أبى طالب ونوفل بن الحارث بن عبدالمطلب وابنه الحارث وأخيه أبوسفیان بن الحارث بن عبدالمطلب (هو غير أبى سفیان بن حرب) كانوا يعيشون مع المسلمين فى ذلك الشعب فى حين لم يعتنقوا الإسلام بعد(1).

وطبعاً ذهب البعض إلى أنّ أبأ طالب وحمزه كانوا قد اعتنقوا الإسلام قبل ذلك بمدّه إلّا أنّهما أخفيا إسلامهما لأسباب معيئه.

هذا كلّه فى حين أنّ اسره معاويه وأبى سفیان ومن لفّ لفّهم وكانوا يتآمرون على الإسلام والمسلمين جهاراً وخفيه، وكانّ معاويه قد نسى أو تناسى كلّ هذه القضايا التاريخيه المسلّمه فى رسالته وأخذ يتبجح بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ويدعى بأنّ بعض الأشخاص الذين لم يكونوا فى ميدان الجهاد والدفاع أنّهم من زمره المدافعين عن الإسلام والنبي الأكرم صلى الله عليه و آله.

ص: ٩٦

١- (١). منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه، ج ١٧، ص ٣٦٥.

ولذلك يضيف الإمام عليه السلام: أما سائر أفراد قريش من غير بنى هاشم، ممَّن أسلم فلم يكونوا في دائره الخطر ولم يواجهوا ما واجهنا نحن من مصاعب لأنهم كانوا يعيشون في إطار التحالفات والمعاهدات «وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْا (١) مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ، أَوْ عَشِيرَهُ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ».

وعلى هذا الأساس يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمه وهى أن حماه الإسلام الحقيقيين هم بنو هاشم الذين آمنوا بالله ورسوله ودافعوا بأرواحهم ونفوسهم عن الإسلام والنبى، وحتّى من لم يسلم منهم كان يذبّ عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله احتراماً لمقامه ودفاعاً عن شرفه، أمّا سائر مكونات قريش من القبائل العربيه ومنهم الخلفاء الثلاثة، الذين استعرض معاويه خدماتهم وتضحياتهم للإسلام، فلم يكونوا في صفّ المدافعين عن النبى والإسلام أبداً.

وطبعاً لم يكن معاويه غافلاً أو جاهلاً بتاريخ الإسلام، بل كان يتغافل عن الوقائع التاريخيه لتبرير رؤاه وأفكاره.

\*\*\*

ص: ٩٧

---

١- (١). «خلو» بمعنى خواء الشىء وكونه عارياً.



وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقَتَلَ عَبِيدَهُ بَنِي الْحَارِثِ يَوْمَ يَدْرِ، وَقَتَلَ حَمْرَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَتَلَ جَعْفَرَ يَوْمَ مَوْتِهِ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عَجَلَتْ، وَمَيِّتُهُ أُجَلَّتْ. فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ! إِذْ صَرْتُ يُفَرِّقُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يَدُلِّي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا، إِلَّا أَنْ يَدْعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

### الشرح والتفسير: حماه الإسلام الأوائل

يتحدث الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة بالتفصيل ما أجمل بيانه سابقاً وبيّن من هم الأشخاص من بنى هاشم الذين بذلوا نفوسهم دفاعاً عن الإسلام وشربوا كأس الشهادة في سبيل التصدي لقوى الكفر والشرك، في حين أنّ أشخاصاً ممن ذكرهم معاويه بوصفهم قادة الإسلام ومن رواد الدفاع عن الرسالة الإلهية لم يصلوا إلى هذا المقام، يقول:

«وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ (١) وَأَحْجَمَ (٢) النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ

ص: ٩٩

١- (١). «البأس» في الأصل بمعنى الشدة والقوة والقدرة، وتأتي بمعنى المشكلات الكبيرة والحرب، وجمله «لا بأس به» أي «لا مشكله فيه» وجمله أعلاه «احمر البأس» إشاره إلى شدة ضراوه الحرب.

٢- (٢). «أحجم» أصلها من «حجم» على وزن «رجم» بمعنى الامتناع عن عمل معين، وجمله «أحجم الناس» بمعنى أنهم امتنعوا من الدخول إلى ميدان الحرب.

جملة: «أَحْمَرُ الْيَأْسِ» إشاره إلى اشتعال نار الحرب، وبما أنّ الحرب تشبّه عادة بالنار التي تحمّر في حال اشتدادها واستعارها، فلذلك استخدمت هذه الكناية، وقيل أيضاً أنّ الإحمرار هنا كناية عن كثره سفك الدماء عند اشتداد المعركة والقتال.

إنّ العبارات المذكورة تشير إلى أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وخلفاءه للقاده العسكريين في عالمنا المعاصر الذين يحتفظون بأبنائهم وأقربائهم في الخطوط الخلفية عند مواجهه الخطر ويبعثون الغرباء إلى الصفوف الإمامية من المعركة، يقدم النبي أعزّ أرحامه وأقربائه إلى الصفّ الأوّل من جبهات الحرب والقتال ليثبت أنّه على يقين من رسالته وأنّه يسلك في هذا السبيل حالات الانسجام التام بين أهدافه وسيرته ومستعدّ دوماً للتضحية في سبيل الغايات الإلهية التي يصبو إليها ويهدف لتحقيقها في واقع الحياه والمجتمع.

ثم إنّ الإمام عليه السلام في سياق كلامه يذكر ثلاثة أشخاص من أقربائه وأرحامه الذين شاركوا في الحروب وتصدّوا لقوى الكفر والانحراف ونالوا درجة الشهادة، أولهم «عبيد بن الحارث» (وهو ابن عمّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي استشهد يوم بدر)، والثاني «حمزة بن عبدالمطلب» عمّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي استشهد يوم احد، والثالث «جعفر بن أبي طالب» ابن عمّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيضاً الذي نال وسام الشهادة في معركة مؤتة، يقول الإمام عليه السلام: «فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُؤْتَةَ».

«بدر» اسم بئر تقع بين مكة والمدينة وهي أقرب إلى المدينة، وسمّيت بهذا الاسم لأنّه اسم الحافر لها، وأما قصه استشهاد عبيد بن الحارث على يد «عتبة ابن ربيعة» وأحد المشركين فهي:

عندما تقابل جيش المسلمين في معركة بدر مع جيش الكفر والشرك نزل للبراز

ص: ١٠٠



ثلاثه أشخاص من شجعان المشركين، وفقاً لما كان متداولاً في ذلك الزمان كمقدمه للقتال والحرب، وهم عتبه وأخيه شيبه وابنه وليد، وطلبوا من المسلمين أن يبرز إليهم من يقاتلهم، فتطوع لهذه المهمه بعض الأنصار وتوجهوا إلى الميدان لمقابله هؤلاء المشركين الثلاثه، ولكن المشركين قالوا: نحن نريد أكفاءنا من قريش، فالتفت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى حمزه وعبيده والإمام عليّ عليهم السلام وقال: استعدّوا وتوجهوا إلى هؤلاء الأعداء، فبرز عبيده إلى عتبه وحمزه إلى شيبه وعليّ إلى الوليد، أمّا الإمام عليّ عليه السلام فقد استطاع الإجهاز على الوليد بعد مناوشات قليله، وأمّا حمزه فقد صرع شيبه، ولكن عبيده الذي كان مسنّاً تقريباً بقي يقاتل عتبه، وأخيراً سقط عبيده على الأرض وهو بالنزع الأخير وجيء به إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فعندما رأى النبي قال: هل أنا شهيد، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: نعم أنت شهيد في سبيل الله.

أمّا حمزه بن عبدالمطلب فقد استشهد في معركة احد التي وقعت بعد واقعه بدر في السنه الثالثه للهجره، وقتله شخص يدعى «وحشى» وهو اسم على مسمى، وأمّا أسباب هذه المعركة فقد ذكر المؤرخون: إنّ المشركين بعد هزيمتهم في معركة بدر رجعوا إلى مكه وأقسموا فيما بينهم (بقيادة أبي سفيان) أن يبيعوا بعض إبلهم ويجمعوا الأسلحه والعدّه للهجوم مرّه أخرى على المسلمين وكانت النتيجة أنّ المشركين استطاعوا من تحشيد ثلاثه آلاف نفر داخل وخارج مكه ومعهم مائتي فرس وثلاثه آلاف بعير وسبعمائته درع واستعدّوا للتوجه إلى المدينه لمواجهة جيش الإسلام.

وقصه هذه الحرب فيها تفاصيل كثيره، وإجمالاً نعلم أنّه بسبب اشتباه بعض المسلمين وتمرّدهم على أوامر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليه وآله انتهت هذه المعركة بانكسار وهزيمة الجيش الإسلامي وجرح فيها النبي وكسرت ربايعيته بحجر رماه به «عتبه ابن أبي وقاص» واستشهد حمزه بطل الإسلام وعمّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وجاءت هند زوجة أبي سفيان وأم معاويه ومعها جماعه من النسوة إلى الميدان في نهايه المعركة

وأخذت تمثل بشهداء المسلمين، فكانت تقطع آذان وأنوف هؤلاء الشهداء وتجعل منها عقداً لها، ثم إنَّها جاءت إلى جسد حمزه وبقرت بطنه وأخرجت كبده ولاكته بأسنانها بقصد أكله ولكنها لم تتمكن من ذلك، فقذفت به خارجاً، ومن هنا كان المسلمون يطلقون على هند «آكلة الأكباد» ويسمّون معاويه «ابن آكلة الأكباد».

أمّا «جعفر بن أبي طالب» فقد استشهد في غزوه مؤتة، وهذه المعركة وقعت في منطقته مؤتة على مقربة من الشام (الحدود الشماليه من جزيره العرب) في السنه الثامنه للهجره وكانت بدايه هذه الحرب أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أرسل رسولاً من قبله يدعى «الحارث بن عميره» إلى حاكم «بُصرى» ودعاه إلى الإسلام، فعندما وصل منطقته مؤتة أمر حاكم بصرى بقتله، وهذا العمل يمثّل خرقاً للتقاليد الموجوده والعرف المتداول في ذلك الوقت بالنسبه للرسول والمبعوثين، وهذه السنّه جاربه لحدّ الآن في الثقافات البشريه، وهذه المصيبه ثقلت على المسلمين بحيث أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جهّز جيشاً من ثلاثه آلاف رجل بقياده زيد بن حارثه وأمره بمواجهه أهل الشام.

وقد أمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه إذا استشهد زيد بن حارثه فإنّ جعفر هو الذي يتولى قياده الجيش ويكون صاحب اللواء، وإذا استشهد جعفر بن أبي طالب، فصاحب اللواء عبدالله بن رواحه، وإذا استشهد عبدالله بن رواحه فإنّ على المسلمين أن يختاروا من بينهم رجلاً لقياده الجيش.

وتحرّك الجيش الإسلامي حتّى وصل المحلّ الذي قتل فيه رسول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ودعوا اولئك القوم إلى الإسلام، ولكن عندما أطلع الأعداء على مجيء جيش الإسلام قاموا بتحشيد جيش عظيم بلغ عدده مائه ألف رجل، ولكن المسلمين لم يتردّدوا أو يجبنوا أمام هذا العدد الكبير من جيش الأعداء الذي لا يقارن مع قله عدد المسلمين، وبدأت الحرب، وخاض المسلمون معركة صعبه في هذه المنطقه، وكما توقع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فقد استشهد زيد بن حارثه وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحه واحداً بعد الآخر وقطع الأعداء يدي جعفر، ولذلك

عندما أخبروا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالحدث بعد ذلك قال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَوَّضَهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ» فسَمِيَ جعفر الطيار.

وأخيراً أخذ المسلمون يتداركون الأمر وأظهروا للأعداء أنّ هذا العدد من الجيش الإسلاميّ وهو ثلاثه آلاف رجل ما هو إلّامقدّمه لجيش الإسلام العظيم الذي سيصل عمّا قريب، وعلى ضوء ذلك رأى الأعداء أنّ الانسحاب أفضل وعاد المسلمون بخسائر محدوده إلى المدينة من دون أيّة هزيمة تفرض عليهم من الأعداء، وفي الحقيقة أنّ هذه الحرب انتهت بدون انتصار العدو على المسلمين.

وممّا تقدّم أعلاه يتبيّن بجلاء صدق كلمات الإمام عليه السلام في رسالته، وكيف أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان يقدم أهل بيته وأرحامه من بنى هاشم في المعارك الطاحنه بين قوى الإيمان وقوى الكفر والشرك، بينما كان يعيش الآخرون في الصفوف المتأخّره خلافاً لما ذكره معاوية في رسالته.

ويستمرّ الإمام عليه السلام في رسالته مستخدماً أسلوب الكنايه، والكنايه أبلغ من التصريح في إشاره إلى نفسه المباركه وأنّه أيضاً مشتاق إلى الشهاده في سبيل الإسلام، ولكنّ الله تعالى لم يشأ له ذلك ولم يحن أجله ويقول: «وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ وَلَكِنَّ آجَالَهُمْ عَجَّلَتْ وَمَيَّتَهُ أُجِّلَتْ».

وهذه العبارة تؤكد على الأمر الذي كثيراً ما ذكره الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام وأنّه يشتاق إلى الشهاده كشوق الطفل الرضيع إلى لبن امّه كما قال: «وَ اللَّهُ لَا بُدَّ لِي أَبِي طَالِبٍ أَنَسُ بِالْمُوتِ مِنَ الطُّفْلِ بِثَدْيِ امِّهِ»<sup>(١)</sup>. أو ما ورد في الأحاديث الشريفه بعد انتهاء معركة احد عندما جاء الإمام عليّ عليه السلام للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو مهموم وقال: لقد استشهد جماعه من المسلمين (ومنهم عمّي حمزه) ولكنّي حرمت من الشهاده فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «يَا عَلِيُّ أَبَشِّرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ»<sup>(٢)</sup>.

ص: ١٠٣

١- (١). نهج البلاغه، الخطبه ٥.

٢- (٢). المصدر السابق، الخطبه ١٥٦.

وبعد أن بين الإمام عليه السلام بأدله وشواهد قوّيه دفاعه - هو وأهل بيته - المستميت عن الإسلام والنبي وأفضليتهم على الآخرين، شرع بإظهار التعجب ممّا أوقعه فيه الدهر، بمعنى أهل الدهر والناس الذين لم يدركوا هذه الحقائق وأنه هو وأهل بيته مع كلّ هذه الفضائل قد جعلوه في عرض من ليست له مثل تلك الامتيازات والسوابق في تاريخ الإسلام، ولم يكن يملك أدنى امتياز في الشخصيه والإيمان والجهاد: فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ! إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مِمَّنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَايَتِي الَّتِي لَأَيُّدِي (١) أَحَدٌ بِمِثْلِهَا.

وقد تصوّر البعض من هذه العبارة أنها إشاره إلى أنّ الناس كانوا يقارنون بين الإمام عليّ عليه السلام ومعاويه في حين أنّ مقصود الإمام عليه السلام يختلف عن هذا المعنى، فمراده في الحقيقه ناظر إلى رساله معاويه وما ذكره من أنّ الخلفاء الثلاثة السابقين كانت لهم من الفضائل والسوابق في الإسلام حيث أخذ معاويه يتبجح ويتفاخر بفضائل هؤلاء الخلفاء في مقابل الإمام عليه السلام، والآن فإنّ معاويه لم يشر في رسالته إلى سوابقه الإسلام، لأنه أساساً لم يكن يملك أيه سابقه حسنه في تاريخ الإسلام وإن كانت له سابقه فهي سابقه سوء في العداة للإسلام والمسلمين هو وقبيلته وآل بيت أبي سفيان.

وعلى أيه حال فإنّ الإمام عليه السلام أبدى تعجبه من أهل زمانه ومنهم معاويه كيف أنّهم يقرونه مع الخلفاء السابقين عليه، وهذا الكلام في الحقيقه يتناغم مع ما ورد في الخطبه الشقشقيه حيث يقول: «مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَيْدِهِ النَّظَائِرِ». أى أعضاء شورى عمر بن الخطاب الذين جعلهم عمر بعده لاختيار الخليفه وجعل معهم الإمام عليّ عليه السلام كواحد من الشورى.

ولعلّ الأشخاص، الذين تصوّروا أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام هنا ناظر إلى مقارنته

ص: ١٠٤

---

١- (١). «لا- يدلى» من «الإدلاء» وتعنى الاظهار والاعلان، ويقال: «أدلى برأيه» يعنى أظهر رأيه، وهى فى الأصل من ماده «دلو»، وعندما تأتى من باب الإفعال تكون بمعنى ارسال الدلو إلى البئر لسحب الماء، ثم اطلقت على أى اظهار للرأى.

مع معاويه، كانوا تحت تأثير عبارته أخرى من كلام الإمام عليه السلام وردت في مورد آخر، ولكن إذا تمغنوا في هذه النقطة اللطيفة، وهى أنّ رساله الإمام عليه السلام فى الواقع جواب على رساله معاويه له، وفى تلك الرساله تحدّث معاويه عن أفضلّيه الخلفاء السابقين على الإمام عليه السلام، لزال هذا التوهّم، ومن هذا المنطلق يتبيّن أنّ مقصود الإمام عليه السلام هو ما ذكرناه آنفاً.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يستمرّ فى كلامه بالكنايه البليغه أيضاً ويقول: «إِلَّا أَنْ يَدَّعَى مُدَّعٍ مَا لَأَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ»، أى أن يدعى أحد بعض الفضائل لهؤلاء لا توجد لديهم فى الواقع ولست مطلعاً عليها ولا أتصوّر أنّ الله تعالى أيضاً مطلع عليها لأنها أساساً غير موجوده لديهم.

وهذا يشبه ما ورد فى الآيه الشريفه ١٨ من سوره يونس حيث يقول تعالى: «قُلْ أَتَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَيْعَلُّمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»، أى أنّ المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى، ما لا يضرهم ولا ينفعمهم يقولون:

هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فيردّ عليهم القرآن الكريم بأنّ الله تعالى لا يعلم أنّ له مثل هؤلاء الشفعاء، لا فى السموات ولا فى الأرض.

ثم إنّ الإمام عليه السلام فى خاتمه الرساله وبعد أن بيّن سوابق أهل البيت ومخالفهم، يشكر الله تعالى ويقول: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ».

وجمله: «فِيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ» لا- تعنى أنّ الإمام عليه السلام يعلم بمصائر الناس وبأنّ الدهر يملك تأثيراً فى الحوادث الواقعه كما يعتقد الدهريون، بل مراده من الدهر هنا هو أهل الدهر الذين لم يعرفوا ولم يقدّروا مقام الإمام عليه السلام وما يقتضيه ويفرضه عليهم، حيث جعلوه قريناً لأشخاص لم يقدّموا أى شىء فى سبيل الإسلام ولم يكن لديهم أى امتياز فى تاريخهم، وعلى هذا الأساس كان عتب الإمام عليه السلام ناظر إلى أهل الزمان والدهر وإن كان الكلام متوجّهاً ظاهراً إلى الدهر نفسه.

وبعبارة أخرى أنّ حسن الدهر وقبحه يتمّ تشخيصه من خلال حسن الناس

وسوء أخلاقهم وسلوكهم كما يقول الشاعر:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلَّهُمْ زَمَانًا

ومفهوم جملة: «مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي» أنّ مثل هؤلاء الأشخاص لم يتقدّموا بخطوه كما تقدّمت أنا في خطّ الرسالة والإيمان والحقّ، وهذا كناية عن أنّ الآخرين لم يقدّموا أيّ خدمه للإسلام كما قدّمت من تضحيات في سبيل الدفاع عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والرسالة.

\*\*\*

ص: ١٠٦

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلِهِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسِيْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ عَيْكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَأَيُّكَلَّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلًا سِيْهَلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وَجِدَانُهُ، وَرَوْزٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

### الشرح والتفسير: ما أنت وقتله عثمان!؟

نعلم أنّ معاوية كان قد طلب في كتابه من الإمام عليه السلام أن يسلم إليه قتله عثمان، وهذا الطلب غير معقول وبعيد عن المنطق، لأنه لو تقرّر أن يقدم شخص إلى المحاكمه والقصاص بسبب قتله لإنسان برىء فإنّ هذا العمل من شأن إمام المسلمين وخليفتهم الشرعيّ، ويتمّ ذلك بموافقه أولياء الدم، لا شخص متمرد ولا يعتبر من أولياء الدم، هذا في صورته ما إذا ثبت أنّ المقتول كان بريئاً وأنّ القاتل أو القاتله مذنبون، ولذلك يقول الإمام في مقابل طلب معاوية هذا: «وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلِهِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسِيْعُنِي (١) دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكَ»، لأنه لا علاقة لك بهذا الأمر، فلا أنت وليّ الدم ولا الحاكم الإسلاميّ ليكون طلباً مشروعاً ومعقولاً.

وبديهى أنّ مسألة طلب الثأر بدم عثمان لم تكن سوى ذريعة لرفع لواء الفرقة والشقاق ضدّ الإمام عليه السلام والإمتناع من البيعه له، وهذه المسألة من ناحيته تاريخيه إلى

ص: ١٠٧

١- (١). «يسعني» من «الوسع» بمعنى القدره على عمل معين، وإمكانيه العمل.

درجه من الوضوح بحيث كان يضرب بها المثل بين الناس عندما يريدون أن يقولوا بأن فلاناً يتمسك بشيء لتبرير سلوكه أو لدعم وجهه نظره في مقابل المخالف، فيقال: «إن فلان جعل من القضييه كقميص عثمان» ومعلوم أن الإمام عليّ عليه السلام لو سلم لمعاويه بعض الأشخاص المتهمين بقتل عثمان فإن معاويه لم يكن يقنع بذلك، بل سيستمر بالمطالبه بآخرين ويتذرع دوماً بمثل هذه الذريعه والحجّه لدعم وتقويه أركان حكومته في الشام، وهذه الحاله تمثّل منتهى الخسّه والانتهازيه في مقابل إمام المسلمين.

أضف إلى ذلك فهناك الكثير من الأدلّه والشواهد التي تدلّ على أنّ معاويه ليس له الحقّ بأن يطلب من الإمام عليه السلام مثل هذا الطلب، والإمام عليه السلام بدوره لا ينبغي أن يهتمّ بمثل هذه الطلب، وعلاوه على ذلك أنّ مثل هذا الطلب لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع لأنّ انتفاضه المسلمين ضدّ عثمان كانت انتفاضه عامه وشامله والشاهد على هذا الكلام القصّه التي يرويها الشارح البحراني في «شرح نهج البلاغه» حيث يقول:

«كما روى أنّ أباهريره وأبالدرداء أتيا معاويه فقالا له: علام تقاتل عليّاً وهو أحقّ بالأمر منك لفضله وسابقته، فقال معاويه: لست اقاتله لأنيّ أفضل منه ولكن ليدفع إليّ قتله عثمان، فخرجا من عنده وأتيا عليّاً، فقالا له: إنّ معاويه يزعم أنّ قتله عثمان عندك وفي معسكرك، فادفعهم إليه فإنّ قاتلك بعدها علمنا أنّه ظالم لك، فقال عليّ عليه السلام: إنيّ لم أحضر قتل عثمان يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله؟ فقالا: بلغنا أنّ محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر وعديّ بن حاتم وعمر بن الحمق وفلاناً وفلاناً ممّن دخل عليه.

فقال عليّ عليه السلام: فامضيا إليهم فخذوهم.

فأقبلا إلى هؤلاء النفر وقالوا لهم: أنتم من قتله عثمان وقد أمر أمير المؤمنين بأخذكم. قال: فوعدت الصيحه في المعسكر بهذا الخبر فوثب من عسكر عليّ أكثر



من عشره آلاف رجل فى أيديهم السيوف وهم يقولون: كلنا قتلته، فهت أبوهريره وأبوالدرءاء، ثم رجعا إلى معاويه وهما يقولان: لا يتم هذا الأمر أبداً، فأخبراه بالخبر، فإذا كان القائلون والمتعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه عليه السلام تسليمهم وتمكين أحد منهم؟» (١).

عندما يكون قتله عثمان بهذا العدد من الكثرة فهل يستطيع الإمام عليه السلام أن يسلمهم جميعاً أو يسلم أحدهم إلى معاويه على فرض أن معاويه وليّ دم عثمان وأنه يريد إقامة الحق والعدالة؟

ولكن بما أن معاويه فى ختام رسالته هدّد الإمام عليه السلام بالقتال والحرب، فقد أجابه الإمام عليه السلام على هذا التهديد بالمثل وكتب فى ختام رسالته عبارته شديده اللهجه زاخره بأنواع الفصاحه والبلاغه وقال: «وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنِّيكَ (٢) شِقَاقِكَ (٣) لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَن قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، لَا جَبِيلٍ وَلَا مَسِيهٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبْتُ يَشْوُءَكَ وَجِدَانُهُ، وَزَوْزٌ (٤) لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ (٥)، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ».

وهنا يذكّر الإمام عليه السلام بهذه العبارة الحكيمه معاويه بأن قتله عثمان ليس كما تحسب أنهم نفر قليل (على فرض أن يكونوا فى جيشى) بل هم جماعه عظيمه سيأتونك سراعاً فلا تكلف نفسك جهد البحث عنهم، أجل فعماً قليل سيأتونك تباعاً وسيواجهونك فى ميدان القتال وستعرف منهم ضربات السيوف والرماح وسوف تدور الدائره عليك فلا تستطيع أن تتمسك بعد ذلك بهذه الذريعه الواهيه.

والمواقع أثبت صحّه هذا الكلام ولولا بعض السّدج والمخدوعين فى جيش

ص: ١٠٩

١- (١). ترجمه شرح نهج البلاغه ابن ميثم، ج ٤، ص ٦٢٨، ومثل هذه الروايه وردت بتفاوت يسير فى كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفى، ج ٣، ص ٦١، ونقلنا عن أبى مسلم الخولانى مثله.

٢- (٢). «غىّ» و «غوايه» بمعنى ضلال وإضلال بمعنى الوقوع فى المتاهه.

٣- (٣). «شقاق» بمعنى الفرقة والنفاق وعدم الانسجام، وهى بالأصل الشق وانفصال الجانبين فى الشىء.

٤- (٤). «زور» تاره تأتي بمعناها المصدرى وتعنى اللقاء والملاقاه، وأحياناً تأتي بمعنى الزائر، وفى الجمله وردت بالمعنى الأول.

٥- (٥). «لقيان» و «لقاء» مصدر بمعنى الملاقاه.

الإمام عليّ عليه السلام الذين انطوت عليهم حيله عمرو بن العاص في رفع المصاحف على الرماح؛ لكان الإمام عليه السلام قد انتهى من معاويه وحكومته في الشام وأزاح هذه الفتنة من واقع الأمة الإسلاميّة وأراح المسلمين منها.

### تأمل: كلام عن قتله عثمان

بالرغم من أنّنا بحثنا أكثر من مرّة عن واقعه قتل عثمان والعوامل التي أدّت إلى انتفاضه المسلمين ضده، نرى من اللازم أيضاً الإشارة إلى نقطة أخرى في هذا المجال بشكل موجز.

إنّ من بين أصحاب الإمام عليّ عليه السلام من شهد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله لهم بالجنّة، وكانوا ممّن يرون أنّ عثمان يستحقّ القتل بسبب البدع التي اختلقها في أيام خلافته.

يقول نصر بن مزاحم في كتابه (صفين): إنّ عمّار بن ياسر وقف في أحد الأيام في معركة صفين بين أصحابه وقال: امضوا معي عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الأمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه، فقالوا: إنّ ما أحدث شيئاً، وذلك لأنّه مكّنه من الدنيا، فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو سقطت عليهم الجبال، والله ما أظنهم يطلبون دمه إنّهم ليعلمون أنّه الظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها واستمرّأوها وعلموا لو أنّ صاحب الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون فيها، ولم يكن للقوم سابقه في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابره وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون» (١).

ص: ١١٠

وعندما يقرّ مثل هذا الرجل العظيم وهو عمّار بن ياسر الذى هو من أهل الجَنّه بمشاركته بقتل عثمان ويستدلّ لذلك بما اختلقه عثمان من البدع الخطيره فى الإسلام، فمن البديهيّ أنّ الإمام عليه السلام لا- يسمح لنفسه بتسليم مثل هؤلاء الأشخاص من المهاجرين والأنصار والتابعين، إلى معاويه ليقتلهم.

إنّ الباعث على ثوره الناس ضدّ عثمان يمكن بيانه فى خمسه أمور:

١. تعطيل الحدود والموازين الإلهيّه فى أيام خلافه عثمان.

٢. تقسيم بيت المال بين بنى اميّه.

٣. تعيين أفراد من بنى اميّه فى المناصب الحساسه فى الحكومه الإسلاميه.

٤. ضرب وجرح أصحاب النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله كعبدالله بن مسعود وعمّار بن ياسر.

٥. تبعيد ونفى الشخصيات الإسلاميه الكبيره كأبى ذرّ، مالك الأشر، صعصعه ابن صوحان وأخيه، وعمرو بن الحِمق الخُزاعى.

إنّ أمواج المخالفه والاعتراض ضدّ عثمان اتّسعت واشتدّت إلى درجه أنّ أفراداً كعبدالرحمن بن عوف الذى كانت له يد الطولى فى نصب عثمان واستلامه الخلافه فى مسأله الشورى السّته الذين نصبهم عمر بن الخطاب لتعيين الخليفه من بعده، اعترض عليه وأصبح من مناوئيه، وينقل المؤرخون أنّ عبدالرحمن - لهذا الأسباب المتقدّمه - قطع علاقته مع الخليفه الثالث ولم يتحدّث معه إلى نهايه عمره، وحتى عندما جاء عثمان لعيادته وهو فى حال مرضه أعرض بوجهه عن الخليفه ولم يتحدّث معه بكلمه (١).

ومن بين هؤلاء المعترضين على عثمان كانت عائشه زوجة النبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله تعترض أكثر من الآخرين على أعمال عثمان، وعندما أمر عثمان بضرب عمّار ابن ياسر أخرجت عائشه ثوب النبيّ ونعله وقالت: أيها الناس! هذا ثوب النبيّ ونعله لم

ص: ١١١

١- (١). انساب الأشراف البلاذرى، ج ٥، ص ٥٧؛ تاريخ الطبرى، ج ٥، ص ١١٣؛ العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٥٨ و ٢٦١ و ٢٧٢.

يُحْفًا بعد وقد نسيتم سنّته.

وقد ذكر المؤرّخون عبارته مشهوره لعائشه في حقّ عثمان حيث كانت تقول:

«أَقْتُلُوا نَعْتَلًا قَتَلَ اللَّهُ نَعْتَلًا»<sup>(١)</sup> وتقصد به عثمان بن عفّان.

ومن جملة المعترضين والمخالفين لعثمان، طلحه والزبير اللذان كانا ينتقدان سياسته عثمان وتصرفاته كثيراً، ومن العجيب أنّ هذين الرجلين خرجا بعد ذلك ومعهما عائشه للطلب بدم عثمان في مواجهته الخليفة الحقّ يعنى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الذي بايعاه قبل ذلك وكان من أمر خروجهما ومعركته الجمل ما كان.

على أيّ حال فإنّ الأشخاص الذين حرّكوا الناس ضدّ عثمان بأقوالهم وبتحريضهم وبذلك مهّدوا الأرضية لقتل عثمان؛ أكثر من أن نحصيهم في هذا المقال.

إنّ العوامل الخمسة المذكورة أعلاه جعلت الكثير من المسلمين في المراكز الإسلاميّة كالكوّفة والبصرة ومصر يتوجّهون إلى المدينة لأداء وظيفته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجمعون إلى أنصارهم ومؤيّدِيهم لبحث الأزمه في مركز الخلافة ويجبروا الخليفة على التوبه والعوده إلى تعاليم الإسلام أو يعتزل سدّه الحكم ويفوّض أمر الخلافة إلى غيره، وبذلك حاصرت الجماهير بيت الخليفة وطلبوا منه التوبه يارسالهم رساله إليه.

وقد سعى عثمان الذي لم يكن يعلم بعمق الاعتراض الجماهيري والسخط الشعبيّ إلى إنهاء الاضطرابات من خلال تعيين بعض الأشخاص من ذوى السعه كالمغيره بن شعبه وعمرو بن العاص في مركز الخلافة والقرار، ولكنّ الناس لم يقبلوا بهما ورفعوا نداء الاعتراض ضدّهما.

وبعد اشتداد الأزمه بدأ عثمان يتوسّط لدى أمير المؤمنين عليه السلام لتخفيف وتهدئه الأوضاع المضطربه، وكان الإمام عليه السلام في كل مرّه يعمل على تهدئه الأوضاع بتدابيره الحكيمه، ولكن للأسف كان عثمان فاقداً للإرادته القويه وكان خاضعاً بشكل تامّ

ص: ١١٢

---

١- (١). النهايه لابن الأثير الجزري، ج ٥، ص ٨٠ و شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٧٧ و ج ٦، ص ٢١٥.

لإرادته عناصر فاسده فى جهاز الحكومه كمروان بن الحكم حيث كان يستشيرهُ فى كل مرّه ولا يعمل بنصائح أمير المؤمنين عليه السلام ولا يقيم لسعيه الإصلاحى وزناً.

وأخيراً قام المعترضون والثوار بمحاصره دار الخليفه ومنعوا عنه الماء فى هذه المرّه، وفى هذه الأثناء قام أمير المؤمنين عليه السلام وبطلب من الخليفه ومساعدته بنى هاشم بنقل الماء بالقربه إلى دار الخليفه عثمان، حتى أنّ بعض أفراد بنى هاشم فى خضمّ هذا الصراع اصيبوا بجراح من قبل الثوار والجمهور الذى يحاصر دار عثمان.

وقد كتب عثمان فى أيام الحصار هذه رساله إلى معاويه وطلب منه أن يرسل له المدد والعون ولكن معاويه لم يهتم لرساله عثمان ولم يرتب عليها أثر يذكر وكان يقول: إننى لا اخالف صحابه النبى، ولم يكن هدف المحاصرين بيت الخليفه قتله، بل كانوا يريدون استسلام عثمان وأعوانه ورضوخهم لمطالبهم من خلال منع الماء والطعام عنهم، ولكن سوء تدبير مروان بن الحكم الذى قتل أحد الثوار أدى إلى تفاقم الأزمه وهجومهم على دار الخليفه.

وكانت شدّه الهجوم إلى درجه بحيث إنّ بنى اميه الذين كانوا يحرسون الدار ويدافعون عن الخليفه وأعوانه، فضّموا الهرب من الميدان، حيث قامت ام حبيبه زوجه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله و بنت أبى سفيان «وكانت أيضاً من بنى اميه ياخفائهم فى دارها»، ولكن ثلاثه أشخاص من أعوان الخليفه الذين لم يتمكّنوا من الفرار قتلوا على يد المهاجمين، وأخيراً قتل عثمان أيضاً على أيديهم، وفى هذ المجال كان لبعض الأفراد دور كبير فى هذه النهايه الداميه ومنهم: محمد بن أبى بكر وكنانه ابن بشر التجيبى وسودان بن حمران المرادى وعمرو بن الحقيق الخزاعى وعمير ابن الصابى (١).

\*\*\*

ص: ١١٣

---

١- (١). تاريخ الطبرى، ج ٥، ص ١١٨ وما بعدها و كامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٧٠ وما بعدها. لتحقيق أكثر انظر إلى كتاب فروغ ولايه عن الاستاذ جعفر السبحانى، ص ٣٢٧-٣٣٥ و شرح نهج البلاغه لابن أبى لحديد، ج ٢، ص ١٢٩ تا ١٥٨، ذيل الخطبه ٣٠.



إليه أيضاً (١)

### نظرة إلى الرسالة

تألف هذه الرسالة من أربعة أقسام:

القسم الأول ينصح الإمام علي عليه السلام معاويه ويحذره من المصير الأليم يوم القيامة والعواقب الوخيمة المترتبة على تصرفاته المعادية والمغرضه، رغم أنّ الإمام عليه السلام يعتبره أسير الشيطان وأنه لا أمل في هدايته.

والقسم الثاني يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة، وهي أنّ معاويه كيف يستطيع إداره أمور الأمة الإسلاميه وتولّى شؤونها في حين أنه لا يملك أيه سابقه محموده في تاريخ الإسلام ولا ينتمى إلى اسره شريفه ومؤمنه؟!

وفي القسم الثالث منها يبين الإمام عليه السلام هذه الحقيقه وهي أنه يدعو معاويه إلى

ص: ١١٥

---

١- (١) . سند الرساله: نقل هذه الرساله نصر بن مزاحم في كتاب صفين قبل السيد الرضى، وبعد السيد الرضى ذكرها ابن عساكر في كتاب تاريخ دمشق في شرح حال معاويه، وما ذكره السيد الرضى في نهج البلاغه لا يمثل جميع هذه الرساله، فالرساله تبدىء بمقدمه وردت في كتاب مصادر نهج البلاغه (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٢٠). والرساله المذكوره لها خاتمه وردت في كتاب نهج البلاغه الكامل.

ترك الناس وعدم إقحامهم فى الحرب وأن ىأتى هو بنفسه إلى الميدان لىواجه الإمام علیه السلام بمفرده وىحسم بذلك مصير الأمة وىعيد إلى الأذهان ما مضى من تاریخ الإسلام حیث كان المسلمون یقاتلون إخوانهم وآباءهم وبنى عمومتهم على الإسلام والإیمان.

وأخيراً فى القسم الرابع من هذه الرساله ىطرح الإمام علیه السلام ذریعه معاویه فى الطلب بدم عثمان وىقول: إنك تعلم جیداً من هو القاتل لعثمان، فلماذا لا- تتوجه إلیه وتترك المسلمین وشأنهم؟ وفى نهائه الرساله یقول: إننى أرى عمياً قریب صراخك وصراخ جیشك فى میدان الحرب وسوف تلحق بك الهزیمه بعد الهزیمه وتضطرّ أخيراً إلى اللجوء إلى کتاب الله فى حین أنك لا تؤمن به.

\*\*\*

ص: ۱۱۶



وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَمَذَتِهَا. دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَأَقِفْ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجْنٌ، فَاقْعَسْ عَنِ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمُكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخِذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ.

### الشرح والتفسير: نظره إلى الأفق الغائم

رأينا آنفاً أنّ هذه الرسالة تبتدىء بكلمات لم يذكرها السيد الرضويّ في «نهج البلاغه»، فالإمام عليه السلام في بدايه هذا الكتاب بعد الحمد والثناء على الله تعالى أشار إلى سرعه انقضاء الدنيا وزوال الحياه وخاطب معاويه بالقول: يا معاويه أنت تدعى شيئاً لست من أهله، لا- في الماضي ولا- في الحاضر، ولا- تملك الدليل على إثبات مدّعاك (جدارتك بالحكومته والخلافه على المسلمين) وليس لديك شاهد من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبويه الشريفه، ثم إنّ الإمام عليه السلام أخذ يتبّه معاويه على عواقب التكالب على الدنيا وزخارفها ويحدّره من الوقوف أمام الله تعالى يوم القيامة لعله ينتبه لخطئه ويرعوى عن سلوكه ويتحرّك في الصراط المستقيم، يقول الإمام عليه السلام: «وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ (١) مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ

ص: ١١٧

١- (١). «جلايب» جمع «جلباب» على وزن «مفتاح» (وهذه المفردة ترد بكسر الجيم وفتحها وتعني العباءه، قطعه القماش التي تغطى جميع البدن، وتطلق على الثوب الواسع والطويل).

تَبَهَّجَتْ (١) بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا.

ثم يضيف الإمام عليه السلام: إِنَّ هذه الدنيا هي التي دعتك وخذعتك إلى بريقتها وزخارفها وقد أجبته وأسرت إليها وسلّمت إليها قيادك وعقلك: «دَعَّتْكَ فَأَجَبْتَهَا، قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا».

والإمام عليه السلام في هذه العبارات يطرح تشبيهات رائعة للدنيا وبريقها ويشبّتها بالملابس البرّاقه والملوّنه التي يلبسها المرء ويزهو بها أمام الآخرين، أو بمثابه الجلباب الذي يغطّي به الإنسان رأسه، وزخارف الدنيا تخذع الإنسان ولذتها تجذبه إلى خطّ الهاويه والضلاله، فالأشخاص الذين يتحرّكون في خطّ الأهواء والشهوات والذين لا يعرفون حقيقه الدنيا سيقعون في فخاخها سريعاً ومن أجل الاستفاده من زينتها ولذاتها سيجدون أنفسهم مضطّرين لاتباع أوامرها والامتثال لمطالبها، وبذلك يتعدون عن طريق الحقّ والإيمان ويتحرّكون في متاهات الضلاله ومنزلقات الخطيئه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى عاقبه هذا المسار المنحرف ويقول: «وَإِنَّهُ يُوشِكُ (٢) أَنْ يَقْفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ (٣) ، فَاقْعَسْ (٤) عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَهُ (٥) الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ (٦) لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغَوَاةَ (٧) مِنْ سَمْعِكَ».

ص: ١١٨

- ١- (١) . «تبَهَّجَتْ» من ماده «بهج» و «بهجه» بمعنى الجمال والطراوه، و «والتبَهَّج» بمعنى الشعور بالفرح بسبب رؤيه الجمال.
- ٢- (٢) . «يوشك» من ماده «وشك» على وزن «كبت» تعنى الإسراع فى المشى، وعليه فإنّ كلمه «يوشك» تدلّ على أنّ الأمر الفلانى سرعان ما يتحقق (والصحيح «يوشك» بكسر الشين، وتاره تأتي بفتحها).
- ٣- (٣) . «مجنّ» بمعنى الدرع.
- ٤- (٤) . «أقعس» صيغه أمر من ماده «قعس» على وزن «نفس» وفى الأصل بمعنى بروز الصدر إلى الأمام وانبعاج الظهر، ثم اطلقت على كل تكاسل واهمال فى عمل معين، وجاءت فى العبارة أعلاه بهذا المعنى، يعنى: يجب عليك يامعاويه أن تتراجع عن الخلافه.
- ٥- (٥) . «أهبه» بمعنى تهيئه وسائل العمل.
- ٦- (٦) . «شمر» من ال «تشمير» وأصلها من «شمر» على وزن «تمر» بمعنى جمع الأمور وقطف الثمار والاستعداد لقدم قادم، وتعنى فى التهيؤ لأداء عمل معين.
- ٧- (٧) . «غواه» جمع «غاوى» المضل.

ويتحدّث الإمام عليه السلام فى هذه العبارات عن جذور الإنحرافات التى وقع فيها معاويه وكذلك يشير إلى طريق الحَلّ والعلاج حيث يقول: إنَّ أفضل طريق لنجاتك من هذه المتاهة هو أن تعزل حكومه الشام وتأخذ الأهبه للحساب الإلهي.

وجمله «شَمَّرُ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ» إمَّا إشاره إلى الحوادث الأليمه والوخيمه التى ستصيب معاويه وأعوانه فى هذه الدنيا، أو إشاره إلى الحوادث والعاقبه الأليمه التى ستلحق بهم فى الآخرة (والاحتمال الثانى أنسب فى المقام) وعلى أيه حال بما أنّ هذه الحوادث حتميه الوقوع فإنَّ الإمام عليه السلام ذكرها بصيغه الماضى.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام فى سياق كلامه لمعاويه يستعمل لغة التهديد ببعض الأمور المعنويه ويقول: إنَّك إن لم تعمل بما أمرتك به وأرشدتك إليه فذلك لأنك تعيش الغفله عن العاقبه الوخيمه التى تنتظرك، وأنَّ السبب فى ذلك طغيانك وغرورك بالنعمه «وَاللَّا تَفْعَلُ أَعْلَمِيكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ (١) قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخَذَهُ، وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ، جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ».

وقد ذهب بعض المحققين إلى أنّ «إِلَّا تَفْعَلُ...» إشاره إلى أنّ الإمام عليه السلام يهدد معاويه فى هذه العبارة بالحرب، ومراده من إعلامه هو الإعلام العمليّ، ولكن مثل هذا المفهوم لا يستوحى من أىّ من العبارات والجمل المذكوره قبل هذه الجملة وبعدها، بل إنّ مجموعه هذه الكلمات والعبارات توحى بالنصيحه وتثير فى المخاطب اليقظه والانتباه.

واللافت أنّ معاويه قد هدّد الإمام عليه السلام فى رسالته بالحرب، ولكن الإمام عليه السلام هدّده بسيطره الشيطان عليه ووقوعه فى شباكه وحذّره من هذا المصير السيّء.

\*\*\*

ص: ١١٩

١- (١). «مترف» هو الشخص الذى يملك نعماً ومواهب كثيره، وبما أنّ ذلك قد يسبب غالباً الطغيان فالمترفين هم الأشخاص الأثرياء الذين يعيشون حاله الطغيان والتمرد.



وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةَ سَاسَهُ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بَغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ، وَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ. وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غَرِّهِ الْأُمِّيَّةِ، مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ.

### الشرح والتفسير: حذارٍ من الغفلة

في هذا المقطع من الرسالة يشير الإمام عليه السلام إلى حقيقة عدم صلاحية معاوية وبنى امية لاستلام أمر الحكومة ومقاليد السلطه على الأمه الإسلاميه حتى الحكومه على جزء من البلاد الإسلاميه، لأنه يعلم أن مسأله الطلب بدم عثمان وأمثالها ليست سوى ذريعه بيد معاوية لإيهام الناس واستغفالهم، بينما الغرض الأصلي منها أن يفرض حكومته وسيطرته على أهل الشام بوصفه حاكماً إسلامياً، يقول الإمام عليه السلام:

«وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةَ سَاسَهُ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بَغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ (١)».

صحيح أن اسره بنى اميه وأسلافهم كانوا حكاماً في ما مضى على قريش، ولكن هذا الأمر يتعلق بزمان الجاهليه وعصر الكفر والشرك، وعبارته «وَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» تبين أن مقصود الإمام عليه السلام هو عصر ظهور الإسلام، لأننا نعلم أن بنى اميه وعلى رأسهم أبي سفيان كانوا عند ظهور الإسلام يقفون في الجبهه المخالفه للرساله الجديده وكانوا يدافعون عن الشرك والكفر ويسيروا في خط الضلاله.

ص: ١٢١

١- (١). «باسق» بمعنى المرتفع من «البسوق» على وزن «طلوع».

وعبارته «سِيَّاسَةَ الرَّعِيَّةِ» و«وَلَاءَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» يمكن أن تكون من قبيل العطف والتفسير وأن كلا هاتين الجملتين إشارة إلى الحكومه الإسلاميه، ولكن يحتمل أيضاً أن عبارته «سِيَّاسَةَ الرَّعِيَّةِ» تتعلق بمرحلة ما قبل الإسلام، وعبارته «وَلَاءَ أَمْرِ الْأُمَّةِ» تتعلق بما بعد ظهور الإسلام في جزيره العرب، لأن بنى اميه قبل الإسلام لم يكونوا سوى ولاءه أمر قبيلتهم فقط، فى حين أن كلمه الرعيه توحى بالمعنى الواسع للكلمه، وبعبارة أخرى إن أهل مكه كانوا تحت زعامه عبدالمطلب وبعده تحت زعامه أبى طالب.

والإمام عليه السلام فى عبارته «بِعَيْرِ قَدَمِ سَابِقِي...» يشير إلى هذه الحقيقه، وهى أن الحكومه ومسأله قياده وزعامه الأمه الإسلاميه تستلزم توفر الشروط والضوابط ومنها أن يكون الشخص ذا سابقه فى الإسلام ويكون شريف النسب، فى حين أن معاويه هو ابن أبى سفيان الذى كان يقف فى خطّ المواجهه مع النبى الأكرم صلى الله عليه وآله إلى آخر لحظه، وقصّه تلوث ام معاويه معروفه ومشهوره فى كتب التاريخ.

ثم إن الإمام عليه السلام يحذّر معاويه فى ثلاث جمل ويقول أولاً: «وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ».

هذه الجملة يحتمل كونها إشارة إلى أن معاويه، وبسبب العوامل الوراثيه السلبيه الصالحه التى انتقلت إليه من أبيه وأمه، (أبى سفيان وهند آكله الأكباد) وحركته فى خطّ الباطل والشرك ومواجهه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله والرساله الإلهيه مع أبيه، قد وفر الأرضيه لنفسه للشقاء والانحراف والتوغّل فى خطّ الضلاله، وهذا ما لا يمكن الخلاص منه إلاّ بتهذيب النفس والسعى الجادّ فى تغير المسار.

ثم إن الإمام عليه السلام يذكر فى الجملة الثانيه «وَأَحْيِذُرْكُ أَنْ تَكُونَ مُمْتَادِيًّا فِي غَزِهِ (١) الْأُمِّيَّةِ (٢)»، أى أن الغفله الناشئه من الآمال والطموحات الموهومه تفود صاحبها فى

ص: ١٢٢

١- (١). «غزه» بمعنى الغفله والجهل وعدم الاطلاع والغرور.

٢- (٢). «الأميّه» بمعنى الأمل، وأصلها «منى» على وزن «رمى» بمعنى التقدير والفرض ويطلق على الآمال تمنى والأمنيّه بسبب أن الإنسان يقدر لنفسه الكثير من الأمور فى عالم الخيال ويتعلق بها قلبه، ومفرده امنيه تأتى غالباً فى موارد الطموحات والآمال البعيده والتي لا تتحقق فى الواقع العملى.

طريق الشيطان والتمرد على الحق.

وهذه الجملة ناظره إلى ما أشارت إليه الروايات الإسلاميه مراراً، وهو أنّ الآمال العريضة والطموحات البعيده من شأنها إبعاد الإنسان عن طريق الحق وعن الإيمان بالله واليوم الآخر بحيث يغفل الإنسان حتى عن واقعه وما يصلحه في هذه الدنيا:

«وَأَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» (١).

وفي الجملة الثالثه يقول الإمام عليه السلام: إنني احذرك أن تكون ممن يختلف ظاهره عن باطنه، وتظهر للناس الإسلام والإيمان، ولكنك تبطن الشرك وعقائد الجاهليه (مُخْتَلِفَ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيَرَةِ).

وهذه الجملة إشاره إلى نفاق معاويه الذي يطالب بدم عثمان ويدافع عن مقام الخلفه في الظاهر ولكنه في الباطن ليس له هدف سوى الحكومه على الشام، ونعلم أنّ حاله النفاق والازدواجيه في الشخصيه لدى المنافقين هي أشدّ خطراً من الشرك، لأنّ المسلمين يعرفون تكليفهم الشرعيّ في مقابل المشركين وأعداء الإسلام في حين أنّهم لا يعرفون الموقف الصحيح من المنافقين بسبب تسترهم بقناع الإسلام والإيمان الظاهريّ وطعنهم الإسلام من ورائه.

\*\*\*

ص: ١٢٣

١- (١). الكافي، ج ٢، ص ٣٣٥، ح ٣.





وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعِيفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُعْطَى عَلَى بَصِيرِهِ! فَإِنَّا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جِدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخاً يَوْمَ يَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عِيدُوِي، مَا اسْتَبَدَلْتُ دِيناً وَلَا اسْتَحَدْتُ نَبِيّاً. وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ.

### الشرح والتفسير: أنا أتحرّك دوماً في خطّ الحقّ والهدايه

يبين الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرساله جواباً آخر على ما ذكره معاويه في رسالته، حيث هدّد معاويه الإمام عليه السلام بكلمات وقحه وغير مسؤوله بالحرب واتّهم الإمام عليه السلام بأنّه قد غطّى على عينه بحجاب الأنانيه وأما قلبه قد أصابه الصدا والرین!! وما يثير العجب أنّ شخصاً من بقايا عصر الجاهليه وابن لأشدّ أعداء الإسلام والمسلمين يتحدّث بهذا الكلام مع من قد ملأ الإيمان قلبه وعاش منذ طفولته إلى نهايه عمره في خدمه الإسلام والدفاع عن المسلمين ويعدّ أشجع العرب على الإطلاق.

وعلى أيه حال، يقول الإمام عليه السلام: «وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَاخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَعِيفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُعْطَى عَلَى بَصِيرِهِ».

وهكذا نرى الإمام عليه السلام في هذه العبارة بدون أن يخاطب معاويه بمثل العبارات التي خاطبه بها، يجيب على تهديد معاويه جواباً حاسماً وقاطعاً بأنك إذا كنت

صادقاً في تهديدك بالحرب، فبدلاً من سفك دماء المسلمين من كلا الطرفين ينبغي عليك أن تأتي إلى الميدان بمفردك وتقف أمامي للنزال، ومعلوم أنّ معاوية لا يجد جواباً على مثل هذه الاقتراح، لأنه لم يكن يوم من الأيام رجل الميدان ولا يجد في نفسه الشجاعه الكافيه لمواجهة الإمام عليه السلام في مواقع الخطر.

ويذكر الشيخ مغنيه في كتابه الإمامه والسياسه نقطه ملفته للنظر، وهي أنّ هذه الرساله عندما وصلت معاويه قال عمرو بن العاص لمعاويه: هل تخشى على نفسك من مواجهه عليّ بن أبي طالب، فوالله لأذهب إليه حتى لو قتلت ألف مرّه، وبذلك برز عمرو بن العاص في حرب صفين في مقابل الإمام عليه السلام فما كان من الإمام إلّا أن ضربه بقناته فسقط على الأرض ولم يجد عمرو بن العاص شيئاً ينقذه من الهلكه المحتمومه سوى أن ينزع عنه لباسه ويبدى عورته، لأنه يعلم أنّ الإمام يستحي من ذلك ويعود من حيث أتى، ويسلم بذلك عمرو من الهلكه.

ولهذا السبب قال معاويه بعد ذلك لعمرو بن العاص: أمران قد أنقذاك من الهلكه، الأول عورتك، والثاني حياء عليّ بن أبي طالب.

ثم إنّ الإمام عليه السلام قال تأييداً لكلامه «فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ حِدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخًا يَوْمَ يَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي».

ونعلم أنّ «عتبه بن ربيعه» والد هند أمّ معاويه قتل في غزوه بدر في مقابل «عبيده بن الحارث» ابن عمّ الإمام عليّ عليه السلام، فقد هبّ الإمام لمساعدته عبيده في هذه الواقعة وقتل عتبه، وكان «شيبه بن أبي سفيان» أخو معاويه قد بارز في هذه المعركه حمزه عمّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وقد أعان الإمام عليه السلام حمزه على قتله، وأمّا خال معاويه «الوليد بن عتبه» فقد بارز الإمام عليه السلام في هذه الواقعة وقتله الإمام عليه السلام.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ كلمه «شدخ» بمعنى كسر الشيء الأجوف، فتعبير الإمام عليه السلام هذا يبيّن هذه الحقيقه، وهي أنّ جدّ وخال وأخا معاويه قتلوا في معركه بدر وأنّ جماجمهم كانت فارغه من العقل والتفكير السليم.

وبالرغم من أن معاوية استخدم في رسالته كلمات نايبه وشديده إلا أنها كانت حاوية وفاقد للمحتوى، بينما استخدم الإمام علي عليه السلام عبارات أكثر انسجاماً وقوة، وعميقه المعاني، وبينما كان معاوية يدعو إلى الحرب بين طائفتين، كان الإمام علي عليه السلام يدعو إلى القتال منفردين، أي يطلب المبارزة بينه وبين معاوية وجهاً لوجه.

ورأينا أن معاوية يتحدث في رسالته عن مدعيات حاوية دون إسنادها بالمدارك التاريخيه، بينما نرى أن الإمام علي عليه السلام أخذ بيد معاوية إلى الماضي من صدر الإسلام وبين له سوابقه التاريخيه في معركة بدر وأنه هو علي بن أبي طالب الذي قتل جدّه وأخاه وخاله وأئمّه الكفر والشرك من قبيلته، وأن سيفه هو ذلك السيف الذي مرّغ به انوف عتاه المشركين والمردّه من قوى الكفر، وأن قلبه هو ذلك القلب الشجاع الذي كان يقاتل به المشركين في معارك صدر الإسلام.

ثم إن الإمام علي عليه السلام يشير إلى نقطه أخرى وهي ثباته واستقامته في خط الإسلام والإيمان ويقول: لم أبتدع في الدين شيئاً ولا اخترت نبياً غير نبي الإسلام صلى الله عليه وآله فأنا أتحرّك في الطريق القويم والصراط المستقيم: «مَا اسْتَبَدَلْتُ دِيناً، وَلَا اسْتَحَدَّثْتُ نَبِيّاً.

وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ، وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ».

وهذه إشاره إلى أن أباسفيان وأذنايه وأعوانه دخلوا الإسلام مكرهين يوم فتح مكّه والشواهد التاريخيه الإسلاميه تشير إلى أنهم لم يعتنقوا الإسلام أبداً، ولم يؤمنوا طواعيه، ولذلك بعد استلام بنى اميه أزمّه الحكم ومقاليد السلطه في زمان الخليفه الثالث، سحق الكثير منهم أصول الإسلام وسنّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله تحت أقدامهم ونهبوا بيت مال المسلمين واستأثروا بفيئهم وحرّموا بذلك الطبقة المستضعفه والمحرومه ممّا يستحقونه من هذه الأموال.

وقد تبين ممّا ذكر آنفاً أن مراد الإمام علي عليه السلام من قوله: «الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ»، يتعلّق بموقفهم بعد قبولهم الإسلام ظاهراً، أي أنهم في البدايه قبلوا بالإسلام مكرهين، ثم عندما استلموا مقاليد السلطه نقضوا سنن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله واحده بعد

الأخرى، والشاهد على هذا الكلام أن الإمام عليه السلام قال: «مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا، وَلَا اسْتَحَدَثْتُ نَبِيًّا» أَي أَنِّي لَمْ أُغَيِّرْ وَلَمْ ابْتَدِعْ فِي الدِّينِ شَيْئًا، وَعَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ فَإِنَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمْعٌ مِنْ شَرَاحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ فِي جَمَلِهِ «تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ» وَأَنَّهَا تَعُودُ إِلَى عَدَمِ قَبُولِهِمْ لِلإِسْلَامِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، لَا يَبْدُو تَفْسِيرًا صَحِيحًا نَظْرًا لِمَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَفْسِهِ، وَخَاصَّةً أَنَّ مَفْرَدَهُ «تَرَكَ» تَقَالُ فِي مَوْرَدِ يَكُونُ الإِنْسَانُ قَدْ قَبِلَ شَيْئًا قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ ذَهَبَ إِلَى مَكَانٍ مَعَيَّنٍ وَتَرَكَهُ بَعْدَ ذَلِكَ.

## تأملان

### ١. مقارنة شجاعه الإمام عليه السلام بالأعداء

من النقاط الملفتة للنظر ما ذكره أصحاب السير والتواريخ عن مقدار شجاعه معاوية وعمرو بن العاص، فالمؤرخ المعروف «الواقدي» وطبقاً لما نقله ابن أبي الحديد عنه في شرح نهج البلاغة يقول:

«قال معاوية يوماً - بعد استقرار الخلافه له - لعمر بن العاص: يا أبا عبد الله لا أراك إلا ويغلبني الضحك، قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفين فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه، وكشفت سوءتك له. قال عمرو بن العاص: أنا منك أشد ضحكاً، إنني لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سحرك وربا لسانك في فمك، وغصصت بريقك، وارتعدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك، فقال معاوية: لم يكن هذا كله، وكيف يكون ودوني عكّ والأشعريون! قال: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكّ والأشعريون، وكيف كانت حالك لو جمعكما مآقط الحرب. فقال: يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجدّ «إِنَّ الْجُبْنَ وَالْفِرَارَ مِنْ عَلِيٍّ لَا عَارَ عَلَيْهِ أَحَدٍ فِيهِمَا» (١).

ص: ١٢٨

١- (١). ومن النقاط التاريخية الملفتة للنظر ما وقع نظير هذه القصة عن بسر بن ارطاه الذي يعتبر من شجعان العرب، فينقل ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب (ج ١، ص ١٦٤) أن بسر كان حاضراً مع معاوية في صفين، فشجعه معاوية على قتال أمير المؤمنين وقال: «كان بسر من الأبطال الطغاه وكان مع معاوية بصيفين، فأمره أن يلقي علياً عليه السلام في القتال، وقال له: إنني سمعتك تتمنى لقاءه، فلو أظفرك الله به وصرعته حصلت على الدنيا والآخرة، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رأى علياً عليه السلام في الحرب، فقصدته والتقيا فصرعه علي عليه السلام، وعرض له معه مثل ما عرض له مع عمرو بن العاص في كشف السوأه» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٣١٦ و ٣١٧).

## ٢. هل كان معاوية حاضراً في معركة بدر؟

يقول ابن أبي الحديد: سألت النقيب أبا زيد (استاذة) عن معاوية، هل شهد بدرًا مع المشركين؟ قال: نعم، شهدها ثلاثة من أولاد أبي سفيان: حنظله، عمرو ومعاوية، قتل أحدهم وأسر الآخر، وأفلت معاوية هارباً على رجله وقد انتفخ رجلاه وورمت ساقاه، فعالج نفسه شهرين حتى برىء.

قال النقيب أبوزيد: ولا خلاف عند أحد أنّ عليّاً عليه السلام قتل حنظله وأسر عمراً أخاه ولقد شهد بدرًا وهرب على رجله من هو أعظم منهما ومن أخيهما، عمرو ابن عبدود فارس يوم الأحزاب، شهدها ونجا هارباً على قدميه وهو شيخ كبير وارتت جريحاً، فوصل إلى مكة وهو وقيد فلم يشهد احداً، فلما برىء شهد الخندق فقتله قاتل الأبطال، والذي فاته يوم بدر استدركه يوم الخندق.

ثم قال لي النقيب «رحمه الله»: أما سمعت نادره الأعمش ومناظرته فقلت: ما أعلم ما تريد؟ فقال: سألت رجل الأعمش وكان قد ناظر صاحباً له: هل معاوية من أهل بدر أم لا؟ فقال له: أصلحك الله، هل شهد معاوية بدرًا، فقال: نعم من ذلك الجانب.

ويشير الإمام عليه السلام أيضاً في أحد كتبه إلى قصه فرار معاوية ويقول: وأذكر ما لست له ناسياً يوم قتلت أخاك حنظله وجررت برجله إلى القليب، وأسرت أخاك عمراً وجعلت عنقه بين ساقيه رباطاً، وطلبتك، ففررت ولك حصاص فلولا أنّي لا أتبع فارساً، لجعلتك ثالثهما(١).

\*\*\*

ص: ١٢٩

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٨٤-٨٥.



وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ نَائِرًا بِدَمِ عُثْمَانَ. وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضَعُجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَمِيمَةُ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ، وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاهِدَةٌ، أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ.

### الشرح والتفسير: المستقبل المظلم والأفق المشؤوم للعدو!

وفى آخر قسم من رساله الإمام عليه السلام لمعاويه يتحدث الإمام عليه السلام مرّه أخرى عن قصّه قتل عثمان التي جعلها معاويه ذريعته لتمردّه ومخالفته للإمام عليّ عليه السلام وطلب بالنار لدم عثمان فيقول الإمام: «وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ نَائِرًا (١) بِدَمِ عُثْمَانَ. وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا».

وهذا إشاره إلى أنّه إذا أردت من شارك بدم عثمان فاطلبه من أصدقائك طلحه والزبير، وإذا كنت تطلب الأشخاص الذين تركوه وحيداً ولم يمدّوا له يد العون ويغيثوه، فأنت الذي كتب إليك عثمان يطلب منك ولم تجبه، لم تتقدّم خطوه في هذا السبيل، وعليه فأنت لست صادقاً بدعواك بطلب النار لدم عثمان، وإن كنت صادقاً لزمك أن تسلك غير هذا المسلك.

ص: ١٣١

١- (١). «نائر» بمعنى المطالب بدم المقتول، وهي من ماده «نار» على وزن «سأل»، وعندما تطلق هذه الكلمه على بعض المعصومين عليهم السلام، «يا ثارالله» يعنى الشخص الذى ينتقم لله لا لفرد معين أو قبيله.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام يرسم مستقبل معاويه وأعوانه والحرب ضدهم ويتبأ له بالأفق المظلم ويقول: «فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَصْرَعُ جِيْشَ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّكَ (١) ضَجِيحَ الْجَمَالِ (٢) بِالْأَنْقَالِ».

وكما هو معلوم فإنَّ هذه النبوءة قد تحققت على أرض الواقع في معركة صفين عندما ضيق جيش الإمام الخناق على جيش معاويه، ووصل مالك الأشتر على مقربة من سرادق معاويه، ولم يبق إلَّا القليل ليصل إليه ويقتله، وفي ذلك الوقت ارتفع صراخ معاويه وأتباعه طالبين إنهاء القتال برفع المصاحف.

وفي تنبؤ آخر يقول الإمام عليه السلام: «وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَّبَاعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ، إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ (٣)».

وهذا التنبؤ وقع أيضاً بشكل كامل عندما رأى جيش الشام أنهم عاجزون عن مجابهة أنصار الإمام علي عليه السلام وعاشوا المحنة والقتل المتتابع في صفوفهم، رفع جماعه منهم مع عمرو بن العاص المصاحف على رؤوس الرماح وقالوا: إننا نسلّم أمرنا إلى كتاب الله ونحتكم إليه في هذا الأمر، في حين أنّ هذه الجماعه من أهل الشام لا يعتقدون بكتاب الله ويكفرون بما أنزل الله، لأنهم لم يبايعوا إمام الحق، وفيهم جماعه أخرى ممن بايع الإمام عليه السلام ولكنهم نكثوا بيعتهم خلافاً لجميع الأصول والمبادئ الإسلاميه المعروفه والتقاليد العربيه، والتحقوا بمعاويه وأعداء الإمام في هذه الوقعه.

وطبعاً ربّما يثير البعض هذا السؤال، وهو أنّ تعبير الإمام عليه السلام هذا يفتح المجال أمام استغلال الأعداء لكتاب الله عندما يشاهدوا نهايتهم المخزيه على الأبواب،

ص: ١٣٢

١- (١). «عَضَّ» من «العَضَّ» بمعنى الامساک بالأسنان.

٢- (٢). «جمال» جمع «جمل» بمعنى الإبل؛ مثل «جبال» جمع «جبل».

٣- (٣). «حائده» بمعنى المائله عن الطريق المستقيم من ماده «حيد» على وزن «صيد» أى الميل إلى إحدى الجهات، وهذه المفرده تأتي بمعنى نقض البيعه.



ولكنّ هذا الكلام غير صحيح، لأنّ الإمام عليه السلام أشار بشكل مجمل إلى هذه الواقعة بحيث لم تكن هذه الإشارة المجمله مفهومه لدى معاويه وأتباعه، لأنّ هذا الكلام يتحدّث عن الدعوه إلى كتاب الله فقط، رغم أنّنا اليوم نعرف تفاصيل الواقعة التاريخيه وما حدث في معركة صفّين من استغلال المصاحف لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من فلول جيش الشام، فهذه الإشارة في كلام الإمام تعتبر إشاره معيّره.

### تأمل: التنبؤات الواقعه

إنّ تنبؤات الإمام عليّ عليه السلام في هذه الرساله التي كتبها لمعاويه قد تحققت على أرض الواقع بشكل تام، لأنّ القتال بدأ على أشده في صباح يوم الثلاثاء من العاشر من شهر صفر سنه ٣٧ للهجره بعد صلاه الصبح، فتقاتل الجيشان ودارت بينهما رحى الحرب، فكانت الدائره على جيش الشام الذين تزعزت مواقعهم وأحسّوا بالضعف والانهيار أمام جيش الإمام عليه السلام الذي كان يتقدّم بقياده مالك الأشتر في أرض المعركه، ولم يبق من انهيار جيش الشام وقتل معاويه أو أسره إلّا القليل، يقول عمّار بن ربيعه: كان مالك الأشتر واقفاً بين أنصاره وأتباعه ويقول: «فداكم أمي وأبي وجميع عشيرتي، اهجموا عليهم هجمه واحده ويفرح الله لكم وأعزّوا بذلك دينه، فانظروا إليّ حين أهجم عليهم فاهجموا بدوركم معي».

وهكذا كان مالك الأشتر غارقاً في صفوف الأعداء يقاتل ببساله وهو حاسر الرأس وقد وضع مغفره على قربوس السرج، وهو ينادي: اصبروا يامعشر المؤمنين فقد حمى الوطيس... يقول ابن أبي الحديد: لله من أمّ قامت عن الأشتر لو أنّ إنساناً يقسم أنّ الله تعالى ما خلق في العرب ولا في العجم أشجع منه إلّا استأذنه عليّ عليه السلام لما خشيت عليه الإثم.

وأخيراً استطاع مالك الأشتر وأنصاره من تدمير صفوف جيش الشام وتحطيم

كُلِّمُوا مَقَامَهُمْ وَأَقْتُلُوا حَمَلَهُ الْأَلْوِيَةَ، فَوَصَلُوا إِلَى الْخِيَامِ، وَقَدْ اسْتَمَرَ الْقِتَالُ حَتَّى تَلَّكَ اللَّيْلَةُ الَّتِي سَمَّيْتَ «لَيْلَةَ الْهَرِيرِ» (١).

وفى هذه المعركة كان مالك الأشرق قائداً على يمينه الجيش، وابن عباس على اليسره، والإمام علي عليه السلام بالقلب وقد لاحت بوادى النصر المؤزر على ضد جيش الشام، وبلغ معاوية الخبر فطلب عمرو بن العاص وقال له: يا عمرو إنما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفيصل، فماترى؟ قال: إن رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافونك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علينا إن ظفروا بهم، ولكن إلقِ إلى القوم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، إدعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ حاجتك في القوم، وإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرّف معاوية ذلك وقال له: صدقت.

وهكذا وقع ما كان يخشى منه ممّا أسلفنا بيانه (٢).

\*\*\*

ص: ١٣٤

---

١- (١). «هرير» فى اللغة بمعنى عواء الكلب عند التألم، وهذا إشاره إلى أنين أهل الشام وصراخهم فى تلك الليلة.

٢- (٢). انظر: شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ٢، ص ٢٠٥-٢٥٦.

وَصَّى بِهَا جَيْشاً بَعَثَهُ إِلَى الْعَدُوِّ (١)

### نظرة إلى الرسالة

نقرأ في شرح سند هذه الرسالة أنها تمثل قسماً من رساله أرسلها الإمام عليه السلام إلى رجلين من قادة جيشه عندما تحرّك الجيش نحو صفين، وتقدّم أنّ الإمام عليه السلام جعل مالك الأشر أميراً على هذين الرجلين.

ويتحدّث الإمام عليه السلام في هذه الرسالة عن جميع الأمور الهامّة التي تتعلّق بأساليب القتال والدفاع في مواجهه العدوّ وكيفيه الاستفادة من الفرص وتجنب الوقوع في كمين الأعداء وكيفيه حمايه أفراد الجيش في الليل عند استراحه المقاتلين، وغير

ص: ١٣٥

---

١- (١). سند الرسالة: لقد أورد هذه الرسالة نصر بن مزاحم الذي كان يعيش ٢٠٠ سنة قبل السيد الرضى في كتابه صفين، والحسن ابن شعبه الحرّاني في تحف العقول والدينوري في كتاب الاخبار الطوال. وابن ميثم البحراني الذي يعدّ أحد شراح نهج البلاغه أورد هذه الرسالة مع إضافات مهمّة وهذا يشير إلى وجود مصادر غير نهج البلاغه (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٢٤). وصرّح صاحب المصادر إلى أنّ هذه الرسالة تمثل قسماً من رساله مطوّله أرسلها الإمام عليه السلام إلى زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هانئ من قوّد جيش الإمام عليّ عليه السلام. وقد وردت هذه الرسالة أيضاً في كتاب نهج البلاغه الكامل برقم ١ من رسائل الإمام أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام في ص ٩٤٥.

ذلك من المسائل الدقيقه التي تتصل بمسؤوليات القيادة العسكريه، والحقيقه أنّ دقه نظر الإمام عليه السلام هنا إلى درجه من العمق بحيث أنّ هذه التوصيات والتعليمات للإمام عليه السلام يمكن الاستفادة منها في الجيش الإسلامي في كلّ عصر وزمان.

\*\*\*

ص: ١٣٦

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ كُرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمًا يَكُونُ لَكُمْ رِذَاءً، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا. وَلْتَكُنْ مَقَاتِلُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقِيَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاقِبِ الْهَضَابِ، لِنَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعِيدُ مِنْ مَكَانٍ مَخَافِهِ أَوْ أَمْنٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَمَائِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعًا وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً.

### الشرح والتفسير: الاستعداد الصحيح للجيش

يبين الإمام عليه السلام في هذه الرسالة والتوصية العسكريه سبعة تعاليم وتوصيات عسكريه مهمه، وكيفيه المواجهه الدقيقه لجيش الأعداء، وضمان النصر على العدو، وهذا يبين دقه نظر الإمام عليه السلام في المسائل التي تتصل بقياده الجيش وترتيب وضعه العسكري في ميادين القتال. يقول الإمام عليه السلام: «فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ كُرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ (١)، أَوْ سَفَاحِ (٢) الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ (٣) الْأَنْهَارِ، كَيْمًا يَكُونُ لَكُمْ

ص: ١٣٧

- ١- (١). «أشرف» جمع «شرف» على وزن «هدف» بمعنى المكان المرتفع والتعبير ب «قبل الأشرف» يعني أمام المرتفعات.
- ٢- (٢). «سفاح» في الأصل معنى انهمار الماء وجريانه، ثم اطلق على جانب الجبل، لأن الماء ينهمر منه، وتأتى هذه المفرده كناية عن الزنا.
- ٣- (٣). «أثناء» جمع «ثنى» على وزن «صنف» بمعنى الملتوى والمطاوى، وهذه المفرده «أثناء» تأتى بمعنى وسط الشىء.

ويبين الإمام عليه السلام الغرض من هذه التوصية ويقول بأنّ الجيش إذا كان يتخذ مواقع إلى جانب مرتفعات أو سفوح الجبال أو شواطئ الأنهار، فمن البعيد أن يستطيع العدوّ محاصره الجيش الإسلامى أو يباغته بالهجوم عليه من الخلف، وبذلك يستطيع الجيش المحافظه على استعداده الكامل وعدم حدوث الخلل والاهتزاز فى صفوفه.

ويبين الإمام عليه السلام فى هذا التوصية نقطتين فى مقام الاستدلال، الأولى أنّ مثل هذا الموقف يساهم فى تقويتكم ورضّ صفوفكم، والأخرى أنّه يعيق هجوم العدوّ عليكم، ومفهوم الجملة الثانية واضح لأنّ العدوّ فى مثل هذه الظروف لا يستطيع أن يهجم على الجيش من الخلف، وأما مفهوم الجملة الأولى فربّما يكون المراد أنّ الجيش إذا اتّخذ موقعاً إلى جانب المرتفع وسفح الجبل، فإنّ حركته باتّجاه العدوّ ستكون أسهل وأيسر، وحركه العدوّ باتّجاه الجيش الإسلامى ستكون أصعب وأعسر، وطبعاً مثل هذا الكلام إنّما يصدق فى موارد الأراضى الجبلية والتي تكثر فيها المرتفعات.

ويحتمل أيضاً فى معنى كلمه «مرداً» أن يكون المراد منها محل العوده إذا أرادت مجموعه منكم العوده والتقهقر أمام العدوّ لفته معينه لغرض الاستراحه واستعاده القوه فإنّ سفوح الجبال وأمثالها سيكون محلاً مناسباً لهذا الغرض والتهيؤ للهجوم مرّه أخرى على العدوّ.

ولا ينبغى الغفله عن هذه النقطة، وهى أنّ اتّخاذ مثل هذا الموضع العسكرى يتمتّع بميزه ثالته، وهى أنّ الأفراد الجبناء من الجيش قلّما يستطيعون العثور على مهرب للفرار من الزحف لوجود المانع الطبيعى خلفهم، فلا يجدون بداً من الصمود والمواجهه.

ص: ١٣٨

١- (١). «ردء» بمعنى المعين والنصير.

٢- (٢). «مردّ» تأتي تاره بمعنى المانع وأخرى بمعنى محل العوده، فى الجملة أعلاه كما ذكرنا فى الشرح، تأتي بكلا المعنيين.

ثم إن الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية الثانية، ويقول: «وَلْتَكُنْ مَقَاتِلَتَكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ».

فتعدّد الجهات ومحاور القتال من شأنه إضعاف قوّة الجيش وبعثره طاقاته فيكون من اليسير إيجاد ثغره في صفوفه، ولهذا السبب فإنّ أحد فخاخ العدو في الماضي والحاضر لكسر مقاومه المخالفين، السعى لإيجاد جهات متعدّده في الميادين العسكريه أو السياسيه لإضعاف قوّة الخصم وتشيت طاقاته، وربّما لا يكون المراد من جهتين مختلفتين بأن تكون جبهه واحده إلى الشرق أو إلى الغرب مثلاً بل يتمّ التحرك على جهتين بشكل دائره تذهب مجموعه من جهه يمين العدو ومجموعه أخرى من جهه الشمال لمحاصره العدو بشكل تامّ.

ثم إن الإمام عليه السلام يشير إلى التوصية الثالثه ويقول: «وَأَجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي (١) الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ (٢) الْهَضَابِ، لِنَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافِهِ أَوْ أَمْنٍ».

يشير الإمام عليه السلام في هذه التوصيه إلى أمرين مهمين لا بدّ من الأخذ بهما بالحسبان، أحدهما قمم الجبال والأخرى أعالي الهضاب والمرتفعات، لأنّ هذه المواقع تتمتع بإشراف كامل على جميع الجهات، فالشخص الناظر من هذا الموقع يستطيع رؤيه جميع النقاط التي يتحرّك فيها الجيش.

والتعبير بـ «مَكَانٍ مَخَافِهِ أَوْ أَمْنٍ» ناظر إلى احتمال هجوم الأعداء بغته، ويكون من المنطقه المتوقعه منها، وعلى ضوء ذلك يجب على المراصد أن ترى جميع هذه النقاط.

ويشير الإمام عليه السلام في التوصيه الرابعه إلى إحدى التقسيمات المهمه للجيش التي

ص: ١٣٩

١- (١). «صياصي» جمع «صيصيه» أو «صيصه» وهو في الأصل بمعنى المشط الذي يستخدمه الحائك لتعديل وتنظيم القماش، أو الظفر الزائد في أقدام بعض الطيور، ثم اطلق على القلاع المحكمه على قمم الجبال وكذلك تطلق على قمم الجبل، وفي العبارة أعلاه وردت بمعنى الأخير.

٢- (٢). «مناكب» جمع «منكب» على وزن «مغرب» بمعنى الأكتاف، بالنظر إلى أنّ الهضاب جمع هَضَبَ به (على وزن عَقَبَه) تأتي بمعنى الجبال المسطحه التي تفتقد القمم، فإنّ «مناكب الهضاب» تعنى الأقسام العليا من هذه التلال المرتفعه والتي هي بمثابة الاكتاف للجبل.

تشكل المكونات الأساسية له، يقول: «وَأَعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ».

وقد كان متداولاً في الماضي أنّ الجيش لا يتحرك كلّ مرّة واحده، بل تتحرك مجموعه من الصفوه أمام الجيش بوصفها مقدمه له، ومن بين أفراد هذه المجموعه الشجعان وأكثر القوم خبره بأمور الحرب، وإطلاعاً على مسيره الجيش بوصفهم مخبرين وطلائع الجيش الذين يمثلون في الواقع القوى المعلوماتيه والاستخباراتيه لمركز القيادة، وبمجرد الاطلاع على وضع العدو ومكان تواجده يخبرون القيادة بذلك لاتخاذ الموقف المناسب.

وفي التوصيه الخامسه يحذّر الإمام عليه السلام بشدّه من الفرقه والاختلاف ويقول:

«وَيَاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ: فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَأَنْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا أَرْتَحَلْتُمْ فَأَرْتَحِلُوا جَمِيعاً».

وبما أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه التوصيات والتعاليم العسكريه إلى «زياد بن النضر الحارثي» و«شريح بن هانيء» اللذين يمثلان مقدمه الجيش وطلائعه، فمراده من هذا الكلام هو أنّ مقدمه الجيش يجب عليها اجتناب التسرع ولزوم العمل من موقع الانسجام والتجانس لئلا يدبّ فيهم الضعف والفتور.

ويبين الإمام عليه السلام في التوصيه السادسه نمط وكيفيه الاستراحه الليليه للجيش ويقول: «وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً<sup>(١)</sup>» أي بصوره دائريه حول الجيش بحيث يكون الجيش في الوسط.

وهذا هو الشيء المتداول في التعاليم العسكريه في العالم المعاصر، سواء في ميدان القتال أو في غيره، بحيث يستدعى بعض أفراد الجيش ليقوم بواجب حمايه الليليه ومهمه الخفر والعمل على مراقبه الأوضاع بالتناوب، سواءً في المعسكرات أو في الأماكن الحساسه والمراكز المهمه داخل المدن، وبمحض الإحساس بالخطر،

ص: ١٤٠

١- (١). «كفه» جمعها «كفاف» بمعنى الشيء المدور، وكفه الميزان يراد بها هذا المعنى أيضاً حيث تكون بشكل دائري.



يجب عليهم إنذار القيادة وإخبارها بتفاصيل الحدث، وهذا هو ما يطلق عليه في هذا العصر بقوى الحراسه.

وفى التوصيه السابعه والأخيره يوجّه الإمام عليه السلام خطابه إلى جميع أفراد الجيش بأن لا يغرقوا أثناء الاستراحه الليله فى نوم عميق كما هو حال النائم فى بيته، ويقول: «وَلَا تَذُقُوا النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً» كما يتمضمض الإنسان بالماء جرعه بعد جرعه.

وهذا بالضبط كما ينتظر الشخص مسافراً أو ضيفاً عزيزاً يريد القدوم عليه ليلاً، فنراه لا ينام بشكل عميق، بل تأخذه سنه وينتبه، ثم يعود إلى النوم بشكل خفيف، ثم ينتبه أيضاً، فينبغى على جيش الإسلام أن يكون كذلك فى استراحتة الليله فى مقابل العدو لئلا يباغته العدو ويغير عليه ويستطيع إنزال أكبر الضرر والخسائر فى صفوف الجيش، وهذا هو معنى تشبيه النوم بالغرار أو المضمضه حيث يدير الشخص الماء فى فمه ولا يرتوى منه تماماً.

وطبعاً إن هذه النقاط السبعه الدقيقه فى بيان الإمام عليه السلام تمثل توصيات لمقدمه الجيش وكيفيه حركته باتجاه المواجهه، وأمّا التوصيات والتعاليم التى تتصل بميدان الحرب والقتال، فقد سبق أن بينها الإمام عليه السلام فى الخطب والرسائل السابقه (انظر الخطبه ١١ فى الجزء ١، ص ٤٨٧، والخطبه ٦٦ فى الجزء ٣، ص ٩١ فصاعداً، والخطبه ١٢٤، الجزء ٥، ص ٢٥٧ فصاعداً).

\*\*\*

ص: ١٤١



## الرساله ١٢: وَصَى بِهَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَاحِيِّ حِينَ أُنْفَذَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَدَّمَهُ لَهُ

### إشاره

وَصَى بِهَا مَعْقِلُ بْنُ قَيْسِ الرِّيَاحِيِّ حِينَ أُنْفَذَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَدَّمَهُ لَهُ (١)

### نظرة إلى الرسالة

هذه الرسالة التي كتبها الإمام عليه السلام لأحد قواد جيشه بتبديء كما في سائر الرسائل الأخرى لقاده الجيش، في التوصية بالتقوى والورع، والتأكيد على التقوى التي تمثل أصلاً وأساساً لسعادة الإنسان ومسيرته المعنوية في الحياة، ثم يبين الإمام بعض التوصيات فيما يتصل بتعبئه القوى وكيفية حركة الجيش باتجاه العدو وبدايه الإلتحام معه في الميدان.

ص: ١٤٣

١- (١). سند الرسالة: جاء في كتاب مصادر نهج البلاغه أنّ الحرب بين الإمام عليه السلام وأهل الشام عندما وصلت إلى المدائن أرسل الإمام عليّ عليه السلام معقل بن قيس الرياحي مع ثلاثة آلاف مقاتل كمقدمه للجيش باتجاه الشام وأوصاه بوصايا عدّه اختار منها الشريف الرضى بعضها، والبعض الآخر ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفين، ولا شك أنّ السيد الرضى نقل هذه الوصية من مصدر آخر غير كتاب صفين لنصر بن مزاحم. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٢٦). ثم أضاف: إنّ المرحوم ابن ميثم في شرحه لنهج البلاغه نقل إضافات لما أورده السيد الرضى، وهذا يشير إلى وجود مصدر آخر غير نهج البلاغه للشريف الرضى (شرح نهج البلاغه لابن ميثم، ج ٤، ص ٣٨٠٩). والعجب أنّ كتاب نهج البلاغه الكامل أورد كلمتين إضافيتين فقط على ما ذكره السيد الرضى في نهايه هذه الوصية (نهج البلاغه الكامل، ص ٧٤٤).

ثم يؤكد الإمام عليه السلام في هذه الرسالة كراراً أن لا يتدّى جيش الإسلام بالقتال وأن لا يقتربوا من العدو بحيث يتصوّرون أنهم يريدون أن يهجموا عليهم ولا يتعد عنهم بحيث يتبادر إلى ذهن العدو أنّ هذا التباعد ناشىء من الضعف والجبن، ويوصى أيضاً بعدم إنهاك الجنود في المسير، فلا بدّ من أخذ قسط من الراحة في بدايه الليل وفي أوقات السحر، وكذلك القيلولة في وسط النهار حيث ترتفع درجات الحرارة و...، وهناك وصايا أخرى في هذه الرسالة كلّها تشير إلى الروح العاليه للإمام عليه السلام وحبّه للصالح واستتباب الأمن وضروره رعايه الأخلاق الإسلاميه حتى في مقابل العدو الغاشم.

\*\*\*

ص: ١٤٤

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ. وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ. وَسِرِّ الْبُرْدَيْنِ، وَعَوَّزِ النَّاسِ، وَرَفِّهِ فِي السَّيْرِ، وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا، وَقَدَرَهُ مَقَامًا لَاطِعْنَا، فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ، وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَبْطِخُ السَّحْرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَهِ اللَّهِ. فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَخَفْ مِنْ أَضْحَابِكَ وَسَطًا، وَلَا تَدُنْ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوًّا مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَأْنُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ.

### الشرح والتفسير: تعليمات ضرورية قبل التوجه إلى الميدان

في بدايه هذه الرساله يوصى الإمام عليه السلام قائد جيشه «معقل بن قيس» بتقوى الله تعالى ويقول: «اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ، وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ».

وهذه العبارات في الحقيقة مقتبسه من التعاليم القرآنيه حيث يقول تعالى:

«وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ» (١) و يقول في آيه أخرى: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى» (٢).

أجل، فأينما تكونوا ومن تكونوا فإنه لابد أن تكون العاقبه لقاء الله عز وجل والحضور في محكمه العدل الإلهي حيث يحاسب الإنسان على ما قدم وأخر في حياته من أعمال وأقوال وسلوكيات في حركه الحياه.

ص: ١٤٥

١- (١) . سورة البقره، الآية ٢٢٣.

٢- (٢) . سورة النجم، الآية ٤٢.

وعندما يتبدى الإمام عليه السلام رسالته بالتوصيه بتقوى الله والتفكير بالمعاد، فإنه يترتب على ذلك آثار مختلفه، فإنه من جهه يؤدى إلى تطبيق وترجمه التعاليم والتوصيات الوارده فى هذه الرساله بدقه، ومن جهه أخرى، بما أن محتوى هذه الرساله والبرنامج العسكري للجيش هو الجهاد فى سبيل الله والسير إلى الله، فإن التوصيه بالتقوى من شأنها أن تبعث الروحيه والمعنويه فى أفراد الجيش ويكونوا على استعداد تام لمقاتله العدو والتصدي لقوى الانحراف والضلاله بشكل أقوى.

ثم إن الإمام عليه السلام يشير إلى عشر نقاط عسكريه فيما يتصل بإرسال القوّات إلى ميدان القتال وكيفيه مقاتله الأعداء ومجابهه قوى الباطل والتي هى فى الحقيقه تعتبر من مقدّمات النزال فيما يخص الاستعداد للحرب، ويقول فى البدايه: «وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ».

هذا هو الدستور الأول فى تعاليم الإسلام العسكريه، ويبين روحيه الصلح وطلب السلم للإنسان المسلم الذى لا يحب البدء بالقتال، فما لم يبدأ العدو بالحرب والقتال فلا ينبغى للمسلمين أن يسبقوهم بالقتال، يقول القرآن الكريم فى هذا الصدد: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (١).

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الدستور الثانى والثالث والرابع ويقول: «وَسِرِّ الْبُرْدَيْنِ (٢) ، وَغَوْرُ (٣) بِالنَّاسِ، رَفَّهُ (٤) فِي السَّيْرِ»، أى أن المسير بالجيش ينبغى أن يتزامن مع الأجواء المناسبه فى وقت الصباح والعصر حيث يبرد الهواء نسبياً فى هذين الوقتين، فيما تكون الاستراحه عند وقت الظهيره حيث ترتفع حراره الجو، ومن

ص: ١٤٦

١- (١) . سورة الانفال، الآيه ٦١.

٢- (٢) . «بردين» تننيه «برد» بمعنى البروده ضد الحر، وهذا إشاره إلى الصبح والعصر حيث يبرد الهواء نسبياً وتنخفض درجه الحراره.

٣- (٣) . «غور» من ماده «غور» على وزن «قول» وردت فى المصادر اللغويه بمعنيين، الأول، النوم فى منتصف النهار والذى يعبر عنه بالقيلوله، والثانى، التوغل إلى باطن الشئ وعمقه، وفى الجمله يراد بها الأول، وأحياناً يقصد بهذه المفرده الحمله والهجوم والإغاره أيضاً.

٤- (٤) . «رفه» من «الترفيه» و «رفوه» بمعنى الراحة والهدوء فى الحياه، والرفاه يرد أيضاً كأحد المصادر لهذه المفرده.

البديهي أنّ السير السريع والاستعجال في لقاء العدو بدون ملاحظه حراره الجو وبرودته ووقت الاستراحة من شأنه أن يثير في أفراد الجيش التعب والضعف وبالتالي عدم مقاومه العدو ومجالدته بالشكل المطلوب.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى الدستور الخامس والسادس من هذه التوصيات ويقول: «وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكْنًا، وَقَدَرَهُ مُقَامًا لَأَظْغَانًا، فَأَرِحْ فِيهِ يَدَنَكَ، رَوْحَ ظَهْرِكَ. فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ (١) السَّحَرُ، أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ، فَسِرْ عَلَى بَرَكَهِ اللَّهِ».

وهذا الكلام إشاره إلى ما ذكره القرآن الكريم في أكثر من مورد حيث يؤكد على أنّ الله تعالى جعل الليل مصدرًا للسكون والدعه والراحه: «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكْنًا» (٢)، ومثل هذا المضمون ورد في سورة يونس في الآية ٦٧، وسوره القصص، الآية ٧٣، وسوره غافر، الآية ٦١ وغير ذلك من الآيات الشريفه.

وهنا ربّما يفرض هذا السؤال نفسه وهو أنّ القرآن الكريم ذكر حقيقه أنّ الليل مصدر السكون والراحه للإنسان، في حين أنّ الإمام عليه السلام تحدّث عن بدايه الليل واستثنى وقت السحر.

والجواب على هذا السؤال يتبين من خلال الإلتفات إلى هذه الحقيقه وهي أنّ المراد من الليل جميع ساعاته باستثناء السحر وهو الوقت القليل من آخره، ويستفاد من التعاليم الإسلاميه في العبادات فيما يتصل بصلاه الليل أنّ آخر الليل مستثنى من هذا الوقت، وهو وقت التنبه واليقظه والحركه والجديّه والاستغفار والتوبه، فلا- يشمله مفهوم الليل الذي جعله الله سكوناً كما ورد في الآية الشريفه: «وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ» (٣).

ص: ١٤٧

---

١- (١). «ينبطح» من ماده «بطح» على وزن «فتح» بمعنى الامتداد والتوسع، وجمله «يَنْبَطِحُ السَّحَرُ» يعنى امتدادالسحر وظهور علاماته، وهذه المفرده تأتي أحياناً بمعنى الاضطجاع على الأرض.

٢- (٢). سورة الأنعام، الآية ٩٦.

٣- (٣). سورة آل عمران، الآية ١٧.

وعندما يؤكد الإمام عليه السلام على أول الليل، فالظاهر أن الكثير من الناس عندما يتدثون بعمل معين وقت العصر، فإنهم يستمرون بالعمل إلى ساعات من الليل، فيقول الإمام عليه السلام: عندما يتدثون الليل توقّف عن المسير، وقف للصلاه، ثم عليك بأخذ قسط من الراحة.

وذهب بعض شراح نهج البلاغه إلى أن جملة «رَوْحَ ظَهْرِكَ» إشاره إلى لزوم إراحه الخيل والجمال التي يطلق عليها بالظهر لمناسبه الركوب، وذهب البعض الآخر إلى أنه إشاره إلى الجمال المحمّله بما يحتاجه الجيش من المؤن ولوازم السفر، ولكن لا مانع من أن يكون المراد كلا هذين الأمرين.

وينبغي الالتفات إلى أن أحد معاني «الظهر» الحيوانات التي يحمل عليها الإنسان لوازمه وحاجاته أو يستخدمها للركوب أيضاً، وأما ما ذهب بعض شراح نهج البلاغه إلى أن معنى الظهر يختصّ بالإبل التي تحمل المؤن، أو بالخيل التي يركب عليها الإنسان، فلا وجه له.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الأمر السابع والثامن والتاسع من هذه التوصيات ويقول:

«فَإِذَا لَقِيَتِ الْعِدَّةُ فَفَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَيْطاً، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوٌّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ (١) الْحَرْبَ. وَلَا تَبَاعِدْ عَنْهُمْ تَبَاعِدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ، حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي».

عندما يقف قائد الجيش في الوسط والمحور من القوّات العسكريه فإن ذلك من شأنه أن يمنح أفراد الجيش قوه وعزماً واستقامه في مواجهه العدو، ومن جهه أخرى يتيح له إيصال أوامره وتوصياته إلى أفراد الجيش كافه.

وفى الدستور العاشر يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَتَانُهُمْ (٢) عَلَى قِتَالِهِمْ، قَبْلَ

ص: ١٤٨

---

١- (١). «ينشب» من «النشوب» على وزن «سجود» بمعنى المواجهه والتدخل في عمل الشيء، وأحياناً تأتي بمعنى بدء اشتعال نار الحرب، و«انشاب» من باب إفعال بمعنى غرز المخالب في بدن الطرف المقابل، وأحياناً تأتي بمعنى إشعال نار الحرب.

٢- (٢). «شأن» مصدر بمعنى الخصومه والعداوه.



دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ (١) إِلَيْهِمْ»، أى أنّ حاله العداة والبغض والكراهية للعدو لا- ينبغي أن تكون الدافع على قتالهم قبل الإعدار ودعوتهم للصلاح وإتمام الحجة عليهم.

### تأمل: من هو معقل بن قيس؟

ذكر بعض المؤرخين أنّ معقل كان رجلاً شجاعاً من أهل الكوفة، وكان قائداً لأحد جيوش الإسلام فى زمن عمر بن الخطاب، وكان من شيعه أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام، وقد اختاره الإمام ليكون قائداً على إحدى الكتائب فى الجيش وفى معركة الجمل كان أحد امراء الجيش أيضاً، وأمياً بالنسبه لإيمانه وإخلاصه فى كفى أنّ أمير المؤمنين على عليه السلام عندما اجتمع بالجيش قبل معركة صفين فى منطقه النخيله فى منزل (على مقربه من الكوفة) ألقى الإمام عليه السلام خطبه بجيشه فيما يتصل بالجهاد ضد المتمردىن من أهل الشام، فقال معقل: «وَاللّٰهٖ يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ إِلَّا ظَنِينٌ وَلَا يَتَرَبَّصُ بِكَ إِلَّا مُنَافِقٌ».

وورد فى بعض الروايات أنّ أحد الخوارج ويدعى «مستورد» برز لمعقل فى إحدى المعارك وكان بيد هذا الخارجى رمح وبيد معقل سيف، فطعن مستورد معقلاً برمحه، لكنّ معقل استطاع ضربه بالسيف على رأسه، وسقط الرجلان على الأرض صريعين، وفاز معقل بالشهادة وذهب مستورد إلى جهنم وبئس المصير.

\*\*\*

ص: ١٤٩

---

١- (١). «اعذار» بمعنى اتمام الحجة وايجاد طريق الاعتذار على الطرف المقابل.



إلى أميرين من أمراء جيشه (١)

نظرة إلى الرسالة

تبيّن هذا الرسالة في الحقيقة أمرين: الأول: التوصية التي أمر بها الإمام هذين القائدين في الجيش في اتباع مالك الأشتر والحركة ضمن أوامره وقيادته، والآخر:

تبيّن بعض صفات مالك الأشتر التي جعلته جديراً ولائقاً لقيادته الجيش.

\*\*\*

ص: ١٥١

---

١- (١) . سند الرسالة: وردت هذه الرسالة في تاريخ الطبري (ج ٣، ص ٥٦٤) وفي كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٥٣. وأورد صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه أنّ هذين المؤرخين كانا يعيشان قبل السيد الرضى، وجاء في تاريخ الطبري أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة لزياد بن النضر وشريح بن هانئ من قادة مقدمه جيشه عندما كانا يتوجهان إلى صفين، وعندما اقتربا من جيش معاوية التقيا بأحد أفراد جيشه ويدعى أبو الأعور السلمى ودعياه للالتحاق بجيش الإمام على عليه السلام والطاعة له، ولكنّه لم يقبل بذلك، فوصل خبر هذا اللقاء إلى الإمام عليه السلام فأرسل الإمام مالك الأشتر وجعله قائداً للجيش ومعه هذه الرسالة إليهما.



وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمْ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجْنًا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يَخَافُ وَهُنُّهُ وَلَا سَقَطْتُهُ وَلَا بُطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطُءُ عَنْهُ أَمْثَلُ.

### الشرح والتفسير: مالك الأشتر القائد الفذّ

يشير الإمام عليه السلام في هذه الرسالة التي كتبها إلى زياد بن النضر و شريح بن هانيء أنّ الوظيفة الأولى والمهمّة لهما هي اتباع مالك الأشتر وأنه منصوب من قبل الإمام عليهما وعلى سائر أفراد الجيش، ويقول: «وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمْ (١) مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرُ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا».

ثمّ يضيف عليه السلام: «وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجْنًا (٢) ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يَخَافُ وَهُنُّهُ وَلَا سَقَطْتُهُ (٣) وَلَا بُطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ (٤) ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطُءُ عَنْهُ أَمْثَلُ (٥)».

يستفاد من تعبير الإمام عليه السلام أعلاه أنّ قائد الجيش ينبغي أن يكون مطلعاً محافظاً بشكل تامّ على أفراد جيشه كما يكون الدرع حافظاً لصاحبه من ضربات الحديد، وبذلك يتمكن الجيش من التقليل من خسارته للحدّ الأدنى في القتلى والجرحى.

ص: ١٥٣

- ١- (١) . «حيز» تعنى المكان والناحية، وهى من ماده «الحيازه» بمعنى تملك الشىء والاستيلاء عليه وإحراز الأولويه فى التصرف به.
- ٢- (٢) . «مجنّ» بمعنى الدرع، من ماده «جنّ» على وزن «فن» بمعنى التغطية.
- ٣- (٣) . «سقطه» بمعنى الانحراف والسقوط.
- ٤- (٤) . «احزم» من ماده «حزم» على وزن «نظم» بمعنى تحكيم العمل واتقانه.
- ٥- (٥) . «امثل» بمعنى أفضل.

والنقطة الأخرى في هذه توصيه أن الإمام عليه السلام ذكر فيها أربع خصوصيات يتمتع بها مالك الأشر، بحيث إن القائد العسكري لو اجتمعت فيه هذه الخصال فإنه يكون جديراً بالقيادة ولائقاً بإمره الجيش:

١. أن لا يشعر بالضعف والوهن في مقابل هجوم العدو والظروف الصعبة التي يفرضها الواقع العسكري عليه، بل يتحلّى بالجرأ والاستقامه كالجبل الراسخ أمام العواصف العاتية.

٢. أن لا يخطيء في الحسابات العسكريه بل يأخذ بنظر الاعتبار جميع المواقع لقواته وقوات العدو ويتحرّك وفقاً لما يمليه عليه الواقع الميداني لإحراز النصر على العدو.

٣. إن الدقائق وحتى اللحظات ربّما تكون مصيريّه في حسم المعركه وإحراز النصر، وينبغي للقائد أن يتحرّك بدقه وبسرعه تامه في الوقت المناسب دون أدنى تأخير أو استعجال، فالقائد الفذ يجب أن يعرف هذه اللحظات والدقائق المصيريّه ويتحرّك وفقاً لهذه الخبره والتجربه الميدانيه.

٤. وقد تأتي لحظات في ميدان القتال يكون فيها التباطؤ والتمهل أفضل من العجله والتسرّع، مثلاً عندما يتربّص أفراد الجيش في الكمين لإيقاع العدو في المصيده، فلو تسرّعوا في إيقاعه فربّما يفلت من المصيده ويحسّ بوجود كمين له، ففي مثل هذه الموارد ينبغي التعامل مع الحدث بأعصاب بارده.

ومعلوم أن القائد الذي يتمتع بهذه السمات الأربع هو قائد فذ ولائق لتسّم قياده الجيش وإحراز النصر، وهذه هي الصفات التي كان مالك الأشر يتمتع بها مضافاً إلى الصفات الأخرى أيضاً.

## تأملان

### ١. مالك الأشر المدير والمدبر الشجاع

بالنسبه لمالك الأشر وسيرته وحالته فستتحدّث عنه بإذن الله في شرح الكتاب

المرقم ٥٣ من نهج البلاغه وهو الكتاب المعروف بعهد مالك الأشتر، وهنا نشير فقط إشاره موجزه إلى بعض صفاته وخصائصه الكريمة.

يتحدث ابن أبي الحديد في نهايه هذه الرساله تحت عنوان «تُبَدُّ مِنَ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ» عن بعض المسائل المتعلقة بالإداره وتدير أمور المجتمع، ونقل في هذا المجال كلمات عن شخصيات متعدده، ثم قال في ختام كلامه: لقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام من أصناف الثناء والمدح ما فرقه هؤلاء في كلماتهم بكلمه واحده في الأشتر وهى قوله: «لَا يُخَافُ وَهُنُّهُ وَلَا سَقَطَتْهُ وَلَا بُطُؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعِ إِلَيْهِ أَحْزَمٌ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطُءُ عَنْهُ أَمْثَلُ».

وفى ذيل هذا الكتاب يقول: وقد روى المحدثون حديثاً يدل على فضيله عظيمه للأشتر رحمه الله، وهى شهاده قاطعه من النبى بأنه مؤمن. وذلك عندما كان أبوذر فى الربذه وقد حان أجله وكانت زوجته قد احتارت فى أمر موته وتجهيزه وغسله ودفنه وهى ترى نفسها وحيده فى الصحراء القاحله، فقال أبوذر لها: ما يبكيك، فقالت: ما لى لا أبكى وأنت تموت فى فلاه من الأرض.. فقال: أبشرى ولا تبكى فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثه فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبداً»-وسمعت أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله ليموتن أحدكم بفلاه من الأرض يشهده عصابه من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد مات فى قريه وجماعه وأنا لا أشك فى ذلك الرجل، والله ما كذبت ولا كُذبت، فانظرى الطرق.

قالت ام ذر: قلت: أتى وقد ذهب الحاج وتقطعت الطرق! فقال: اذهبي فتبصرى، قالت: فكنت أشتد إلى الكتيب، فأصعد فانظر، ثم أرجع إليه فأمرضه، فيينا أنا وهو على هذه الحال إذ أنا برجال على ركابهم كأنهم الرّخم تخبّ بهم رواحهم، فأسرعوا إلىّ حتى وقفوا علىّ وقالوا: يا أمه الله! ما لك؟ فقلت: امرء من المسلمين يموت تكفّنونه؟ قالوا: ومن هو؟ قلت: أبوذر، قالوا: صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: نعم، ففدّوه بآبائهم وأمّهاتهم، وأسرعوا إليه حتّى دخلوا عليه، فقال لهم:

أبشروا، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لنفر أنا فيهم: ليموتنّ أحدكم بفلاة من الأرض يشهده عصابه من المؤمنين، وليس من أولئك النفر أحد إلّا وقد هلك في قريه وجماعه، والله ما كذبت ولا كُذبت، ولو كان عندي ثوب يسعني كفنًا أو لامرأتى لم اكفنّ إلّا في ثوب لى أو لها، وأنى أنشدكم الله ألّا يكفّننى رجل منكم كان أميراً أو عريفاً أو بريداً أو نقيباً!

قالت: وليس في أولئك النفر أحد إلّا وقد قارف بعض ما قاله، إلّا فتّى من الأنصار قال: أنا اكفّنك ياعمّ في ردائي هذا، وفي ثوبين معي في عييتى من غزل امّى، فقال أبوذرّ: أنت تكفّننى، فمات فكفّنه الأنصارى وغسّله النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه....

ثم ينقل ابن أبى الحديد عن ابن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب»، أنّ تلك الجماعة حضروا فجأه بعد وفاه أبى ذرّ وكان من جملتهم «حجر بن عدى» و«مالك الأشتر» وحجر بن عدى هو الذى قتله معاويه وكان من كبار رموز الشيعة ورجالهم (١).

وهذا الحديث الشريف يدلّ دلالة واضحة على عظمه أبى ذرّ وكذلك مالك الأشتر، وسيأتى لاحقاً تفصيل أكثر عن هذه الشخصية الإسلاميه العظيمة والذى يعدّ من أخلص أصحاب الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام وقد ذكره الإمام فى أربعة مواضع أخرى من «نهج البلاغه»، منها ما ورد فى الكتاب ٣٤ و ٣٨ والكلمات القصار ٤٤٣ وذيل الكتاب ٥٣ (عهد مالك الأشتر) الذى سوف يأتى تفصيل ذلك لاحقاً إن شاء الله.

## ٢. شريح بن هانىء الحارثى وزياىء بن النضر

سبق وأن ذكرنا أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرساله الموجزه والزاخره بالمعانى لرجلين من قاده جيشه عندما أرسلهما إلى ميدان معركة صفّين، بالنسبه للشخص

ص: ١٥٦

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٠٠ (مع تلخيص).



الأول، يعنى شريح بن هانىء، يقول ابن عبدالبر فى «الاستيعاب»: كان من الأشخاص الذين أدركوا الجاهليه والإسلام وهو من صحابه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومن كبار أصحاب الإمام على صلى الله عليه و آله وأنصاره المقربين الذين رافقوا الإمام فى جميع ميادين الحرب(١).

وذكر الذهبى فى تاريخه: وفى سنه ثمان وسبعين ولى الحجاج عبيدالله بن أبى بكره سجستان فوجه أبا برذعه، فأخذ عليه (على شريح) المضيق، وقتل شريح بن هانىء، وقال القاسم بن مخيمره: ما رأيت حارثياً أفضل من شريح بن هانىء(٢).

أمياً بالنسبه لزياد بن النظر القائد الثانى من قاده جيش الإمام عليه السلام فالمرحوم المحقق النمازى الشاهرودى يقول عنه فى «مستدرک علم رجال الحديث»: كان من أركان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أمره أمير المؤمنين على مدحج والأشعريين وأوصاه بوصايا، فقال: أوصيت يا أمير المؤمنين حافظاً لوصيتك مؤدباً بأدبك، يرى الرشد فى نفاذ أمرك والغى فى تضييع عهدك، فبعث أمير المؤمنين مع شريح ابن هانىء اثنى عشر ألفاً على مقدمته، فلما سارا اختلفا وكتب كل منهما إليه يشكو صاحبه.

ويقول الطبرى فى تاريخه أنه عليه السلام قال للأشتر: اجعل على ميمتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً.. وارسال أمير المؤمنين عليه السلام إياه للاحتجاج مع الخوارج. وأضاف:

ويستفاد من ذلك كله علمه وكمالته وديانته وعدالته(٣).

\*\*\*

ص: ١٥٧

١- (١) . الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٢.

٢- (٢) . تاريخ الإسلام الذهبى، ج ٥، ص ٤٢٣.

٣- (٣) . مستدركات علم رجال الحديث، ج ٣، ص ٤٥٥.



لِعَسْكَرِهِ قَبْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ بِصَفَيْنِ (١)

### نظرة إلى الرسالة

هذه الرسالة حالها حال الرسائل السابقة تتضمن سلسله من التعاليم الأخلاقية والمثل الإنسانية فيما يتصل بالحرب مع العدو، والتعاليم المذكوره هنا تبين روح العطف الإنساني والرافه الإسلاميه، وتدلل على أنه لا ينبغي الغفله عن القيم الأخلاقية في جميع الموارد، حتى في ميدان الحرب، والتوصيات المتداوله في العالم المعاصر بعد مرور أربعة عشر قرناً تعدّ بدايه المسير في طريق الأخلاق

ص: ١٥٩

١- (١). سند الرسالة: صرح صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه أنّ هذه الرسالة نقلت عن الإمام عليه السلام بالتواتر، فقد تحدّث الإمام عليه السلام عدّه مرات بهذه التوصيات لأصحابه وأنصاره، ومن المؤرخين الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى، الطبرى في تاريخه المعروف في سنة ٣٧ عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه بأنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يوصى أنصاره بهذه التوصيات في كل مواجهه وقاتل مع الأعداء، وكذلك نقلها نصر بن مزاحم في كتاب صفين بهذا المضمون، وذكرها المرحوم الكليني أيضاً في كتاب فروع الكافي في كتاب الجهاد من الراوى نفسه (عبدالرحمن بن جندب عن أبيه)، وكذلك نقلها المسعودى في مروج الذهب وابن أعثم الكوفى في كتاب الفتوح؛ ثم أضاف مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ كل هؤلاء الرواه كانوا يعيشون قبل السيد الرضى فلا نحتاج لذكر اسماء الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة عن الإمام عليه السلام بعد السيد الرضى (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢١٧).

والمعنويه، وتتضمن بعض ما ورد في هذه الرساله القيمه من توصيات أخلاقيه، مع أنّ هذه التعاليم المعاصره لم تترجم على أرض الواقع العملي إطلاقاً.

وسنلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يؤكد كثيراً على رعايه النساء وأن لا يلحق بهنّ أيّ ضرر أو أذى حتّى لو شتمن أفراد الجيش الإسلامي، ونطقن بكلمات لا مسؤوله عن قاده الإسلام، وفي هذه التوصيات والإرشادات نرى أنّ أول ما يؤكد الإمام عليه السلام عليه هو أن لا يبتدىء أصحابه بالقتال والحرب، وهذه التوصيه نراها في توصيات الإمام عليه السلام لأصحابه وأتباعه.

\*\*\*

ص: ١٦٠

لَمَا تَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى يَبْدُؤَوكُمْ، فَبِأَنِّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَىٰ حُجَّتِهِ، وَتَزَكَّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدُؤَوكُمْ حُجَّةً أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا كَانَتِ  
الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِرًا، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَىٰ جَرِيحٍ، وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَّيْنَ  
أُمَّرَاءَكُمْ، فَإِنَّهِنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ؛ إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهِنَّ وَإِنَّهِنَّ لَمُشْرِكَاتٌ؛ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ فَيُعَيِّرُ بِهَا وَعَقْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ.

### الشرح والتفسير: فصل آخر من القيم الأخلاقية في الحرب

ثمَّ خلاف بين شراح «نهج البلاغة» والمؤرخين في المخاطبين لهذه الرسالة هل هم أتباعه في معركة الجمل أم في صفين،  
المرحوم العلامة المجلسي في بحار الأنوار (١) يرى أنّ هذه الوصية ترتبط بمعركة الجمل رغم أنّه نقلها في مورد آخر في ما  
يتصل بمعركة صفين، ويرى المسعودي في مروج الذهب أنّ هذه الرسالة تعود إلى معركة الجمل.

وقد ذهب ابن ميثم في شرح نهج البلاغة لإيجاد حلٍّ لهذه المشكله وقال:

«إنّ عليه السلام كان يوصي أصحابه في كلّ موطن يلقون العدو فيه بهذه الوصية».

وذكر نصر بن مزاحم في كتاب صفين والطبري في تاريخه قبل ابن ميثم هذا المعنى أيضاً، وبما أنّ محتوى هذه الرسالة يمثل  
دستوراً عاماً للجيش الإسلامي،

ص: ١٤١

فلا يبعد أن يكون هذا الكلام صحيحاً.

وعلى أية حال فالإمام عليه السلام فى هذه الرسالة يؤكد على خمسة أمور:

الأول: يقول عليه السلام: «لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبِيدُوا وَكُفُّوا، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّتِهِ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبِيدُوا وَكُفُّوا حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ»، فأنتم من أتباع إمام يتفق على مشروعته وحقانيته البارى تعالى وجميع المؤمنين، فلا يكون بدؤكم بالقتال حجة لهم ضدكم، وترككم لهم حتى يكون البادىء هو العدو يمثل حجة أخرى تدعم موقفكم ومشروعيتكم وحقانيتكم.

وهذه التوصية قد تقدّم بها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أيضاً لجيش الإسلام وكانت نتيجة ذلك كما بينه الإمام عليه السلام فى هذا الكلام أن جيش الإسلام يمتلك حجّتين وبرهانين ضدّ العدو، الأول أنه تابع للنبى الأكرم أو الإمام الذى يتمتع بمشروعته وحقانيته تقوم على أساس الموازين الصحيحة والمنطقية، والآخى أن العدو عندما يتبدىء الحرب والقتال يقدم عملياً دليلاً آخر ضده، لأنه يكون سبباً فى قتل الأبرياء والسعى فى إشعال نار الفتنة وإيجاد الفساد فى الأرض وبالتالي يكون مصداقاً لمن حارب الله ورسوله، لأنّ كلّ شخص جرّد السلاح على الأبرياء من الناس وسفك الدماء، فهو محارب، وحينئذ سيكون مشمولاً للآية الشريفة: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً...» (١).

ومضافاً إلى ذلك يكون مصداقاً للآية الشريفة: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ» (٢).

ثم إن الإمام عليه السلام يتحدّث عن ثلاث توصيات مهمّة فى هذه المجال ويقول:

«فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِرًا» (٣)، وَلَا

ص: ١٦٢

١- (١). سورة المائدة، الآية ٣٣.

٢- (٢). سورة البقرة، الآية ١٩٤.

٣- (٣). «معور» فى الأصل من مادة «عار» و«عور» على وزن «غور» بمعنى العيب والنقص، ثم اطلقت على المناطق الضعيفة والنقاط القابلة للنقص، والمعور: الشخص الذى لا يستطيع الدفاع عن نفسه ويتعرّض للضرر فى مقابل هجوم مخالفه، وسميت الآله التناسليه بالعوره لأنّ اظهرها يورث العيب والعار لصاحبها.

تُجْهِزُوا(١) عَلَى جَرِيحٍ».

إنّ هذه التوصيات الثلاثة تتسم بالطابع الأخلاقي بشكل كامل لأنّ الغرض من الحرب هو كسر مقاومه العدو والتصدّي لحركته، لا مجرد الانتقام، فالشخص الذى فرّ من الميدان وترك القتال فلا معنى لقتله، وكذلك الشخص العاجز الذى عجز عن المقاومه فإنّ الاجهاز عليه وقتله يتنافى مع المثل الإنسانيه والقيم الأخلاقيه، كالشخص الذى فقد سلاحه فى المعركه أو عجز عن القتال وحمل السلاح ضدّ الجيش الإسلامى، فلا يمثّل خطراً على أفراد الجيش، ومن هذا القبيل الجريح الذى سقط ولم تبق له قدره على المقاومه والقتال، فالاجهاز على مثل هؤلاء يتقاطع مع المبادئ الإنسانية.

ويشير العلّامة التستري فى شرح نهج البلاغه هذا السؤال هنا، وهو أنّه يستفاد من بعض الروايات كالروايه التى ينقلها الكلينى فى (الجزء الخامس من الكافى) أنّ الإمام على عليه السلام أصدر مثل هذا الأمر فى معركه الجمل وأصدر أمراً بخلافه فى معركه صفين وأذن بقتل الهاربين والمجروحين.

ولكن ورد فى روايه أخرى الجواب عن هذا السؤال، فالإمام الصادق عليه السلام يقول:

«لَيْسَ لِأَهْلِ الْعِدْلِ أَنْ يَتَّبِعُوا مُدْبِرًا وَلَا يَقْتُلُوا أَسِيرًا وَلَا يُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ وَهَذَا إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِ الْبُغْيِ أَحَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فَتْنَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا، فَإِذَا كَانَ لَهُمْ فَتْنَةٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا فَإِنَّ أَسِيرَهُمْ يُقْتَلُ وَمُدْبِرُهُمْ يُتَّبَعُ وَجَرِيحُهُمْ يُجْهِزُ عَلَيْهِ»(٢).

وخلاصه الكلام أنّ رعايه هذه المبادئ الإنسانية والقيم الأخلاقيه فى الحرب، ترتبط فى موارد يكون جيش العدو قد منى بالهزيمه وتبعثرت قواه وقدراته القتاليه

ص: ١٦٣

١- (١). «لا- تُجْهِزُوا» من «الاجهاز» بمعنى التسريع وقتل المجروحين وإنهاء حياتهم، وهذا يشبه ما يطلق عليه حالياً برصاصه الرحمه.

٢- (٢). الكافى، ج ٥، ص ٣٣، ح ٢.

ولا- يحتمل فى شأنه العوده إلى الحرب والهجوم مرّه أخرى، ونعلم أنّ العدو فى معركة الجمل كان قد مُنى بالهزيمه بحيث لا يحتمل أن يعود للقتال مرّه أخرى.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه ويتعرض لبيان التوصيه الخامسه حيث يقول: «وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبَبْنَ أُمْرَاءَكُمْ».

ويبين الإمام عليه السلام بعد ذلك علّه هذه التوصيه ويقول: «فَأِنَّهِنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ».

بما أنّ النساء يفقدن قدره على القتال والمواجهه العسكريه، فذلك من شأنه أن يكرّس الحقد فى قلوبهنّ فينطلقن بالسبّ والشتم للتنفيس عن هذا الحقد وإبراز العداء للطرف المقابل، وبما أنّ النسوه يتمنّعن بنفس ضعيفه وعقل ضعيف فستكون ترجمه انتقامهنّ من خلال السبّ والشتم والكلمات البذيئه، ولذلك لا ينبغى على ذوى العقل والحجى أن يردّوا عليهنّ بالمثل ويطلقوا ألسنتهم بالسبّ والشتم أيضاً، والمفروض أن يسمحوا لهنّ بتفريغ شحنات الغضب والحقد المكبوت من خلال السبّ والشتم حتّى تهدأ نفوسهنّ وتسكن عواطفهنّ، ومعلوم أنّ مواجهه مثل هذه النسوه بكلام مماثل فى مقابل كلماتهنّ من شأنه أن يثير فى أنفسهنّ العداوه والبغضاء أكثر ويهيج انفعالهنّ ضدّهم وربّما يدفعهنّ إلى الكفر.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى سيره الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسنته فى مقابل نساء المشركين ويقول: «إِنَّ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهِنَّ وَإِنَّهِنَّ لَمُشْرِكَاتٌ» أى فى زمان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطه ثالثه فى هذ المجال ويقول: «وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لِيَتَنَاوَلَ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّهِ بِالْفَهْرِ (١) أَوْ الْهَرَاوِهِ (٢) فَيَعَيِّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ (٣) مِنْ بَعْدِهِ».

ص: ١٦٤

١- (١). «فهر» بمعنى قطعه من الحجر الصافى والأملس بمقدار قبضه اليد، و «فهر» على وزن «شعر» تطلق على الأحجار التى تطحن بها الأدوية.

٢- (٢). «هراوه» بمعنى قطعه من الخشب كالعصا الغليظه.

٣- (٣). «عقب» الولد سواء كان ذكراً أم انثى.



فإذا كان الناس في عصر الجاهلية يقفون هذا الموقف من المرأة، وعندما يؤمر المسلمون بحفظ النفس وعدم الانفعال في مقابل المشركين، ففي عصر ظهور الإسلام وفي مقابل النسوة المسلمات الجاهلات يكون من الضروري ضبط النفس واللسان بطريق أولى.

وعندما يأمر الإمام عليه السلام أفراد جيشه بهذا الأمر الأخلاقي في مقابل النساء، فإنه بنفسه قد سبق الآخرين بالعمل بهذه التوصية وتجسيدها على أرض الواقع، فقد ورد في تاريخ معركة الجمل أنه عندما انتصر الإمام عليّ عليه السلام وجيشه على المتمردين والناكثين، وبينما كان عليه السلام يسير في أزقه البصره، كانت زوجته عبدالله بن خلف (أحد رجال البصره المعروفين) واقفه أمام باب بيتها فالتفتت للإمام وقالت: «يا قاتل الأَحَبِّه لا مَرْحَباً بِكَ أَيُّمَ اللهُ مِنْكَ وَلَمَدَكَ كَمَا أَيُّتَمَّتْ بَنَى عَبْدِاللهِ بْنِ خَلْفٍ» فلم يرد عليه السلام عليها، ولكنّه وقف وأشار إلى ناحيه من دارها، ففهمت إشارته، فسكتت وانصرفت، وكانت قد سترت عندها عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم، فأشار إلى الموضوع الذي كانا فيه، أي لو شئت أخرجتهما! فلما فهمت انصرفت، وكان الإمام عليه السلام حليماً كريماً(١).

## تأملان

### ١. مكانه المرأة في نهج البلاغه

يلاحظ القارئ لكتاب نهج البلاغه أنّ الإمام عليه السلام يذمّ النساء في عدّه موارد من الخطب والرسائل والكلمات القصار، وقد فسّر بعض الجهلاء ذلك على أساس الضديّه للنساء وأنّ الإمام عليه السلام يتخذ موقفاً سلبياً منهنّ، في حين أنّ الشواهد والقرائن التي تقترن مع كلمات الإمام عليه السلام تشير إلى أنّ الإمام كان ناظراً لمجموعه خاصه من النسوة، مثلاً وردت بعض هذه العبارات بعد معركة الجمل حيث كانت إحدى

ص: ١٦٥

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٠٥.

زوجات النبيّ قد عملت على إشعال نيران هذه الحرب الضروس، وهذا يشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان ناظراً لمثل هذه المرأه التي انحرفت عن مسارها الصحيح وأضحت آله بيد الانتهازيين والعاملين في الشأن السياسي كطلحه والزبير وهو الأمر الذي أدى إلى سفك دماء آلاف المسلمين، وبعد أن خمدت نيران الحرب قام الإمام عليه السلام بإرسال هذه المرأه بغايه التكريم احتراماً للنبيّ الأكرم صلى الله عليه و آله مع أخيها وجماعه من الحرس إلى المدينه.

وفي رساله مورد البحث أيضاً يتحدّث الإمام عليه السلام عن النسوه اللاتي يفتحن أفواههنّ بالسبّ والشتم وينطلقن من مواقع الانفعال ومواجهه جنود الإسلام بكلمات بذيئه، ويصفهنّ بأنهن ضعاف العقول والنفوس.

فلو أخذنا بنظر الاعتبار القرائن الحاليه والمقاله في مثل هذه الموارد، فسوف يتبيّن الجواب عن هذه الإشكالات وعلامات الاستفهام.

ولذلك ورد في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام في كتاب أصول الكافي أنّه قال بعد الإشاره إلى وجود العيب والنقص في طائفه من النسوه: «إِلَّا الْمُسْلِمَاتُ مِنْهُنَّ»<sup>(١)</sup>.

وفي آخر عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال: «الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ غَيْرِ صَالِحٍ»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في حديث مفصّل عن الإمام الصادق عليه السلام في كتاب الكافي تقسيماً جلياً للنساء، حيث يقرّر الإمام الصادق عليه السلام أنّ فئه من النسوه سبب لسعاده الرجال، وفئه أخرى منهنّ يورثن الندم والخسران يقول: «فَمَنْ يَظْفَرُ بِصَالِحِهِنَّ يَسْعَدُ وَمَنْ يُغَيِّبُ فَلَيْسَ لَهُ انْتِقَامٌ»<sup>(٣)</sup>.

ص: ١٦٦

١- (١). الكافي، ج ٥، ص ٥٠٥، ح ٤.

٢- (٢). وسائل الشيعه، باب ٨٩ من أبواب مقدمات النكاح، ح ٢.

٣- (٣). الكافي، ج ٥، ص ٣٢٣، ح ٣ باب أصناف النساء.

وهذه الروايات الثلاث المذكوره أعلاه، وكذلك روايات أخرى في هذا الباب من كتاب الكافي (باب أصناف النساء) تشكل قرينه واضحه على ما اخترناه من تفسير كلام الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغه فيما يتصل بخصال النساء وأخلاقهنّ.

## ٢. الخلق الإسلامي في مقابل العدو

إنّ ما ورد في رساله أعلاه وبعض الرسائل السابقه واللاحقه أيضاً يبيّن بوضوح منهج الإسلام في مواجهه العدو والأخلاق التي ينبغى للمجاهد المسلم أن يتحلّى بها في ميدان المعركه، وهذا المنهج الذي يؤكّد على المعايير السليمه والقيم الأخلاقيه في مقاتله الأعداء يتقاطع مع ما نراه في المناهج المادّيه ومنهج أعداء الإمام عليه السلام الذين لا يراعون أيّ قيد وشرط في ميدان القتال، ولا يلتزمون بأية قيمه أخلاقيه في ساحه المواجهه، فتراهم يستخدمون أسوأ الوسائل ويرتكبون أبشع الأعمال من أجل الوصول لغاياتهم وتحقيق أهدافهم، ويسحقون أعلى المثل الإنسانيه والأخلاقيه تحت أقدامهم إذا لم تتحقّق لهم طموحاتهم، وهذا التباين والتفاوت يمكن ملاحظته بوضوح من خلال نمط وأسلوب الإمام عليّ عليه السلام وأسلوب معاويه في السجال التاريخي بينهما.

وقد ذهب بعض المحللين في الماضي والحاضر من الذين تأثّروا بالمذاهب الماديه والمصلحيه أنّ هذا التفاوت يعدّ دليلاً على أفضليته سياسه معاويه على سياسه الإمام عليه السلام.

وهنا لا بأس بالإشاره إلى كلام للجاحظ في هذا المجال حيث يقول: ربّما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل والتحصيل والفهم والتمييز وهو من العامه، ويظنّ أنّه من الخاصه، يزعم أنّ معاويه كان أبعد غوراً من عليّ عليه السلام وأصحّ فكراً وأجود رؤيه وأبعد غايه وأدقّ مسلكاً، وليس الأمر كذلك وسأرمي إليك بجمله تعرف بها موضع غلظه والمكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله، كان عليّ عليه السلام لا يستعمل في حروبه

إلّا ما وافق الكتاب والسنة، وكان معاويه يستعمل خلاف الكتاب والسنة كما يستعمل الكتاب والسنة، ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها، ويسير في حروبه بسيره ملك الهند إذا لاقى كسرى، وسيره خاقان إذا لاقى رتييل، وعلى يقول في حروبه: «لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، ولا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً» هذه سيرته في ذى الكلاع وأبي الأعور السلمى وعمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وفي جميع الرؤساء، كسيرته في الحاشيه والحشو والاتباع والسفله، وأصحاب الحروب إن قدروا على البيات يتتوا وإن قدروا على رضخ الجميع بالجنادل وهم نيام فعلوا، وإن أمكن ذلك في طرفه عين لم يؤخروه إلى ساعه، وإن كان الحرق أعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق، وإن أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار، ولم يدعوا أن نصبوا المجانيق والعرادات، والنقب والتسريب والدبابات والكمين، ولم يدعوا دس السموم ولا التضريب بين الناس بالكذب وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور ويجاش بعض من بعض وقتلهم بكل آله وحيله، وكيف وقع القتل، وكيف دارت بهم الحال، فمن اقتصر من التدبير على ما فى الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكائد، والكذب أكثر من الصدق، والحرام أكثر من الحلال.

فعلّى عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلى ما هو لله رضى، وممنوع اليدين من كل بطش إلّا ما هو لله رضى، ولا يرضى الرضا إلّا فيما يرضاه الله ويحبّه، ولا يرى الرضا إلّا فيما دلّ عليه الكتاب والسنة، دون ما يقول أصحاب الدهاء والنكراء والمكائد والآراء، فلما أبصرت العوامّ كثره غرائب معاويه ظنّوا بقصر عقولهم وقلة علومهم أنّ ذلك من رجحان عند معاويه ونقصان عند على عليه السلام (1).

والنقطه المهمه هنا والتي لا ينبغى الغفله عنها، هي أنّ الإمام على عليه السلام وجميع

ص: ١٦٨

١- (١). شرح نهج البلاغه العلامة التستري، ج ١٣، ص ٥١٤.

الأولياء الإلهيين كانوا يهدفون في سلوكياتهم في الشأن السياسي والاجتماعي إلى حفظ القيم والمثل الإنسانية، ويرجحونها حتى على النصر في ميدان القتال، لأنّ مثل هذا النصر على العدو مؤقت، بينما القيم والمثل الإنسانية باقية، فلو نظرنا من هذه الزاوية إلى منهج الأنبياء والأولياء فسيتبين الجواب عن الكثير من الأسئلة وعلامات الإستفهام في هذا المجال.

على سبيل المثال يتساءل البعض: لماذا لم يقتل الإمام عليّ عليه السلام عمرو بن العاص وبسر بن أرطاه عندما تمكّن منهما وكان قادراً على أن يخلص المجتمع الإسلامي من وجودهما، لمجرد أنّ هذين الرجلين كشفا عن عورتها؟

الجواب: إنّ الإمام عليّ عليه السلام يرى أنّ حفظ القيم الأخلاقية في هذه الأمور أولى من قتل العدو، وربّما لا يستطيع الكثير من الناس تحمّل مثل هذا الموقف وحفظ التعاليم الإلهية والإنسانية من موقع الوعي والالتزام.

وفي عالمنا المعاصر نسمع الكثير من لزوم حفظ القيم والمبادئ الإنسانية في ميادين الحرب، ولكن الكثير من الأسلحة التي تعتبر من جملة الأسلحة الممنوعة والمحرمه دولياً، وقد صدر المنع من استخدامها ضدّ المدنيين ومنع التعامل غير الإنساني مع الأسرى، ولكننا نرى مراراً في تاريخنا المعاصر عدم الالتزام بأيّ من هذه القوانين في حالات الحرب من قبيل استخدام أسلحة الدمار الشامل كالقنابل الذرية والأسلحة الكيماوية ضد المدنيين والعزل من الناس وتعذيب الأسرى بمختلف صنوف العذاب، ويمكن القول إنّ مثل هذه الأعمال تصدر من قبل الفئات والجهات التي تدّعي الدفاع عن حقوق الإنسان أكثر من الفئات التي لا تعترف بها، وهذا بذاته يعتبر عملاً شنيعاً ومنكراً، لأنّ الإنسان عندما يدّعي الدفاع عن القيم وحقوق الإنسان ثمّ يرتكب خلاف ذلك على مستوى العمل والتطبيق، فهذا يعنى النفاق، وأنّ مثل هؤلاء الأشخاص هم منافقون.

\*\*\*



كان يقول إذا لقي العدو محارباً (١)

### نظرة إلى الرسالة

يتحدث الإمام عليّ عليه السلام في هذا الدعاء عن خلجات روحه تجاه الحرب ويبرز استيائه الشديد منها، ويشكو إلى الله ورسوله صلى الله عليه وآله من كثرة الأعداء وتفريق المسلمين عن حقهم، وأخيراً يسأل الله تعالى إقامة الصلح والعدالة وإنهاء الحروب والقتال.

هذا كله يشير إلى أنّ الإسلام لا يؤيد الحرب إطلاقاً، ويعتبر أنّ الحرب أمر مفروض على البشر، لأنّ الأضرار والخسائر الوخيمة للحرب ربّما تمتدّ لثقال الأجيال اللاحقه أيضاً، وخاصّه في الحروب المعاصره التي تتسع آثارها المدمره

ص: ١٧١

---

١- (١). سند الدعاء: هذا الدعاء ورد في عدّه مصادر معروفه قبل المرحوم السيّد الرضى، ومنها كتاب صفين لنصر بن مزاحم حيث نقله بأربعه أسانيد عن الإمام عليّ عليه السلام وفيه اضافات معتبره أكثر مما أورده السيد الرضى. وقد ذكر المرحوم الشيخ المفيد أيضاً في كتاب النصره وقال: إنّ الإمام عليه السلام دعا بهذا الدعاء يوم الجمل. وفي كتاب صفين لعبد العزيز بن يحيى الجلودى أيضاً طبقاً لنقل المرحوم العلّامة المجلسى. (والسيّد ابن طاووس في مهج الدعوات). أنّ الروايات أعلاه تشير أحياناً إلى أنّ هذا الدعاء ورد في معركة الجمل وأحياناً أخرى في معركة صفين ويوم الهير، ويستفاد من بعضها أنّ الإمام عليه السلام كان عندما يريد الورود إلى ميدان القتال في كل مرّه يقرأ هذا الدعاء (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٢٠).

إلى مديات قصوى أكثر بكثير من الماضى.

على سبيل المثال؛ نرى أنّ الحرب العالميه قد انتهت قبل عقود من الزمان ولكن لحدّ الآن يوجد الملايين من المعلولين والمتضرّرين من هذه الحرب فى مختلف بلدان العالم.

\*\*\*

ص: ١٧٢



اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَشَخَّصَتِ الْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الْأَبْدَانُ. اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْنُونُ السَّنَانِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَهُ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عِدُوِّنَا، وَتَشْتَتُّ أَهْوَانِنَا «رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ».

### الشرح والتفسير: دعاء جامع في ساحه القتال

كما تقدمت الإشارة إليه أنّ الإمام عليه السلام كان يقرأ هذا الدعاء عندما يواجه العدو في ميدان الحرب، وهذا يدلّ على أنّ الإمام عليه السلام يهدف من ذلك لفت نظر أتباعه إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ الغرض من الحرب ليس تحقيق الغلبة والنصر على العدوّ للتوصيل إلى الثروة والمقام ونيل المطامع الدنيوية، بل هو جهاد في سبيل الله ومن أهم العبادات الدينيه، وينبغى أن يبتدىء المجاهد في حركته في ميدان القتال باسم الله عزّ وجلّ ويطلب منه النصر على العدوّ، ويخطو في هذا السبيل بتيه خالصه وبقلب مفعم بالعشق الإلهي، ويهجم على العدو من موقع الاستقامه والإيمان والإخلاص.

يقول الإمام عليه السلام في مطلع الدعاء: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ (١) الْقُلُوبُ وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ وَشَخَّصَتِ (٢) الْأَبْصَارُ وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ وَأُنْضِيَتِ (٣) الْأَبْدَانُ».

ص: ١٧٣

- ١- (١). «أفضت» من «الإفضاء» و «فضاء» بمعنى الوصول إلى الشيء، وكأنه ورد في دائره فضائه وأجوائه.
- ٢- (٢). «شخصت» من «الشخوص» بمعنى تحديق العين بالشيء بحيث أنّ سواد العين ثابت والجفن لا يتحرك.
- ٣- (٣). «أنضيت» من «الإنضاء» بمعنى إضعاف بدن الإنسان أو الحيوان وجعله نحيفاً، وتأتى بمعنى الاستنزاف والاستهلاك والإساءه أيضاً.

وهذا إشاره إلى أنّ الهدف النهائي للحرب مع قوى الباطل هو طلب رضا الله تعالى، وأنا في كلّ خطوه نخطوها في هذا الطريق، فهي من أجلك وباتجاهك.

أجل، فالمجاهدون المسلمون يهدفون من جميع أعمالهم وبرامجهم نيلاً رضا الله تعالى وامتنال أمره، ولذلك يقول القرآن الكريم:

«مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ \* وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (١).

ثم إنّ الإمام عليه السلام في سياق هذا الدعاء يشير إلى الباعث لهذه الحرب لدى العدو ليعلم أفراد الجيش الإسلامي بحقيقته الأمر فيكونوا على بينه من مواقعهم وغاياتهم ويقول: «اللَّهُمَّ قَدْ صَرَخَ مَكْنُونُ الشَّنَانِ، وَجَاشَتْ (٢) مَرَاجِلُ (٣) الْأَضْغَانِ (٤)».

وهذا إشاره إلى أنّ عناصر الحقد والبغضاء لدى هؤلاء الأعداء، والتي بقيت مكبوتة منذ زمان الجاهلية وصدر الإسلام بسبب ما حقّقه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من النصر المؤزر عليهم، قد تجلّت وظهرت في هذا الوقت، لأنّهم وإن أظهروا الإسلام وادّعوا الإيمان حسب الظاهر، ولكنّهم مازالوا يخفون الحقد والعداوة في قلوبهم وقد وجد هؤلاء المنافقون الأرضية الخصبة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لإبراز حقدهم الدفين وإظهار ضغائنهم ضدّ الإسلام والمسلمين.

فمن ينكر أن معاوية وهو ابن أبي سفيان العدو الأوّل للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وابن هند

ص: ١٧٤

١- (١). سورة التوبة، الآيتان ١٢٠ و ١٢١.

٢- (٢). «جاشت» من مادة «جيش» على وزن «عيش» بمعنى الغليان، وهذا المفردة تطلق على الغليان الظاهري للأشياء وكذلك الغليان المعنوي والباطني، مثل غليان الغم والحزن في داخل الصدور.

٣- (٣). «مراجل» جمع «مرجل» على وزن «منبر» بمعنى القدور.

٤- (٤). «أضغان» جمع «ضغن» وهو الحقد.

المعروفه بأكله الأكباد، وأنصاره وأتباعه من المنافقين وأعداء الإسلام كانوا فى عصر ظهور الإسلام يواجهون الرساله الإلهيّه من موقع الحق والعداء الشديد وقد خلّفت المعارك فيهم أحقاداً بدرية وحنينيه وغيرها.

وهذه الحقيقه بمثابه الدرس لأصحاب وأنصار الإمام عليه السلام ليعلموا من يقاتلون ولأىّ غرض يجاهدون.

وفى ختام هذا الدعاء يلتجىء الإمام عليه السلام مرّه أخرى إلى رحمه الله ولطفه ويعكس ذلك صفاء قلبه ونورانيه باطنه وحبّه لجميع الخلائق حتى الأعداء منهم، ويقول: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَهُ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشْتَتِ أَهْوَانِنَا» (١) «رَبَّنَا افْتَحْ (١) بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» (٢).

وهذه العبارات تعتبر غايه ما يعيشه الإمام علىّ عليه السلام من حالات اللطف والمحبه حتّى بالنسبه للأعداء والمنحرفين والضالّين حيث يعبر عنهم: «قَوْمِنَا» وقوله: «غَيْبَهُ نَبِيِّنَا، وَتَشْتَتِ أَهْوَانِنَا» بدلاً من قوله «ربنا انصرنا» وكذلك ما ورد من هذه العبارات «غَيْبَهُ نَبِيِّنَا» و «وَكثْرَةَ عَدُوِّنَا» و «وَتَشْتَتِ أَهْوَانِنَا» كلّها تشير إلى أنّ الغرض الأقصى للإمام علىّ عليه السلام يتلخّص إلى جذبهم إلى طريق الحق والصواب وأن يتحد المسلمون صفّاً واحداً فى مقابل الأعداء.

\*\*\*

ص: ١٧٥

- 
- ١- (١). «افتح» من ماده «فتح» تأتى أحياناً بمعنى النصر وأخرى بمعنى فتح الباب أو القفل، وثالثه بمعنى التحكيم، وكلّها تشترك بنوع من فتح الشىء المغلق.
- ٢- (٢). سورة الأعراف، الآية ٨٩.



لأصحابه عند الحرب (١)

### نظرة إلى الرسالة

إن هذه الرسالة، والأصح هذا الكلام، لأمر المؤمنين عليه السلام الذي تحدّث فيه لأصحابه في ميدان الحرب يهدف لبيان فنون القتال وأسرار المجابهة والنصر على العدو لأصحابه وأنصاره، وقد رأينا فيما تقدّم من التوصيات العسكريه أنّها تمثّل تعاليم لكيفيه الحركه والتوجه إلى ميدان القتال واتخاذ المواقع الحسيّاسه في مقابل العدو، والإمام في هذه الكلام يبيّن فنون الحرب والقتال لأنصاره وجنوده، وفي المقطع الأخير من هذا الكلام يطرح الإمام عليه السلام في الحقيقه جواباً عن سؤال ربّما يثيره البعض من أصحابه أو يدور في خلجات قلبه، ويجب عنه بأننا عندما نقاتل معاويه وأعوانه وأنصاره فإنّ ذلك لا يعتبر حرباً ضدّ المسلمين، فلو أنّ بنى اميه

ص: ١٧٧

---

١- (١). سند الرسالة: هذا الكلام في الحقيقه يمثّل مقطعاً من كلام الإمام عليه السلام لأصحابه في أحد أيام معركة صفين، ويستفاد من كلام ابن أبي الحديد أنّه استمرار للخطبه ٦٢ (وفقاً للترقيم الوارد في نهج البلاغه لصباحي الصالح الخطبه ٦٤). وعلى أيه حال فمن جمله الأشخاص الذين نقلوا هذه الخطبه قبل السيد الرضى المرحوم الشيخ الكليني في كتاب الكافي، كتاب الجهاد في عدّه عبارات، وذكر نصر بن مزاحم أيضاً في كتاب صفين مقطعاً منه، والعجب أنّ الوارد في كتاب نهج البلاغه الكامل مقطع من هذا الكلام لا كله، (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٣٢).

وعلى رأسهم أبا سفيان أظهروا الإسلام في الماضي فإنهم في الحقيقه يتظاهرون بالإسلام ويتقنعون بالإيمان، ولذلك عندما وجدوا أعواناً وأنصاراً لإظهار الكفر والشرك ونزع رداء الإسلام لم يمتنعوا من الإعلان عن نواياهم والبوح بمكنوناتهم.

\*\*\*

ص: ١٧٨

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطَّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا وَادْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعِينِ الدَّعَسِيِّ، وَالضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ، وَأَمِيتُوا الْمَاصُوتَ، فَإِنَّهُ أَطْرُدُ لِلْفِشْلِ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأ النَّسِيمَةَ، مَا أَسِيلُمُوا وَلَكِنْ اسْتَسَلَّمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ.

### الشرح والتفسير: تقوية عزائم الجند

يبين الإمام عليه السلام في هذا الكلام الدقيق والزاهر بالمضامين العميقة، ست توصيات عسكرية مهمّة وبعبارات بليغة ومقتضبة.

يقول الإمام عليه السلام في التوصية الأولى والثانية: «لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ (١) بَعْدَهَا كَرَّةٌ (٢)، وَلَا جَوْلَةٌ (٣) بَعْدَهَا حَمَلَةٌ».

والمقصود من الجملة الأولى أنّ المقاتلين أحياناً تفرض عليهم الظروف والتحديات الصعبة التراجع والانسحاب المؤقت فيتوهم العدو وجود ثغره وضعف فيكم فيسارع في ملاحقتكم، وفجأه يعود أفراد الجيش إلى تماسكهم ويحملوا

ص: ١٧٩

١- (١). «فَرَّةٌ» وتعنى المرّة من الفرار.

٢- (٢). «كَرَّةٌ» بمعنى المرّة من العوده الهجوم على العدو، ومن هنا سمي الإمام على عليه السلام بالكّرار لأنّه كان يكثر من العوده إلى العدو والهجوم عليه.

٣- (٣). «جَوْلَةٌ» بمعنى الدوران في الميدان والتحرك من هذه الجهة إلى تلك. (وهذه المفردة تأتي بمعنى المصدر واسم المصدر أيضاً، وذهب بعض إلى أنّ «جَوْلَةٌ» تعنى الفرار لمده قصيره، ولكن مع الالتفات إلى سياق كلام أمير المؤمنين عليه السلام أعلاه فإنّ هذا المعنى مستبعد.

حملة واحده على العدو ويحطّموا قواه ويبعثوا صفوفه، وهذا فى الحقيقه نوع من الانسحاب التكتيكي المتداول فى الحروب المعاصره، وأحياناً يكون الإصرار على المقاومه والثبات فى أرض المعركه يكلف الجيش غالباً ولذلك يقول الإمام عليه السلام:

لأنّ أسفوا على مثل هذا الفرار والتراجع الذى يستتبع الهجوم الصوله على العدو، ويشير الإمام عليه السلام فى الجملة الثانيه إلى حالات الجوله من هذه الجهه قبل ابتداء الهجوم، لأنّ الفارس الشجاع أحياناً يضطرّ لتغيير مواقعه فى ميدان القتال للعثور على موقع مناسب للهجوم على العدو، فيعثر على المنفذ المناسب للحملة أو يتراجع لغرض إنهاك العدو واستنزاف طاقاته وأتاعبه، وعلى ضوء ذلك فلا إشكال فى الفرار الذى يتبعه هجوم، ولا فى الجولات وتغيير المواقع التى تستتبع إيجاد ثغره فى صفوف العدو والنفوذ منها لتحطيم قواه وقدراته الدفاعيه.

وبعبارة أخرى أنّ بعض الأشخاص المغرورين تصوّروا أنّ الفرار يعدّ عيباً ونقصاً كيف ما كان، وكذلك تأخير الهجوم على العدو بجولات متعدده، فى حين أنّ كلّاً من هذه الأمور لا يعدّ عيباً أو نقصاً، بل هو نوع من أساليب المواجهه التى تضمن فى الكثير من الموارد النصر على العدو.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يأمر فى التوصيه الثالثه والرابعه ويقول: «وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا، وَوَطَّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا(١)».

يعدّ السيف أهم سلاح يستخدم فى ميدان القتال فى ذلك العصر، فعندما يواجه الفارس العدو بسيفه فينبغى الاستفاده القصوى من هذا السلاح وأداء حقه فى الضرب والطعن.

وجمله «وَوَطَّئُوا لِلْجُنُوبِ...» إشاره إلى أنّ ضرباتكم للعدو يجب أن تكون من الشده بدرجه تستتبع سقوط العدو على الأرض فى الضربات الأولى وكأنكم بهذا الضرب المتوازي والشديد قد أعددتهم سلفاً مصارع أفراد العدو وأماكن سقوطهم

ص: ١٨٠

---

١- (١). «مصارع» جمع «مصرع» بمعنى محل سقوط الشخص.



على الأرض صرعى.

واحتمل البعض أنّ هذا الكلام إشارة إلى مواطن أفراد الجيش الإسلامى، يعنى أنكم فى الوقت الذى ترومون تحقيق النصر على العدو ينبغى أن تكونوا مستعدين للشهاده فى سبيل الله وتوطئوا لأنفسكم مكاناً لمصرعكم وسقوطكم على الأرض شهداء فى سبيل الله.

ولكن مع الالتفات إلى ما ورد فى الجملة السابقه والجملة اللاحقه فإنّ هذا المعنى بعيد، لأنّ كلتا الجملتين تدعوان الجند إلى بانزال ضربات قاصمه بالعدو.

وفى التوصيه الخامسه والسادسه، التى تقع أيضاً فى سياق الحديث عن الضربات القاصمه على العدو يقول الإمام عليه السلام: «وَأذْمُرُوا (١) أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ (٢) الدَّعْسِ (٣) ، وَالضَّرْبِ الطَّلْحِ (٤)».

الواقع أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارة يدعو المقاتلين للاستفاده من جميع الأدوات المتداوله فى ذلك الزمان فتطعنوا بالرماح جسد العدو بحيث ينهار تماماً ويسقط على الأرض مضرّجاً بدمه وتضربوا بسيوفكم على هامات القوم بحيث يلفظوا أنفاسهم معها، ومن أجل تحقيق هذا الغرض لابدّ من تهيج أحاسيسكم وتفوير مشاعركم من خلال الاستعانه بالله تعالى لأنّ النصر الحاسم إنّما يكون من نصيب الجماعه التى تقاتل بشدّه وتنزل ضربات سيوفها ورماحها على العدو بأشدّ قوه.

وفى التوصيه السابعه والأخيريه يقول: «وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ، فَإِنَّهُ أَطْرُدُ لِلْفِشْلِ».

ص: ١٨١

١- (١) . «اذْمُرُوا» فعل أمر من ماده «ذمر» على وزن «أمر» بمعنى الثوير وتهيج النفس على فعل معين.

٢- (٢) . «الطَّعْنُ» بمعنى ادخال الرمح فى بدن العدو، وهذه المفرده تأتى كناية أيضاً ويراد بها إبراز عيوب الشخص والتنقيص من شخصيته.

٣- (٣) . «دعسى» من ماده «دعس» على وزن «درس» بمعنى إملاء، وتأتى أحياناً بمعنى التأثير، وهذا المفرده عندما تأتى بمعنى إدخال الرمح فى بدن العدو وكأنّ الرمح قد ملأ جوف العدو وأثر فى بدنه.

٤- (٤) . «طلحف» بمعنى الشديد.

الأشخاص الذين يمارسون الصراخ والصياح في ميدان القتال ربّما يتبادر إلى ذهن العدو أنّ ذلك ناشىء من خوفهم ووحشتهم، وبالتالي يؤدّى ذلك إلى رفع معنويات العدو من جهة، ومن جهة أخرى ربّما يفضى الصياح إلى استنزاف القوى الجسميه والفكريه لهؤلاء الرجال ويقلّل من قدرتهم على مقاومه العدو، ولهذا السبب يأمر الإمام عليه السلام بعدم صرف الطاقات فى الصياح والصراخ، والاتلفات بشكل كامل إلى مواجهه العدو فى ميدان العمل والممارسه.

وطبعاً هذا العمل لا يتنافى مع رفع الأصوات بالتكبير عند تحقّق النصر، وحتى التكبير ينبغى أن يكون محدوداً ومحسوباً ولا ينبغى الإفراط فيه لأنّ ذلك مخالف لهذا التوصيه.

ولهذا السبب ورد فى كتب التاريخ عن واقعه بدر أنّ المشركين عندما شاهدوا جيش الإسلام بعددهم القليل فى مقابل جيش الكفر والشرك، تصوّروا أنّ مجموعه من المسلمين تكمن لهم خلف التلال حتى تسنح لهم الفرصه المناسبه ويهجموا على قوى الشرك، ولذلك أرسلوا عمر بن وهب للتحقّق فى هذا الأمر والبحث عن الكمين فى نواحي المنطقه، فتوجّه عمر بن وهب لاستطلاع الموقف ورأى أنّ مواقع جيش الإسلام مستحكمه ورصينه فرجع إلى موقعه وقال لقاده جيش الشرك: إنّ المسلمين ليس لديهم أى كمين أو مدد غير الثلثه الحاضره فى الميدان، ولكننى أظنّ أنّ إبل يثرب المحتمله ستحمل الموت لكم، ثم أضاف: «أَمَّا تَرَوْنَهُمْ حُزْسٌ لَمَّا يَتَكَلَّمُونَ يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْأَفَاعِي مِمَّا لَهُمْ مَلَجًا إِلَّا سَيُوفُهُمْ وَمَا أَرَاهُمْ يُوَلُّونَ حَتَّى يُقْتَلُوا وَلَا يُقْتَلُونَ حَتَّى يُقْتَلُوا بَعْدَهُمْ فَارْتُتُوا رَأْيَكُمْ» (١).

ثم بيّن الإمام عليه السلام فى ختام هذا الكلام نقطه أخرى وهى فى الواقع تعتبر جواباً عن سؤال مقدّر أو مذكوراً فى كلمات أصحابه عندما تصوّروا أنّ معاويه وأتباعه هم

ص: ١٨٢

من المسلمين، فكيف نقاتل المسلمين؟ فيقول الإمام عليه السلام: «فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسِيمَةَ (١)، مَا أَشَدَّ لَمَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسَلَّمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ».

وعندما يختم الإمام عليه السلام بصفات الله تعالى ويؤكد على انشقاق الحب تحت التراب وخلق الإنسان، ذلك يعود إلى أن هذه المظاهر في عالم الخلق تعتبر من أعجب الأفعال الإلهية، فالحبوب عندما توضع تحت التراب وهي مغلفة بقشره قويه وصلبه وتصل إليها رطوبه التراب، فيكفي ذلك لأن تبعث فيها الروح والحركة في داخلها حيث تبدأ النطفة بالنمو وتظهر بعد ذلك السيقان الناعمة للنبات، هذه الساق اللطيفة عندما واجهت الضيق في داخل إطار الحب كسرت هذا الإطار والقشرة وأخرجت رأسها من التراب وانفصلت عن أمها وأصلها وأتخذت سبيلها للنمو والارتفاع إلى أن تصير بعد ذلك شجرة باسقه، وهكذا الحال في نطفه الإنسان في رحم الأم، حيث يعيش الجنين خلقاً آخر ويتكامل تدريجياً ويتخذ لنفسه شكلاً جديداً من خلال سلسلة من التحولات المعقدة والدقيقة والسريعة في ذات الوقت ويتبدل الجنين إلى إنسان كامل، وعندما يجد الجنين أن رحم الأم لا يكفي في استمرار حياته ورشده ونموه فإنه يعزم على الخروج من الرحم ويغادر رحم أمه بهيجان ويخطو الخطوة الأولى نحو الولادة والمجيء إلى الدنيا.

إن التمعن في ظاهره نمو النباتات وولادة البشر من شأنها أن تعرف الإنسان أكثر على عظمه الله وقدرته اللامتناهية، ومن هنا نرى أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام يقسمون أحياناً بهذه الصفات الإلهية، ولا ينبغي الغفلة عن أن هذه العبارات وردت في زمن لم يتولد علم النبات وعلم الإجهت.

ص: ١٨٣

١- (١). «نسمه» بمعنى الإنسان وأحياناً تأتي بمعنى الروح، وأخرى تطلق على كل موجود ذي روح، وأصلها من النسيم وهو الريح الخفيف والناعمة.

## ١. شواهد حيّه على عقائد بني امّيه الواقعيه

في آخر كلمه من كلام الإمام عليه السلام مورد البحث يصرح الإمام عليه السلام بأنّ مخالفه (معاويه وأتباعه)، لم يقبلوا بالإسلام طرفه عين، بل خضعوا له من موقع الإكراه والإكراه، ولذلك عندما وجدوا أنصاراً وأعواناً أظهروا كفرهم الباطني.

وربّما يكون قبول هذا الكلام صعباً بالنسبه لبعض المسلمين من أهل السنّه، ولكن إلقاء نظره إلى كتب الصحاح وسائر المصادر لأهل السنّه يدلّ على هذه الحقيقه الحاسمه، ونحن هنا نستعرض بعض الروايات المذكوره في مصادرهم المعروفه عن عقائد معاويه وأعماله دون أن نضيف إليها شيئاً، ونترك الحكم عليها بعهد القراء الأعزاء:

١. ورد في صحيح مسلم أنّ عبدالرحمن بن عبد ربّ الكعبه يقول: «دخلت المسجد (المسجد الحرام) فإذا عبدالله بن عمرو بن العاص جالس في ظلّ الكعبه والناس مجتمعون عليه، فأتيهم فجلست إليه، فقال: كُنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر، فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خبائه... فقلت له: هذا ابن عمك معاويه يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، ونقتل أنفسنا والله يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ...» وقال: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ...» (١) قال فسكت ساعه ثم قال: إطعه في طاعه الله، واعصه في معصيه الله (٢).

٢. ورد في تاريخ الطبري أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآله وآله (أباسفيان) مقبلاً على حمار ومعاويه يقود به ويزيد (أخو معاويه) يسوقه به، قال صلى الله عليه وآله: «لَعَنَ اللَّهُ الْقَائِدَ وَالرَّاكِبَ وَالسَّائِقَ» (٣). (وفي روايه أخرى أنّ الذي كان قابضاً على زمام الدابه هو عتبه أخو

ص: ١٨٤

١- (١) . سورة النساء، الآية ٢٩.

٢- (٢) . صحيح مسلم، ج ٦، ص ١٨.

٣- (٣) . تاريخ الطبري، ج ٨، ص ١٨٥، مطبعه مؤسسه الأعلمي، بيروت.

معاويه ومعاويه كان يسير خلفهم).

٣. وكذلك ورد في تاريخ الطبرى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أشار يوماً إلى مكان وقال:

يطلع من هذا الفج، رجل من امتى يحشر على غير ملتى، فطلع معاويه (١).

٤. نقل ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغه عن كتاب أخبار الملوكة: إنّ معاويه سمع مؤذناً يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله» فقالت ثلاثاً، فقال المؤذن: «أشهد أن محمداً رسول الله» قال معاويه: لله أبوك يا ابن عبد الله! ولقد كنت على الهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن يقرن اسمك باسم رب العالمين (٢).

٥. ويروى أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريده أنّه قال: «دخلت أنا وأبى على معاويه فأجلسنا على الفرش ثم أتينا بالطعام فأكلنا ثم أتينا بالشراب، فشرب معاويه ثم ناول أبى (ثم قال: ما شربته منذ حرّمه رسول الله صلى الله عليه وآله» (٣).

٦. يقول ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغه: «قد طعن كثير من أصحابنا في دين معاويه ولم يقتصروا على تفسيره وقالوا عنه: إنه كان ملجداً لا يعتد النبوة ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك» (٤).

٧. ولم تقتصر إشكاليه إيمان معاويه وأعماله على هذا الحد، فطبقاً لما ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد أنّ الحسن البصرى قال: «علم معاويه والله إن لم يبایعه عمرو لن يتم له أمر، فقال له: يا عمرو، اتبعنى، قال: لماذا؟ للآخرة؟ فوالله ما معك آخرة، أم للدينا فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها، قال: فأنت شريكى فيها. قال:

فاكتب لى مصر وكورها، فكتب له مصر وكورها، وكتب فى آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: إنّ السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً، قال معاويه: لا ينظر الناس إلى هذا، قال عمرو: حتى يكتب، قال فكتب، والله ما يجد بدأ

ص: ١٨٥

١- (١). تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ١٨٦، مطبعة مؤسسه الأعلمی، بیروت.

٢- (٢). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٠، ص ١٠١.

٣- (٣). مسند أحمد، ج ٥، ص ٣٤٧.

٤- (٤). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ٥، ص ١٢٩.

ودخل عتبه بن أبي سفيان على معاويه وهو يكلم عمراً في مصر، وعمرو يقول له: إنما ابايحك بها لديني، فقال عتبه: ائتمن الرجل بدينه فإنه صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»(١).

٨. وينقل ابن الأثير أيضاً في كامل التواريخ عن الحسن البصرى أنه قال:

أربع خصال كنّ في معاويه، لو لم تكن فيه إلاّ واحده لكانت موبقه: انتراؤه على هذه الأئمه بالسيف حتى أخذ الإمره من غير مشوره وفيهم بقايا الصحابه وذوو الفضيله، واستخلافه بعده ابنه سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»! وقتله حجراً(٢). ٩. وطبقاً لما أورده البيهقي في كتاب المحاسن والمساوى أنّ رجلاً من أهل الشام سأل ابن عباس وقال: من الناكثون، قال: الذين بايعوا علياً بالمدينه ثم نكثوا، فقاتلهم بالبصره وهم أصحاب الجمل، والقاسطون معاويه وأصحابه والمارقون أهل النهروان ومن معهم، فقال الشامي: يا ابن عباس ملأت صدري نوراً وحكمه وفرجت عني فرج الله عنك، أشهد أنّ علياً رضي الله عنه مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنه(٣).

١٠. ونختم هذا المقطع من البحث بكلام عجيب أورده المسعودي في مروج الذهب ونقله الزبير بن بكار في الموفقيات وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه (والملاحظ من بين هؤلاء الثلاثة نرى أنّ الزبير بن بكار لا يوافق الشيعة في عقائدهم فحسب بل من المخالفين لهم) أنّ مطرف بن المغيره بن شعبه يقول: دخلت مع أبي على معاويه وكان أبي يأتيه، فيتحدّث معه ثم ينصرف إليّ ويذكر معاويه

ص: ١٨٦

١- (١). العقد الفريد، ج ٥، ص ٨٧.

٢- (٢). كامل التواريخ، ج ٣، ص ٤٨٧.

٣- (٣). المحاسن والمساوى، ص ٤٣ طبعه بيروت (مطابق نقل شرح إحقاق الحق، ج ١٥، ص ٦٢).

وعقله ويعجب ممّا يراه منه، إذ جاء ذات ليله وأمسك عن العشاء ورأيته مغتماً فانتظرتة ساعه وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لى أراك مغتماً منذ الليله؟ فقال: يا بنى جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: ماذا؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وطففت خيراً، إنك قد كبرت ولو نظرت إلى إختك من بنى هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شىء تخافه، وإن ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات هيهات، أى ذكر أرجو بقاءه، ملك أخو تيم فعدل، وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: قال أبو بكر، ثم ملك أخو عدى فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر، وإن ابن أبى كبشه ليصاح به كل يوم خمس مرات: (أشهد أن محمداً رسول الله) فأى عمل يبقى؟ وأى ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك «لَا وَاللَّهِ إِلَّا دَفْنَا دَفْنَا» (١)، (أى لا بد من العمل لدفن هذا الاسم أو لدفن بنى هاشم إلى الأبد).

ومرّه أخرى نعيد القول أنّ جميع هذه الموارد المذكوره أعلاه ليست من مصادرنا، بل هى عين عبارات علماء أهل السنه فى شأن معاويه ولم نصف أى شىء عليها.

## ٢. فضائل الإمام على عليه السلام على لسان أعدائه

بالرغم من أنّ عمرو بن العاص كان مؤيداً لمعاويه بشكل كامل ولولا حيلته الشيطانيه لم ينتصر معاويه فى حربته مع الإمام عليه السلام قطعاً، ولكنّه مع ذلك كان أصرح منه فى الكلام، وفى بعض المواقع يذكر بشكل صريح أفضليه الإمام على عليه السلام على معاويه ويتحدّث عن شجاعه جيش الإمام عليه السلام فى أكثر من مورد.

ص: ١٨٧

---

١- (١). الموفقيات، ص ٥٧٦، طبعه وزاره الاوقاف بغداد، سنة ١٣٩٢؛ مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٩، طبعه بيروت، سنة ١٩٨٢؛ شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ٥، ص ١٢٩.

ينقل نصر بن مزاحم فى كتابه صفين أشعاراً عجيبه لعمر بن العاص يحقر فيها معاويه بشده ويتحدث فيها عن جيش الإمام علي عليه السلام يقول:

فَإِنْ وَرَدَتْ فَأَوْلُهَا وَرُودَافٍ سَدَّتْ فَلَيْسَ بِذِي صُدُودٍ

أى أن فرسان جيش معاويه عندما يردون ميدان المعركه فسوف نجدهم فى المقدمه، فإذا تصدوا لجيش العدو فلا أحد يستطيع مواجهتهم والوقوف أمامهم.

ثم يضيف:

وَمَا هِيَ مِنْ أَبِي حَسَنِ بُنْكَرٍ وَلَا هُوَ مِنْ مَسَائِكَ بِالْبَعِيدِ

أى أن فضائل علي ليست بالشىء المجهول وغير المعروف ونقاط ضعفك ليست بالبعيده عن الأنظار.

ثم يشير عمرو بن العاص إلى طلب معاويه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما يتصل بحكومه الشام ويقول:

وَقُلْتَ لَهُ مُقَالَهَ مُشْتَكِينٍ

فلما بلغ معاويه قول عمرو دعاه فقال: يا عمرو، إننى قد أعلم ما أردت بهذا، قال:

ما أردت؟ قال: أردت تقييح رأبى، وإعظام علي، وقد فضحك، قال: أما تقييح رأبى فقد كان، وأما إعظامى علياً فإنك بإعظامه أشد معرفه منى، ولكنك تطويه وأنا أنشره، أما فضيحتى فامرؤ لقي أبا الحسن (١).

\*\*\*

ص: ١٨٨

١- (١). وقعه صفين، ص ٤٧٢.



إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه (١)

### نظره إلى الرسالة

روى نصر بن مزاحم في كتاب صفين، إن الإمام علي عليه السلام قال يوماً: سأتوجه غداً إلى الميدان وأقاتل هؤلاء القوم، فانتشر هذا الكلام في صفوف جيش معاوية واستولى عليهم الخوف والذعر.

فكتب معاوية إلى علي عليه السلام مع رجل من السكاسك، يقال له: عبدالله بن عقبه وكان من ناقله أهل العراق:

«أما بعد فإنني ما أظنك أن لو علمت أن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يحبها بعضنا على بعض، وإن كنا قد غلبنا على قولنا فقد بقي لنا منها ما نندم على

ص: ١٨٩

---

١- (١). سند الرسالة: يقول صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه: ذكر هذه الرسالة جماعه من المؤرخين قبل السيد الرضى في كتبهم، منهم: نصر بن مزاحم في كتاب صفين، البيهقي في المحاسن والمساوىء، ابن قتيبه في الإمامه والسياسه، المسعودى في مروج الذهب وابن اعثم الكوفى في كتاب الفتوح، وطبقاً لما ذكره نصر بن مزاحم أن الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة قبل ليله الهرير بيومين أو ثلاثه أيام (وليله الهرير هي الليله الأخيره من معركة صفين حيث استمر القتال وخلافاً للمعتاد حتى الليل واستمرت الحرب بين الطرفين إلى الصباح من يوم غد وظهرت علائم الهزيمة على جيش معاوية) (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٣٤).

ما مضى ونصلح به ما بقى، وقد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعه ولا بيعه فأبيت ذلك عليّ، فأعطاني الله ما منعت، وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإنني لا أرجو البقاء إلّما ترجو، ولا أخاف من الموت إلّما تخاف وقد والله فارقت الأجناد وذهبت الرجال، ونحن بنوعبدمناف فضل الأفضل لا يستدل به عزيز، ولا يسترق به الحرّ، والسلام».

فلما انتهى كتاب معاويه إلى عليّ عليه السلام قرأه ثم قال: العجب من معاويه وكتابه، ثم دعا عبيد بن أبي رافع كاتبه وقال له: اكتب إلى معاويه...<sup>(١)</sup>.

وطبعاً فإنّ السيد الرضى كما هو دأبه وعادته لم يذكر مطلع هذه الرسالة، ولكنّه أورد القسم المهم منها<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

ص: ١٩٠

---

١- (١) . مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٣٨.

٢- (٢) . انظر إلى كتاب نهج البلاغه الكامل، ص ٨٥٢.

وَأَمَّا طَبَّيْكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَزْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبُ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسِ بَقِيَّتِ، أَلَمْأَ وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَزْبِ وَالرَّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَخْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَدِيدٍ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَّتُهُ كَهَاشِمِ، وَلَا حَزْبُ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ. وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

### الشرح والتفسير: المدین فی هیئہ الدائن

سبق أن ذكرنا أن هذه الرسالة تعدّ جواباً لرسالة كتبها معاوية للإمام عليه السلام وتحدث فيها عن بعض مطالبه، وحسب القاعده فإنّ معاوية بقراءه مثل هذه الرسائل على المنابر أو على الجند إنما يبغي تبرئه نفسه من الإثم الذي ارتكبه بحق المسلمين، وكذلك حسب القاعده أنّ هذه الرسالة إن وصلت لأصحاب الإمام عليه السلام أيضاً ربّما يتأثر بها بعض السدّج من الناس، ومن هنا لم يجد الإمام عليه السلام بدّاً من كتابه رساله جوابيه للردّ على ما جاء فيها بشكل حاسم.

ولذلك نرى أنّ الإمام عليه السلام أشار في هذه الرسالة إلى أربعة أمور محوريه في

في البدايه يقول الإمام عليه السلام: «وَأَمَّا طَلْبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ»، وكما هو معلوم أنّ معاويه طلب الشام دون أن يبايع أو يلتزم بطاعه أوامر الإمام عليه السلام.

ومنع الإمام عليه السلام بدوره يقوم على أساس الحكم الإلهي الذي يقرر منع الظالمين والمفسدين من تولّي أمور البلاد الإسلاميّه، وأنّه لا ينبغي أن تكون أيّ منطقه أو إماره في الحكومه الإسلاميّه بيد المنحرفين وقوى الفسق والجور، وهذا الحكم الشرعي لازال باقٍ على قوته، فليست هذه المسأله من المسائل السياسيّه التي تتغير وفقاً لتغير الظروف وتبدل المصالح.

وهذا الكلام في الواقع يعدّ جواباً للأشخاص الذين يقولون: ألم يكن الأفضل أن يدع الإمام الشام بيد معاويه بشكل مؤقت ثم يعزله عن هذا المقام بعد استقرار حكومته واستتباب الأمن فيها؟

إنّ هؤلاء لم يلتفتوا إلى هذه الحقيقه، وهي أنّ الإمام عليه السلام إذا أذعن لطلب معاويه وأوكل حكومه الشام إليه، (وطبقاً لبعض الروايات أنّ معاويه طلب حكومه مصر أيضاً) وفسح المجال لمعاويه لتقويه أركان سلطته وسيطرته على منطقه الشام فإنّ إزاحته بعد ذلك ستكون مستحيله، والحال نرى أنّ الإمام عليه السلام في حرب صفين كان قد اقترب من النصر الحاسم على جيش معاويه وشارف على دفع هذه الفتنة والشر من البلاد الإسلاميّه لولا سلوك بعض الجهلاء والانتهازيين ممّن كانوا في جيش الإمام عليه السلام ظاهراً.

ثم يتحدّث الإمام عليه السلام في المقطع الثاني من هذه الرساله جواباً عن كلام معاويه الآخر ويقول: «وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ (١) إِلَّا حُشَاشَاتِ (٢) أَنْفُسٍ بَقِيَتْ،

١- (١). طبقاً لبعض الروايات أنّ عدد القتلى في حرب صفين من جيش معاويه ٤٥ ألفاً، ومن جيش الإمام عليه السلام ٢٥ ألفاً.

٢- (٢). «حشاشات» جمع «حشاشه» بمعنى النفس الأخير.

أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَآلِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَآلِي النَّارِ».

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى الجواب الثالث لمعاويه الذى قال فى رسالته: أنا وأنت فى هذه الحرب سيان (وأنا كلينا نتبع هدفاً واحداً ونطلب أمراً واحداً، يقول الإمام فى مقام الجواب: «وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرَّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضَى (1) عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ».

وهذا الكلام إشاره إلى وجود أمرين مختلفين بين أصحابي وأصحابك، فأصحابي يسرون مع إمام عادل وعالم بتكليفه الشرعى وأنهم يسرون على بصيره من حركتهم ودينهم، فى حين أنك لا تملك هدفاً واضحاً سوى التوصل إلى المال والمقام.

والآخر أن أصحابك حريصون على الدنيا وأنك استطعت جرهم إلى الميدان بالوعود المادية والمغريات الدنيوية عسى أن يصيبوا من الغنائم فى هذه المعركة، فى حين أن قاده جيشى لم يتحرّكوا طمعاً بالجائزه ولم يفكروا فى هذا الأمر أيضاً.

وبتعبير آخر، أنك لا تملك اليقين على استحقاقك للخلافه والرئاسه على الناس، فى حين أننى على يقين من ذلك، وأن أتباعك يقاتلون طلباً للدنيا، فى حين أن أتباعى لا يهدفون من قتالك سوى نيل رضا الله تعالى وإقامه الحكومه الإلهيه العادله على الأرض، ولهذين السببين نحن أكثر عزمًا وأمضى سعيًا منكم فى هذا المسير المعنوى، فى حين أنك وأتباعك لا تملكون هذه الروحيه والمعنويه، ونتيجه ذلك أننا لسنا سواء فى هذا الأمر وأنّ النصر النهائى سيكون من نصيبنا قطعاً، وهكذا تحققت نبوءه الإمام عليه السلام ووصل جيش الإمام إلى مشارف النصر النهائى، ولكن للأسف فإنّ جماعه من الجهله ومن بينهم ثلّه من المنافقين أجهضوا هذا النصر ولم يتحقّق ما كان الإمام يصبو إليه.

ص: ١٩٣

١- (١). «امضى» بمعنى شده التأثير والنفوذ فى الإقدام والعمل وهى من «المضى» بمعنى العبور والمرور.

ثم إن الإمام عليه السلام يتعرّض للجواب عن الإدعاء الرابع لمعاويه ويقول: «وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ»، فهنا يتعرّف الإمام بهذه الحقيقة، وهى أننا جميعاً أبناء عبدمناف وهذا صحيح لا ريب فيه.

ثم إن الإمام عليه السلام يتعرّض للفوارق بينه وبين معاويه ويذكر منها خمسة أمور.

ففى البدايه يشير إلى الشرف فى النسب، ويقول: «وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَّيْهُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَزْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ».

وهذا إشاره إلى أنّ جدّك الأعلى هو اميه وجدّك الأدنى هو حرب، وأباك أبو سفيان، وكلّهم معروفون بين العرب بالشرّ والدناءه والخسّه، فى حين أنّ جدّى الأعلى هاشم وجدّى الأدنى عبدالمطلب وأبى أبو طالب، وكلّهم من سادات العرب ومن كرمائهم وأشرفهم، فكيف يمكن مقايسه هؤلاء بأولئك، والحال أنّهم ليسوا سواء.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى التفاوت الثانى والثالث، ويقول: «وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ (١)، وَلَا الصَّرِيحُ (٢) كَاللَّصِيقِ (٣)».

وهو إشاره إلى أننى كنت من أوائل المهاجرين من مكه إلى المدينه مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنك وأبا سفيان كنتم تعيشان فى ظلمات الشرك والكفر فى مكه إلى أن فتحها جيش الإسلام وحكم النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بإطلاق سراحك وسائر الأسرى من قومك عندما قال: «إِذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ».

ومن جهه أخرى، فإنّ نسبنا معروف وصریح، ولكن نسبك غامض وفيه الكثير من الكلام، فبعض لا يرى أنّك ابن أبى سفيان بل الابن غير المشروع لمسافر بن أبى عمرو وهو من عبيد أبى سفيان، وطبعاً هذا الكلام لا يتنافى مع ما ذكره الإمام عليه السلام من أبى معاويه يعنى أبا سفيان لأنّ تلك الجملة قالها الإمام عليه السلام وهو يتماشى مع

ص: ١٩٤

١- (١). «طليق» بمعنى الأسير المتحرر من «الطلاق» بمعنى التحرر والإنفلات.

٢- (٢). «صریح» تطلق على الشخص الذى يملك نسباً خالصاً وواضحاً.

٣- (٣). «لصيق» يقع على الضد من صريح، ويعنى الشخص غير واضح النسب والذى ينسب لشخص أو قبيله ويلتصق به.

الأمر بحسب الظاهر، وهذه الجملة إشاره إلى أنه لو تمّ البحث والتدقيق في نسبك، فهناك كلام كثير في ذلك.

ومع هذا فإنّ ابن أبي الحديد لا يرى هذا التفسير منسجماً مع الجملة الأخيره وذهب لتفسير آخر لهذا العبارة وقال: المراد من الصريح هو الشخص الذي اعتقد بالإسلام اعتقاداً راسخاً، واللصيق هو الشخص الذي اعتنق الإسلام خوفاً من السيف أو بدافع حبّ الدنيا(١).

وهذا التفسير وإن كان خلاف ظاهر العبارة، ولكن على فرض أن يكون صحيحاً فذلك يعني أيضاً وجود تفاوت جليّ بين الإمام عليه السلام ومعاويه في هذا المجال.

ثمّ يتعرّض الإمام عليه السلام لذكر الفرق والاختلاف في الصفات والأفعال الدينيه والإنسانيه بين الطرفين ويقول: «وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ(٢)».

وهذا إشاره إلى أنّ الاختلاف بيننا لا ينحصر بانتسابنا إلى بني هاشم وانتسابك إلى بني اميه، فإنّ صفاتنا وأفعالنا أيضاً لا تقبل القياس والمقارنه، فنحن نسير دوماً في خطّ الحقّ والخير والإيمان، بينما بنو اميه يسرون في خطّ الباطل والشرّ، ونحن آمنّا بالإسلام والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله من موقع الإخلاص، ولكنكم أظهرتم الإيمان والإسلام من موقع النفاق (والحوادث التاريخيه تثبت ذلك).

ويقول الإمام عليه السلام في نهايه هذه الفقره: «وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى (٣) فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام لا يندمّ معاويه على انحراف أسلافه وجدّه وأبيه فقط، بل يؤكّد في كلامه على أنّ هذا الابن يسير في طريق آبائه الضالّين الذين ينتهى مصيرهم إلى النار.

ص: ١٩٥

١- (١) انظر: شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١١٨.

٢- (٢) . «مدغل» بمعنى المفسد والمثير للفتنه من ماده «دغل» بمعنى الفتنة والفساد.

٣- (٣) . «هوى» من «الهوى» بضم الهاء وتشديد الياء، وهى فى الأصل السقوط من مرتفع، وبما أنّ نتيجه الهلكه والموت، فلذلك تطلق هذه المفرده على الهلكه أيضاً.





وَفِي أَيْدِينَا بَعْدَ فَضْلِ الثُّبُوهِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيلَ.

وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَيْدِهِ الْأُمَّهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَيَّ حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْتِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، وَلَا عَلَيَّ نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: النبوه افتخار كبير.

ويشير الإمام عليه السلام في هذا القسم من كتابه إلى ما ذكره معاوية في رسالته حيث قال: «لِبَعْضِنَا فَضْلٌ عَلَيَّ بَعْضٌ»، وأنه لا فضل لأحدنا على الآخر، وعلى فرض وجود فضيله فهي جزئيه لا- تعز الدليل ولا تذلل العزيز، فيجيبه الإمام عليه السلام جواباً حاسماً ويقول: «وَفِي أَيْدِينَا بَعْدَ فَضْلِ الثُّبُوهِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا (١) بِهَا الدَّلِيلَ».

وهذا إشاره إلى أن الإسلام عندما انتشر في الجزيره العربيه كان أمثال أبي سفيان وأبي جهل الذين حكموا الناس سنين متماديه من موقع الظلم والجور، أضحوا أذلاء، بينما أعز الإسلام أمثال سلمان والمقداد وعمار وياسر وبلال الذين

ص: ١٩٧

١- (١). «نَعَشْنَا» من ماده «نَعَشَ» بمعنى رفع الشيء، ويقال للتأبوت نَعَشَ الميث لأنه مرتفع عن الأرض أو أنه مرفوع على الأيدي، والمراد من الجملة أعلاه أن الأشخاص الذين يعيشون الذله والمهانته أضحوا بالإسلام وفي ظل الإيمان أعزاء.

كانوا غالباً يعيشون أجواء الأسر والذلة والعبودية، فرفعهم الإسلام إلى أوج العزّه، وبذلك كيف تقول أنّ نبوّه نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله لم تؤثر أثراً في هذا المجال.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام أخذ بيد معاويه وأرجعه إلى عصر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكيف كان اعتناقهم للإسلام هو وأهل بيته، وقال: «وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَامًا رَغْبَةً وَإِمَامًا رَهْبَةً».

وهو إشارة إلى فتح مكة كما يتحدّث القرآن الكريم عن ذلك ويقول: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً» (١)، في ذلك اليوم دخل الكثير من الناس الإسلام بدافع الإخلاص والإيمان وطهروا قلوبهم من لوث عباده الأصنام، ولكنّ المشركين المتعصّبين والانتهازيين الذين كانوا يحاربون الإسلام والدعوه الإلهيّة سنين متماديه اضطروا إعتناق الدين الجديد ظاهراً وأذعنوا مكرهين لهذه الحقيقة، فأبوسفيان وهو العدوّ الأول للإسلام وأبو معاويه كان من الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام ظاهراً، وكذلك أظهر أهل بيته وأقربائه الإسلام من موقع الإكراه ولم تؤمن قلوبهم.

ومنذ ذلك اليوم تغيّرت خارطه وأخذ أعداء الإسلام يفكرون في إيجاد ثغره في صفوف المسلمين، والنفوذ من خلالها إلى مواقع القرار والحكم، وليجلسوا في مجلس النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وعبارته «رغبته» المذكوره أعلاه إشارة إلى هذا المعنى، وهذه الرغبه لا- تتنافى مع وجود «الرهبه» يعنى أنّ قبولهم للإسلام اقترن فيه الخوف مع الأمل والرغبه في الوصول إلى المقام وسدّه الحكم في المستقبل.

فهل يمكن مقارنه مثل هذا الإسلام بإسلام أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام الذي أسلم منذ بدايه بعثه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وتصدّى للدفاع عن رساله والرسول في تلك الظروف الصعبه وصاحب النبيّ صلى الله عليه وآله في أيام الوحده والغربه؟

ص: ١٩٨

وعلى هذا الأساس يقول الإمام عليّ عليه السلام بعد ذلك: «عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ».

وهذا الكلام يشير إلى تقسيم المسلمين إلى عدّة طوائف كما ورد ذلك في القرآن الكريم: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»<sup>(١)</sup>، فهناك طائفة من السابقين في اعتناق الإسلام، والإمام عليه السلام من بين هؤلاء يعتبر من أسبق السابقين، وطائفة أخرى اعتنقوا الإسلام وهاجروا من مكة إلى المدينة، والطائفة الثالثة من أهالي المدينة الذين نصرروا الدين والنبيّ واعتنقوا الإسلام وساروا في خطّ الرسالة، والطائفة الرابعة هم الجيل اللاحق الذين التحقوا بالمسلمين الأوائل عن رغبة وطواعية، وهنا أين نجد مكان معاوية في هذا الطوائف الأربع؟ نقول في مقام الجواب: لا مكان له إطلاقاً، والعجيب أنّ معاوية مع هذا الحال يقيس نفسه مع الإمام عليه السلام وبنى هاشم ويرى نفسه في الإسلام في عرض الإمام عليّ عليه السلام! ولكن تاريخ الإسلام مليء بأمثال هذه العجائب والغرائب.

وفي الختام يحذّر الإمام عليه السلام معاوية ويقول: «فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا، وَالسَّلَامُ».

وهذا إشاره إلى أنّك بهذا الكلام تخدع نفسك، وأنك بهذا القياس وبهذه المقارنه غير السليمه تفتح الباب للشيطان ليتسلط على نفسك، وبالتالي تعيش الغفله عن حقيقه موقعك، وتريد أن تنصّب نفسك بمكان رسول الله صلى الله عليه وآله وبذلك تخسر دنياك وآخرتك.

### تأمل: أتباع رسول الله صلى الله عليه وآله

يستفاد من الآية الشريفه ١٠٠ من سوره براءه أنّ أتباع رسول الله صلى الله عليه وآله على عدّه طوائف:

الطائفة الأولى: السابقون، وهم الذين سبقوا للإيمان واعتناق الإسلام والذين

ص: ١٩٩

١- (١). سوره التوبه، الآية ١٠٠.

آمنوا بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله أيام وحدته وغربته فى بدايه الدعوه، وبايعوه على ذلك، ومن بين الأوائل من هؤلاء السابقين من النسوه خديجه الكبرى عليها السلام، ومن بين الرجال على بن أبى طالب عليه السلام، ثم التحق بهم جماعه آخرون، وهذا العنوان يعدّ افتخاراً كبيراً للإنسان لأنه قدّم نفسه على طبق الإخلاص للإسلام والنبى صلى الله عليه وآله فى الظروف الصعبة التى عاشها المسلمون الأوائل.

الطائفة الثانية: المهاجرون، وطبعاً فى السابقين من هم من المهاجرين أيضاً، وهؤلاء هم المسلمون الذين آمنوا بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى مكة وعندما ضاق عليهم الخناق ومارس المشركون فى حقهم أنواع التعذيب والتضييق حتى بات الخطر يهدّد النبى صلى الله عليه وآله، هاجروا مع النبى إلى المدينة، وهذا يعنى أنّهم تركوا جميع ما لديهم من أموال ودور ولوازم المعيشه والحياه وهاجروا مع أهلهم إلى المدينة التى ليس لهم فيها بيت ولا وسائل المعيشه وبقوا هناك لسنتين عديده وهم يواجهون المشكلات والتحديات إلى أن فتح الله عليهم وسارت الأمور على ما يرام.

وطبعاً هناك جماعه أخرى من المسلمين هاجروا إلى الحبشه قبل هجره المسلمين من مكة إلى المدينة هرباً من بطش قريش والمشركين، وبعد استقرار الإسلام فى المدينة عادوا من الحبشه والتحقوا بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله والمسلمين فى المدينة المنوره.

الطائفة الثالثة: الأنصار، وهم أهل المدينة الذين أسلموا واستقبلوا المهاجرين برحابه صدر وأسكنوهم فى بيوتهم رغم الحياه الصعبة التى كانوا يعيشونها غالباً فى المدينة وتواصلوا مع المهاجرين من موقع المواساه واقتسموا معهم كل ما لديهم من شؤون الحياه.

وطبعاً يوجد فى الأنصار سابقون وغير سابقين، والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقه ويقول: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ(١)»، يعنى أنّ الأنصار الذين آمنوا بالنبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى البدايه أو آمنوا به قبل ذلك فى مكة وفى منطقته

ص: ٢٠٠

---

١- (١). الجدير بالذكر أنّ القراءه المشهوره أن تقرأ كلمه الأنصار بالكسر لأنها عطف على المهاجرين لا بالضمه على أساس أنّها عطف على السابقين.

تسمى «العقبه» على مقربة من مكة، وبايعوه صلى الله عليه وآله قبل الهجره، وهؤلاء الطوائف من المهاجرين والأنصار والسابقين يطلق عليهم عنوان: الصحابه.

الطائفة الرابعة: الأشخاص الذين لم يروا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وفي الحقيقة يمثلون الجيل اللاحق من المهاجرين والأنصار، وهذا الجيل يطلق عليه في المصطلح «التابعين» وهم الذين أتبعوا الأنصار والمهاجرين في الإيمان والإسلام، وذكرهم القرآن الكريم بقوله: «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» (١) وبقوله: «وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» (٢) وبقوله أيضاً: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» (٣)، وأفراد هذه الطائفة - كما ذكرنا آنفاً - لم يدركوا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ولم يروه، ولكنهم أدركوا الصحابه.

الطائفة الخامسة: تابعو التابعين؛ وهم الأشخاص الذين لم يدركوا الصحابه ولم يشاهدوا أحداً منهم، ولكنهم في الحقيقة تلامذه التابعين.

وهناك كلام كثير في أن أفراد هذه الطوائف الخمس هل هم صالحون وعدول جميعاً، أو أن البعض منهم كان في بدايه الأمر من الصالحين والأخيار ولكنه لم يستقم في هذا المسار بعد ذلك وخاصه بعد رحله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟ وقد بحثنا هذا الموضوع في تنزيه الصحابه.

ومن المعلوم وجود أشخاص من هؤلاء المسلمين الأوائل كانوا في وقت قد بلغوا ذروه الفضيله والإيمان والالتزام بالمبادئ الإسلاميه، ولكنهم بعد ذلك اتبعوا هوى النفس وساروا في خط الضلاله وحب الدنيا وسقطوا في حل الانحراف وشرك الشيطان (٤).

ص: ٢٠١

١- (١). سورة التوبه، الآيه ١٠٠.

٢- (٢). سورة الجمعه، الآيه ٣.

٣- (٣). سورة الحشر، الآيه ١٠.

٤- (٤). أوردنا بحثاً كافياً في موضوع تنزيه الصحابه في التفسير الأمثل، ذيل الآيه ١٠٠ من سورة التوبه تحت عنوان: هل أن جميع الصحابه صالحون؟ وكذلك في ذيل الخطبه الشقشقيه الخطبه الثالثه من نفحات الولايه، ج ١، تحت عنوان «هل أن جميع الصحابه سلكوا طريق رسول الله عليه السلام؟» وكذلك في هذا الجزء من شرح نهج البلاغه، وللمزيد من الاطلاع يمكنكم مراجعه كتاب «الشيعة تجيب» في بحث تنزيه الصحابه.



إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ (١)

### نظرة إلى الرسالة

يقول المرحوم ابن ميثم في مقدمه شرحه لهذه الرسالة أنّ ابن عباس بعد أن عيّنه أمير المؤمنين عليه السلام على البصره، أخذ يتعامل مع بني تميم بأسلوب العنف والغلظه، لأنّه كان يتذكر عداوتهم للإمام عليه السلام وجيش الإمام عليه السلام في يوم الجمل، فقد كانوا من أتباع طلحه والزبير وعائشه في ذلك اليوم، وقد هجم عليهم ابن عباس وأبعدهم عن البصره، وكان يطلق عليهم أنّهم أتباع الجمل وأنصار عسکر (عسکر اسم جمل عائشه) وحزب الشيطان، ولكن هذا التعامل السيء من ابن عباس ثقل على جماعه من الشيعة من بني تميم، ومنهم جاريه بن قدامه الذي كتب إلى الإمام عليه السلام رساله

ص: ٢٠٣

١- (١). سند الرسالة: ذكر صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه حول هذه الرسالة: إنّ ابن الميثم نقل هذه الرسالة في شرح نهج البلاغه ولكن سياق كلامه يدلّ بوضوح على أنّه نقل هذه الرسالة من مصدر غير نهج البلاغه، وكذلك نقل بعض مقاطع هذه الرسالة أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين والباقلاني في إعجاز القرآن والسيد أمير يحيى العلوي في كتاب الطراز، ومع الالتفات إلى التفاوت الموجود بين هذه المنقولات يتبين وجود مصادر غير نهج البلاغه (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٤١).

يشكو فيها ابن عباس، وهذا هو الذى دعا الإمام عليه السلام أن يكتب لابن عباس هذه الرسالة مورد البحث.

وقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة إلى عدّه أمور:

الأول: أنّ بنى تميم قبيله معروفه بالرجال الشجعان الذين كانوا من الشجاعه والجرأه بحيث لم يسبقهم إليها أحد لا فى زمان الجاهليه ولا فى صدر الإسلام.

والآخر: يقول الإمام عليه السلام أنّهم يتصلون معنا بالرحم والقرباه، وصله الرحم توجب علينا الإحسان إليهم والتعامل معهم من موقع الإكرام والاحترام.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه النقطه، وهى أنّ ما يصدر منك على لسانك ويدك من خير وشرّ وما يترتب عليها من نتائج حسنه وسيئه، فإنّه سيمتد إلى أيضاً لأننا شريكان فى ذلك، وعلى ضوء ذلك لابدّ من التعامل بالآليات الأخلاق الكريمه مع بنى تميم.

\*\*\*

ص: ٢٠٤



وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَصِيرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ، فَحَادِثُ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْتِلَالُ عُقْدَةِ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِيُنِي تَمِيمًا، وَغَلْظَتُكَ عَلَيَّهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرٌ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَدِّبُوا بِعَوْغَمٍ فِي حَيَاهِلَيْهِ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّ لَهُمْ بِنَاءً رَحِمًا مَأْسَةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صَلَاتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا، فَارْتَبِعْ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة بماء المداراه

عندما جاء طلحه والزبير ومعهم عائشه إلى البصره مع جماعه من الفاسدين والانتهازيين، ورفعوا هناك لواء التمرد والمخالفه ضد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، استقبلهم أهل البصره وانضموا إليهم وشكلوا معهم جيشاً كبيراً لمحاربه أمير المؤمنين عليه السلام وأشعلوا نار الفتنة، ولكنهم اندحروا وهُزموا على يد جيش الإمام عليّ عليه السلام في واقعه الجمل، ولعلمهم كانوا يتوقعون من الإمام بعد تحقيق النصر أن يأمر بقتل جماعه منهم، ولكن الإمام تعامل معهم بمنطق الحبّ والموادّه كما سبق أن تعامل النبي الأكرم عليه السلام مع قريش في فتح مكه، وهذا الأمر هو الذي أدى إلى عوده الاستقرار والهدوء لمدينه البصره، وفي بدايه هذه الرساله التي كتبها الإمام لواليه على البصره ابن عباس يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقه. «وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَصِيرَةَ مَهْبِطُ

إِبْلِيسَ، وَمَغْرَسُ (١) الْفِتَنِ، فَحَادِثٌ (٢) أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاخْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ».

أما قوله: «أَنَّ الْبَصِيرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ، وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ» فهو إشارة إلى وجود أقوام من مختلف الأنحاء تعيش في البصرة وتوجد بينهم مشاكل، وكذلك يواجهون مشاكل من القادمين إلى هذه المنطقة، ولعلّه لهذا السبب اختار طلحه والزبير وعائشه البصرة لإشعال نار الفتنة ضدّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وخاصّه أنّ البصرة تعدّ أهم ميناء للعراق، والموانىء عادة تكون مستقرّ أقوام ومجاميع مختلفه ممّن يأتون إلى هذه المدينة من مناطق مختلفه، وهذا بدوره يؤدّي إلى وجود بعض الخلل والاشكاليات في أجواء هذه المناطق من الناحية الثقافية والاجتماعية، إلّا أن يخضع أهالي هذه المناطق إلى التعليم الأخلاقي والثقافي المستمرّ، وقد ذهب البعض إلى أنّ إبليس عندما هبط إلى الأرض كانت البصرة أوّل محلّ حظّ فيه قدمه، ولكن لا يوجد لدينا دليل لإثبات صحّه هذا المطلب.

المهم أنّ الإمام عليه السلام أمر ابن عباس أن يتخذ أفضل الطرق لإعاده الهدوء والاستقرار انطلاقاً من مضمون الآيه الشريفه: «اذْفَعْ بِمَا لِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (٣). وهذا يعني أنّ ابن عباس ينبغي له أن يستخدم اسلوب الإحسان معهم في مقابل موفقهم السيء يوم الجمل، لكي يغسل درن الأحقاد والكراهيه ويجعلهم يعيشون الندم والخجل على ما بدر منهم، وربّما كانت مخالفتهم له بسبب خوفهم من العقوبه والانتقام، فعندما يتعامل معهم ابن عباس بالرفاه والرحمه، فهذا من شأنه أن يعيد إليهم روح الهدوء والطمأنينه ويزيل حالات الخوف والقلق.

ص: ٢٠٦

١- (١). «مغرس» في الأصل بمعنى محلّ غرس الأشجار. ثم اطلق على محلّ ظهور كلّ شيء.

٢- (٢). «حادث» صيغه أمر من «المحادثه» بمعنى المراقبه والتحقيق وإزاله الصدأ، يعني غسل القلوب وتطهيرها من درن الأحقاد ورسوبات النزاعات السابقه.

٣- (٣). سوره فصلت، الآيتان ٣٤ و ٣٥.

ويقرّر الإمام عليه السلام هذا المعنى فى كلماته القصار، فى إشاره إلى أصل كلّى حيث يقول: «عَاتِبَ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ» (١).

ثم يدخل الإمام عليه السلام بعد ذكر هذه المقدمه إلى أصل المطلب ويقول: «وَقَدْ بَلَّغَنِى تَنْمُرُكَ (٢) لِبْنِى تَمِيمٍ، وَغَلِظْتُكَ عَلَيْهِمْ».

ثم يذكر الإمام عليه السلام بعض الصفات والخصال لقبيله بنى تميم تدلّ لياقتهم للعفو والصفح والاحترام.

يقول الإمام فى بيان الصفه الأولى منهم: «وَإِنَّ بَيْنَى تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخِرٌ».

والتعبير بالنجم إشاره إلى أنّهم يتمتّعون دوماً بوجود شخصيات كبيره وجديره بالاحترام بحيث إنّه لو مات أحد فسيحلّ نجم آخر محلّه، ولهذا تتوفّر فى القبائل العربيه دوماً رجال مدراء ومفكرون.

وفى الخصله الثانيه يشير الإمام عليه السلام إلى شجاعتهم ويقول: «وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بِوَعْمٍ (٣) فِى جَاهِلِيَّهِ وَلَا إِسْلَامٍ».

ومع الالتفات إلى أنّ كلمه «وَعْمٍ» تعنى فى اللغه الحرب، وكذلك تعنى الحقد والحسد، فهذا الاحتمال الأخير وارد فى تفسير الجملة المذكوره وأنّهم جماعه تستبطن الحقد، ولو تصدّى لهم من يثير أمامهم الأذى والضرر فإنّهم يواجهونه بالمثل ويشيرون الفتنة حينئذٍ، ولكن بالنظر إلى ما تقدّم من كلام الإمام عليه السلام فى مدحهم فإنّ هذه التفسير بعيد عن سياقات الكلام.

وفى الخصله الثالثه والأخيره لهم يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رِحْمًا مَاسَهُ (٤)، وَقَرَايَهُ خِرَاصَهُ، نَحْنُ مَيَّاجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا، وَمَازُورُونَ (٥) عَلَى قَطِيعَتِهَا».

ص: ٢٠٧

١- (١). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ١٥٨.

٢- (٢). «تنمر» بمعنى الغضب الشديد وسوء المعامله، من ماده «نمر» على وزن «كبد» وهو الحيوان المعروف.

٣- (٣). «وعم» وهذه المفرده تأتى بمعنى الحرب وكذلك بمعنى الحقد.

٤- (٤). «ماسه» بمعنى القريبه والحميمه من ماده «مس» وهو إتصال الأبدان.

٥- (٥). «مازورون» بمعنى المذنبون من ماده «وزر» وهو الذنب.

وقد ذهب شراح نهج البلاغه إلى أنّ العامل للقرابه النسيبه والرحم بين بنى تميم وبنى هاشم أنّهما يشتركان فى الجد الأعلى وهو (إلياس بن مضر)، وطبقاً لهذا الكلام فإنّ هاشم يصل إلى إلياس بثلاثه عشر واسطه، وكذلك بنى تميم أيضاً يصلون إليه بوسائط كثيره، ولكن بما أنّ الرحم فى الإسلام تحظى بأهميه بالغه، فالإمام عليه السلام يؤكّد على أنّ هذا المقدار من الوسائط الكثيره بيننا وبينهم لا يمنع من اعتبارهم من الأرحام والأقرباء، أضف إلى ذلك أنّ البعض ذهب إلى وجود رباطه سببيه بين هاشم وتميم من طريق الزواج العائلى، وذهب بعض أيضاً إلى أنّ أحد زوجات الإمام على عليه السلام واسمها ليلى بنت مسعود الحنظليه من بنى تميم؛ ولكن مع الالتفات أنّ الارتباط السببى لا يسمّى رحماً بل يقتصر الرحم على الرباطه النسيبه، فإنّ هذين التفسيرين يبتعدان عن الحقيقه.

ويرى ابن أبى الحديد وبعض آخر من المؤرّخين فضائل الأخرى لبنى تميم حيث يستفاد من مجموعها أنّ هذه القبيله تحظى بامتيازات كبيره فى الواقع الاجتماعى العربى.

ويستفاد من سياق كلام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ مسأله صله الرحم تحظى بأهميه كبيره فى الإسلام بحيث إنّ هذا الحكم الإسلامى يمتدّ من الأرحام ويتناول حتّى

من كان يرتبط بفاصله بعيده من الآباء والأجداد، يقول الإمام عليه السلام: إنك لو لم تحفظ هذه القرابه والرحم فستكون أمام الله مسؤولاً ومحكوماً وإن وصلتها فستكون مصدر الخير والبركه.

وفى ختام هذه الرساله يأمر الإمام عليه السلام ابن عباس بمداراه المخالفين بشكل عامّ وبنى تميم بشكل خاصّ ويقول: «فَارْبَعٌ (١) أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَبَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ (٢) رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلَامُ».

ص: ٢٠٨

١- (١). «أربع» من «الربوع» بمعنى المداراه وضبط النفس.

٢- (٢). «يفيل» من ماده «فيل» على وزن «ميل» بمعنى الخطأ أو الضعف.

ويراد من الخير والشرّ: النفع والضرر، وهى الأعمال التى يمكن أن يترتب عليها الظلم أو الضرر، فالشرّ هنا ليس بمعنى الظلم والجور لأنّ ابن عباس لم يكن الوالى الظالم الذى يتعامل مع الناس بالظلم وسحق الحقوق.

واللافت للنظر أنّ الإمام عليه السلام فى هذه التوصيه بمداراه المخالفين ورعايتهم يشير إلى هذه الحقيقه وهى أنّك وكيل عنيّ، وأنّ كلّ عمل يصدر منك فسوف يكتب عليّ فكأنه صدر منيّ، وعلى هذا الأساس ينبغى الاحتياط والتدبير فى الأمر، وهذا الكلام من قبيل أن يقال لعلماء الدين: انتبهوا إلى أعمالكم وتصرفاتكم لأنّ كلّ عمل يصدر منكم سيكون منسوباً للدين والإسلام أيضاً.

وفى الجملة الأخيره يحذّر الإمام عليه السلام ابن عباس أيضاً ويقول أنّك لو لم تسلك سبيل المداراه والمراعاة فربّما يتغيّر نظر إمامك عنك، وهذا دليل آخر على ضروره العمل بتوصيات الإمام عليه السلام.

فى العبارة الوارده أعلاه يخاطب الإمام عليه السلام ابن عباس بكلمه «أبو العباس» واستخدام الكنيه متداول عند العرب وأنّهم إذا أرادوا أن ينادوا شخصاً باحترام فإنّهم لا يذكرون اسمه الأصليّ بل ينادونه بكنيته أو بلقبه، فهنا راعى الإمام عليه السلام هذا الجانب فى احترام ابن عباس وخاطبه بكنيته.

### تأمل: خصائص أهل البصره

ورد فى الخطب المتعدّده من نهج البلاغه ومنها الخطبه ١٣ و ١٤، توبيخ وذمّ شديد لأهل البصره، وكما رأينا فى الرساله أعلاه أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام يتحدّث عن البصره بأنّها معقل الشيطان ومحلّ نزول إبليس ومكان إثارة الفتن، ولكن بقرينه ما ورد فى بعض الروايات التى تمدح أهل البصره كثيراً أعمّ من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ، فكلام الإمام عليه السلام هنا ناظر لمقطع خاصّ من الزمان، وهو الزمان

الذى وقعت فيه معركة الجمل وسارع أهل البصره لحمايه الناكثين والمتمردين بقياده طلحه والزبير، وأسفر ذلك عن مقتل الكثير من المسلمين.

وعلى ضوء ذلك فإنّ هذا الذمّ المذكور لا يدلّ على كلّ من دخل تلك المدينه أو كان من أهالى البصره، فإنّهُ يملك تلك الصفات الذميمة على امتداد التاريخ وأنّه ليس من أهل الفلاح والسعاده، وخاصّه عندما نرى وجود الكثير من العلماء والعرفاء والقراء والموالين لأهل البيت عليهم السلام فى هذه المدينه.

وللتوضيح أكثر راجع الجزء الأول، ذيل الخطبه ١٣.

\*\*\*

ص: ٢١٠

إلى بعض عماله (١)

### نظرة إلى الرسالة

يستفاد من تاريخ اليعقوبى و تاريخ البلاذرى أن المخاطب بهذه الرسالة هو عمر بن أبى سلمه (مسلمه) الأرحبى الذى قيل إنّه كان والياً على فارس والبحرين (٢)، وأنه كان يستخدم اسلوب العنف والشده مع بعض الفئات التى تحت ولايته من طائفه المجوس، وهؤلاء كتبوا رساله يشكون فيها هذا الوالى، فاستاء الإمام عليه السلام من ذلك وكتب هذه الرسالة مورد البحث ودعا لرعايه الاعتدال وترك اسلوب الشده معهم.

واللافت أن توصيه الإمام عليه السلام فى هذه الرسالة تخصّ غير المسلمين وهم الذين يطلق عليهم «أهل الذمه» الذين يعيشون داخل البلاد الإسلاميه بصوره سلميه، فينبغى أن يتعامل معهم الوالى والمسلمون من موقع الرأفه والمحبه الإسلاميه

ص: ٢١١

---

١- (١). سند الرسالة: نقلت هذه الرسالة فى الكتب والمصادر التاريخيه قبل السيد الرضى، ومن جمله هذه المصادر ما أورده البلاذرى (المتوفى ٢٧٩) فى كتاب انساب الأشراف البلاذرى، وابن واضح (المعروف باليعقوبى المتوفى ٢٨٤) فى تاريخه مع تفاوت وإضافات يسيره لما ورد فى نهج البلاغه (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٤٢).

٢- (٢). شرح نهج البلاغه لابن ميثم، ذيل الرسالة المذكوره.

ويحفظوا لهم نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، فالإمام عليه السلام لا يقبل أى شكل من أشكال العنف والشدة فى التعامل معهم.  
ولكن بما أنّ الاقتراب منهم والتواصل معهم أكثر من اللازم ربّما يثير مشاكل أخرى فى الجو الثقافى والاجتماعى فإنّ الإمام عليه السلام أمر هذا الوالى بضروره التعايش بالاعتدال فى هذا الشأن.

\*\*\*

ص: ٢١٢



أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكُّوا مِنْكَ غِلْظَهُ وَقَسْوَهُ، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنُوا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقَصِّصُوا وَيُجَفِّصُوا لِعَهْدِهِمْ، فَالْبَسَ لَهُمْ جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِبُهُ بِطَرْفٍ مِنَ الشَّدَةِ، وَدَاوِلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَأَمْرَجَ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ.

إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### الشرح والتفسير: شمول الرأفة الإسلاميه لجميع الناس

رأينا فيما تقدم أنفاً أنّ المخاطب بهذه الرساله والى الإمام عليه السلام على فارس والبحرين وأنه كان يستخدم اسلوب الشده والقسوه مع جماعه من المجوس الذين كانوا يعيشون فى تلك المنطقه، وبما أنّ هؤلاء كانوا يعتقدون بعداله الإمام عليه السلام وأخلاقه الحسنه، فلذلك كتبوا إليه هذه الرساله يشكون من سوء معامله الوالى، وفى هذه الرساله العميقه المضمون والتى تعتبر دستوراً لجميع الولاه والأمراء، يقول الإمام عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ دَهَاقِينَ (١) أَهْلَ بَلَدِكَ شَكُّوا مِنْكَ غِلْظَهُ وَقَسْوَهُ، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنُوا لِشِرْكِهِمْ، وَلَا أَنْ يُقَصِّصُوا وَيُجَفِّصُوا لِعَهْدِهِمْ».

وقد أشار الإمام عليه السلام فى هذه العبارات إلى أربع نقاط تتصل بأعمال الوالى السيئه

ص: ٢١٣

١- (١). «دهاقين» جمع «دهقان» وأصل هذه الكلمه فارسىه «دهكان» أو «دهبان» بمعنى كبير القرىه الرئيس، الزعيم، وأحياناً تطلق على كل فلاح، ولكن الأنسب فى عبارته أعلاه المعنى الأول، لأنّ الرؤساء وكبار القرىه هم الذين يكتبون الشكاوى.

وسوء معاملته للرعيه، فى البدايه أشار الإمام عليه السلام إلى العنف، والأخرى إلى القساوه وعدم الشفقه، والثالثه تحقير هؤلاء الرعيه، والرابعه سوء معاملته لهم، وبالرغم من أن هذه المفاهيم تماثل وتقترب فى المضمون، لكن هناك فروق دقيقه بينها، ولذلك أشار الإمام عليه السلام إلى جميع هذه الأمور وأعلن بعد ذلك عن رأيه المبارك فى القضيه، وهو أنه من جهه ينبغى الالتفات إلى أن هؤلاء مشركون، لأنّ المجوس يعتقدون بالثنويه والمصدرين للخلق، وهما يزدان وأهريمن مصدر الخير والشر، ورغم أن الزرادشتين فى هذا العصر يدعون أنّهم موحدون وغير مشركين، ولكن المنابع الدينيه لهم تقرّر خلاف ذلك، وعلى أيه حال فالإمام عليه السلام مع ملاحظه التفاوت الاعتقادى بينهم وبين المسلمين، ينهى عن الاقتراب منهم أكثر من الحدّ اللازم، وفى ذات الوقت يذكر الوالى بهذه النقطه، وهى أن هؤلاء من أهل الذمه يعنى أنّهم يعيشون مع المسلمين من موقع الصلح والسلم ويتعهدون باحترام الإسلام وأحكامه الإلهيه، والحكومه الإسلاميه بدورها تتعهد بالدفاع عنهم وعن أعراضهم وأموالهم وتتعامل معهم بلغه العطف والإحسان، وعلى هذا الأساس فإنّ استخدام القسوه وسوء التعامل معهم يعتبر منافياً للشرع والخلق الإسلامى.

ثم بيّن الإمام عليه السلام هذه الحقيقه ويقول: «فَالْبَسْ لَهُمْ جَلِيَابًا(١) مِّنَ اللَّيْنِ تَشْوِبُهُ بِطَرَفٍ مِّنَ الشَّدَةِ، وَدَاوِلٌ(٢) لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَامْرُجٌ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ، وَالْإِبْعَادِ الْإِقْصَاءِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

وبديهي أنّ مثل هذا الأسلوب فى التعامل مع غير المسلمين الذين يعيشون فى

ص: ٢١٤

- ١- (١). «جلباب» بكسر وفتح الجيم، ذكروا لهذه الكلمه معانٍ مختلفه فتاره تأتي بمعنى العباءه والملحفه، وأخرى المقنعه وغطاء الرأس، والثالثه الثوب الطويل والواسع، وفى الرساله مورد البحث قصد بها الكنايه، والمراد الغطاء واللباس المعنوى الذى يرتديه المدير والقائد لجماعه من الناس حيث يوصيه الإمام عليه السلام بلزوم التحلى بحاله تقترب فيها الشده باللين.
- ٢- (٢). «داول» صيغه أمر من «المداوله» بمعنى تحويل الأمر من شخص لآخر بإدارته وإداره الأمر واستبدال شىء بشىء أو شخص بديل شخص آخر، والمراد من هذه المفرده من العبارة أعلاه أن تتعامل معهم أحياناً بالموده والمحبه وأخرى بشىء من القسوه والشده.

ظَلَّ الحُكُومَةُ الإِسْلَامِيَّةُ بِصِلْحٍ وَسَلَامٍ يَعتَبِرُ مِنْ أَفْضَلِ أَسَالِيبِ المَعَامَلَةِ، وَمِنْ جِهَةٍ يَثِيرُ فِي نَفُوسِهِمُ الطَّمَأْنِينَةَ وَالْأَمْنَ وَيُزِيحُ مِنْ أَدْهَانِهِمْ أَى تَفْكِيرٍ فِي التَّمَرُّدِ وَالطَّغْيَانِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ هَذَا الأسلوبَ فِي التَّعَامُلِ مِنْ قِبَلِ الحَاكِمِ الإِسْلَامِيِّ لَا يَمْكَنُ حَمْلَهُ عَلَى الضَّعْفِ وَالعِجْزِ فِي مَوَاجِهَةِ المَشَاكِلِ وَالتَّحَدِّيَّاتِ وَالتِّي رِبَّمَا تَكُونُ مَصْدَرًا لِإِثَارَةِ القَلَاقِلِ وَتَفْعِيلِ رُوحِ المَشَاكِسَةِ، وَمِنْ هَذَا المُنْتَلَقِ يَرِسمُ الإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأسلوبَ الأمثلَ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الأَقْلِيَّاتِ الدِينِيَّةِ فِي المَجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ.

وَمِنْ المَعْلُومِ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ لَا يَنْحَصِرُ بِأَشْخَاصٍ مَعْيَنِينَ وَلَا يَخْتَصُّ بِزَمَانٍ وَمَكَانٍ، بَلْ هُوَ مِنْهَجٌ مَدْرُوسٌ وَيَمْكَنُ تَرْجُمَتُهُ عَلَى أَرْضِ الوَاقِعِ الاجْتِمَاعِيِّ فِي كُلِّ مَوْرَدٍ وَمَجْتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ، بَلْ يَمْكَنُ القَوْلُ إِنَّ الحُكُومَةَ يَجِبُ أَنْ تَتَّعَامَلَ مَعَ المَسْلَمِينَ أَيْضًا بِمِثْلِ هَذِهِ المَعَامَلَةِ، فَلَوْ أَظْهَرَتْ فِي مَقَابِلِ الرِّعِيَّةِ الكَثِيرِ مِنَ اللِّيُونَةِ وَالتَّسَاهُلِ أَكْثَرَ مِنَ الحَدِّ، فَرَبَّمَا يَحْمِلُ ذَلِكَ عَلَى ضَعْفِ هَذِهِ الحُكُومَةِ، وَبِالتَّيَالِي يَتَجَرَّأُ جَمَاعَةٌ عَلَى القَانُونِ وَلَا يَلْتَزِمُوا بِالمَقْرَّرَاتِ الرِّسْمِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ تَنْفِيذُ القَوَانِينِ وَإِجْرَاؤُهَا بِأَسْلُوبِ الشَّدَّةِ وَالعُنْفِ، فَإِنَّ ذَلِكَ رِبَّمَا يَثِيرُ فِي النَّاسِ الِاعْتِرَاضَ وَالنَّفْرَةَ مِنَ الحُكُومَةِ، وَتَنْقَطِعُ بِالتَّالِي طَبِيعَةُ التَّوَاصُلِ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ الحُكُومَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَى أَيِّهَ حَالٍ فَإِنَّ الإِعْتِدَالَ بَيْنَ الرِّأْفَةِ وَالقَسْوَةِ يَعتَبِرُ أَحَدَ الأَصُولِ الثَّابِتَةِ لِلِإِدَارَةِ النَّاجِحَةِ وَقِيَادَةِ المَجْتَمَعِ.

بَلْ نَرَى مِثْلَ هَذَا الأَصْلِ حَتَّى بِالنَّسْبَةِ لِلذَّاتِ المَقْدَّسَةِ وَالسِّيَاسَةِ الإِلَهِيَّةِ مَعَ العِبَادِ، حَيْثُ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ النَّاسَ يَعيشُونَ بَيْنَ الخُوفِ وَالرَّجَاءِ، يَقُولُ القُرْآنُ الكَرِيمُ:

«تَبَّئِي عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغُفُورُ الرَّحِيمُ \* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ» (١).

وَنَقْرَأُ فِي دَعَاءِ الِافْتِتَاحِ المَعْرُوفِ: «وَأَيَقِنْتُ أَنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فِي مَوْضِعِ العُفُوفِ وَالرَّحْمَةِ وَأَشَدُّ المُعَاقِبِينَ فِي مَوْضِعِ النِّكَالِ وَالتَّنِقَمَةِ».

وَأَثَارُ بَعْضِ شَرَّاحِ نَهْجِ البَلَاغَةِ هُنَا هَذَا السُّؤَالُ، وَهُوَ كَيْفَ أَنَّ الإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْدَرَ

ص: ٢١٥

١- (١). سورَةُ الحِجْرِ، الآيَاتَانِ ٤٩ وَ ٥٠.

مثل هذا الأمر بالنسبة لغير المسلمين وأنه لا ينبغي تقييدهم أكثر من اللازم في حين أن القرآن الكريم يقول بصراحه: «لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» (١).

والجواب عن هذا الإشكال واضح، وهو أن الإمام عليّ عليه السلام لا ينهى عن الإحسان إليهم، بل يأمر برعايه الاعتدال فيهم والتعامل معهم، فلا يقتربوا من الحاكم أكثر من الحدّ ويتجرّأوا على المخالفه، ولا يبعدهم عنه إلى حدّ يتسبّب في امتعاضهم وطغيانهم.

## تأمل: الإسلام وأهل الذمّه

يمكننا تلخيص علاقة الإسلام والمسلمين بغير المسلمين في أربع صور:

١. أهل الذمّه: وهم أصحاب الكتب السماويه الذين يعيشون داخل البلاد الإسلاميه على شكل أقليات دينيه، وهؤلاء إذا لم يتظاهروا بالأمر المخالفه للقوانين الإسلاميه، وتعاملوا مع المسلمين من موقع الاحترام، فيجب على المسلمين أيضاً أن يعاملوهم باحترام كذلك، الحكومه الإسلاميه أيضاً مكلفه بحفظ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، والذمّه تعنى العهد والميثاق، وهو في الحقيقه عهد منهم أن يعيشوا مع المسلمين بصلح وسلام، وأحد شروط الذمّه دفع ضرائب وجيزه تدعى بـ «الجزيه» وفي مقابل هذه الضريبه القليله فإنّ الحكومه الإسلاميه تقدّم لهم خدمات هامه وجليله كما تقدّم في رساله أعلاه، ورأينا أنّ أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام يكتب إلى أحد ولاته رساله يعترض بها عليه من سوء معاملته لأهل الذمّه ويدعوه لتحسين سلوكه ومعاملته لهم.

وقد وردت أحكام أهل الذمّه في الكتب الفقيهيه ذيل كتاب الجهاد بشكل مفصّل.

٢. الكفّار الحربيون: وهؤلاء كما يتبادر من اسمهم، الأشخاص الذين يعيشون

ص: ٢١٦

١- (١). سورة الممتحنه، الآيه ٨.

حاله الحرب ضدّ المسلمين، ولهذا السبب ليس فقط لا- يجب احترامهم، بل إنّ المسلمين مأمورون بجهادهم والتصدي لهم ومقاتلتهم.

وقد وردت أحكام الكفار الحربيين أيضاً في الفقه الإسلامي في كتاب الجهاد بشكل مفصّل أيضاً.

٣. الكفار المعاهدون: وهم الذين لا- يعيشون داخل البلاد الإسلاميّة، ولكنهم تربطهم علاقات تجاريه وسياسيه وغير ذلك مع المسلمين، حيث يحترم كلّ طرف حقوق الطرف الآخر، والمصداق البارز لهؤلاء ما نراه في الحال الحاضر من وجود علاقات سياسيه بين المسلمين وبين جميع البلدان الأخرى في العالم، حيث يتبادلون السفراء والخبراء وأمثال ذلك، وهؤلاء ينبغي التعامل معهم من موقع الاحترام أيضاً، سواء سافروا إلى داخل البلاد الإسلاميّة أو كانوا في الخارج.

وقد وردت أحكام هذه الطائفة أيضاً في كتاب الجهاد وفي كتب التفسير، وخاصّه في تفسير سورة براءه.

٤. الكفار المهادنون: وهم الأشخاص الذين يعيشون خارج البلاد الإسلاميّة ولا تربطهم مع المسلمين رابطه سياسيه خاصه أو معاهده معينه، ولكن في ذات الوقت لا- يواجهون المسلمين بالحرب والقتال، وقد أمر الإسلام بالنسبه لهؤلاء أن يتعامل معهم المسلمون بالإحسان وحسن الخلق، ومن ذلك ما ورد في الآيه ٨ من سورة الممتحنه حيث أكد القرآن الكريم على أنّ الله لا ينهى عن الإحسان لمثل هؤلاء الكفار الذين لا يقاتلونكم ولا يخرجوكم من دياركم.

\*\*\*



إلى زياد بن أبيه وهو خليفه عامليه عبدالله بن عباس على البصره، وعبدالله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الأهواز وفارس وكerman وغيرها (١):

### نظره إلى الرساله

يستفاد من هذه الرساله الوارده فى تاريخ اليعقوبى، وخاصه مع الالتفات إلى ما ورد فى مطلعها، أنّ «زياد» كان قد قصد خيانه بيت المال والامتناع من دفع جميع الخراج، فاطلع الإمام عليه السلام على هذه القضيه من خلال بعض جواسيسه وعيونه وكتب له هذه الرساله الشديده وأمره بدفع الخراج لبيت المال بشكل كامل وإرساله إلى الإمام عليه السلام وقد هدده الإمام عليه السلام بأنّه إذا امتنع عن هذا العمل فإنّه سيواجه عقوبه شديده.

وهذه الرساله وأمثالها تبين أنّ الإمام عليه السلام قد جعل عمال ومراقبين على جميع

ص: ٢١٩

---

١- (١). سند الرساله: ذكر هذه الرساله قبل السيد الرضى، البلاذرى فى كتاب انساب الأشراف، واليعقوبى فى تاريخه (مع تفاوت يسير) وقد أشار كتاب مصادر نهج البلاغه إلى الكتاب الأول ثم أضاف أنّ هذه الرساله نقلها البيهقى فى المحاسن والمساوىء (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٣٣).

الولاه والمسؤولين فى الحكومه حيث ينقلون له باستمرار ما يجرى فى الولايات من مسائل مهمه، فلو أنّ أحد المسؤولين تجاوز حدود صلاحيته فإنّ الإمام سيتولّى تنبيهه.

\*\*\*

ص: ٢٢٠



وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لَئِن بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَيْئِلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامِ.

### الشرح والتفسير: إنذار شديد للمتخلفين

يستفاد من تاريخ اليعقوبى أنّ الإمام عليه السلام فى بدايه هذه الرساله كتب إلى واليه زياد يقول: «إِنَّ رَسُولِي أَخْبَرَنِي بِعَجَبٍ، زَعَمَ أَنَّكَ قُلْتَ لَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ: إِنَّ الْمَأْكَرَادَ هَاجَتْ بِحُكِّكَ فَكَسَبَتْ عَلَيْكَ كَسِيرًا مِنَ الْخَرَاجِ وَقُلْتَ لَهُ: لَا تُعْلِمُ بِمَذَلِكُكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ».

ويستفاد جيداً من هذا المقطع من الرساله أنّ زياداً تواطأ مع بعض الأكراد على تقليل الخراج، وكان يريد - من خلال الادعاء بأن الأكراد قد امتنعوا من دفع الخراج بشكل كامل - أن يختلس بعض الخراج لحسابه الخاص ولا يرسله إلى بيت المال، فعلم الإمام عليه السلام بهذه المؤامرة وكتب له هذه الرساله الشديده وقال: «وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لَئِن بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَيْئِلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامِ».

إنّ تعبير الإمام عليه السلام فى مطلع هذا القسم حيث يقسم بالله قسماً صادقاً، لا يعنى أنّه ربّما يصدر قسم غير صادق من الإمام عليه السلام بل هو نوع من التأكيد على جدّيه الإمام عليه السلام فى هذا الأمر.

والملاحظه الأخرى أنّ الإمام عليه السلام لم يصرّح له فى هذه الرساله بأنّك ارتكبت

الخيانه، بل ذكر كلاماً مشروطاً بهذا المضمون، وهو أنه إذا بلغنى أنك ارتكبت مثل هذه الخيانه...، لأنه إذا أراد كشف الحجاب فى مثل هذه الموارد عن عمل الشخص المتخلف، فإن ذلك يدعوه للجراه أكثر، فبلاغه الكلام تستدعى أن يكشف قليلاً عن الستار ويذكر الموضوع بشكل مشروط لئلا يتجرأ أكثر، ويعزم على الفرار بالأموال من تلك المنطقه.

وهنا نقطه جديره بالالتفات فى كلام الإمام عليه السلام حيث يقول: إننى سأعاقبك عقوبه شديده بحيث يترتب عليها ثلاث بلايا: الأولى: أنك ستعيش فى حياتك قليل الوفه من المال، والآخر ستكون سىء السمعه فلا يأتمنك أحد على عمله وماله.

الثالث: أن تكون ثقيل الظهر، وربما يكون مقصوده عليه السلام من ذلك ثقل المسؤوليه فى الدنيا، أى أنه يحمل على ظهره مسؤوليه الخيانه وما يترتب عليها من عقوبه، أو أن يعيش بصعوبه بالغه بسبب الفقر فلا يستطيع إداره أموره الشخصيه والمعاشيه، واحتمل بعض الشراح أيضاً أن المراد من ثقل الظهر هنا المسؤوليه الآخريه، كما ورد هذا المضمون فى قوله تعالى: «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (١).

والظاهر أن هذا الاحتمال بعيد عن المقصود، لأن الإمام عليه السلام يقول: إننى سأعاقبك بما يترتب عليه هذه العواقب الثلاث، ونعلم أن المسؤوليه يوم القيامه بسبب الخيانه حتميه ولا تحتاج لتشديد الإمام عليه السلام ولا ترتبط بإنزال العقوبه بحقه.

وجمله «ضئيل الأمر» مع الالتفات إلى أن كلمه «ضئيل» تأنى بمعنى الحقير والضعيف والمهين، فإن مفهومها هو أنك إذا ارتكبت الخيانه وعرف الناس منك ذلك، فسوف تعيش بعد ذلك بين الناس حقيراً ومهيناً وذليلاً.

وأساساً فإن الخيانه، لاسيما الخيانه فى الأموال وخاصه فى بيت المال، منشأ الفضيحه فى الدنيا والآخره، وهذه الحقيقه لا تنحصر بزياد بن أبيه فى صوره خيانته

ص: ٢٢٢

لبيت المال وما يترتب على ذلك من العواقب الثلاث التي ذكرها الإمام عليه السلام له في رسالته، بل هي المصير الذي ينتظر جميع الخائنين وخاصه خونه بيت المال، فإن ظهورهم ستكون مثقله بوزر الذنب والمسؤوليه والعقوبه، وأن انتفاعهم في هذا الحياه سيكون ضئيلاً وستكون شخصيتهم حقيره ويعيشون الذل والمهانه بين الناس.

### تأمل: لماذا اختار الإمام عليه السلام زياداً لهذا المنصب

بالنسبه لسيره «زياد بن أبيه» وتاريخ حياته، تطرح عدّه أسئلة وعلامات استفهام، الأولى: لماذا يقال عنه: زياد بن أبيه، والذي يحكى عن عدم مشروعيه ولادته ونسبه، والآخر: لماذا اختاره الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لهذا المنصب في أيام خلافته، أو على الأقل اختاره عبداللّه بن عباس لمثل هذا المقام مع معرفته بشخصيته معرفه دقيقه، بحيث انتهى به الأمر إلى ما انتهى إليه، وكان له ولأسرته دور تخريبي في تاريخ الإسلام؟

والجواب عن هذه الأسئلة سيأتي إن شاء في ذيل الرساله ٤٤ حيث يتناسب هذا الموضوع معه أكثر.

\*\*\*



إلى زيادٍ أيضاً (١)

### نظرة إلى الرسالة

يستفاد من صدر هذه الرسالة الواردة في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، أنّ بعض الأشخاص كتب إلى الإمام عليه السلام أنّ زياداً ارتكب أعمالاً مخالفة، ومن ذلك أنّه كان يجلس على موائد تكثر فيها أنواع الأَطعمه وأنّه كان يتعامل مع الآخرين من موقع التكبر والغرور، والإمام عليه السلام في هذه الرسالة حذّره من الإسراف والتكبر وطلب الدنيا وأكد له أن يهتم في حياته بالآخره.

\*\*\*

ص: ٢٢٥

---

١- (١). سند الرسالة: نقل هذه الرسالة البلاذري في كتاب انساب الأشراف، وفي الحقيقة أنّ ما ذكره السيد الرضى في نهج البلاغه يعتبر قسماً من رساله مطوّله أرسلها الإمام عليه السلام لزياد بن أبيه، وقد أورد كتاب مصادر نهج البلاغه هذا المصدر فقط للرساله (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٣٣). ونقلها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ذيل الرسالة ٤٤ عن البلاذري في أنساب الأشراف مع اختلافات عدّه، وبما أنّ هذا التفاوت كبير نسبياً فمن البعيد حمله على اختلاف النسخ، ولعلّ ابن أبي الحديد كان يملك مصدراً آخر لهذه الرسالة حيث نقلها بكلّ تفاصيلها وشرحها.



فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا، وَادَّكَرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسَكَ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ. أ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَئِنُّ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ؛ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْمَأْرَمَلَةَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ؟ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَعْجِزٌ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: الإمام عليه السلام يحذّر «زياد» مرّة أخرى

تقدّم آنفًا أنّ لهذه الرسالة مقدّمه يمكن من خلالها فهم ما أورده المرحوم السيّد الرضّي لشرحها وتفسيرها، فقد ورد في مقدّمه هذه الرسالة، أنّه كان بين سعد وزياد ملاحاه ومنازعه، وعاد سعد فشكاه إلى عليّ عليه السلام وعابه، فكتب عليّ عليه السلام إليه، أما بعد فإنّ سعداً ذكر أنّك شتمته ظلماً وهددته وجهته تجبراً وتكبراً، فما دعاك إلى التكبر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الكِبْرُ رِدَاءٌ لِلَّهِ فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ قَصِيْمَةٌ»، وقد أخبرني أنّك تكثر من الألوان المختلفه في الطعام في اليوم الواحد، وتدهن كلّ يوم، فما عليك لو صمت لله أياماً، وتصدّقت ببعض ما عندك محتسباً، وأكلت طعامك مراراً قفاراً، فإنّ ذلك شعار الصالحين! أفتطمع وأنت متمرّغ في النعيم، تستأثر به على الجار والمسكين والضعيف والفقير والأرمله واليتيم، أن يحسب لك أجر المتصدّقين! وأخبرني أنّك تتكلم بكلام الأبرار، وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبّط، فتب إلى ربّك يصلح لك عملك، واقتصد في أمرك

وقَدِّمَ إِلَى رَبِّكَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، وَاذْهِنُ غَبَاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«ادَّهِنُوا غَبَاً وَلَا تَدَّهِنُوا رَفَهَا» (١).

ثمَّ يَأْمُرُهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّصَدَّقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَحْرُومِينَ وَيَقُولُ لَهُ أَيْضاً: إِنَّ كَلَامَكَ كَلَامَ الْمُحْسِنِينَ وَلَكِنْ عَمَلُكَ عَمَلُ الْمَذْنِبِينَ وَالْعَاصِينَ، فَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ حَقِيقَةً فَإِنَّكَ قَدْ ظَلَمْتَ نَفْسَكَ وَأَحْبَطْتَ عَمَلَكَ (٢).

ومع الالتفات إلى ما تقدّم أعلاه، نصل إلى شرح الرسالة طبقاً لما ذكره السيّد الرضويّ، فالإمام عليه السلام يأمر زياد بن أبيه بأربعه أمور في عبارته موجزة وزاخرة بالمعنى، فيقول في البدايه: «فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِداً».

وهو إشارة إلى ما كان زياد يهتم به من جلب ألوان الأَطْعَمَةِ عَلَى مَائِدَتِهِ وَيَتَّخِذُ سَبِيلَ الْمُتَرَفِينَ، وَهَذَا الْأَمْرُ يُعْتَبَرُ مَذْمُوماً لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا سِيَّماً لِلْحُكَّامِ وَالْوَلَاةِ الْمُنْصُوبِينَ مِنْ قِبَلِهِمْ.

وطبعاً فَإِنَّ الْإِسْرَافَ لَا يَنْحَصِرُ بِالْإِكْتِثَارِ فِي الْأَطْعَمَةِ وَأَمْثَالِهَا، بَلِ الْإِسْرَافُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَذْمُومٌ فِي الْإِسْلَامِ حَتَّى فِي الْعِبَادَاتِ، حَيْثُ تَوْجِبُ أحياناً التَّعَبَ وَالْمَلَلَ وَزَوَالَ الرَّغْبَةَ فِي الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَإِنَّ الْقَصْدَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ السَّرْفَ أَمْرٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ حَتَّى طَرَحَكَ النَّوَاهُ فَإِنَّهَا تَصْلُحُ لِلشَّيْءِ وَحَتَّى صَبَّكَ فَضَلَ شَرَابِكَ» (٣).

ثمَّ يَذْكُرُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ التَّوَصِيهَ الثَّانِيَةَ وَيَقُولُ: «وَأَذْكَرُ فِي الْيَوْمِ غَدًا».

وهذا هو ما ورد في القرآن الكريم مراراً كقوله تعالى: «وَمَا تَقْدُمُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ

ص: ٢٢٨

١- (١). نقل المرحوم الحرّ العاملي صاحب كتاب وسائل الشيعة في الجزء الأول، الباب ١٠٢ في آداب الحمام روايات كثيرة حول كيفية الاستفادة من أنواع الدهون لتسييط الشعر وتنعيم الوجه والبدن بما كان متداولاً في ذلك الزمان ومستحباتها ومكروهاتها، ويستفاد من تعبير الإمام عليه السلام في التعبير أعلاه أَنَّ الْإِكْتِثَارَ مِنْ اسْتِخْدَامِ هَذِهِ الدَّهُونِ كَانَ مَسْلُوكَ الْأَشْرَافِ وَالْأَثْرِيَاءِ وَالْمُتَرَفِينَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ.

٢- (٢). ذكر هذا المضمون البلاذري في انساب الأشراف، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه (ج ١٦، ص ١٩٦).

٣- (٣). بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٤٦.



ومورد آخر يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٢).

ومعلوم أنّ الإنسان إذا اعتقد بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة وأنّ احتياجه إلى الأموال والثروات في ذلك الوقت أشدّ بكثير من حاجته في الدنيا، من الواضح أنّه سيرتك حالات الإسراف والتبذير والتجمل، وبنعطف على أعمال الخير ولا ينفق من هذه الأموال أكثر من الحدّ اللازم في هذه الدنيا ويقوم بإرسالها أمامه إلى ذلك اليوم.

ثم يوصى الإمام عليه السلام بالأمر الثالث والرابع ويقول: «وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ».

والواقع أنّ ما أشار إليه الإمام عليه السلام في جملة: «وَأَذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا» بشكل إجمالي، قد فصّله في الجملتين الأخيرتين، وفسّر جملة ذكر الغد في هذه العبارة بأمساك المال إلّا بمقدار الضرورة والحاجة ولزوم إرسال الفضل إلى آخرتك، وهو اليوم الذي تحتاج فيه إلى هذا المال بشدّه، وخاصّه أنّ الثروة ستعرض للفناء في حياته، وإن لم يصبها شيء من النقصان والفناء، فإنّ الإنسان سيرتكها عند الموت ولا يمكنه أن ينتفع بها بأدنى شيء ولا يستطيع أن يحملها معه إلى القبر، وحتى أنّ بعض الأقسام الماضية الذين كانوا يدّخرون الكثير من الأموال النفيسة للسلطين والملوك ويدفنونها معهم، فإنّهم في الواقع يدّخرون كنوزاً من هذه الثروات للأجيال اللاحقة دون أن تعود بالنفع على أصحابها الموتى.

ومثل هذا المضمون ورد بتعبيرات شيقه وعميقه المعنى في وصيّة الإمام عليّ عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام (الكتاب ٣١ من نهج البلاغه) حيث يقول: «فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ ظَهْرَكَ

١- (١). سورة البقره، الآية ١١٠.

٢- (٢). سورة الحشر، الآية ١٨.

فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونُ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبِالْأَعْيُنِ، وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقِهِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمُهُ وَحَمَلُهُ إِيَّاهُ».

إنَّ ما ورد من الصفات الأربع أعلاه هو فى الواقع إشاره إلى ما ذكره بعض المطلعين عن إسراف زياد بن أبيه وخيانتة لبيت المال.

ثمَّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطه أخرى من نقاط ضعف زياد، وهى التكبر والغرور فى مقابل المحرومين والمستضعفين من الناس ويقول: «أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ!».

وبديهى أنَّ الشخص الذى يتوَقَّع أن ينال ثواب المؤمنين، يجب عليه أن يعمل عملهم ولا- يعيش التناقض والازدواجيه فى السلوك والميول الباطنيه، وهذا بالضبط كالمزارع الذى يطمع بالحصول على محاصيل وفيه من أرضه الزراعيه فى حين أنه لم يبذر فيها ولم يسقها الماء.

وهنا يضع الإمام عليه السلام اصبعه على نقطه حساسه جدًّا، وهذا هو ما ورد فى كلامه عليه السلام فى كتاب غررالحكم حيث قال: «إِخْذِرِ الْكِبْرَ فَإِنَّهُ رَأْسُ الطُّغْيَانِ وَمَعْصِيَةُ الرَّحْمَنِ» (١).

وفى كلام آخر للإمام عليه السلام يقول: «أَقْبِحُ الْخُلُقِ التَّكْبُرُ» (٢).

وقد ورد فى روايه أخرى عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام قالا: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ» (٣).

ثمَّ يعود الإمام عليه السلام ليتحدَّث مرَّه أخرى عن مسأله الإنفاق فى سبيل الله ويقول:

«وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ (٤) فِي النَّعِيمِ، تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ (٥) - أَنْ يُوجِبَ لَكَ

ص: ٢٣٠

١- (١). غرر الحكم، ح ٢٦٠٩.

٢- (٢). المصدر السابق، ح ٢٨٩٨.

٣- (٣). الكافي، ج ٢، ص ٣١٠.

٤- (٤). «المتمرِّغ» هو الشخص الذى اضطجع على التراب وألصق بدنه به، من «التمرِّغ». بمعنى التقلُّب فى التراب.

٥- (٥). «أرملته» المرأه التى توفى زوجها، و «أرمل» الرجل الذى توفيت زوجته، وتأتى أحياناً بمعنى فقدان الزاد والمتاع، وفى الأصل بمعنى «رمل» وكأنَّ مثل هؤلاء الأشخاص ولشده عجزهم وفقيرهم وحاجتهم التصقوا بالأرض وبالرمل، وتطلق مفردَه «أرامل» على المساكين أيضاً.

وهذه الحالة لا تختصّ بزياد بن أبيه فقط، فالكثير من الأشخاص عندما يدعون الله تعالى فإنهم يسألونه ثواباً جزياً، ولكنهم في مجال العمل الذي ينتج مثل ذلك الثواب نراهم مقلّين ولا شيء لديهم في مقابل هذا الطلب الكبير، وفي الحقيقة أنّ مثل هذا الطلب والدعاء هو نوع من التناق والازدواجية بين الرغبات والأعمال، وينبغي قلع هذه الحالة من وجود الإنسان للتوصّل إلى السكينة والانسجام الروحيّ التام، فعندما تكون رغبات الإنسان متجانسه ومتناغمه مع سلوكياته وأعماله، يستطيع أن يكون الدعاء حينئذٍ مقبولاً حتى لو طلب من الله أكثر من ذلك.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يختم هذه الرسالة ببيان قاعده كليّه تستوعب جميع التوصيات السابقه وتزيد عليها، ويقول: «وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَشْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَالسَّلَامُ».

## تأملان

### ١. العلاقة بين الأعمال والجزاء

يستفاد من التعاليم القرآنيه ومفاهيم الوحي أنّ الأصل في يوم القيامة والحساب هو العلاقة الموجوده بين الأعمال وما يترتب عليها من الثواب والعقاب أو مشاهدته الأعمال ونتائجها: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (١) في حين أنّ الكثير من الناس يعتقدون بأنّ الأصل في ذلك اليوم هو العفو الإلهي والشفاعه، ولهذا السبب لا يهتمون بالأعمال كما ينبغي، وهذا النمط من التفكير يقودهم أحياناً إلى ترك الواجبات وارتكاب المحرّمات والتساهل في

ص: ٢٣١

الالتزام الواعى بمقتضيات رسالته والمسؤولية، فالشفاعة حقّ وأنّ العفو الإلهي حقيقه لا ريب فيها، ولكنّ هذه الأمور لا تمثّل أصلاً وأساساً للنجاه يوم القيامة، فذلك اليوم يسمّى يوم الدين، أى يوم الجزاء واستلام نتائج الأعمال.

والإمام عليه السلام فى رسالته مورد البحث يؤكّد على هذه المسأله أيضاً ويقول: إنّ الإنسان يرى جزاء الأعمال التى قدّمها لهذا اليوم فى الماضى، ويرد على أمور كان قد أدّخرها له فى الدنيا.

فلو أنّنا جعلنا هذا المعنى أساساً وأصلاً فى حركة الحياه والفكر الدينى، فمن البديهيّ أنّ أعمالنا ستكون أنقى وأطهر بكثير.

## ٢. زياد ابن أبيه الانتهازى

لقد تحدّث المؤرّخون كثيراً عن زياد وابنه عبيدالله وعقائدهما المنحرفه وأعمالهما السيئه، وسيأتى بعض التفصيل عن سيرتهما فى ذيل الكتاب ٤٤ إن شاء الله، ولكن من المناسب هنا أن نشير إشارة مقتضيه إلى ما أورده ابن أبى الحديد فى هذا المورد، يقول:

«قلت: قبح الله زياداً، فإنّه كافاً إنعام علىّ عليه السلام وإحسانه إليه واصطناعه له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحه بشيعته ومحبيه والإسراف فى لعنه، وتهجين أفعاله، والمبالغه فى ذلك بما قد كان معاويه يرضى باليسير منه، ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضى معاويه، كلاً، بل يفعله بطبعه، ويعاديه بباطنه وظاهره، وأبى الله إلّا أن يرجع إلى امّه ويصحّح نسبه، وكلّ إناء ينضح بما فيه، ثمّ جاء ابنه بعده فختم تلك الأعمال السيئه بما ختم، وإلى الله ترجع الأمور» (١).

\*\*\*

ص: ٢٣٢

---

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٣٩، ذيل الكتاب ٢١.

إلى عبد الله بن عباس رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ:

«مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامٍ بَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَانْتِفَاعِي بِهَذَا الْكَلَامِ!» (١)

### نظرة إلى الرسالة

الغرض الأصلي من كتابه هذه الرسالة هو أنّ الإمام عليه السلام يلفت نظر مخاطبه ابن عباس، وبعبارة أخرى جميع السائرين في طريق الحق، إلى هذه النقطة المهمّة وهي أنّ الإنسان لا ينبغي أن يفرح بما حصل عليه من مواهب مادّيّه وخيرات دنيويّه عاجله، ولا- ينبغي أن يحزن على ما فقده منها، بل ينبغي أن يكون فرحه وسروره في نيل المواهب المعنويّه والأخرويّه، ويكون أسفه وحزنه على ما فقده من هذه

ص: ٢٣٣

---

١- (١). سند الرسالة: يقول صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه: إنّ هذه الرسالة وردت في روايات متواتره، وقد نقلها كثيرون قبل السيد الرضى وبعده في كتبهم، ومن الأشخاص الذين نقلوا هذه الرسالة قبل السيد الرضى، نصر بن مزاحم في كتابه صفين، والمرحوم الكليني في روضه الكافي والبلاذرى في انساب الأشراف واليعقوبى في تاريخه وبعده المرحوم السيد الرضى جماعه أخرى أيضاً، ويستفاد من مجموع ذلك أنّ هذه الرسالة مشهوره ومعتبره جداً (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٣٤).

إنّ روح هذه الرسالة هي انعكاس لما ورد في القرآن الكريم في سورة الحديد:

«لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، وعلى ضوء ذلك فإذا تحرّك الإنسان في واقع الحياة على مستوى تجسيد هذه التوصية الغالية والعمل بها، فإنّ ذلك سيمنحه القدرة والثبات والاستقامه، بحيث لا يتزلزل ولا يصيبه الاهتزاز أمام العواصف العاتية والتحديات الصعبة التي يفرضها الواقع.

\*\*\*

ص: ٢٣٤

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسِيرُهُ دَرَكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سِيرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

### الشرح والتفسير: السرور والحزن الموهومان

في هذه الرسالة يشير الإمام عليه السلام في مطلعها إلى نقطتين مهمتين ومصيريتين في حياة الإنسان ويقول: «أَمَّا بَعْدُ - أى بعد الحمد والثناء -، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسِيرُهُ دَرَكٌ (١) مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ».

إن مواهب الدنيا على نحوين، فبعضها يحصل عليها الإنسان بسعيه وعمله ويفقدها بتكاسله وتماهله، والنحو الآخر، يحصل عليه الإنسان بدون سعي وبذل جهد، وأحياناً يفقد الإنسان مثل هذه المكاسب الدنيوية حتى لو سعى وبذل الجهد في سبيل تحصيلها والاحتفاظ بها.

والقسم الأول يدخل في دائره اختيار الإنسان: والآيه الشريفه: «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (٢) ناظره إلى هذا المعنى، ولكن القسم الآخر يدخل في دائره القضاء والقدر الحتميين، وهو خارج عن دائره اختيار الإنسان.

ص: ٢٣٥

- ١- (١). «درك» وردت هذه الكلمه في أكثر نسخ نهج البلاغه «دَرَكَ» على وزن «سَيَد» ولكن وردت في بعض النسخ «دَرَكَ» على وزن «عَدَل» وكليهما يقصد بهما معنى واحد وهو تحصيل الشيء ونيل المراد.
- ٢- (٢). سورة النجم، الآيه ٣٩.

والواقع أنّ الإمام عليه السلام يشير إلى هذه الحقيقة الحاسمة، وهي أنّ الكثير من الأمور التي توجب السرور والفرح للإنسان هي من القسم الثاني، وعلى أيّ حال، فالإنسان يحصل عليها وفقاً لما قدّر له في دائره القضاء والقدر الإلهيين، وعلى هذا الأساس فالفرح والحرص عليها لا مبرّر له، كالشخص الذي يفرح بطلوع الشمس، وفي النقطه المقابله هناك أمور لا يحصل عليها الإنسان مهما بذل من جهد وسعى في سبيل ذلك، فلو أنّ الشخص عاش الحزن والغمّ بسبب ذلك فإنّ حزنه سيكون موهوماً ولا مبرّر له، كالشخص الذي يحزن لغروب الشمس واختفائها في الأفق.

والمواهب الماديّه أعمّ من الأموال، والثروات، والمقامات والمناصب، والنجاحات والإخفاقات، فقدان بعض الإمكانيات والحصول عليها؛ هي من هذا القبيل غالباً، فلا يكون نيلها والحصول عليها اختيارياً ولا فقدانها وزوالها، ومن هنا لا ينبغي أن يكون الحصول عليها سبباً للفرح والسرور ولا فقدانها سبباً للتأسّف والحزن.

عندما ننظر إلى الحياه الدنيا بهذا المنظار ونرى النجاحات والإخفاقات من هذه الزاويه، فسوف لا تكون تلك النجاحات موجباً للفرح والسرور، ولا تكون الإخفاقات والفشل مصدرراً للحزن والهمّ.

ثمّ يستمرّ الإمام عليه السلام في بيان هذه الحقيقة ويقول: «فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا».

والدليل على ذلك واضح، فالمواهب الماديّه، الاختياريه منها أم غير الاختياريه، تسير بسرعه نحو الزوال والفناء، ولا يمكن الاعتماد عليها في زمان وجودها، فهي معرّضه دوماً للآفات والنقصان وكذلك الحرمان منها معرّض للانتهاك وسرعه الزوال، فما يبقى للإنسان في واقع الحياه هو المواهب الأخرويه والمعنويه، فلذلك ينبغي أن يتأسّف على فقدانها ويحرص على نيلها واكتسابها.

ويقول الإمام عليه السلام في ختام هذا الكلام وكنيته جليّه لما تقدّم: «وَمَا نَلْتَ مِنْ



دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلَيْكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ».

وفى الختام ينبغى الالتفات إلى هذه الحقيقه وهى أنّ مواهب الدنيا على قسمين، وأما مواهب الآخره فنوع واحد لا أكثر، فأما مواهب الدنيا فتاره يحصل عليها الإنسان بالسعى وبذل الجهد، وأحياناً بدون سعى وعمل، وعلى حدّ تعبير البعض:

«بما أنّ الإنسان عندما يحصل على نعم ومواهب أو يفقد هذه النعم فلا يعلم أنّها من أىّ القسمين هى، هل هى من القسم الأول أم الثانى، ولهذا السبب يقول الإمام عليه السلام:

«وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَمَّا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا»، فربّما تكون هذه النعم والمواهب من الأمور غير الاختياريه التى لا يحرم منها الإنسان أبداً، وكذلك «وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا» فلا خوف على حرمانك منها فربّما تكون من النوع الذى سيبقى معك إلى الأبد، ولكن ليكن همّك واهتمامك لما تقدّمه لآخرتك من سعى وعمل صالح، ففى ذلك اليوم لا تحصل على شىء إلّا من خلال ما تقدّمه لنفسك، فإنّ ليس للإنسان إلّا ما سعى، وكما يقول الإمام عليه السلام فى موضع آخر من نهج البلاغه: «لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ»<sup>(١)</sup>.

## تأملان

### ١. الجواب عن سؤال

ورد فى كلام الإمام عليه السلام فى رساله مورد البحث أنّ فرح الإنسان ينبغى أن يكون منصباً على ما يحصل عليه فى الآخره، فى حين أننا نعلم أنّ الآخره ستقع فى المستقبل لا فى الدنيا، ولكن ينبغى الالتفات إلى أنّه، أولاً: إنّ الكثير من الأمور المعنويه يحصل عليها الإنسان فى الحياه الدنيا وتمثّل نوعاً من الأمور الأخرويه، من قبل النجاح والتوفيق فى مسيرته المعنويه فى السلوك إلى الله.

ص: ٢٣٧

١- (١). نهج البلاغه، الكلمات القصار ١٠٥.

ثانياً: إنّ هذه العبارة ناظره إلى الأسباب والعوامل التي تؤدّي إلى الحصول على المواهب الأخرويه، فالشخص الذي قدّم أعمالاً صالحه وتحلّى بصفات محموده فى هذه الدنيا يمكن القول أنّه قد حصل على المواهب الأخرويه، كأنّه وفّر أسبابها فى هذه الدنيا، وبعبارة أخرى قد حصل على أسباب تلك المواهب الأخرويه، وتحصيل الأسباب هو نوع من نيل المسببات.

## ٢. الإنسان فاعل مختار

لقد ثبت فى بحث الجبر والاختيار، وطبقاً للأدلة العقلية والآيات الكثيره الوارده فى القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام، أنّ الإنسان فاعل مختار فى أعماله، ومن المحال أن يكون الإنسان مجبوراً على المعصيه والإثم، وأنّ الله تعالى عادل فى حكمه وسيجزيه الجزاء العادل على ما قدّم من أعمال وسلوكيات، ولا يمكن أن يجبر الإنسان على الأعمال الصالحه، ثمّ يشبهه عليها بوصفه مستحقاً للثواب، ولكن لا شكّ فى وجود بعض الأمور فى حياه الإنسان خارجه عن اختياره، والله تعالى لا يعاقبه ولا يشبهه عليها بسبب ذلك، من قبيل الخصوصيات البدنيه فى الإنسان ومنشأ ولادته ومن هو أبوه وأمه وفى أىّ زمان ومكان يولد، وأمثال ذلك، فهذه الأمور ربّما تؤثر فى صياغه عمل الإنسان وشخصيته، ولكنّ هذا التأثير لا يكون حتمياً وغير قابل للاجتئاب، وبعبارة أخرى أنّ هذه الأمور ربّما توفرّ للإنسان الأرضيه المناسبه للأعمال الصالحه والطالحه ولكن الإنسان هو الذى سيفرض إرادته فى النهايه ويقوم بعمل معيّن أو يختار سلوك خاصّ بإرادته واختياره.

وبديهى أنّ الأشخاص الذين تتوفّر فيهم الأرضيه المناسبه للأعمال الصالحه سيكون ثوابهم أقلّ من الأشخاص الذين لم تتوفّر لهم مثل هذه الأرضيه، والعكس صحيح، فالأشخاص الذين تتوفّر فيهم الأرضيه المساعدّه لارتكاب الذنب إلّا أنّهم يجتنبون التورّط بالإثم ويعصمون أنفسهم من الذنب، فإنّهم يستحقّون الثواب أكثر

من الأشخاص الذين لم تتوفر فيهم هذه الأرضية، ولتوضيح هذا المعنى يمكننا الاستعانة بمثالين في هذا المجال، فالكثير من الناس يتوجهون إلى المساجد، ولكن جار المسجد ليس على حدّ سواء من الثواب مع الشخص الذي يبتعد عن المسجد مسافه بعيده.

المسلمون يصومون رمضان، ولكن ثواب الشخص الذي يملك مزاجاً قوياً وبنية مساعده ليس على حدّ سواء مع الشخص الذي يملك بنية ضعيفه، وقد وردت تفاصيل هذا الموضوع في الكتب الدينيه المختصه.

\*\*\*

ص: ٢٣٩



## الرساله ٢٣: قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْوَصِيَّةِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ

### إشاره

قَالَ قَبْلَ مَوْتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْوَصِيَّةِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ (١)

### الوصيه في نظره عامه

هذه الوصيه تتضمن مع كونها موجزه، على أربعة أقسام:

القسم الأول: يوصى الإمام عليه السلام بالتمسك بركنى الإسلام الأساسيين، وهما التوحيد والنبوه ويقول: لا تسمحوا للشرك أن ينفذ في ثنایا حياتكم، ولا تغفلوا العمل بسنه نبيكم.

القسم الثانى: يتحدث الإمام عليه السلام عن مسيرته في هذه الحياه ويقسمها إلى ثلاث مراحل، كلّ مرحله منها تمثل عبره ودرساً للمخاطب، ويقول: في الماضى كنت

ص: ٢٤١

---

١- (١) . سند هذا الكلام: ذكر هذه الوصيه المرحوم الكلينى في كتاب الكافى مع بعض التفاوت وقال: عندما ضرب الإمام عليه السلام بالسيف في محرابه، تجمّع بعض المصلين حول فراشه فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين عليه السلام أوصنا، فقال: اتونى بوساده لأتكىء عليها ثم تحدّث بكلام معروف ومذكور في المصادر وقد أورد السيد الرضى قسماً منه. وأورد قسماً من هذه الوصيه المسعودى في مروج الذهب وكذلك في كتاب إثبات الوصيه وابن عساكر في تاريخه، الحوادث التي تتعلق باستشهاد الإمام على عليه السلام.

أعيش بينكم سالماً، واليوم أنام في فراش المرض، وغداً أفارقكم، فهذه الأيام الثلاثة عبره لكم.

القسم الثالث: يشير الإمام عليه السلام إلى كيفية التعامل مع قاتله وأنه ينبغي أن يقترن ذلك بكامل المحبة والعطف، فلو أنّ الإمام عليه السلام بقي حيّاً فسيكون العفو لقاتله قربه له، وإذا نال الشهادة فإنّ أولياء الدم يمكنهم الاقتصاص من القاتل ومع ذلك يوصى الإمام عليه السلام بالعفو عنه.

وفي القسم الرابع: يبيّن الإمام عليه السلام كيفية مواجهته للموت ويقول: إنني لم أكره الموت أبداً بل كنت متعطّشاً له وفرحاً باستقباله.

\*\*\*

ص: ٢٤٢

وَصِيَّتِي لَكُمْ: أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ.

أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمًّا! أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ. إِنَّ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفَنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسِينَةٌ، فَاعْفُوا: «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» وَاللَّهُ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ؛ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ، وَطَالِبٍ وَجَدَّ؛ «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ».

### الشرح والتفسير: وصايا مهمه

كما أشرنا في ما سبق أنّ ما ذكره المرحوم السيد الرضى هنا يمثل مقطعاً من كلام مفصّل تحدّث به الإمام عليه السلام في آخر ساعه من عمره الشريف، حيث تمثّل هذه الوصيه رأسمال معنويّ وفكريّ ثمين لجميع أفراد الأئمة الإسلاميه، ففي القسم الأول من هذه الوصيه يقول عليه السلام: «وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا؛ وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ. أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعُمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمًّا!».

ومع الالتفات إلى أنّ الإمام عليه السلام يؤكّد في هذه الوصيه اجتناب الشرك مطلقاً، فإنّ ذلك يشير إلى نفي جميع مظاهر وحالات الشرك، سواء الشرك في الذات والصفات والأفعال، أو الشرك في العباده وغيرها، فلو أنّ الإنسان عاش التوحيد الخالص من جميع أشكال الشرك، فإنّ ذلك من شأنه إضاءه وتنوير جميع أركان روحه

وشخصيته، بحيث يكون وجوده ملكوتياً وروحانياً بكل ما فى الكلمه من معنى.

وفى الوصيه الثانيه يؤكد الإمام عليه السلام على ضروره عدم تضييع سنّه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ولزوم العمل بجميع ما ورد فيها، خلافاً للأشخاص الذين يتعاملون مع سنّه النبى من موقع الانتقاص، فأخذون ببعض ويتركون بعضاً، فهم فى الواقع يخذعون أنفسهم، مثلاً- لا- يلتزمون بحكم الجهاد الواجب والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إلا أنهم يقيمون صلاه والليل ويلتزمون بالنوافل، ولا يتورعون عن ارتكاب المحرمات والمنكرات، ومع ذلك يقيمون العزاء على سيد الشهداء.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام يشبه هذين الأصلين الأساسيين أحياناً بعمود الخيمه، وأخرى بأنهما سراجان يضيئان طريق الحق أمام الإنسان، فالخيمه الصغيره تحتاج عاده إلى عمود واحد، ولكن الخيمه الكبيره ربّما تحتاج إلى أكثر من عمود وعلى كل عمود ينصب سراج للإناره، وكما يقول البعض أنّ النور يخرج من تلك الأعمده، وعلى أيه حال فإنّ خيمه الدين لا يمكن إقامتها بدون هذين الأصلين والعمودين، ولا يمكن إناره أجواء الحياه المعنويه للإنسان بدون هذين السراجين.

أمّا عبارته: «خَلَاكُمْ ذَمٌّ» وكما ذكرنا فى الخطبه ١٤٩ من الجزء الخامس أنّ العرب كان يضربون المثل بهذه الجمله ومفهومها، أنّه لا- ذم ولا لوم عليكم لأنكم أدّيتم تكليفكم وأنجزتم وظيفتكم، يعنى أنّكم عملتم بما أوصيتكم به، فلا إشكال يرد عليكم، وأمّا القائل الأول لهذه العبارة ولهذا المثل من هو؟ فقد ذكرنا تفصيل الكلام فى الجزء المذكور.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض فى القسم الثانى من هذه الخطبه وفى عبارات موجزه وعميقه المعنى، لبيان سيره حياته وأنها تعدّ درساً وعبره لكم ويقول: «أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ».

يعنى أنا الذى فتحت خيبر وخضت معركة بدر والأحزاب وكنت فى ذلك الوقت رجلاً قوياً أذبّ عن الإسلام والمسلمين، وأدافع عنكم، ولكنّ مرور الزمان قد أثر



فِيّ وَغَيْرِنِي، وَالْيَوْمَ أَرْقُدُ فِي فِرَاشِ الْمَوْتِ بِرَأْسِ دَامٍ مِنْ ضَرْبِهِ ابْنُ مَلْجَمٍ، وَهَذَا الرَّأْسُ الْمَصَابُ يُعْتَبَرُ دَرْسًا لَكُمْ عَلَى عَدَمِ وِفَاءِ الدُّنْيَا، وَغَدًا عِنْدَمَا تَرَوْنَ مَكَانِي خَالِيًا بَيْنَكُمْ سَتَشْعُرُونَ بِحَقِيقَةِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَتَلْمَسُونَ عَدَمَ اعْتِبَارِهَا، فَإِنَّهَا أَعْرَضَتْ بِكُلِّ سَهْوَةٍ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الشَّجَاعِ وَالْبَطْلِ الْمَقْدَامِ وَسَلَّمْتَهُ إِلَى أَجَلِهِ.

التَّارِيخُ الْبَشَرِيُّ نَرَى فِيهِ الْكَثِيرَ مِنْ هَذِهِ الْوَقَائِعِ، وَأَنَّ شَخْصِيَّاتٍ كَبِيرَةً أَوْ مَجَامِعَ قَوِيَّةً تَغَيَّرَتْ بِمَرُورِ الزَّمَانِ وَبِمَدَّةِ قَلِيلِهِ كَلِيًّا، وَلَمْ يَبْقَ لَدَيْهِمْ مِنْ إِمْكَانَاتٍ وَقَدْرَاتٍ إِلَّا الْقَلِيلَ الَّذِي لَا يَفِي بِشَيْءٍ، وَيَتَحَدَّثُ لَنَا التَّارِيخُ أَنَّ نَادِرَ شَاهٍ كَانَ فِي ذُرُوهِ الْعِظْمَةِ عِنْدَمَا قَصَدَ الْهَجُومَ عَلَى بَعْضِ الْبُلْدَانِ، فَنَامَ فِي فِرَاشِهِ فَجَاءَهُ الطَّبَّاحُ الَّذِي كَانَ مُسْتَاءً مِنْ نَادِرٍ بِشَدِّهِ وَمَعَهُ سَكِينٌ فَقَطَعَ بِهِ رَأْسَهُ وَذَبَحَهُ عَلَى فِرَاشِهِ وَانْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ.

وَالْأَوْضَحُ مِنَ الْجَمِيعِ تَارِيخُ الْأَقْوَامِ السَّالِفَةِ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كِرَارًا كَالْفِرَاعِنَةِ وَنَمْرُودَ وَقَوْمَ عَادَ وَثَمُودَ، حَيْثُ عَاشُوا الْعِظْمَةَ وَالْقُدْرَةَ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ وَقُوعِهِمْ مَوْرَدِ الْغَضَبِ الْإِلَهِيِّ، وَفِي لِحَظَاتٍ أَصْبَحُوا أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ وَدَفَنْتَهُمْ أَمْوَاجُ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ وَسَحَقْتَهُمُ الصَّيْحَةُ السَّمَاوِيَّةُ أَوْ تَحَطَّمَتْ عُرُوشُهُمْ وَقُصُورُهُمْ بِالزَّلْزَلَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لَا تَنْحَصِرُ بِالْأَشْرَارِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بَلْ إِنَّ الْأَخْيَارَ وَالْأَبْرَارَ مَشْمُولُونَ لِهَذِهِ السَّنَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَا تَمَثِّلُ لِلْجَمِيعِ سِوَى وَهَمًا زَائِلًا وَهَبَاءً مَنُورًا.

ثُمَّ يَتَحَدَّثُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقِسْمِ الثَّلَاثِ عَنْ نَظَرَتِهِ لِقَاتِلِهِ وَيُوصِي أبنَاءَهُ وَأَصْحَابَهُ وَصِيَّةً مَفْعَمَةً بِالْمَحَبَّةِ وَالشَّهَامَةِ وَيَقُولُ: «إِنَّ أَبْيَقَ فَنَانَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفَنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْيَفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسِينَةٌ، فَاعْفُوا «أَلَا- تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» (١)».

ص: ٢٤٥

وما ذكره الإمام عليه السلام في الجملة الأخيره مقتبس من الآيه الشريفه من سوره النور، الوارده فى ذيل الآيات «الإفك» عندما اتهمت جماعه من المنافقين زوجه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وتصدى القرآن الكريم لتبرئه ساحتها من التهمه الشنيعه، فكان أن أقسم بعض أثرياء الصحابه أنهم لا يمدون يد العون بعد الحادثه إلى الأشخاص الذين ساهموا فى نشر هذه الشائعه الموهنه، فنزلت الآيه الشريفه وأمرتهم بما ذكر آنفاً:

«أَلَا تَجِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»، يعنى أنكم كما تتوقعون من الله العفو والصفح فإن الآخرين أيضاً يتوقعون منكم العفو والصفح فى مقابل العمل السىء الذى ارتكبهوه فى حق زوجه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله.

ومعلوم أن القصاص فى الإسلام يعدّ أصلاً فى الأحكام والتعاليم السماويه على حدّ تعبير القرآن الكريم وأنه بمشابه الحياه للمجتمع: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (١)، ولكن فى ذات الوقت ترك القصاص والعفو عن الجانى الذى يستحقّ العفو، يعتبر فضيله كبيره ومرتبته عاليه من السموّ الأخلاقى والإنسانى.

وأخيراً يتحدّث الإمام عليه السلام، فى القسم الرابع والأخير من وصيته، عن موقفه من الموت والشهاده، وهذا هو الموقف الذى انعكس فى موارد عديده من نهج البلاغه أيضاً وهو أننى ليس فقط لا أخشى من الموت بل أننى أعيش العشق للشهاده فى سبيل الله ويقول: «وَاللَّهِ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالَعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلَّابْرَارِ»».

والعباره الأخيره مقتبسه من الآيه الشريفه ١٩٨ من سوره آل عمران، حيث يتحدّث القرآن الكريم فى مطلع الآيه عن ثواب المتّقين ويختمها بالجملة المذكوره آنفاً.

وما جاء فى المقطع الأخير من هذه الوصيه هو ما تحدّث عنه أميرالمؤمنين

ص: ٢٤٦

علّي عليه السلام مَرَاتٍ عديده كما فى نهج البلاغه وغيره، وهذا ليس شأن الإمام عليه السلام فحسب بل المؤمنى العاديين أيضاً لا يخافون الموت، وخاصه إذا كان الموت مقترن بالشهاده، والأشخاص الذين يخافون من الموت إماً أنهم لا يؤمنين بالحياه بعد الموت ويتصوّرون أنّ الموت يعنى الفناء وزوال كلّ شىء ولذلك يخافون منه، أو يؤمنون بالحياه بعد الموت لكنّ صحيفه أعمالهم إلى درجه من الظلمه والتلوّث بحيث يعلمون أنّ مصيرهم بعد الموت هو بدايه العذاب والألم، وأما الأشخاص الذين يؤمنون بالآخره ويملكون صحيفه أعمال بيضاء ونقيه، فلا- ميّرر لخوفهم من الموت، بل على حدّ تعبير الإمام عليه السلام فى الخطبه ٥ من نهج البلاغه تكون علاقتهم بالموت أشبه بعلاقه الطفل الرضيع بشدى امه، أو أكثر: «وَاللّٰهُ لَأَبْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنَسٌ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِشَدَىٰ أُمِّهِ».

وطبقاً لما ورد فى الروايه المشهوره أنّ عبدالرحمن بن ملجم المرادى عندما ضرب الإمام عليه السلام فى محراب العباده على امّ رأسه، قال الإمام عليه السلام: «فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ».

ومع الالتفات إلى أنّ كلمه «قارب»، كما ورد فى لسان العرب وبعض الكتب اللغويه تعنى الشخص الذى يبحث عن الماء ليلاً أو الشخص الذى تفصله عن عين الماء مسير ليله واحده، فيستفاد من جملة «كَفَّارِبٍ وَرَدَّ وَطَالِبٍ وَجَدَّ» الإشاره إلى أننى بالنسبه للموت والشهاده كالضمان الذى يريد الوصول إلى منهل الماء أسرع، وقد نلت بغيتى ووجدت ضالّتى التى كنت أنتظرها سنين متماديه.

وما أشدّ التفاوت بين هذا الكلام وكلام المستكبرين الذين يعيشون بعيداً عن الله عزّ وجلّ والآخره عندما يحين أجلهم ويقعون فى شباك الموت، فنراهم يرتجفون خوفاً ويصرخون هلعاً ويتمنّون العوده إلى الدنيا وهم فى حاله الذلّه والمهانه.

يقول السيد الرضى فى ختام هذه الرساله: «قَالَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:

أَقُولُ: وَقَدْ مَضَى بَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْخُطْبِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةٌ أَوْجِبَتْ تَكَرُّرَهُ».

## ١. القصاص أو العفو؟

رأينا آنفاً أنّ تشريع حكم القصاص في الإسلام من أجل حفظ المجتمع البشريّ من شرّ الأشرار، وكما ورد في القرآن الكريم: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (١) والأشخاص الذين يعيشون في زماننا هذا ويخالفون حكم القصاص فهم في الواقع يترحمون على الذئاب العاوية، ويسمحون للأبرياء أن يقعوا في مصائد هذه الذئاب والوحوش الكاسره ولا يهتمون بذلك، فهناك أفراد من الأشرار في المجتمع إذا شعروا بالأمن من القصاص فلا أحد يستطيع منعهم من ارتكاب أيّ جريمه في حقّ الأبرياء، وأحد عوامل زياده نسبه القتل في بعض المجتمعات البشريه يعود إلى إلغاء حكم القصاص في تلك المجتمعات.

ولكنّ الإسلام، ومن أجل التصدي للعنف والعداوان بالمقدار الممكن، يمنح الأشخاص الذين ارتكبوا جريمه القتل بدافع من الانفعال العفويّ أو الغرور فرصه أخرى، حيث ضمّ إلى جانب حكم القصاص حكم العفو، وخير أولياء الدم بين القصاص والعفو، ولكن أولياء الله يختارون دائماً الخيار الثاني، ولهذا السبب فقد أوصى الإمام عليه السلام أبناءه وأصحابه في وصيته مورد البحث العفو عن القاتل، ونعلم أنّ القاتل هو ابن ملجم.

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو أنّ أولاد الإمام عليه السلام بعد توصيه الإمام عليه السلام بالعفو عن القاتل لماذا رجّحوا خيار القصاص؟

الجواب عن هذا السؤال يتبيّن من خلال الالتفات إلى هذه النقطة وهي أنّ مشاعر الناس وعواطفهم الجيِّاشه في مقابل هذه الجريمه كانت إلى درجه من الشده بحيث أنّ العفو عن ابن ملجم سيتسبب في إثارة الاضطراب في ذلك المجتمع، وعشاق الإمام عليه السلام لا يملكون القدره على تحمّل مثل هذا العفو، أضف إلى ذلك أنّهم

ص: ٢٤٨

لو سجنوا ابن ملجم فإن الجماهير ستهجم حينئذٍ على السجن، وإذا أطلقوا سراحه فسيقطعونه إرباً إرباً، إذن فالأفضل إجراء حكم القصاص عليه ليعود الهدوء إلى المجتمع.

## ٢. معنى «لا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ»

إن أساس الإسلام يتمثل في ما ذكره الإمام عليه السلام في هذه الوصية مورد البحث، حيث أكد على التوحيد وحفظ سنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فالالتزام الواعي بمتطلبات التوحيد في جميع أبعاده وخاصة التوحيد في العبودية والأفعال، من شأنه أن يكون مصدراً لجميع الخيرات والبركات، فاللجوء إلى ساحه كبريائه ورحمته الواسعه من شأنه أن يفعل شفاعته الشفعاء أيضاً، فالله تعالى هو الذى بيده مصائر العباد وأرزاقهم وموتهم وحياتهم، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، وهو على كلّ شيء قدير.

وأما حفظ سنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كذلك لا يكون بالكلام فقط، بل لابدّ من تجسيدها على أرض الواقع والممارسه، ولكن للأسف الشديد فإنّ جماعه من المسلمين اكتفوا باسم الإسلام وغفلوا عن سنّة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله تماماً.

وجماعه أخرى فرضوا آراءهم وما توحى إليهم أهواؤهم على السنّة الشريفه من خلال القراءات الجديده وأنماط التفسير بالرأى، ووضعوا أنفسهم وأفكارهم مكان السنّة النبويه، حتّى أنّ الإمام عليه السلام فى وصيّة أخرى له وهو على فراش الشهاده يقول:

«وَاللّٰهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَشِقُّكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ»<sup>(١)</sup>، فأنتم قد تربّيتم فى ظلّ القرآن الكريم والتعاليم السماويه، فلا ينبغى الغفله عنها ويعمل بها غيركم، ويتحلّى الآخرون بالأمان والصدق وتلوّثون أنتم بالخيانة والكذب، وغيركم متّحدون فيما بينهم على أمر الدنيا، وأنتم مختلفون ومتفرّقون فى أمر دينكم.

ومن هنا فنحن نخشى أن يأتى ذلك اليوم الذى «لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِسْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رِسْمُهُ»<sup>(٢)</sup>.

ص: ٢٤٩

١- (١). نهج البلاغه، الكتاب ٤٧.

٢- (٢). كمال الدين وتمام النعمه: ٦٦، كفايه الأثر: ١٥.



بما يُعْمَلُ فِي أَمْوَالِهِ، كَتَبَهَا بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صَفِين (١):

### نظرة إلى الرسالة

يتبين من هذه الرسالة أن القسم الأ-كبر منها، - كما يفهم من سياقها، - وقف لا-وصيه، والوصيه تشكّل قسماً صغيراً منها، وخلاصه ما ورد فيها أنّ متولّي الوقف هم أبناء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وبعده الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وبيان صارف الموقوفه وكيفيه تقسيمها وإداره بساتين النخيل ويستفاد من مجموع هذه الوصيه أنّ الإمام عليه السلام كان يملك بساتين نخل عديده في مناطق مختلفه، وامتلكها إمّا من خلال نصيبه من الغنائم الحربيه أو بسعيه وجهده، وقد أوقفها جميعاً في موارد الوقف العام ليتسنى للجميع الاستفادة منها.

ص: ٢٥١

١- (١). سند الوصيه: طبقاً لما ورد في مصادر نهج البلاغه أنّ الشيخ الكليني نقل هذه الوصيه في كتاب فروع الكافي، ج ٧، ص ٤٩ عن عبدالرحمن بن الحجاج (ولكن ما ورد في الكافي يختلف كثيراً عمّا أورده السيد الرضى في نهج البلاغه) ونقلها الشيخ الطوسى بعد الشريف الرضى في كتاب التهذيب. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٥٤). ويستفاد من كتاب نهج البلاغه أنّ هذه الوصيه أكثر بكثير ممّا أورده السيد الرضى، وفي الحقيقه أنّ ما ورد في نهج البلاغه يعتبر مقطعاً صغيراً من هذه الوصيه، ولكن هذا المقطع عميق في المعنى ودقيق في العبارات والمضمون. (ولمزيد من الاطلاع انظر كتاب نهج البلاغه، ص ٩٨٨).

ویشیر الأخير منها إلى الجوارى وكيفيه فتح الباب أمام تحريرهنّ وعتقهنّ.

ويستفاد أيضاً من كلام السيد الرضّى في ذيل هذه الرساله أنّه كان شديد الاهتمام بهذه الرساله حيث تتضمّن فصاحه عاليه وبلاغه رائعه.

\*\*\*

ص: ٢٥٢



هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ. مِنْهَا: فَإِنَّهُ يَقُومُ بِبَدَلِكَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحَسَيْنٌ حَتَّى، قَامَ بِالأَمْرِ بِعِيْدِهِ، وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ. وَإِنْ لَابَنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَيَّ ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَكْرِيمًا لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفًا لِرُحْمَتِهِ. وَيَشْتَرِطُ عَلَيَّ الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَيَّ أَصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهُدًى لَهُ، وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَدِيْنِهِ حَتَّى تُشَكِلَ أَرْضُهَا غَرَسًا. وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي - اللاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ - لَهَا وَلَدٌ، أَوْ هِيَ حَامِلٌ، فَتَمَسَّكَ عَلَيَّ وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ، فَذُفْرَجَ عَنْهَا الرُّقُ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ.

### الشرح والتفسير: توصيات مدرسه لإداره الموقوفات

سبق وأن أشرنا آنفاً إلى أن هذه الوصية تتخذ شكل الوقف في الأصل، ولذلك ورد فيها أركان الوقف، الموقوف عليهم، المتولّى و... واحداً بعد الآخر.

بدايه يتحدث الإمام عليه السلام عن الوقف والغرض من الوقف، ويقول: «هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ، ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ».

ويستفاد جيداً من هذه العبارة أنّ أحد شروط الوقف قصد القربة حيث ذكر هذا الشرط في سند الوقف، وبعد ذلك مباشرة ذكر اسم الواقف.

أمّا الوصف بكلمه أمير المؤمنين بعد أن ذكر الإمام عليه السلام اسمه المبارك، فهذا يشير إلى أنّ كتابه هذا السند من الوقف كان في أيام حكومته وخلافته رغم أنّ الإمام عليّ عليه السلام كان يعرف بأمر المؤمنين من قبل المطلعين وأولوالألباب بعد رحله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يبيّن في قسم آخر من هذه الوصية «سند الوقف» أربع نقاط، والسيد الرضوي فصلها بعبارة، «منها»: بيان الشخص المتولّي وحقّ التولية ومصارف الوقف والأشخاص الذين يتولّون الوقف بعد وفاه أو استشهاد المتولّي الأول وهو القائم مقامه ويقول: «منها: فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنِ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ».

وجمله: «يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ» يمكن أن يكون إشاره إلى حقّ التولية وربما تكون إشاره إلى استفادة الموقوف عليهم منها، ولكنّ الاحتمال الأول أقرب إلى سياق العبارة مع الالتفات إلى أنّ الأفعال في الجمل المذكوره للمستقبل.

وجمله: «وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ» أنّ هذه الموقوفه تتمتع بوجه الوقف الخاص والوقف العام أيضاً، فبعضها يتعلّق بأبناء الإمام عليه السلام والقسم الآخر يتعلّق بجميع المحتاجين والمسلمين.

وجمله: «وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ» إذا كان ضمير «مصدره» يعود إلى الموقوفه فإنّ مفهومها أنّ الإمام الحسين عليه السلام يعمل في منتج ومحصل هذه الموقوفه عمل الإمام الحسن عليه السلام، وإذا كان الضمير يعود إلى الإمام الحسن عليه السلام فإنّ مفهومه أنّ الإمام الحسين عليه السلام يتبع سيره الإمام الحسن عليه السلام فيها، ورغم أنّ نتيجة كلا هذين الاحتمالين واحده، إلّا أنّهما مختلفان في المفهوم من السياق، وعلى أيّ حال فالاحتمال الأول

ثم بيّن الإمام عليه السلام شرحاً أوفى للموقوف عليهم ويقول: «وَإِنَّ لِبُنْتَى فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيِّ مِثْلَ الَّذِي لِبُنْتَى عَلِيٍّ».

ولهذه العبارة تفسيران: الأول، كما أشرنا إليه آنفاً أنّ انتفاع الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام من حق التولية لا يمنع انتفاعهما من محصول تلك الموقوفه على أنّهما من الموقوف عليهم، فالحسن والحسين عليهما السلام هما المتولين للوقف وكذلك من زمره الموقوف عليهم.

التفسير الثاني: أنه لا يوجد أي امتياز وخصوصية للاستفادة من الموقوفه من أبناء الإمام علي عليه السلام، سواء كانوا من أبناء فاطمه عليها السلام أم من نسل الزوجات الأخريات لأئمة المؤمنين عليه السلام.

فالإمام عليه السلام في هذه الجملة لم يقل: «أبنائي من نسل فاطمه» بل قال: ابني فاطمه عليها السلام وهذا يشير إلى غايه الاحترام للمقام الشامخ للزهاء عليها السلام.

وبعد ذلك بيّن الإمام عليه السلام هذه النقطة، وهي أنه لماذا جعل توليه الموقوفه بيد أبناء فاطمه لا سائر أبنائه الآخرين: «وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَيَّ ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لَوْصَلْتِهِ».

والحقيقة أنّ الإمام عليه السلام بيّن في هذه العبارة أربعة أدلّة مرتبطة ببعضها على هذا الاختيار: ابتغاء وجه الله، التقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، إكراماً واحتراماً له ولحرمته، والتشرف بقربته.

وعلى حدّ قول ابن أبي الحديد أنّه عندما يتم تسليم الأمور إلى أقرب المقرّبين من الأشخاص الذين يتمتعون باللياقة والجداره الكامله، فإنّ قبول ذلك من قبل

---

١- (١). إنّ الروايه المذكوره في كتاب الكافي بدل هذه الروايه تشير إلى أنّ التفسير الثاني أنسب، لأنّ المذكور في الكافي: «وَإِنَّ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ وَحُسَيْنٌ حَتَّى... وَإِنَّ حُسَيْنًا يَفْعَلُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي أَمَرْتُ بِهِ حَسَنًا» ومفهومه أنّ الإمام الحسين عليه السلام يسلك في إجراء هذه الوصيه بالنسبه للوقف، ذات البرنامج والمنهج الذي يسلكه الإمام الحسن عليه السلام. (الكافي، ج ٧، ص ٥٠).

سائر الناس سيكون أقرب وأيسر، لأنّ الأقربون أكثر من أى شخص آخر على معرفه بسنّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ودينه وسنّته وأنهم أجدر من الآخرين لحفظ هذه الرساله والقيام بمتطلباتها والدفاع عنها.

يقول ابن أبي الحديد فى شرح هذا الكلام: «ثم قال: إنّما فعلت ذلك لشرفهما برسول الله صلى الله عليه وآله، فتقرّبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، بأن جعلت لسبطيه هذه الرئاسة، وفى هذا رمز كناية إلى من صرف الأمر عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، مع وجود من يصلح للأمر، أى كان الأليق بالمسلمين والأولى أن يجعلوا الرئاسة بعده لأهل قرابه رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريماً لحرمة، وطاعه له، وتعظيماً لقدره صلى الله عليه وآله أن تكون ورثته سوقه يليهم الأجانب، ومن ليس من شجرته وأصله، ألا ترى أنّ هيبه الرساله والنبوّه فى صدور الناس أعظم إذا كان السلطان والحاكم فى الخلق من بيت النبوّه، وليس يوجد مثل هذه الهيبة والجلال فى نفوس الناس للنبوّه إذا كان السلطان الأعظم بعيد النسب من صاحب الدعوه عليه السلام»(١).

وهنا ربّما يثير البعض هذا السؤال، وهو: لماذا لم يعين الإمام عليه السلام المتولين للوقف بعد الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام؟

الجواب: إنّ الإمام عليه السلام بيّن ذلك فى الروايات التى تذكر جميع هذه الوصيّه بشكل مفصل، ولكن السيد الرضى الذى انتهج منهج الانتقاء فى نقل كلمات الإمام عليه السلام حذف هذا القسم من الوصيّه، والخلاصه أنّ الإمام على عليه السلام جعل توليه الوقف بعد الإمام الحسن والإمام الحسين صلى الله عليه وآله بيد سائر أبنائه، ولو لم يوجد بينهم شخص مناسب لهذا الأمر، فإنّه ينبغى أن يتولّى هذه الموقوفه رجال آخريين من آل أبي طالب، وإنّ فقد من بينهم الشخص المناسب لتولّى هذا الأمر فتنقل التوليه إلى شخص آخر من بنى هاشم(٢).

ص: ٢٥٦

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٤٩.

٢- (٢). وللمزيد من الاطلاع راجع فروع الكافى، ج ٧، ص ٥٠.

وفى المقطع الأخير من هذا السند والوصية بالوقف يتحدث الإمام عليه السلام عن كيفية حفظ هذه الموقوفات ورعايه أمورها، ويأمر بأمرين فى هذا المجال، فيقول أولاً:

«وَيَسْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى أَصُولِهِ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهُدَى لَهُ».

ويعتبر ما ذكره الإمام عليه السلام هنا قاعده كليته فى جميع الموقوفات، فينبغى أن يبقى أصل المال سالمًا ويتم الانتفاع فقط من محصوله وثمرته فى الوقف، وهذا التعبير أحياناً يقال عند إجراء صيغته عقد الوقف، فيقال: «أَنْ لَا يُبَاعَ وَلَا يُوهَبَ»، ويقول كذلك فى تعريف الوقف: «الْوَقْفُ حَبْسُ الْعَيْنِ وَتَسْبِيلُ الثَّمَرِ»، ولكن الإمام عليه السلام بين هنا هذا المطلب للتأكيد ولئلا يفكر الأشخاص من الموقوف عليهم بيع أصل النخيل وينتفعوا من أثمارها.

التوصيه الثانيه يقول الإمام: «وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَدِيَّهَ حَتَّى تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا».

كلمه: «وَدِيَّهَ» تعنى الفسائل الصغيره التى تنمو إلى جانب النخله وتمد جذورها تدريجياً وتشتد وتنمو حتى يتم فصلها واقتطاعها من الأصل وغرسها فى مكان مناسب آخر، ولذلك ورد التعبير عنها بـ «أَوْلَادِ نَخِيلٍ»، وهذا العمل له فائدتان، الأولى: أن يتم إشغال الفضاءات الفارغه من بساتين النخيل بهذه الأغراس كما يقول الإمام عليه السلام: «تُشَكَلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا».

ومفهوم هذه العبارة، كما بين ذلك المرحوم السيد الرضى فى ختام هذه الوصيه، أنه يستفاد من هذه الأغراس الجديده للنخيل بحيث يتم اشغال جميع أراضى بساتين النخيل بحيث يشكل تشخيصها على الناظر وهل أنها هى النخيل السابقه، أم نخيل جديد؟

وعلى أيه حال فإن تأكيد الإمام عليه السلام لإعمار هذه الموقوفات واتساع رقعه الأراضى الزراعيه جدير بالالتفات.

والفائده الأخرى، ما يقال من أنّ فسيل النخيل لو لم تقطع وتفصل من أصلها في الوقت المناسب ويتم بيعها، فإنّها ربّما تسبب ضرراً للنخلة نفسها، ومن هذا المنطلق ينبغي حفظ هذه الأغراس إلى زمن معيّن ثمّ يتمّ اقتطاعها طبقاً لتوصيه الإمام عليه السلام ومفاد سند الوقف وغرسها في الأرض الزراعيه ويتمّ الاستفادة منها في ذلك البستان الموقوف.

وهذه التوصيه لا تختصّ بموقوفات الإمام عليه السلام فقط، بل تشمل جميع الموقوفات من هذا القبيل، رغم أنّ المتولين النفعيين وللأسف يتصرّفون خلاف ذلك ويعرضون بساتين النخيل للأضرار والآفات، لأنّ بساتين النخيل لو لم تمتلىء من النخيل فإنّ الحراره والبروده في الفصول المختلفه من شأنها أن تعرّض النخيل للضرر أسرع، ولكن عندما تمتلىء بساتين النخيل من أشجار النخيل فإنّها قلّما تصاب بالآفات وأشكال الضرر الأخرى.

وهذا الكلام لا يعنى غضّ النظر عن إيجاد فواصل لازمه بين أشجار النخيل فرّبما يتسبب عدم رعايه الفاصله أيضاً إلى إضعاف النخيل والإضرار بهذه البساتين.

وضمناً ينبغي الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أنّ أغراس النخيل يمكن أن تعدّ جزءاً من المنافع، فلا تشملها حرمة بيع الوقف، ولكن مع ذلك فالإمام عليه السلام يقول: إنّ بستان النخيل مادام يحتاج إلى هذه الأغراس فلا ينبغي بيعها إلى خارج البستان.

وفى ختام هذه الوصيه، وبعد بيان المسائل المتعلّقه بالموقوفات، تعرّض الإمام عليه السلام للمسائل المتعلّقه بزوجاته من الجوارى، ويتحدّث عن بيان وضعهنّ ومصيرهنّ، بحيث يتمّ تحريرهنّ بعد وفاته، يقول: «وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي - اللَّائِي أُطُوفُ عَلَيْهِنَّ (١) - لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ، فَتُمْسِكُ عَلَيَّ وَلِدَهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ، فَإِنْ مَاتَ

ص: ٢٥٨

١- (١). عبارته «أطوف عليهن» تعبير كناية جميل للمواقع الجنسيه، لأنّه يفهم من كلمه الطواف نوع من الإلتواء والدوران وعندما تأتي هذه الكلمه مع على يقصد بها الدروان حول الشىء وخاصه أنّ هذا التعبير طبقاً لما ذكره لسان العرب يستخدم عادة فى الحركات الليله، وإذا كان القصد منها الحركه فى النهار لابدّ من المجىء بقريته.

وَلَدَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ، قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقَّ، وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ».

وفى ذلك الزمان كان للإمام عليه السلام عدّة جوارى بحكم الزوجات، وكان له منهنّ أبناء أيضاً، ولعلّ غرض الإمام عليه السلام من زياده الأبناء وكثره النسل أن يزداد آل عليّ وبنو هاشم، وبذلك يتمّ الوقوف أمام تهديد الأعداء لهذا النسل المبارك ولا تتسبّب مؤامرات الأعداء فى انقراض هذه الذريّة الطاهره.

وعلى أيّه حال فالإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيه بيّن حكم الجوارى اللاتى لهنّ ولد منه أو حاملات منه، وطبقاً للقاعده الفقهيّه المعروفه التى يتفق عليها جميع الفقهاء أنّ مثل هذه الجوارى والإماء يتمّ عتقهنّ من سهم الأولاد، أو بتعبير آخر إنهنّ جزء من نصيب الأبناء من الإرث فيتمّ عتقهنّ مباشرة بعد موت المالك، لأنّه لا يحقّ لأحد أن يملك أباه أو أمّه.

وأما بالنسبه للإماء اللاتى ليس لهنّ ولد، فلم يذكر لهنّ حكم فى هذه الوصيه، ولكن ورد حكمها أيضاً فى روايات أخرى ذكرت هذه الوصيه بشكل مفصّل كما وردت فى كتاب الكافى، وأنّ الإمام عليه السلام أمر بعتقهنّ جميعاً، ولكنّ السيد الرضى وبسبب منهجه فى التلخيص والانتقاء اكتفى بهذا المقطع من الوصيه.

وهذا يشير إلى أنّ الإمام عليه السلام كان يهتمّ بتحرير والعبيد والجوارى، وأنّه كان طيله تاريخ حياته المباركه، وطبقاً لما ورد فى بعض الروايات اشترى وأعتق من كدّ يده ألف عبد «أنّه عليه السلام أعتق ألف نسّمه من كدّ يده»<sup>(١)</sup>.

وهذه المسأله، أى اهتمام الإسلام فى تحرير العبيد تدريجياً، تعتبر مسأله كثيره الأبعاد والتفاصيل، وتشير إلى أنّ الإسلام يرى أنّ الأصل فى الإنسان الحريه حتّى فى المجتمع الذى يعيش ثقافه العبوديه والرّق، ولكن من اللازم إيجاد برنامج

ص: ٢٥٩

١- (١). بحار الأنوار، ج ٤١، ص ٣٢، ح ٣.

مدروس وطويل الأمد للوصول إلى هذا الهدف وتحقيق هذه الغاية الإنسانية، لأن الإعلام الفوري عن عتق جميع العبيد والإماء من شأنه إيجاد الخلل وخلق جوٍّ من الأزمه في مفاصل المجتمع، وربما يتسبب أيضاً في الإضرار وإهلاك الكثير من العبيد(1).

وجمله: «فَإِنْ مَاتَ وَلَمَّا دَهَا» إشاره إلى هذه الحقيقه، وهى أن لا يتصوّر أحد أنّ الجاربه الحامل أو ذات الولد التى مات ولدها بعد موت المولى، فإنّ تلك الجاربه تعود إلى حالتها السابقه من الرّق والعبوديه، فالإمام عليه السلام يقول: (فإن مات ولدها وهى حيّه فهى عتيقه قد أفرج عنها وحزّرها العتق) يعنى أنّه لا يمكنها العوده إلى الحاله السابقه.

\*\*\*

وفى ختام هذه الوصيه يقول المرحوم السيّد الرضى: «قال الشّريف: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْوَصِيَّةِ: «وَأَلَّا يَبِيعَ مِنْ نَخْلِهَا وَدَيْهَ»، الْوَدْيَةُ: الْفَسِيلَةُ، وَجَمَعُهَا وَدَى.»

وقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَتَّى تُشَكِّلَ أَرْضُهَا غِرَاساً» هُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ، وَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ النَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا النَّاطِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي عَرَفَهَا بِهَا فَيُشَكِّلُ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَيَحْسِبُهَا غَيْرُهَا». وتعبير الإمام عليه السلام بكلمه «ودّيه» تعنى غرس النخله وجمعها «ودى» (على وزن على).

وأما العبارة الأخرى للإمام عليه السلام وهى قوله: «حَتَّى تُشَكِّلَ أَرْضُهَا غِرَاساً» فهى من أفصح الكلام، ومفهومها أنّ الأغراض والنخيل ينبغى أن تكون بدرجه من الكثره بحيث تغطّى أجواء بستان النخيل، فكلّ شخص قد شاهد هذا البستان فى السابق يصعب عليه تشخيص هذه النخيل والبستان ويتصوّر أنّه يشاهد بستاناً آخر ويسير فى حقل آخر.

ص: ٢٤٠

---

١- (١). وللمزيد من الاطلاع انظر: تفسير الأمثل، ذيل آيات ١-٣ من سوره محمّد.



## ١. الجواب عن سؤالين

قد تثار بعض الأسئلة وعلامات الاستفهام على هذه الوصية ويقال:

١. يستفاد من التعبير بالوصية أنّ الإمام عليه السلام كان يملك أموالاً طائلة بحيث أنّه وقفها في حياته، ولكن مع الالتفات إلى زهد الإمام عليه السلام المعروف، فمن أين حصل على مثل هذه الأموال؟

وكما أشرنا قبل قليل أنّ الإمام عليه السلام كان يملك ثلاثة مصادر مائيّة، أحدها: حصّته من الغنائم التي تعود لجميع جنود الإسلام وأحياناً تشكّل مبلغاً كبيراً، الآخر: خراج الأراضى الخراجية الذي يتعلّق بعامة المسلمين ولا يختصّ بالمحاربين، ومقدار هذا الخراج بعد الفتوحات الإسلاميّة ازداد بشكل كبير، وللإمام عليه السلام حصّته من هذا المورد الماليّ.

الثالث: أنّ الإمام عليه السلام كان يعمل سنين متماديّه بزراعه الأشجار وغرس النخيل وقد أوجد بساتين عديده بذلك، ثمّ جعله وقفاً خاصّاً وعامّاً، فبعض هذه البساتين والحقول أوقفها على أبنائه وذريته من آل أبي طالب وبنى هاشم، وبعضها الآخر أنفقه في سبيل الله، وما تبقى من مال للإمام عليه السلام بوصفه ميراثاً له يعدّ مبلغاً ضئيلاً.

وقد ورد في الروايات أيضاً أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كان يملك أموالاً وبساتين جعلها الخلفاء من جملة أموال بيت المال بذريعه أنّ الأنبياء لا يورثون.

يقول ابن عبدربه في الاستيعاب: «قُتِلَ عَلِيٌّ وَلَا مَالَ اخْتَجَبَهُ وَلَا دُنْيَا أَصَابَهَا» (١).

وينقل ابن أبي الحديد أيضاً عن بعض المخالفين الذين اعترضوا على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقالوا: «إنّ أبا بكر رحل من الدنيا دون أن يترك ديناراً ولا درهماً، ولكن الإمام عليّ عندما غادر الدنيا ترك الكثير من بساتين النخل، ثمّ يجيب ابن أبي الحديد عن قولهم هذا ويقول: قد علم كلّ أحد أنّ عليّاً عليه السلام قد أستخرج عيوناً

ص: ٢٤١

بكدّ يده فى المدينه وينبع وأحىى بها مواتاً كثيره، ثم أخرجها عن ملكه وتصدّق بها على المسلمين، ولم يمت وشىء منها فى ملكه، ألا ترى إلى ما تتضمن كتب السير والأخبار من منازعه زيد بن علىّ وعبدالله بن الحسن فى صدقات علىّ عليه السلام ولم يورث علىّ عليه السلام بنيه قليلاً من المال ولا كثيراً إلّا عبّيده وإماءه وسبعمائته درهم من عطائه، تركها ليشتري بها خادماً لأهله قيمتها ثمانيه وعشرون ديناراً<sup>(١)</sup>.

٢. السؤال الآخر: كيف يقول الإمام علىّ عليه السلام: إنى جعلت الحسن متولياً على الوقف فإذا مات وكان الحسين عليه السلام لا يزال على قيد الحياه فيقوم مقامه، فهل أنّ الإمام علىّ عليه السلام لم يكن يعلم عن طريق الغيب أنّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام تقع بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام بعدة سنوات؟

والجواب عن هذا السؤال وأسئله كثيره أخرى من هذا القبيل يمكن اختصاره بجمله واحده، وهى أنّ الأئمّه فى أعمالهم العاديه كانوا يعتمدون على علمهم الشخصى الذى يكتسبونه من الوسائل الطبيعیه لا من علم الغيب، كما كان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله يعيش حياته الطبيعیه كذلك، وكان أصحابه يعتمدون على العلم الحاصل من القنوات العاديه، ولم يكن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أو الإمام يستخدم علم الغيب سوى فى بعض الموارد الاستثنائيه.

## ٢. أهميه الوقف فى الإسلام

إنّ اهتمام الإمام أمير المؤمنين علىّ عليه السلام بأمر الوقف، وسبقه الآخريين فى هذا العمل الخير، يشير بوضوح إلى أهميه البالغه للوقف فى الإسلام.

ورغم أنّ الإسلام لم يتبدع مسأله الوقف، حيث كانت موقوفات كثيره قبل الإسلام فى المذاهب والأديان الأخرى، ولكنّ الإسلام أولى أهميه لهذه المسأله وأكد عليها بوصفها صدقات جاريه.

ص: ٢٦٢

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٤٦.

ونقرأ في حديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجل يغرس غرساً في حائط له فوقف عليه فقال: «ألا أدلك على غرس أثبت أصلاً وأسرع إيناعاً وأطيب وأنقى؟ قال: بلى فإداك أبي وأمي يارسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: إذا أصيبت وأمسيت فقل: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّ لَكَ بِذَلِكَ إِنْ قُلْتَهُ بِكُلِّ تَسْبِيحِهِ عَشْرَ شَجَرَاتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ وَهُنَّ مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ».

قال الراوى: فقال الرجل: أشهدك يارسول الله أنّ حائطي هذا صدقه مقبوضه على فقراء المسلمين من أهل الصّيفه، فأنزل الله تبارك وتعالى: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» (١). وعلى ضوء ذلك فإنّ الوقف يعتبر سنّه إسلاميّه حسنه لمجمل الأعمال والأحكام الدينيه.

وجاء في بعض الروايات عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ بعض الصحابه الصحابه كانوا يملكون أموالاً، تركوها وقفاً لهم بعد موتهم.

ونقل الشيخ الطوسي في الأمالي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «خَيْرٌ مَا يُخَلِّفُهُ الرَّجُلُ بَعْدَهُ ثَلَاثَةٌ: وَلَدٌ بَارٌّ يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَسُنَّةٌ خَيْرٌ يُقْتَدَى بِهَا فِيهَا وَصَدَقَةٌ تَجْرَى مِنْ بَعْدِهِ» (٢).

والأحاديث الشريفه في هذا المجال كثيره، وينبغي الالتفات إلى أنّ أحد الطرق للحيلولة دون تراكم الثروات وتكديس الأموال، الاهتمام بإشاعه ثقافه الوقف، لأنّ الوقف من شأنه إخراج الأموال من قبضه أفراد معدودين ووضع منافعها وخيراتها تحت اختيار المحرومين والمحتاجين من الناس.

\*\*\*

ص: ٢٤٣

١- (١). بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ١٨٢، ح ٤، والآيات ٥-٧ من سوره الليل.

٢- (٢). وسائل الشيعه، ج ١٣، كتاب الوقوف والصدقات، باب ١، ح ١٠.



كَانَ يَكْتُبُهَا لِمَنْ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ

قَالَ الشَّرِيفُ: وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هُنَا جُمَلًا لِيُعْلَمَ بِهَا أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يُقِيمُ عِمَادَ الْحَقِّ، وَيَشْرَعُ أَمْثَلَهُ الْعَدْلِ، فِي صَغِيرِ الْأُمُورِ وَكَبِيرِهَا وَدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا (١)

### نظرة إلى الرسالة

هذه الوصية التي كان الإمام عليه السلام يقدمها عادة للعاملين على جمع الزكوات وتشتمل على نكات دقيقة ونقاط مدروسة تشير إلى رعايه الأدب الإسلامي ورعايه العدالة القصوى في شأن جميع أفراد المجتمع الإسلامي، بل تمتد لتشمل حتى الحيوانات أيضاً.

في المقطع الأول من هذه الوصية، يأمر الإمام عليه السلام العاملين على الزكاه أن

ص: ٢٦٥

---

١- (١). سند الوصية: نقل هذه الرسالة بسند معتبره المرحوم الكليني في كتابه الكافي في باب «آدب المصيّد» من كتاب الزكاه، وكذلك شيخ الطائفة الشيخ الطوسي في باب «الزيادات في الزكاه» بنفس سند الكليني، ونقلها صاحب كتاب الغارات (إبراهيم الثقفي) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام. يقول صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه: إن هذه الوصية كانت معروفة بين العلماء قبل السيد الرضى ومن جمله الأشخاص الذين أشاروا إليها الشيخ المفيد في المقنعه. ثم أضاف: من الأشخاص الذين نقلوها بعد السيد الرضى ابن إدريس في السرائر عن المقنعه، والزمخشري في ربيع الأبرار مع تفاوت يسير (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٥٧).

يتحرّكوا في عملهم بتبّيه خالصه ومن موقع الالتزام بالتقوى، ولا يستخدموا أسلوب التهديد والإرهاب في جبايه الحقوق الشرعيه، ولا يأخذوا من أيّ شخص أكثر من الحقّ الإلهيّ المفروض عليه.

وفي القسم الثاني من الوصيّة يشير الإمام عليه السلام إلى نقاط دقيقه فيما يتّصل بتعاملهم مع الأشخاص الذين وجب عليهم دفع الزكاه من أموالهم، وأن يكون تعاملهم معهم في غايه اللطف والمحبّه ورعايه الأدب الإسلامى.

وفي القسم الثالث يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفيه فرض حقّ الله من أموال الناس عن طريق القرعه حتى لا يقع أيّ إجحاف لأحد من الناس في شأن.

وفي القسم الرابع يذكر الإمام عليه السلام توصيات متعدّده بشأن حكم المعامله مع الحيوانات التي أخذت من المالكين بوصفها زكاه، وهذه التوصيات كما سنرى، أعلى وأسمى ممّا تدّعيه منظمات حقوق الحيوان في حمايه الحيوانات.

ويضيف المرحوم الكليني بعد نقل هذه الرساله عن الإمام الصادق عليه السلام عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّ الإمام الصادق عليه السلام بكى، ويقول الراوى بريد بن معاويه: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: بعث أمير المؤمنين عليه السلام صلوات الله عليه صدقه من الكوفه إلى باديتها، فقال له: «انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَخَدَهُ لِأَشْرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ...»، ثم بكى أبو عبد الله عليه السلام وقال: «يا بريدُ والله ما بقيتُ لله حرمه إلا انتهيكتُ، ولا عمِلَ بكتابِ الله، ولا بسنّته نبيّه في هذا العالم، ولا اقيم في هذا الخلقِ حدٌّ منذ قبضَ أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، ولا عمِلَ شيءٌ من الحقِّ إلى يومِ الناس هذا».

واللافت للنظر أنّ كاتب المصادر بعد أن ذكر هذا المقطع من كلام الإمام الصادق عليه السلام يقول: اقسام بالله تعالى أنّى بكيت أكثر من مرّه عندما قرأتها في نهج البلاغه قبل أن أطلع على ما رواه صاحب الكافي من بكاء الإمام الصادق عليه السلام عند روايتها، والحمد لله رب العالمين (1).

ص: ٢٦٦

انْطَلَقَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَشَرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرْوَعَنَّ مُسْلِمًا وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَمَا نَزَلَ بِمِائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَيْبَاتَهُمْ، ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتَسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخْدِجَ بِالتَّجِيهِ لَهُمْ، ثُمَّ تَقُولُ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِأَخُذِ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتَوَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَا، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنِعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعَسِّمَهُ أَوْ تُزْهِقَهُ فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

### الشرح والتفسير: الثقة بالجمهور في جمع الضرائب الإسلامي

يقدم الإمام علي عليه السلام في هذه الرسالة دستوراً كلياً وشاملاً في البدايه وفي عبارات موجزه للعاملين على جمع الزكوات، ثم يتطرق إلى الجزئيات والتفاصيل، وهذا بذاته أحد أساليب الفصاحه والبلاغه، يقول: «انْطَلَقَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحَدَهُ لَأَشْرِيكَ لَهُ، وَلَا تُرْوَعَنَّ (١) مُسْلِمًا وَلَا تَجْتَازَنَّ (٢) عَلَيْهِ كَارِهًا، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ».

ص: ٢٤٧

١- (١). «لا تروعن» من ماده «روع» على وزن «قول» بمعنى الخوف والرعب، وذهب بعض العلماء إلى أن «روع» ربماتعنى شدّه الخوف.

٢- (٢). «تجتازن» من «الإجتياز» وتعنى العبور.

يتحدّث الإمام عليه السلام في هذا العبارات، مضافاً إلى الأمر بتقوى الله، عن ثلاثة أمور مهمّة، الأول: إنّ العاملين على الزكاه لا ينبغي لهم ترويع الناس واستخدام أساليب العنف والغلظة، لأنّ المأمورين على أخذ الضرائب في الماضي كانوا عندما يدخلون إلى منطقته معيّنه فإنّ أهالي تلك المنطقه يصيبهم الخوف والوحشه لئلاّ يطلب منهم المأمورون مبالغ باهظه يعجزون عن دفعها ولا يطيقونها، ولكن عندما يستخدم المأمور اسلوب الرفق ويتعامل معهم بحسن الخلق، فليس فقط لا يخافون منه بل يستقبلونه بكلّ رحابه صدر.

وفي التوصيه الثانيه يقول الإمام عليه السلام ليس فقط عدم ترويعهم، بل أن تتصرّف بشكل يفرحون بقدمك، فأنت مأمور من قبل أمير رحيم ورؤوف، جواد وكريم، ومن هذا الموقع يفتحون لك صدورهم وقلوبهم ويكرمون قدمك إليهم.

وفي الجمله الثالثه يتحدّث الإمام عليه السلام، قبل أن يأمره بأخذ حقّ الله منهم بشكل كامل، يقول: لا تأخذ منهم أكثر من حقّ الله من أموالهم، وهذا تأكيد على الالتزام بالتقوى واجتناب أخذ أموال الناس بدون مبرّر شرعيّ.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن بيّن هذا الدستور الكليّ يتطرّق إلى التفاصيل، ويتحدّث عن كيفية تعامل العاملين على الزكاه مع الناس في جبايه الحقوق الإلهيه وكيفية التعامل معهم في هذا المجال ويقول: «فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ (١) فَانزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَيْبَاتَهُمْ».

وهذه إشاره إلى أنّه ينبغي لك أن لا تفرض نفسك على الناس وتكلّفهم بما ليس من واجبهم، فربّما لا يكونوا في سعّه من الحال بحيث يتقبلون استضافتك، في حين أنّ طبيعتهم استقبال الضيف حتى لو لم يكن لديهم ما يقدمونه، أو ربّما لا يريدون أن تطلع على وضعهم المالي عن قرب، أو أنّك لو دخلت على أحدهم ضيفاً فربّما

ص: ٢٤٨

---

١- (١). «حيّ» تأتي أحياناً بمعنى ذى الروح، وأخرى بمعنى القبيله، لأنّ مجموع القبيله بمثابه الإنسان الحي الواحد، وتستعمل أيضاً في اللغه المتداوله بمعنى المنطقه السكنيه من المدينه.



يفضى ذلك إلى امتعاض الآخرين ويتصوّرون أنّ مبعوث الإمام عليه السلام تربطه مع صاحب الدار رابطة خاصّه ولذلك ترك القدوم عليهم والدخول إلى بيوتهم، وعلى ضوء ذلك يأمر الإمام عليه السلام عامله أن ينزل إلى جانب عيون الماء أو الآبار ويختار منها ما يقع في طريقهم ومورد عبورهم، والواقع أنّ هذا المكان يمثل مركزاً لالتقاء جميع أفراد الحيّ، والظاهر أنّ المأمور على جمع الصدقات لا- يتوجّه إلى هذه المناطق منفرداً، بل يصطحب معه بعض الأفراد الذين يعينونه على أمره ويحملون معه الخيمه ولوازمها، والعلف وما إلى ذلك، فينصبونها إلى جانب غدير الماء أو العين ويطعمون في ذلك المكان.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: «ثُمَّ امْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ؛ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُخَدِّجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ».

ومعلوم أنّ التوجّه إلى القوم بسكينه ووقار وإلقاء السلام والتحيّه عليهم يثير في قلوبهم الطمأنينه ويتسبّب في شرح صدورهم وزوال كلّ أشكال الخوف والرهبه من قلوبهم.

والغرض من هذه التوصيات تطهير الذهنه في العرف العامّ من الرسوبات التي اخترنتها الذاكره عن العشارين وجباه الضرائب في عصر الملوك وأمراء الظلم والجور، حيث يأمرهم جباتهم وأزلامهم بأخذ الضرائب والعشور والخراج من الناس بأساليب خشنه، فكان الناس يتصوّرون أنّ وجود هؤلاء الجباه والعشارين بمثابة البلاء السماوى عليهم.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار جملة «لَا تُخَدِّجْ» من «الخداج» (على وزن علاج) تعنى في الأصل الجمل الذى يولد ناقص الخلقه أو قبل موعده، ثمّ اطلقت هذه الكلمه على كلّ أمر ناقص، ويستفاد من هذه العبارة أنّ الإمام عليه السلام يروم التأكيد على هذه الحقيقه، وهى أن لا- يقصّر مبعوثه في التحيّة والسلام وحسن الخلق في التعامل مع المواطنين ولا- يتعامل مع الناس كما يتعامل الكثير من المأمورين والمسؤولين

الحكوميين مع الجمهور من موقع الفوقيه والتعالى وحتى أنهم لا- يردون عليهم جواب سلامهم، وبعبارة أخرى أن تعامل المأمورين مع الناس يجب أن ينطلق من موقع الوُدّيه والصدّاقه وعلى مستوى واحد بينهما.

ثمّ ينطلق الإمام عليه السلام لبيان الجزئيات المتعلّقه بكيفيه المطالبه بالزكاه بطريقه شيّقه فيقول في البدايه: «ثُمَّ تَقُولُ: عِبَادَ اللَّهِ، أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيَّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ، لِأَخْذِ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتَوَدُّوهُ إِلَيَّ وَلِيَّهِ».

واللافت أن الإمام عليه السلام يؤكّد في هذه العبارة على ثلاثه أمور: أحدها: أن الناس هم عباد الله، الثاني: إنّ العاملين على جمع الزكوات هم مبعوثون من قبل وليّ الله وخليفه الله، الثالث: أن ما يطلبونه من الناس هو حقّ الله الموجود في أموالهم.

إنّ مثل هذه العبارات من شأنها تحريك عواطف الإنسان وتجعلهم مستعدين لدفع الزكاه، بل يتحرّك المستمع تحت تأثير هذه العبارات لدفع ما عليه من الزكاه والضريبه من موقع العشق والشوق، ويفكر في نفسه أن مبعوث وليّ الله قد جاء إلّيّ ودعاني بوصفي عبد الله ولم يطلب منّي شيئاً سوى حقّ الله في مالي.

وجمله: «فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ» مع العبارات اللاحقه تعتبر بحدّ ذاتها أحد الأساليب الراقيه في أخذ الضرائب، وأحياناً نرى في بعض المناطق في العالم المعاصر الإشاره إلى هذا الأسلوب المتحضّر، ويتلخّص في الثقة بالناس والاعتماد على صدقهم، يعنى أن الجمهور يتعامل مع المسؤولين بصدق وأمانه ولذلك يسأل المأمور أفراد الشعب عن وجود زكاه في أموالهم دون المطالبه بها مع إنكارهم، والتجربه أثبتت أن مثل هذا الاعتماد والثقه المتبادل له أثر مهمّ في توطيد العلاقه بين الجمهور والمسؤولين، وعلى العكس من ذلك إذا افترض المسؤول الحكومى أن الناس يتعاملون معه بآليات الكذب والتزوير وبالتالي يتعامل معهم كالدائن في مطالبته من المدين، فإنّ ذلك من شأنه تقويض الثقة والعلاقه بين الطرفين ويتسبّب في دفع الناس لإخفاء أموالهم والتمويه على المسؤولين في محاسباتهم لكي يتهرّبوا

من دفع مستحقّاتهم الماليه للحكومه، وبعبارة معاصره: ينبغي أن يفتحوا لهم دفترين:

دفتر لمحاسبه الأموال بمقدارها الحقيقي، ودفتر لمحاسبه المبالغ التي يدفعونها للمأمورين والعاملين على الزكاه.

ومما يجدر ذكره أنّ الأعوام الأخيره فى بلدنا (إيران) وفى عصرنا الحالى شهدت هذه التجربه الحضاريه لأخذ الضرائب من قبل العاملين، وكانت النتيجة تضاعف حجم الدخل السنوى لبيت المال من الضرائب.

وفى الأسلوب التقليدى الذى يتبع فى مسأله الخمس يتم مراعاة هذا المطلب بشكل دقيق، وهو أنّ المؤمنين يتوجهون لعلماء الدين بدوافع إلهيه ونوايا صادقه ويقدمون لهم ورقه حساب أموالهم ليعينوا لهم مقدار الخمس الواجب دفعه منها بدون أى إكراه وإجبار.

وطبعاً فإنّ ما قيل آنفاً، يعتبر أصلاً عاماً بالنسبه لجميع من وجب عليه دفع الزكاه فى أموالهم، ولكن ربّما توجد بعض الاستثناءات فى الموارد أيضاً، فبعض الإنتهازيين وأصحاب النفوذ والقوه ربّما يواجهون الحكومه الإسلاميه من موقع الرفض ويمتنعون عن دفع زكاتهم، وفى مثل هذه الموارد يجب على الحكومه التصدى لهم وأخذ حقّ الله منهم بالقوه لئلا يتجرأ الآخرون على الاقتداء بهم ويرفعوا لواء المعارضه، ولكن كما قلنا آنفاً فهذه تعدّ استثناءً من القاعده.

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى كلامه عن كيفية أخذ الزكاه: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَأ، فَلَا تُرَاجِعْهُ، وَإِنْ أَنْعَمَ (١) لَكَ مُنْعِمٌ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تُعْسِفَهُ (٢) أَوْ تُرْهِقَهُ (٣)».

ص: ٢٧١

١- (١). «أنعم» من «الإنعام» تأتي أحياناً بمعنى اعطاء النعمه، وأخرى بمعنى قول كلمه نعم، وفى الجمله موردالبحث جاءت بالمعنى الأخير، بقرينه الجمله ما قبلها: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَأ».

٢- (٢). «تعسف» من ماده «عسف» على وزن «كسب» وفى الأصل بمعنى سلوك طريق المتاهه، ثم اطلق على الظلم والجور، لأنّه مصداق سلوك طريق المتاهه.

٣- (٣). «ترهق» من «الإرهاق» وأصلها من ماده «رهق» على وزن «شفق» وهى فى الأصل بمعنى التغطيه أو تغطيه الشىء بالقوه والغلبه، وتأتى فى كثير من الموارد بمعنى التعسير والأخذ بشده، وفى الجمله مورد البحث جاءت بهذا المعنى.

والأمر الجميل هنا أنّ الإمام عليه السلام يتحدّث بغايه اللطف والمحّبّه عن الشخص الذى يعترف بوجود زكاه فى أمواله ويبيّن كيفيه التعامل معه فى أربع جمل قصيره تتضمّن توصيات للعامل على جبايه المال، الأولى: يقول: إنّهُ لا ينبغى لك أن تخيفه، مثلاً- تقول له: إذا لم تدفع زكاتك بشكل كامل فسوف تتعرّض للعقوبه، والأخرى: أن لا تأخذ منهم شيئاً بأسلوب التهديد، والثالثه: أن لا تشدّد فى أمر جبايه الزكاه، والرابعه: أن لا تثير له مشاكل ولا ترهقه فى المطالبه والحساب، يعنى يجب عليك أن تتعامل معه كالشريك الودود الذى يتعامل مع شريكه بأليه الصفح ورضّ الطرق، فعندما يعترف الطرف المقابل بوجود حقّ الله فى أمواله فإنّ هذا الاعتراف منه يستحقّ كلّ احترام ويعتبر بحدّ ذاته قيمه أخلاقيه وإنسانيه ينبغى الردّ عليها والتعامل معها بالمثل.

### تأمّل: آداب جمع الزكاه وحقوق بيت المال

إنّ ما ورد أعلاه يمثّل جانباً من تعاليم الإسلام فى ما يتّصل بجمع الزكاه وأموال بيت المال وكيفيه التعامل مع أصحاب الأموال.

ونقرأ فى الآيات شريفه أنّ القرآن الكريم الذى أسّس لهذا مفهوم، يأمر النّبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله بأن يأخذ من المتموّلين صدقه وزكاه تطهّروهم وتزكّوهم من لوث حبّ الدنيا والتكالّب على الأموال والثروات، ثمّ يأمره بعد دفع الزكاه أن يصلى عليهم ويدعو لهم لتكون صلاته ودعائه لهم سكناً لنفوسهم: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِيْلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ» (١).

ص: ٢٧٢

وفى هذا المجال وردت فى المصادر الحديثيه روايات عديده تبين جزئيات وتفصيل أخرى لآداب أخذ الزكاه، منها ما أورده العلامة المجلسى فى (الجزء ٩٣ من بحار الأنوار فى الباب ٩ تحت عنوان أدب المصدق) وفيها أحاديث كثيره فى عشر صفحات ٨٠ إلى ٩٠).

ومن ذلك أنه ينقل: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى أَنْ يُخْلَفَ النَّاسُ عَلَى صَدَقَاتِهِمْ وَقَالَ: هُمْ فِيهَا مَأْمُونُونَ يَعْنِي أَنَّهُ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ تَجِبُ فِيهِ زَكَاةٌ وَلَمْ يُوَجِدْ ظَاهِرًا عِنْدَهُ لَمْ يُسْتَحْلَفْ» (١).

وفى حديث آخر يرويه عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث أمر أحد أصحابه والمسؤول عن جمع الزكاه بتوصيات متعدده منها أنه قال: «أَنْ يَتَلَقَّاهُمْ بِبَسِطِ الْوَجْهِ وَلَيْنِ الْجَانِبِ وَأَمْرُهُ أَنْ يَلْزَمَ التَّوَاضُّعَ وَيَجْتَنِبَ التَّكْبِيرَ» (٢).

وفى حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً أنه قال: «وَإِذَا كَانَ الْجَدْبُ أُخْرُوا حَتَّى يُخْصِبُوا» (٣).

ونقل المرحوم الشيخ الحرّ العاملى أيضاً فى كتابه وسائل الشيعه الجزء ٦ فى كتاب الزكاه الباب ١٤ أحاديث متعدده فى هذا المجال، ويستفاد من مجموع هذه الأحاديث أنّ الإسلام ينهى عن استخدام أى شكل من أشكال القوه والإكراه فى عمليه جمع الضرائب والزكاه، ويوجب على العاملين استخدام اسلوب الرفق والمداراه لمن تجب عليهم الزكاه فى أموالهم، وبعبارة أخرى أنّ دفع الزكاه فى الإسلام يدخل فى إطار المسأله الإنسانيه والأخلاقية، حيث يتسابق فى دفعها وأدائها المؤمنون لينتفعوا من بركاتها الماديّه والمعنويه، لا أنّ الزكاه تمثّل ديناً يتمّ أخذه من المدين بأى نحو من الأنحاء.

ص: ٢٧٣

١- (١). بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٨٥.

٢- (٢). المصدر السابق.

٣- (٣). المصدر السابق.

وطبعاً يتسبب هذا النمط من التعامل الودود والإنساني ببعض الأضرار، وقد أساء الإستفاده منه بعض الأشخاص الانتهازيين الذين لا يروق لهم دفع الحقوق الماليه، ولكن التجربة أثبتت أنّ البركات الماديّه والمعنويه في هذا الأسلوب الإنساني في التعامل أكثر من ضرره ولاسيّما أنّنا نعلم أنّ دفع الزكاه وأمثالها يعتبر في الإسلام نوعاً من العباده حيث يعتبر الإسلام قصد القربه وهذا القصد إنّما يتحقّق في واقع الإنسان إذا اندفع الإنسان في هذه العباده من موقع الاختيار والرغبه وأسداها طواعيه.

ينقل المرحوم الكليني في الجزء الثالث من الكافي في باب «أدب المصيّد» ثمان روايات في هذا المجال تعكس في مضامينها الرحمه والرأفه الإسلاميه، ومن ذلك أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام عندما نصّب رجلاً من قبيله بنى ثقيف والياً على منطقته في ضواحي الكوفه، أمره بمحضر من الناس أن لا يقصّر في جمع الخراج ولا يترك منه ولو درهماً واحداً، ثمّ قال له: إذا أردت التوجّه إلى تلك المنطقه أن تقدم عليّ. يقول ذلك الرجل: عندما ذهبت إليه قال لي: إنّ ما قلته لك فيما يخصّ الخراج إنّما هو لحفظ الظاهر: «إيّاك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصيرانياً في درهم خراج أو تبيع دابّه عمل في درهم، فإنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»(1).

\*\*\*

ص: ٢٧٤

---

١- (١). الكافي، ج ٣، ص ٥٤٠، ح ٨.

فَخُذْ مَا أُعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ. وَلَا تُنْفِرَنَّ بِهِمَهُ وَلَا تُفْرِعَنَّهَا، وَلَا تُسْوَأَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا، وَاصْدَعْ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَمَّا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. ثُمَّ اصْدَعْ الْبَاقِيَ صِدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ. فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءً لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ. فَإِنْ اسْتَيْقَالَكَ فَأَقْلُهُ، ثُمَّ اخْلُطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ. وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرَمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنْنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتَعَبٍ.

### الشرح والتفسير: غاية الاحترام لمطالب الدافعين للزكاة

ثم يضيف الإمام عليه السلام إذا كانت الزكاة، على الذهب والفضة أى الدرهم والدينار أو قيمه زكاة الغلات منها، فخذ منها ما أعطاك ولا تناقشه فى زياده أو نقيصه فى المقدار، لأنه قد وثق بك، فينبغى عليك أيضاً أن تثق به: «فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فضةٍ».

وإن كان يملك ماشيه وبقراً وإبلاً فلا تدخل عليها إلا بعد أن تستأذنه فى ماله،

لأن أكثر هذه الأنعام ملك له سوى ما تعلقت به الزكاه وهو قليل: «فإن كان له ماشية (١) أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه فإن أكثرها له».

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول مئسٍ ليط عليه ولا عنيف (٢) به، ولما تنفرت بهيمه ولا تنفرت عنها (٣)، ولا تسوان صاحبها فيها».

والمقصود من هذه العبارة ضروره احترام ملكيه المالكين لهذه الأنعام، فلا تدخل على مكان الشياه أو الإبل بشكل عنيف بحيث تنفر هذه البهائم وتفرغ منك، بل يجب عليك مداراتها ورعايتها فلا تتحرك بشكل يبعث على خوفها وفزعها، لأن هذه الحيوانات وكذلك أصحابها يمكن أن يستاءوا من هذا الأسلوب، وهذا كلام يعبر عن غايه الأدب والخلق الذى ورد فى توصيه الإمام عليه السلام لعماله، بحيث إنه لا يهمل حتى حقوق الحيوانات عند جمع الزكاه، فكيف الأمر فيما يتصل بحقوق الإنسان واحترام مشاعره وعواطفه؟!.

ثم إن الإمام ومن أجل أن يقع التقسيم عادلاً فى اختيار الأغنام أو الإبل للزكاه ولا يثير اعتراض أصحاب الأموال، يوصى عامله بأن يستخدم القرعه فى انتخاب مورد الزكاه حتى لا يكون هناك إجحاف على المالك ولا على بيت المال وعندما يقترح على الشياه أو الإبل يختار صاحب المال فى هذا المال ويقول: «واصدع (٤) المال صدعين ثم خيروه، فإذا اختار فلا تعرض لِمَا اختاره. ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيروه، فإذا اختار فلا تعرض لِمَا اختاره. فلا تزال كذلك حتى يبقى ما

ص: ٢٧٦

- ١- (١). «ماشية» فى الأصل الطريق الذى يسار عليه، من ماده «مشى»، ثم اطلقت على الدواب والأنعام من الإبل والبقر والغنم، ولكن تطلق غالباً على الأغنام وجمعها مواشى، وفى العبارة مورد البحث المقصود منها البقر والغنم بقرينه ذكر الإبل بعدها.
- ٢- (٢). «عنيف» بمعنى الخشن والصعب، من ماده «عنف» على وزن «قفل».
- ٣- (٣). «لا تنفرت» من ماده «فزع» بمعنى خاف وارتعد، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعدية وتعنى التخويف والترهيب.
- ٤- (٤). «اصدع» من ماده «صدع» على وزن «صبر» وتعنى الشق والفصل بين شيئين، وهذه المفردة «صدع» تأتى اسم مصدر وتعنى القسم المنفصل عن الشيء.



فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ؛ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ».

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام: فإذا طلب صاحب المال أن تقيله حتّى يجرى اقتراع جديد، فاقبل طلبه وأعد القرعه بعد أن تخلط الأنعام وتجرى عليها مرّه أخرى التقسيم والاقتراع حتّى تأخذ منها حقّ الله: «فَإِنْ اسْتَقَالَكَ (1) فَأَقِلَّهُ، ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْبِغْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوْلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ».

وهنا ينبغى الالتفات إلى نقطتين هامتين: الأولى: أنّ مفهوم العبارة أعلاه لا يعنى أنك في حال التقسيم تعمل على فصل الأغنام أو الإبل وتجعل الجيّد منها في جانب والمتوسّطه في جانب آخر ثمّ تخير المالك بانتخاب أحدهما لأنّ الأغنام أو الإبل من جهة متداخله ومخلوطه في الظروف العادية، ومن الطبيعي أنّه عند تقسيمها سيكون قسم منها إلى جانب والقسم الآخر في جانب آخر، ومن جهة أخرى أنّ هذا العمل نوع من الاقتراع، وتدخل في مفهوم القرعه هذه الحقيقة، وهى أنّ التقسيم ينبغى أن يكون عادلاً، فلا بدّ من إختيار إحدى الجهتين من خلال القرعه.

والنقطة الأخرى، أننا نعلم أنّ عمر الإبل دخيل في مقدار زكاتها، وليست كزكاه الأغنام، وعلى هذا الأساس يجب مراعاة عمرها في عملية التقسيم، أو نقول أنّ هذا التقسيم ناظر إلى الأغنام والبقر.

ضمناً يستفاد من مجموع هذ الكلام أنّ دفع الزكاه يمكن أن يتمّ حسابه على أساس القيمة (بقريته التعبير بالذهب والفضه في مطلع هذا الكلام)، لأنّ هذا الكلام لا يتحدّث فقط عن زكاه الدرهم والدينار بل ناظر إلى مطلق الزكاه، ويمكن أن تؤخذ الزكاه من عين المال الذى تعلّقت به الزكاه.

ولابدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وهى أنّ الوارد في الروايات الإسلاميه

ص: ٢٧٧

١- (١). «استقال» من «الإستقاله» بمعنى طلب فسخ العقد أو ما اتفق عليه، وأصلها من القيلولة وهو النوم القليل في وسط النهار للاستراحه، وبما أنّ الإنسان عندما يندم على عقد معين فإذا فسّخه وألغاه فربّما يؤدي ذلك إلى امتعاضه وتأثره فاستخدمت كلمه «إقاله» والمطالبه بهذا العمل يدعى «استقاله».

وكلمات الفقهاء أنّ الحيوانات الممتازة كالغنم والإبل الغالية والأنعام الحامل والذكر منها الخاصّ بعملية التلقيح مستثناه من ذلك، يعنى أنّ العاملين على جمع الزكاه لا ينبغي أن يستثنوا هذه الأنعام من الزكاه لكسب رضا أصحاب هذه الحيوانات، بل يفوضون أمرها لهم ليدفعونها عن طيب خاطر(١).

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يوصى عامله على الزكاه أن لا يأخذ من الحيوانات من تشكو عيباً ويختار الناقص والزهيد منها ويقول: «وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرْمَةً وَلَا مَكْشُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً» (٢)، «وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ» (٣).

ومع الالتفات إلى أنّ كلمه «عَوْدٌ» و«هَرْمٌ» مترادفتان في المعنى ويقصد بهما الحيوان المسنّن، ولكن «عود» تعنى الحيوان الذى تقدّم فى السن، و«هرم» بمعنى المتقدّم فى السنّ إلى درجه كبيره بحيث لا يصلح لشيء.

أمّا «مهلوسه» فتارة تأتي بمعنى الحيوان المريض والمسلول وأخرى بمعنى كلّ حيوان مريض، والأنسب المعنى الثانى، أمّا «ذات عوار» فتعنى الحيوان الذى يشكون عيباً ونقصاً، بأن يكون فاقداً للعين أو الأذن وما إلى ذلك.

والجدير بالذكر أنّ الفقهاء ذهبوا إلى أنّ المقصود من هذا الحكم أنّه لو كان النصاب سالمًا بأجمعه، فلا يمكن أخذ حيوان غير سليم من مكان آخر للزكاه بدل السليمه، ولكن إذا كان جميع النصاب مريضاً أو معيباً فلا مانع من أخذ الزكاه منها، ولا يشترط أن يأخذ للزكاه حيواناً سالمًا، وكذلك إذا كان بعض النصاب معيباً

ص: ٢٧٨

١- (١). انظر: جواهر الكلام، ج ١٥، ص ١٦٠.

٢- (٢). «مهلوسه» من «الهلاس» على وزن «غبار» و«هلس» على وزن «درس» بمعنى مرض السل، وعلى ضوء ذلك فإنّ «مهلوس» هو الحيوان المبتلى بهذا المرض، ولكن تارة يراد بهذه المفردة كل نوع من المرض، ويذهب بعض أرباب اللغه إلى أنّ «هلاس» تعنى الأمراض التى تسبب الضعف والنحافه فى البدن، وبما أنّ مرض السل الذى يصيب الإنسان يجعله نحيفاً وضعيفاً فاطلقت هذه الكلمه على هذا المرض.

٣- (٣). «عوار» من ماده «عار» و«عور» على وزن «غور» بمعنى العيب والنقص، وبما أنّ اظهار العضو التناسلى يعد عيباً للشخص فاطلقت كلمه «عوره» على هذا العضو، وتطلق هذه المفردة أيضاً على الدار غير المصبوغه واللباس المعيوب.

والبعض الآخر سالماً فتؤخذ الزكاه من السالم والمعيب، وهذا يدل على رعايه العداله الإسلاميه فى المسائل المتعلقه بأمر الزكاه(١).

ومن المناسب أن نذكر هنا أن الإسلام من جهه ينهى عن أخذ الحيوانات المعيبه والمسئنه والمريضه للزكاه، لأن ذلك يتنافى مع كون الزكاه أمراً عبادياً وبمقتضى قوله تعالى: «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ»(٢)، ينبغى على الإنسان المسلم أن يخرج لذكاته الشىء الطيب والسليم، ومن جهه أخرى يأمر الإسلام بوضع الأموال النخبه والممتلكات الثمينه بيد أصحابها ولا يؤخذ منها شىء للزكاه، لأن الكثير من الناس ربما يمتعضون ويستأوون من هذا العمل ويكونون مصداقاً لقوله تعالى: «إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَانَكُمْ»(٣)، وعلى هذا الأساس يراعى الحكم الإسلامى عمليه التعادل والتوازن فى مسأله دفع الزكاه بشكل كامل.

\*\*\*

ص: ٢٧٩

---

١- (١) . انظر: جواهر الكلام، ج ١٥، ص ١٣٥.

٢- (٢) . سورة آل عمران، الآية ٩٢.

٣- (٣) . سورة محمد، الآية ٣٧.



وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَنَقَّى بَدِينَهُ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصِلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيفًا وَأَمِينًا حَفِيفًا، غَيْرَ مُغْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ. ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نَصِيئُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقِهَيْنِ فَصَلِّهَا، وَلَا يَمْصُرَ لِنَبْهًا فَيُضِرَّ ذَلِكَ بَوْلِدَهَا؛ وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا؛ وَلْيُعِدِلْ بَيْنَ صَوَابَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ، وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ الظَّالِعِ، وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ العُدْرِ، وَلَا يَعِدِلْ بِهَا عَنِ النَّبْتِ الأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطُّرُقِ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ، وَلْيُمَهِّلْهَا عِنْدَ النَّطَافِ والأَعْشَابِ، حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ، غَيْرِ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### الشرح والتفسير: الرأفة الإسلاميه بالحيوانات

سبق أن رأينا أن الإمام علي عليه السلام ذكر بعض التوصيات اللازمه في كيفية أخذ الزكاه من الأشخاص الذين تعلقت الزكاه في أموالهم، وفي هذا المقطع من رساله يتحدث الإمام عليه السلام عن كيفية حفظ هذه الأموال وشكل التعامل مع الحيوانات التي اخذت بعنوان الزكاه.

بدايه يطرح الإمام عليه السلام صفات الأشخاص المأمورين بنقل الزكاه إلى بيت المال، ويستعرض عدده خصال لهم، ففي الخصله الأولى والثانيه يقول الإمام عليه السلام «وَلَا تَأْمَنَنَّ

عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَتَّقُ بَدِينِهِ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوصَّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ».

وعلى ضوء ذلك فإنَّ أهمَّ شرط في مثل هذا المورد رعايه الأمانه وأن يكون العامل موثقاً بدينه، والشرط الثاني أن يعيش الرفق والمداراه بهذه الأنعام، فإذا توفّر في المتصدّي لبيت المال والخزانه هذان الشرطان، فلا مجال لظهور مشكله في الأمور الماليه، ولا يتوقع خيانه، ولا حدوث حيف وإفراط وتفريط في مال المسلمين.

يواصل الإمام عليه السلام استعراضه لصفات المسؤولين والمأمورين لنقل هذه الأمور فيطرح ثمانية أوصاف لهم، ويقول: وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا، غَيْرَ مُعْنِفٍ (١). وَلَا مُجْحِفٍ (٢)، وَلَا مُلْغِبٍ (٣) وَلَا مُتْعِبٍ (٤).

وبديهى أنّ هذه الصفات الثمانية منسجمه فيما بينها ومقتربه المعنى، فالراعى الناصح والمشفق لا يشدّ على الحيوانات فى المسير ولا يتعبها، لأنّه من جهه ستصيب هذه الأنعام مشقّه، ومن جهه أخرى فإنّ هذا الأسلوب مخالف للعداله الإسلاميه وربّما يؤدّى إلى التقليل من وزنها أو مرضها وبالتالي سيلحق الضرر بالمستهلكين أيضاً.

والجدير بالذكر أنّ هذه التوصيات من قبل الإمام عليه السلام قد صدرت فى وقت لم يكن هناك أىّ كلام عن حقوق الحيوان بين العلماء والمفكرين فى العالم، ولا كلام عن حقوق الإنسان أيضاً، ولكنّ الإسلام بوصفه ديناً زاخراً بالقيم الأخلاقيه والمثل المتعاليه فإنّه قرّر لزوم رعايه حرمه الحيوانات وحقوقها فى أحكامه وتعاليمه وأكد على لزوم الرأفه بها (وسياتى توضيح أكثر فى هذا المجال فى بحث التنبيهات).

ص: ٢٨٢

١- (١). «مُعْنِفٌ» من ماده «عنف» على وزن «فعل» وتعنى أخذ الشىء بشده وعنف.

٢- (٢). «مُجْحِفٌ» من «الإجحاف» وأصله من «جحف» على وزن «حرف» بمعنى الإصرار على إضرار الطرف المقابل.

٣- (٣). «مُلْغِبٌ» من «اللغوب» وتعنى التعب والإرهاق، وعندما تأتى من باب إفعال تكون متعديه وتعنى إتعاب الآخر.

٤- (٤). «مُتْعِبٌ» من ماده «تعب» ومعناها واضح، ولكن إذا جاءت من باب إفعال فإنّها تكون متعديه وبمعنى إتعاب الآخر، وهى قريبه المعنى من «ملغب»؛ ولكن ذهب بعض إلى أنّ «لغوب» تعنى التعب النفسى والارهاق الروحى فى حين أنّ التعب يقصد به ما يشمل التعب البدنى أيضاً.

ثم إن الإمام عليه السلام يتعرض لبيان توصيه أخرى ويقول: «ثُمَّ اخْدُرْ (١) إِيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصِيْرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ».

وتنطلق هذه التوصيه من دليلين: الأول: أنه ربّما يوجد بعض المحتاجين والمحرومين الذين ينتظرون المساعدة من بيت المال، فلو أبطأ إيصال حقّهم إليهم فسواجهون العسر والضيق ولا يمكنهم حلّ مشاكلهم، والآخر: أن تأخير إيصال هذه الأموال سيعرّضها للآفات، ومن أجل وقايتها من تلك الآفات لابدّ من الإسراع في حملها إلى بيت المال وإيصالها إلى وليّ أمر المسلمين.

وذهب بعض الشراح لنهج البلاغه إلى أن الاستفادة من هذه العبارة عدّه أحكام فقهيه، الأول، جواز نقل الزكاه من مدينه إلى أخرى، والآخر: أنه لا يحقّ للمأمورين والعاملين على جمع الزكوات تقسيمها برأيهم، والثالث: أن الزكاه يجب إيصالها إلى وليّ أمر المسلمين ويتمّ تقسيمها تحت نظره وإشرافه.

وبديهيّ أن هذا الحكم يتعلّق بالمناطق القريه من مركز الحكومه والخلافه، وأمّا المناطق البعيده التي لا يمكن نقل مال الزكاه إلى المركز إلّا بصوره نقود، فلها حكم آخر، يعني أن وكلاء الإمام عليه السلام يستطيعون جمع تلك الأموال وتقسيمها في مراكزهم ومحلّ ولايتهم.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام كيفيه نقل حيوانات الزكاه ويأمر عامله على الزكاه بعشره أوامر دقيقه ويقول:

«فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِرْ (٢) إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقِهِ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا (٣) ، وَلَا

ص: ٢٨٣

١- (١) . «أخْدُرُ» من ماده «حدر» على وزن «حرف» بمعنى التحرك بسرعه، وكذلك تعنى جرّ الشيء من الأعلى إلى الأسفل، وهنا المراد بها المعنى الأول يعنى جمع زكاه الحيوانات والإتيان بها بسرعه إلينا لنوصلها إلى المستحقين.

٢- (٢) . «أَوْعِرْ» من ماده «وعز» على وزن «وعظ» بمعنى الاقتراح والتوصيه لآخر بعمل معين.

٣- (٣) . «فصيل» بمعنى ولد الإبل الذى فطم عن الرضاع، ومن ماده «فصل» وهو فصل الطفل عن امه فى الارتضاع، ولكن مع الالتفات إلى أن الإمام عليه السلام أمر بعد هذه الجملة أن لا يحلب جميع ما فى الضرع من اللبن لينتفع به الفصيل، فيستفاد من ذلك أن المقصود من الفصيل هنا ولد الناقه الذى على وشك أن يفصل ويفطم ولكنّه لحدّ الآن لم يفطم (وعلى حدّ تعبير الأدباء هو مجاز بعلاقه الأول والمشارفه).

يَمْصُرُ (١) لَبَنَهَا فَيُضَرُّ ذَلِكَ بِوَلَدِهَا؛ وَلَا يَجْهَدُنَّهَا رُكُوبًا، وَلِيَعْدِلَ بَيْنَ صَوَابَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا، وَلِيَرَفَّهُ عَلَى اللَّائِبِ، وَلِيَسْتَأْنِ (٢) بِالنَّقَبِ (٣) وَالظَّالِعِ (٤)».

ما ذكر أعلاه من كلام الإمام عليه السلام يتضمن سته أقسام من توصيات الإمام عليه السلام فيما يتصل برعايه حال حيوانات الزكاه، وهي توصيات إنسانيه وأخلاقية وتدل على أن الإسلام يرى لزوم مراعاة حال الحيوانات أيضاً، فهذه الحيوانات لا تملك لساناً لبيان حالها، ولا قدره على الدفاع عن نفسها.

ثم بين الإمام عليه السلام عدده توصيات أخرى في هذا المجال ويقول: «وَلِيُورِدَهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدْرِ (٥)، وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْمَارِضِ إِلَى حِوَادِّ الطُّرُقِ، وَلِيُرَوِّحَهَا فِي السَّاعِيَاتِ وَلِيَمَهِّلَهَا عِنْدَ النَّطَافِ (٧) وَالْأَعْشَابِ (٨)، حَيْثِي تَأْتِينَا بِإِذْنِ اللَّهِ بِدَنًا (٩) مُنْقِيَاتٍ (١٠)، غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ».

في هذه التوصيات الأربع الأخيره يتحدث الإمام عليه السلام عن مأكّل ومشرب هذه الحيوانات، والغرض من ذلك أن لا تشعر هذه الحيوانات بالعطش والجوع في مسيرها إلى مركز الخلافة وبيت المال، فينبغي أن تشرب في مسيرها من الماء

ص: ٢٨٤

- ١- (١). «لا يمصر» من ماده «مصر» على وزن «نصر» بمعنى حلب جميع ما فى الضرع من اللبن.
- ٢- (٢). «يسْتَأْنِ» من ماده «أنى» على وزن «امر» وتعنى الإمهال، وعندما تأتى من باب الاستفعال فتعنى الانتظار والمداراه.
- ٣- (٣). «نقب» هو الجمل الذى يصعب عليه المشى لتهرؤ باطن خفه.
- ٤- (٤). «ظالع» من ماده «ظلع» على وزن «زرع» وتعنى الناقه العرجاء.
- ٥- (٥). «غدر» جمع «غدير» تعنى بركه الماء.
- ٦- (٦). «جواد» جمع «جاده» تعنى الطريق الواسع.
- ٧- (٧). «نطاف» جمع «نطفه» بمعنى الماء الزلال.
- ٨- (٨). «الأعشاب» جمع «عشب» على وزن «قفل» بمعنى النباتات الخضراء.
- ٩- (٩). «بُدن» جمع «بادن» بمعنى الحيوان البدين.
- ١٠- (١٠). «مُنْقِيَاتٍ» جمع «مُنْقِيه» بمعنى الحيوان الكثير الدسم.



بالمقدار الكافي ويسار بها فى الطرق التى تكثر فيها الأعشاب والنباتات لتأكل منها.

وهذه التوصيات مضافاً إلى الطابع الأخلاقى والإنسانى لها، تعود بالنفع إلى بيت المال والمحتاجين والمستحقين لهذه الحقوق المالىة، ولذلك يقول الإمام عليه السلام فى نهايه هذا الكلام: «حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ، غَيْرِ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ»، أى تأتى هذه الحيوانات سالمه ونشطه وغير مجهده من تعب الطريق.

وفى ختام هذه الرساله يشير الإمام عليه السلام إلى الغرض النهائى من هذه التوصيات، ويقول: «لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ»، بين المحرومين والمستضعفين دون تدخّل المنافع الشخصيه فى هذه العمليه.

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ، وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

## تأملان

### ١. التأكيد على إيصال أموال الزكاه إلى المحرومين

يؤكد الإمام عليه السلام فى هذه الرساله النورانيه ثلاث مرات على هذا الأمر، وهو أنّ أموال الزكاه بعد جمعها يجب تقسيمها بين المحرومين والمستضعفين، ففى مورد يقول الإمام عليه السلام: «مَالُ الْمُسْلِمِينَ»، وفى مورد آخر يقول: «فَيَقْسِمُهُ بَيْنَهُمْ»، وفى مورد ثالث يقول: «نُصِيَّتُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ»، فى ختام هذه الرساله يقول: «نَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ». وهذا التكرار، وإن كان على حدّ قول ابن أبى الحديد: مخالف ابتداءً لمقتضيات البلاغه والفصاحه، ولكن نظراً إلى أنّ الناس كانوا يعيشون فى ذلك الوقت ذكريات زمان عثمان الذى كان يوزّع بيت المال على فئه معينه من الأشخاص ويحرم منه المحتاجين والمعوزين، وأدى ذلك إلى إشتعال نار الفتنة والثوره عليه، فالإمام عليه السلام فى هذا المورد يكرّس حاله الطمأنينه والثقه فى قلوب الناس بتكرار هذه العبارة ثلاث مرات فى هذه الرساله وأنّ غرضنا من ذلك و تقسيم مال المسلمين بينهم وإيصال حقوق المستحقين إليهم.

إن المجتمعات البشرية كانت منذ قديم الأيّام تتعامل مع الحيوانات التي تنتفع منها من موقع الاحترام ومراعاة بعض الأصول والآداب في ذلك، وفي بعض الموارد ربّما تصل هذه العلاقة والتعامل إلى حدّ الإفراط وتتخذ شكلاً من أشكال العبادة كما يلاحظ ذلك في هذا الزمان بين جماعه من الهندوس، حتّى تشكّلت في هذا العصر جمعيات الدفاع عن حقوق الحيوانات وقوّروا لذلك قوانين ومقرّرات لضمان عدم تجاوز هذه الحقوق ضدّ الحيوانات، والأشخاص الذين لا يراعون هذه المقرّرات يتمّ الاعتراض عليهم، وبالرغم من أنّ هذا الموضوع حاله حال سائر المواضيع التي تتعلّق بحقوق الإنسان أو الدفاع عن المعتقلين أو الأطفال وأمثال ذلك، اتّخذت في الكثير من الموارد صبغه سياسيه وتبدّلت إلى عصا غليظة لتخويف المعارضين السياسيين، وأحياناً نراهم يغضبون حقوق الآلاف الأبرياء من الناس وينفقون مليارات من الدولارات على صناعه وتطوير أسلحه الدمار الشامل، ولا يرتفع أيّ صوت بالاعتراض عليهم، ولكنّهم عندما يتعرّض حيوان للأذى مثلاً فإنّهم يرفعون عقيرتهم بالصراخ والعويل.

ولكنّ الإسلام راعى في هذه المسائل حدّ الاعتدال منذ البدايه وأكّد على توصيات دقيقه بالنسبه للحيوانات، بحيث أنّ كلّ إنسان منصف يرى في هذه التوصيات والمقرّرات جماليه وتعامل أخلاقي في غاية اللطف.

وقد ورد في كتبنا الروائيه، أحاديث كثيره في هذا الباب، منها ما ورد في الأبواب المتعلّقه بالحجّ فيما يتّصل بكيفيه الاستفادة من الحيوانات للركوب في مسير الحجّ تحت عنوان «أبواب احكام الدّوابّ في السّفَرِ وَغَيْرِهِ».

وقد أورد المرحوم الشيخ الحر العاملي في كتاب وسائل الشيعه في الجزء الثامن تحت هذا العنوان روايات كثيره في أكثر من خمسين باباً، وفيما يلي نستعرض بعض هذه الروايات التي أوردها في الباب الأول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لِلدَّائِبِ عَلَى صَاحِبِهَا خِصَالٌ: يَبْدَأُ بِعَلْفِهَا إِذَا نَزَلَ وَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ إِذَا مَرَّ بِهِ وَلَا يَضْرِبُ وَجْهَهَا فَإِنَّهَا تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا وَلَا يَقِفُ عَلَى ظَهْرِهَا إِلَّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يُحْمَلُهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَلَا يُكَلِّفُهَا مِنَ الْمَشْيِ إِلَّا مَا تُطِيقُ» (١).

وهذا إشاره إلى أنّ بعض الأشخاص الذين يركبون هذه الدوابّ عندما يتقابلون فيما بينهم أو يمرّون على أحد المشاه يتوقفون للسلام والتحيه والحديث مع بعضهم، فينبغي للراكب أن ينزل عن ظهر الدابة إلى أن ينتهى من كلامه مع صاحبه ثم يركب دابته ويكمل مسيرته، لأنّ مثل هذا التكليف إتعاب للدابة في حال توقف الراكب بدون مبرّر، ولكن مثل هذا التوقف وعدم نزول الفارس إذا كان في ميدان القتال، له ما يبرّره لوجود الخطر في نزول الفارس من مركبه.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قال بما يشبه هذا المضمون: «لِلدَّائِبِ عَلَى صَاحِبِهَا سِتَّةٌ حُقُوقٌ» (٢) وفي روايه أخرى ذكر سبعة حقوق.

إنّ العبارات الدقيقه الوارده في هذه الروايه تعكس هذا الحقيقه الحاسمه، وهى أنّ الإسلام لم يغفل عن أدقّ التفاصيل وجزئيات المسائل فى هذا الموضوع، وأنّه قدّم أفضل التوصيات والتعاليم الإنسانيه فى هذا المجال، والكثير من الأشخاص عندما يواجهون بعض القصور من دوابهم فإنهم يسارعون فى ضربها بالسوط، ولكن الإسلام أكّد على لزوم التعامل مع الدواب بأسلوب حسن وعدم إلحاق الضرر والأذى بها، فنقرأ فى حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه توجّه أربعين مرّه من المدينه إلى مكه لزياره بيت الله الحرام وكان يركب الناقه، وفى طيله هذه المده لم يضرب ناقته ولا سوطاً واحداً (٣).

وفى حديث معروف ومذكور فى مصادر الشيعه وأهل السنّه: «إِنَّ امْرَأَةً عُدْبَتْ

ص: ٢٨٧

١- (١). وسائل الشيعه، ج ٨، أبواب أحكام الدواب، باب ٩، ص ٣٥٠، ح ١.

٢- (٢). الكافي، ج ٦، ص ٥٣٧، ح ١.

٣- (٣). المصدر السابق، باب ١٠، ص ٣٥٣، ح ٩.

فِي هِرِّهِ قَدْ رَبَطْتَهَا حَتَّى مَاتَتْ عَطْشًا» (١).

بل يستفاد من بعض الروايات أنه لا ينبغي سبّ الحيوانات وشمها (٢) وهذا يدلّ على أنّ الحيوانات تملك شعوراً وفهماً بحيث تتألم من السبّ والشتيم، مضافاً إلى أنّ هذا الكلام البذيء من شأنه تلويث لسان الإنسان وفمه وربما يصير تدريجياً عادة له ويتعامل مع الناس أيضاً بمثل هذا التعامل السيء.

\*\*\*

ص: ٢٨٨

---

١- (١) . كنز العمال، ح ٤٣٦٩٥؛ وسائل الشيعة، باب ٥٣ من أحكام الدواب. ص ٣٩٧.

٢- (٢) . تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ١٦٤، ح ٤.

إلى بَعْضِ عُمَّالِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ (١)

### نظرة إلى الرسالة

يحدّر الإمام عليه السلام في هذه الرسالة «مخنف بن سليم» من النفاق والإزدواجية في الشخصية، وينهاه عن سوء التعامل مع الناس وعدم الاهتمام والعناية بهم، وفي مقطع آخر من الرسالة يؤكد الإمام عليه السلام على أنك عامل لجمع الزكاه ولك سهم منها سندفعه إليك، ولكن الباقي يتعلق بالمحتاجين والمستحقين من هذه الأئمة، فينبغي إيصاله لهم.

وفي ختام الرسالة يحدّر الإمام عليه السلام من أي شكل من الأشكال الخيانه في الأمانه وأنّ خيانه الأئمة وإمام الأئمة تعدّ من أشنع الخيانات.

\*\*\*

ص: ٢٨٩

---

١- (١) . سند الرسالة: طبقاً لما أورده القاضي النعمان المصري (المتوفى ٣٦٣) في كتاب دعائم الإسلام، أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرسالة إلى «مخنف بن سليم الأزدي» أحد قادة جيشه، وما ذكره القاضي النعمان في كتابه المذكور يعتبر متناً مختصراً بالنسبة لما أورده السيد الرضى في نهج البلاغه، والحاج النورى في كتابه مستدرک الوسائل في كتاب الزكاه الباب ١٢ الحديث ٣، والظاهر أنّ مؤلف كتاب مصادر نهج البلاغه لم ينقل عن مصدر آخر قبل السيد الرضى غير هذين المصدرين.



أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سِرِّائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ، حَيْثُ لَأَشْهَدَ غَيْرُهُ، وَلَمَّا وَكَيْلَ دُونَهُ. وَأَمْرُهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيَخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسْرَرَهُ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، وَفَعَلَهُ وَمَقَالَتَهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ وَأَمْرُهُ أَلَّا يَجِبَهُمْ وَلَا يَعْضَهُمْ، وَلَا يَوْغَبَ عَنْهُمْ تَفْضُلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ.

### الشرح والتفسير: التعامل الحسن مع دافعي الضرائب الإسلاميه

يأمر الإمام عليه السلام في المقطع الأول من هذه الرساله بثلاثه أوامر لعامله على جمع الزكاه، وتبدأ كل واحده من هذه التوصيات بجمله «أمره».

بدايه يأمره الإمام عليه السلام بلزوم تقوى الله تعالى في الظاهر والباطن، العلانيه والسرّ ويقول: «أمره بتقوى الله في سرائر أمره وخفيايت عمله، حيث لأشهد غيرهُ، ولأ وكيل دونه».

والجدير بالذكر أنّ الإمام عليه السلام في هذه الجمله يشير إلى أحد أهم مصاديق التقوى، يعنى التقوى في الأمور الخفيه، أعم من التيه الباطنيه والأعمال الظاهريه التي لا يراها سوى الله تعالى، وهذا الأمر يعدّ من أهم الأمور التي لا يمكن تحقيقها وتحصيلها إلّامن خلال الإيمان بالله والاعتقاد بحضوره في كل مكان وزمان، إنّ المشكلات التي تعيشها المجتمعات البشريه، والأزمات التي تصيب الناس، تتعلق غالباً بهذه المسأله، فتؤخذ القرارات بمعزل عن أهل الخبره وتنجز الأعمال بعيداً

عن أنظار الناس ويتمّ التضحية بالمنفعة العامه لصالح المنافع الشخصية غير المشروعه.

وعبارته: «حَيْثُ لَشَهِيدَ غَيْرُهُ، وَلَمَّا وَكَيْلَ دُونَهُ» ناظره قطعاً للأشخاص العاديين غير الحاضرين في خلوه الإنسان، ولكنّ الملائكة المأمورين بكتابه أعمال الإنسان يعيشون معه في كلّ مكان وزمان ويراقبون أعماله وسلوكياته في جميع الأوقات، والأعلى من الجميع الذات المقدسه الحاضره في جميع أرجاء عالم الوجود ولا يخفى عليها شيء من صغائر الأمور وكبائرها.

ثمّ يأمره الإمام عليه السلام بالأمر الثاني ويقول: «وَأَمْرُهُ أَلَّا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيَخَالَفَ إِلَيْ غَيْرِهِ فِيمَا أَسْرًا».

وهذا يعنى أنّ الإنسان يجب أن يكون موحداً في شخصيته حيث يتطابق ظاهره مع باطنه، لأنّ اختلاف الظاهر والباطن، والخلوه والجلوه، تعتبر مصداقاً بارزاً للنفاق، والمسلم ينبغي أن يكون بريئاً ونقيّاً من النفاق.

ثمّ يذكر الإمام عليه السلام كلاماً هو بمثابة الدليل على تلك التوصيه ويقول: «وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ، وَفَعَلَهُ وَمَقَالَتُهُ، فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ، وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ».

ومفهوم هذا الكلام أنّ الأشخاص الذين يختلف ظاهرهم عن سريرتهم، ولا- تنسجم أقوالهم مع أفعالهم، هؤلاء خونه وغير مخلصين في طاعه الله، وهذه هي الحقيقه، فهل توجد خيانه أفضح من أن يقوم الإنسان بمزاولة أعمال حسنه بقصد الرياء أمام الناس، ولكنّه عندما يخلو برّبّه يسلك سلوكاً آخر، أو يقول بلسانه كلاماً مهذباً ويعد الآخرين بوعود جميله ويتحدّث عن الطهر والتقوى للناس ولكنّه على مستوى العمل والممارسه يتحرّك في خطّ الهوى والانحراف ويتسبّب بالتالى بعدم ثقّه الناس بالدين وإضعاف الإيمان في قلوبهم؟! إنّ مثل هذه الأعمال السيئه مرفوضه ومذمومه من أى شخص، ولكنّها إذا صدرت من المسؤولين والمتولّين لأموال الناس فستكون أقيح وأشنع.



ويشير الإمام عليه السلام في هذه التوصية في مسأله الإخلاص والأمانه إلى أمرين:

أحدهما: التجانس والإنسجام في السرّ والعلن، والآخر: الإنسجام في القول والفعل، والحقيقه أنّ الإخلاص يقوم على أساس هذين الركنين وأنّ المرئيين من الناس يفقدون الإلتزام بأحد هذين الركنين أو بكليهما.

وطبعاً فإنّ رعايه هذا الأصل بالنسبه للمسؤولين على بيت المال أهمّ وأشدّ من الآخرين حيث يجب أن يتحلّى المسؤولون بهاتين الصفتين، وهما الحفظ والأمانه.

ونقرأ في حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ خَالَفَتْ سَرِيرَتَهُ عَلَانِيَتُهُ فَهُوَ مُنَافِقٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ وَحَيْثُ كَانَ وَفِي أَيِّ أَرْضٍ كَانَ وَعَلَى أَيِّ زُبَيْهِ كَانَ»<sup>(١)</sup>.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام عن لقمان الحكيم أنه قال:

«لِلْمُنَافِقِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ: يُخَالِفُ لِسَانُهُ قَلْبَهُ وَقَلْبُهُ فِعْلَهُ وَعَلَانِيَتُهُ سَرِيرَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثمّ يطرح الإمام عليه السلام في توصيته الثالثه ثلاثه أوامر لعامله ويقول: «وَأَمْرُهُ أَلَّا يَجْبَهُهُمْ وَلَا يَعْضَهُهُمْ، وَلَا يَزْغَبَ عَنْهُمْ تَفْضُلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ».

وهذه ملاحظات نفسيه مهمه جداً في مسأله جمع الضرائب وحقوق بيت المال وترتبط بشكل خاصّ بجميع أمور الإداره والحكومه، فالتعامل الجيّد مع الناس من شأنه تعميق أواصر المودّه والثقه المتبادله بين الحكّام والمحكومين، وبالتالي تشجّع الناس على أداء الحقوق الماليه والوظائف الشرعيه عليهم وتجعل من المكلفين أن يتقدّموا طواعيه لدفع ما عليهم من تكاليف في مقابل الحكومه أو المدراء، من دون حاجه لجهاز مخابرات ومأمورين غلاظ شداد ومحاكم تفتيش وما إلى ذلك، بعد أن يتحرّك الناس في خطّ الإستقامه والمسؤوليه والرساله من موقع الوعي الكامل

ص: ٢٩٣

١- (١). بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٠٧.

٢- (٢). المصدر السابق، ص ٢٠٦، ح ٧.

بالوظيفة الشرعية، والتجارب الحديثه فى العصر الحاضر تؤيد صدق هذا الكلام وصحة هذا البيان.

صحيح أن البعض ربما يسىء الاستفادة من هذه المسألة ولا يؤدي ما عليه من حقوق لبيت المال، ولكن الخساره المترتبة على مثل هذا السلوك الحسن أقل بكثير مما لو كان التعامل معهم بالنيات الشده والعنف.

\*\*\*

ص: ٢٩٤

وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيْبًا مَفْرُوضًا، وَحَقًّا مَعْلُومًا، وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكِنِهِ، وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقِهِ، وَإِنَّا مُوفُّوكَ حَقَّكَ، فَوْفَهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَيَأْتِكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبُؤْسِي لِمَنْ - خَضِعَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ - الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمِيدْفُوعُونَ وَالغَرَامُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ! وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمْيَانَةِ وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ وَلَمْ يَنْزِهِ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحْلَلَ بِنَفْسِهِ الدُّلَّ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذْلُ وَأَحْزَى! وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْعِشِّ عِشُّ الْأُمَّةِ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: اعمل بحيث لا يشكوك المحرومون يوم القيامة

ثم إن الإمام عليه السلام يشير إلى نقطه مهمه في هذا الشأن بإمكانها أن تكون بمثابة الدليل على الكلام السابق، وهي أن عامل جباية الزكاه لا ينبغي له الغفله عن هذه الحقيقه، وهي أنه بوصفه عاملاً على جمع الزكوات له حق معين وسهم خاص من هذا المال، وأن الطوائف الأخرى من المستحقين للزكاه هم شركاء معه في هذا المال، فإن لم يراع حقهم في هذا المال فإن مصيره يوم القيامة سيكون وخيماً، يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيْبًا مَفْرُوضًا، وَحَقًّا مَعْلُومًا، وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكِنِهِ، وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقِهِ، وَإِنَّا مُوفُّوكَ حَقَّكَ، فَوْفَهُمْ حُقُوقَهُمْ».

و هذا الكلام إشاره إلى عدم معامله أموال الزكاه كالمعاملات الخصوصيه أو الشخصيه، فطبقاً لصريح القرآن الكريم، أن هذه الأموال مشتركه بين ثمان طوائف من الناس.

ويبين الإمام عليه السلام الآثار السيئة والمضره للتخلف عن هذه التوصيات ويقول:

«وَاللَّا تَفْعَلُ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وهو إشارة إلى أن الإنسان عندما يقف في محكمه العدل الإلهي فربما يواجه بعض الشاكين والمخالفين، ويستطيع أحياناً كسب رضاهم بشكل من الأشكال وأحياناً أخرى يواجه آثافاً مؤلفه من الشاكين والساخطين عليه بحيث لا يستطيع كسب رضا الجميع، والأشخاص الذين يخونون بيت المال ويسرقون من الزكاه هم من هذه الفئة من الناس.

ويستمر الإمام في بيان توصياته في هذا الشأن ويقول: «وَبُؤْسِي (١) لِمَنْ - خَصِيْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ - الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ (٢)، وَالْغَارِمُونَ وَابْنُ السَّبِيلِ».

ومفرده «الْفُقَرَاءُ»، «الْمَسَاكِينُ»، «السَّائِلُونَ» و «الْمَدْفُوعُونَ» كلها تشير إلى جماعه المحتاجين والمحرومين مع هذا الفارق، وهو أن الكثير من المفسرين للقرآن يعتقدون بأن المسكين هو أسوء حالاً من الفقير، وكأنه من شدّه فقره بلغ حدّاً أن جلس على الأرض، (لأنّ المسكين من السكون) فيجب على المسؤولين أن يهتموا بشكل خاصّ برعايه هذه الشريحه من الناس، لأنهم ربّما لا يظهرون حاجتهم ويمدّون أيديهم إلى الناس وحتى إلى بيت المال حياءً وخجلاً، في حين أنّ السائلين أزاحوا ستار الخجل والحياء واضطروا لسؤال الناس ومدّوا أيديهم لطلب المعونه والمساعده، و (المدفوعون) هم الأشخاص الذين يعيشون الغنى وعدم الحاجه بالقوه لا بالفعل، يعنى يملكون أموالاً كافيه، ولكنّ الغاصبين قد أخذوا منهم أموالهم وحرموهم من حقّهم وجعلوا منهم فقراء ومحتاجين.

وأما «الغارمُونَ» فتعنى المدنين الذين عجزوا عن تسديد ديونهم إلى أصحابها،

ص: ٢٩٤

١- (١). «بؤسى» يعنى شدّه المحنه وسوء الحاله وتكون ناتجه أحياناً من الفقر وأحياناً بسبب عوامل أخرى، وهذه الكلمه من قبيل «بأساء» و «وبؤس» على وزن «قفل».

٢- (٢). «مدفوعون» يعنى الأشخاص الذين منعوا عن حقّهم.

أو الذين أعلنوا إفلاسهم، من الكسبه والتجّار، بدون تقصير منهم.

وذهب بعض شراح نهج البلاغه، إلى أنّ «مَدْفُوعُونَ» تعادل كلمه «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» الوارده في مصارف الزكاه باعتبار أنّ هؤلاء مدفوعون لأعمال معينه بمنطلقات دينيه إلهيه، و «السائلون» تقع في مقابل «في الرقاب» الوارده في الآيه الشريفه باعتبار طلبهم التحرّر من الرّق والعبوديه، وعلى ضوء ذلك مصارف الزكاه الثمانيه الوارده في الآيه الشريفه ذكرت سته منها في هذه الرساله، وأحد مصارف الزكاه هو «العاملون عليها»، أى العاملين على جمع الزكاه، فالإمام أشار إلى ذلك سابقاً، وبقى المورد الثامن من المستحقين للزكاه وهو المؤلفه قلوبهم حيث لم يرد فيه كلام الإمام عليه السلام بسبب أنّ هذا المورد لم يكن محلّ ابتلاء في ذلك الوقت، مضافاً إلى أنّ العلامه المجلسي ذكر بأنّ الإمام عليه السلام في هذا الكلام لم يكن بصدد ذكر جميع الموارد الثمانيه لمصارف الزكاه حتّى يتكلّف البعض تأويل كلمات الإمام عليه السلام بما يتفق مع ما ورد في الآيه الشريفه.

ويطرح الإمام عليه السلام في سياق كلامه استدلالاً متيناً في ما يؤول إليه خونه بيت المال ومصيرهم السيء في الدنيا والآخره ويقول: «وَمَنْ اشْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ (١) فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يَنْزِرْهُ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ (٢) بِنَفْسِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ أَدْلُ وَأَخْزَى».

أمّا الذلّه والفضيحه في الدنيا فتعود إلى أنّ الخيانات المتكرّره لا تكاد تخفى على الآخرين فعاجلاً أم آجلاً سيفتضح الخائن وينظر إليه الناس بنظر الإزدراء والاحتقار ويلبس ثوب المذلّه والمهانة في واقع الحياه والمجتمع، وأمّا في الآخره وعندما تقدّم للناس صحائف أعمالهم فذلك «يوم البروز» حيث تبرز الأعمال

ص: ٢٩٧

١- (١). «رَتَعَ» من ماده «رتع» على وزن «فتح» بمعنى تناول الطعام والشراب الكثير وخاصه في فصل الربيع وفي القرى والأرياف، ولكن المعنى الواسع للكلمه يطلق على كل أكل وشرب حتى ما أكلت الحيوانات في الصحراء، ومن هنا اطلقت كلمه رتّع على المناطق التي يكثر فيها علف المواشى.

٢- (٢). «أَحَلَّ» من «الحلول» بمعنى الدخول، وعندما تأتي من باب إفعال فتعنى إدخال.

الخفيه وتنشر الملفات وتذاع الأسرار على أهل المحشر، وهنا ستكون الفضيحة العظمى والخزى الأنكى.

والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام لم يكتفِ هنا بالتعبير بالخيانة في الأمانه فقط، بل إنه اعتبر أن الاستخفاف و «اشْتِهَانِ بِالْأَمَانَةِ» يعدّ منقصه كبيره وعبياً أخلاقياً، وهذا يعكس الأهميه الفائقه للأمانه.

يشير الإمام عليه السلام في ختام هذه الرساله إلى نقطه أخرى، وهى أن الخيانه تارة تكون بالنسبه لشخص معين، وأحياناً أخرى ترتكب في حق الأمة، ومعلوم أن الخيانه في حق الأمة أقبح وأخطر من الأولى، يقول: «وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ (١) الْغِشِّ (٢) غِشُّ الْأَيْمَةِ، وَالسَّلَامُ».

والعلّه في ذلك واضح، لأنّ الإنسان إذا ارتكب خيانه في حق شخص أو عدّه أشخاص فربّما يندم يوماً ويتحرّك على مستوى البحث عن هؤلاء الأشخاص والاعتذار منهم وكسب رضاهم، ولكن إذا كانت الخيانه متوجّهه إلى الأمة فإنّ جبرانها سيكون عسيراً جداً وقد يكون محالاً، أضف إلى ذلك أنّ خيانه الأمة تفضى إلى الخيانه لإمام الأمة، وكسب رضا الإمام لا يعدّ أمر يسيراً.

وقد استفاد الإمام عليه السلام في هذه العبارة من مفردتين، احدهما: الخيانه، والآخرى:

الغشّ، وذلك من جهه أنّ الكثير من الخونه يستخدمون اسلوب الغشّ لإخفاء خيانتهم، وفي الحقيقه أنّهم يرتكبون مخالفتين، إحداهما الغشّ والأخرى الخيانه، ومن هذه الجهه أشار الإمام عليه السلام إلى كلا الأمرين، والسبب في أنّ الإمام عليه السلام ذكر الغشّ فيما يتصل بالأئمه، هو أنّ الخونه يخشون من الإمام وقاده الأمة، ولهذا السبب يخفون أعمالهم الشائنه وخيانتهم بطريقه الغشّ والخداع.

ص: ٢٩٨

- ١- (١). «أفّطع» من «الفطاعه» بمعنى القبيح جداً.
- ٢- (٢). «الغش» تأتي أحياناً بكسر العين وأخرى بفتحها، فعندما تأتي بكسر العين تكون اسم مصدر وتعنى الخداع والحيله والخيانه، وإذا جاءت بفتح العين فتكون مصدراً وتعنى عمل الخيانه والمكر.

## ١. الأصناف الثمانية لمستحقى الزكاه

ورد فى القرآن الكريم فى الآيه ٦٠ من سورة التوبه بيان للموارد الثمانية لمصرف الزكاه، تقول الآيه الشريفه: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»، ويمكن اختزال هذه المصارف والموارد الثمانية فى ثلاثه أصول كليته:

الأول: المحتاجون ويشمل الفقراء المساكين والعبيد الذين يعيشون التعب والإرهاق من شدة العمل، والغارمين ومن واجه الضيق والإفلاس فى تجارته وعمله بدون تقصير منه، وكذلك من بقى فى طريق السفر بدون مؤنه أو مال، وهذه الطوائف الخمسه تعتبر من المحتاجين، فبعضهم يحتاج لمعاشه اليومى من الطعام والملبس والمسكن، وبعضهم يحتاج للمال لتسديد دينه، وثالث يحتاج للمال بسبب عجزه عن مواصله سفره لعدم المال وفقدان المتاع (وإن كان فى وطنه غنياً وغير محتاج)، وبعضهم يحتاج لإنقاذ نفسه من قيود الرق والعبوديه.

الطائفة الثانيه: الأشخاص الذين يعملون فى شأن الضرائب وجمع الزكوات وحفظها وإيصالها إلى بيت المال فيجب أن يدفع لهم اجره المثل لعملهم.

الطائفة الثالثه: المنافع العامه للمسلمين، نفقات الجهاد فى سبيل الله، بناء المساجد، تأسيس المدارس، نشر وتبليغ الرساله الإلهيه، ولتأليف قلوب غير المسلمين وجذبهم نحو الإسلام، فهذه المصارف تتم تغطيتها من مال الزكاه، وهذه الطوائف الثلاث وردت فى القرآن الكريم على شكل ثمانية موارد، وفى الحقيقه أن هذا الحصر فى استحقاقات الزكاه يستوعب جميع حاجات المجتمع الإسلامى، ولو تم دفع الزكاه (وكذلك الخمس) بشكل دقيق ومدروس، فإنّ قسماً مهماً من المشاكل الماليه سيتم حلها وسدّ أشكال الخلل الاقتصادى بهذه الطريقه، كما ورد هذا المعنى

فى الروايات الشريفه، يقول الإمام الصادق عليه السلام «لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَدَّوْا زَكَاهَ أَمْوَالِهِمْ مَا بَقِيَ مُسْلِمٌ فَقِيْرًا مُّحْتَاجًا... وَإِنَّ النَّاسَ مَا افْتَقَرُوا وَلَا اِحْتاجُوا وَلَا جاعُوا وَلَا عَرُوا إِلَّا بِذُنُوبِ الْأَغْيَاءِ»(١).

## ٢. الأمانه، أصل القيم الأخلاقيه فى الإسلام

تعتبر الأمانه وإلى جانبها الصدق، أصلان مهمّان فى التعاليم الدينيه والمفاهيم القرآنيه، ولا ينعكس هذان الأصلان الأخلاقيان بشكل كبير فى القرآن الكريم والروايات الإسلاميه فحسب، بل يعدّان من جمله تعاليم ومبادئ جميع الأنبياء عليهم السلام، فنقرأ فى حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَى الْعَبْرِ وَالْفَاجِرِ»(٢).

وهذان الأصلان إلى درجه من الأهميه بحيث أنّهما يعدّان من علائم الإيمان والتقوى الرئيسيه، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَمَّا تَنْظَرُوا إِلَى كَثْرَةِ صِيَمَاتِهِمْ وَصَوْمِهِمْ وَكَثْرَةِ حَيْجِ وَالْمَعْرُوفِ وَطَنَطْنَتِهِمْ بِاللَّيْلِ، وَلَكِنْ انظُرُوا إِلَى صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»(٣).

وفى حديث مماثل يقول الإمام الصادق عليه السلام: «لَا تَعْتَرُوا بِصِيَمَاتِهِمْ وَلَا بِصِيَامِهِمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ رُبَّمَا لَهَجَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ حَتَّى لَوْ تَرَكَهُ اسْتَوْحَشَ وَلَكِنْ اخْتَبَرُوهُمْ عِنْدَ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ»(٤).

وقد وردت مثل هذه المضامين المثيره فى روايات أخرى كذلك.

والعلّه فى كلّ هذه التأكيدات لا تحتاج إلى كثير بيان، لأنّ أهمّ رأسمال المجتمع الإسلامى هو الاعتماد المتقابل والثقه المتبادله بين أفراده، فلو انعدم هذا الاعتماد

ص: ٣٠٠

١- (١). وسائل الشيعه، ج ٦، ص ٤، باب ١، ح ٦، من أبواب الزكاه.

٢- (٢). الكافى، ج ٢، ص ١٠٤، ح ١.

٣- (٣). الأمالى، الشيخ الصدوق، ص ٣٠٠، ح ٦.

٤- (٤). الكافى، ج ٢، ص ١٠٤، ح ٢.



وزالت الثقة بين الأفراد، فإنّ ذلك من شأنه إضعاف حاله التعاون وتوهين عنصر التكاتف بين الناس، والعامل الأساس في تقوية الاعتماد والتكاتف بين الناس يتمثل في مبدأ الأمانة والصدق في التعامل والتواصل في فضاء المجتمع، لأنّ الخيانة والكذب يؤدّيان إلى انهدام صرح الاعتماد والثقة المتبادلين فيتحول المجتمع البشريّ في النهاية إلى صحراء مقفرة من المعنويات وتسود حينئذٍ شريعة الغاب فلا يجد الإنسان مفراً من الجفاف المعنويّ، وتعمّق حالات الكراهية المتولّدة من حالات الصراع.

ومن أشنع أشكال الخيانة، كما أشار الإمام عليه السلام إلى ذلك في هذه الرسالة، خيانة الأُمّة وخيانة بيت المال والحكومة الإسلاميّة، والتي تترتب عليها آثار مدمّرة وعواقب وخيمة أشدّ بكثير من الخيانات الفرديّة.

\*\*\*

ص: ٣٠١



إلى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَلَدَهُ مِصْرَ (١)

### نظرة إلى الرسالة

ورد في كتاب الغارات أنّ عليّاً عليه السلام لما أجاب محمّداً بن أبي بكر رحمه الله بهذا الكتاب كان محمّداً ينظر فيه ويتعلّمه ويقضى به، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويعجبه، فقال الوليد بن عقبه وهو عند معاوية لمّا رأى إعجاب معاوية به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق، فقال له معاوية: مه، يا ابن أبي معيط أنه لا رأى لك، فقال له الوليد: إنّه لا رأى لك، أتريد أن يعلم الناس أنّ أحاديث أبي تراب عندك؟! تتعلّم منها وتقضى بقضائه؟! فعلام تقاتله؟! فقال معاوية: ويحك أأمرني أن أحرق علماً مثل هذا؟! واللّه ما سمعت بعلم أجمع منه ولا أحكم ولا أوضح، فقال الوليد: إن كنت

ص: ٣٠٣

١- (١). سند الرسالة: ذكر صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه أنّ هذا العهد نقله قبل السيد الرضى، إبراهيم بن هلال الثقفى فى كتابه الغارات وابن شعبه الحرانى صاحب كتاب تحف العقول فى كتابه هذا، ونقله بعد السيد الرضى الشيخ الطوسى فى الإمالى والطبرى فى بشاره المصطفى وآخرون. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٦٥). ويستفاد من كتاب الغارات وكتاب نهج البلاغه الكامل أنّ هذا العهد المطول أكثر بكثير ممّا أورده السيد الرضى، حيث اقتصر السيد الرضى على نقل مقطع خاص منه.

تعجب من علمه وقضائه فعلام تقائله؟ فقال معاويه: لولا أن أبا تراب قتل عثمان ثم أفتانا لأخذنا عنه، ثم سكت هنيهة ثم نظر إلى جلسائه فقال: إنا لا نقول: إن هذه من كتب علي بن أبي طالب، ولكن نقول: إن هذه من كتب أبي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد بن أبي بكر.

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني اميه حتى ولي عمر بن عبدالعزيز فهو الذي أظهر أنها من أحاديث علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويضيف صاحب الغارات: فلما بلغ - يعني استشهاد محمد بن أبي بكر - علي ابن أبي طالب عليه السلام وأن ذلك الكتاب صار إلى معاويه اشتد ذلك عليه (يعني لماذا مثل هذا الكتاب الرائع الزاخر باللؤلؤ والمرجان يقع بيد من ليسوا أهلاً لذلك)(1).

وكيف كان، فإن هذه الرسالة طبقاً لما ذكره المرحوم السيد الرضى، تتضمن عدّه مقاطع: الأول: أن الإمام عليه السلام يأمر بلزوم رعايه التواضع وإقامه العدل في معامله الناس والتواصل معهم من موقع الرأفه والمحبه، وفي ذات الوقت الإهتمام بإبراز القوه والقدرة في مقابل قوى الجور والثروه.

وفي المقطع الثاني: يتحدّث الإمام عليه السلام بشكل كلى وشامل عن إحدى صفات المتّقين في تعاملهم مع الدنيا والنعم الماديه في عبارات بليغه وزاخره بالمعاني العميقه، ويبيّن كيف أنّ هؤلاء المتّقين يستخدمون هذه النعم الإلهيه في الدنيا دون أن يتورطوا في مهاوى الخطيئه ويقعوا في شباك حبّ الدنيا.

ويشير الإمام عليه السلام في المقطع الثالث، إلى نهايه الحياه وحلول الأجل ويتحدّث بكلمات بليغه بحيث أنّ التدقيق في مضامينها والتمعّن في معانيها من شأنه إيقاظ كلّ إنسان من سبات الغفله.

ويلفت الإمام عليه السلام في المقطع الرابع نظر محمد بن أبي بكر إلى أهمّيه وخطوره

ص: ٣٠٤

---

١- (١). الغارات، ص ٢٥١؛ وهذا الكلام نقله ابن أبي الحديد بشكل مختصر في شرحه لنهج البلاغه (ج ٦، ص ٧٩) وصاحب كتاب نهج البلاغه الكامل، در ص ٩٠٣، بعد ذكره لهذا العهد بشكل كامل.

هذه المهمّة التي كلفها به (أى حكومه مصر)، ويشير عليه ببعض التوصيات اللازمه فى هذ المجال.

وفى المقطع الخامس والأخير، يعود الإمام لبيان تحليل كلى وشامل فى الحديث عن الفرق بين قاده الهدى والحقّ وقاده الضلال والباطل ويشير إلى خطر المنافقين فى المجتمع الإسلامى.

وبعد الالتفات إلى أنّ وثيقه العهد هذه مطوّله بدرجة كبيره لم يتمكّن السيد الرضىّ من ذكرها كلّها فى كتابه، ولذلك اختار بعض الفقرات والمقاطع منها، وقد وردت هذه الرساله كلّها فى كتاب الغارات ونهج البلاغه الكامل وغيرهما.

\*\*\*

ص: ٣٠٥



فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَمَّا يَيْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرِ، وَالظَّاهِرِ وَالْمُسْتُورِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَغْفِرْ فَهُوَ أَكْرَمُ.

### الشرح والتفسير: حسن الخلق مع جميع الأفراد

كما تقدّمت الإشارة إليه آنفاً فإنّ القسم الأول من هذا الرسالة ناظر إلى سلسله من التوصيات الأخلاقية التي أمر الإمام عليه السلام واليه محمّد بن أبي بكر بالالتزام بها في تواصله وتعامله مع الناس، والواقع أنّ المسلمين جميعاً يجب أن يكونوا كذلك في توثيق وشائج المودّة والعلاقة بينهم، وهذه التوصيات تتمثّل في أربعة أمور:

الأول: لزوم رعايه المودّة والمحبة لجميع الأفراد في المجتمع، يقول الإمام عليه السلام:

«فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ».

وهذا التعبير مقتبس من القرآن الكريم في رسم كيفية تعامل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مع المؤمنين حيث تقول الآية الشريفة: «وَإِذَا خِطَبْتَهُمْ فَقَامُوا فِي سَرَادِقِهِمْ فَمَنْ أَتْبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ» (١)، وهذا تعبير كناية مستوحى من سلوك الطير مع فراخه، فعندما تأتي الفراخ إلى أمّها فإنّ هذه الأمّ ستفتح جناحها لهم وتجمع هؤلاء الفراخ تحت جناحها إظهاراً

ص: ٣٠٧

للمحبه لها وحمايه لهذه الفراخ من الأذى.

والأمر الثاني يقول الإمام عليه السلام: «وَأَلِنْ (١) لَهُمْ جَانِبَكَ».

وهذا التعبير أيضاً من القرآن الكريم حيث يقول: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ» (٢).

وفى الأمر الثالث يقول الإمام عليه السلام: «وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ».

فلا ينبغي التعامل مع أى فرد من أفراد المجتمع بوجه عبوس وظاهر متجهم، والحديث معهم بمنطق الاستعلاء والغرور، فإن هذا من شأنه إبعاد الناس عنك وتشبثهم عن مركز القيادة، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم حيث يأمر نبي الإسلام صلى الله عليه وآله ويقول: «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» (٣).

والأمر الرابع ناظر إلى إقامه العدل فى جميع مناحى الحياه حتى فى جزئيات الأمور، يقول الإمام عليه السلام: «وَأَسِ (٤) بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ (٥) وَالنَّظَرِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ (٦) لَهُمْ (٧) وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ (٨)».

وهذا إشاره إلى أنه لو حضر عندك رجل ثرى وذو نفوذ مع رجل ضعيف ومعدم لتقضى بينهم، أو لغرض آخر، فينبغى عليك مراعاة العدالة بينهما إلى حد أنك إذا نظرت لحظات معدوده لأحدهما فيجب أن تنظر إلى الآخر بهذا المقدار أيضاً ولا

ص: ٣٠٨

١- (١). «ألن» من «اللين» على وزن «حين» بمعنى السهوله.

٢- (٢). سوره آل عمران، الآيه ١٥٩.

٣- (٣). سوره آل عمران، الآيه ١٥٩.

٤- (٤). «أس» من «المواساه» وتعنى التساوى بين الأطراف من جميع الجهات.

٥- (٥). «لحظه» النظره الخاطفه من زوايه العين، خلافاً لـ «نظره» التى تعنى النظر بجميع العين، والعباره أعلامه تشير إلى أنّ الحاكم ليس فقط يساوى بين الرعيه بالنظر المباشر وبجميع العين، بل حتى باللحظات وبطرف العين.

٦- (٦). «حيف» الانحراف عن الحق والظلم والجور، سواء فى مقام القضاء أو الحكم أو فى الأمور الأخرى.

٧- (٧). الضمير فى «لهم» يعود إلى «العظماء» والجملة تعنى أنّ الأقوياء لا ينبغى أن يطمعوا فى حكمك لصالحهم على حساب حقوق الآخرين وظلم الرعيه، وأما عوده الضمير إلى «الرعيه» فبعيد جداً لأنّ «اللام» ينبغى أن تكون بمعنى على، مضافاً إلى أنّ كلمه «الرعيه» و «ضعفاء» لم تردا فى العبارات السابقه لتسويغ عوده الضمير عليهما، ولو كان المقصود ما ورد فى بدايه الرساله فستكون الفاصله بعيدة.

٨- (٨). ضمير «عليهم» يعود إلى «ضعفاء» و «على» جاءت هنا بمعنى اللام، يعنى أنّ الضعفاء لا ييأسون من مراعاة العدالة فى حقوقهم، وجاء فى بعض النسخ حرف الباء بدلاً من «على» وهو أنسب ظاهراً.



تهتمّ وتصغى للغنى أكثر من اهتمامك وإصغائك للفقير والضعيف، فلو أنك راعيت مقتضيات العدالة في هذه الجزئيات الصغيره فسوف تستطيع بطريق أولى رعايه العدالة في الأمور الأهمّ ولا- يتوقّع منك الظلم والجور والانحياز لفئه خاصه على حساب فئه أخرى.

وهذا هو الحكم الشرعى فى باب القضاء الإسلامى وفى مورد رعايه القاضى للعداله بين المتخاصمين حيث يجب عليه مراعاه المساواه والعداله بين المتخاصمين فيما لو حضرا عنده، فلو أرادا الجلوس فعليهما أن يجلسا معاً، وإذا عزمّا على الوقوف، عليهما الوقوف سوياً، فلو أنّ القاضى سلّم على أحدهما فيجب عليه أن يسلم على الآخر، وإذا نظر إلى أحدهما لحظات فعليه أن ينظر للآخر بذلك المقدار، وإصرار الإسلام على رعايه مثل هذه التوصيات والمقرّرات إنّما هو لمنع أى شكل من أشكال الظلم والجور، ولا- نتصوّر أنّ مثل هذا القانون فى رعايه أصل العدالة موجود فى أى من القوانين القضائيه فى عالمنا المعاصر وبمثل هذه الدقه.

وقد ورد فى حديث نقله الكلينى فى الكافى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «مَنْ ابْتَلَى بِالْقَضَاءِ فَلْيُؤَاسِ بَيْنَهُمْ فِي الْإِشَارَةِ وَفِي النَّظَرِ وَفِي الْمَجْلِسِ» (١).

ومثل هذا المعنى ورد أيضاً فى رساله ٤٦ من نهج البلاغه والتي كتبها الإمام عليه السلام لأحد عمّاله.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه وتوصياته ويذكر علّه هذا الحكم ويقول: «فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبُ فَاتَّعَبْتُمْ أَظْلَمَ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمٌ».

\*\*\*

ص: ٣٠٩



وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ؛ سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكَنَتْ، وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظَى بِهِ الْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ؛ ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ؛ وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ عَدَاً فِي آخِرَتِهِمْ. لَأَتَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةَ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةِ.

### الشرح والتفسير: الدنيا والآخرة لمن يعيش البساطة والزهد

في هذا المقطع من الرسالة تحدّث الإمام عليه السلام عن موضوع شامل في بيان صفات المتقين وامتيازاتهم وخصالهم ليكون ذلك درساً لمحمّد بن أبي بكر ولسائر أهالي مصر، يقول الإمام عليه السلام بدايه:

«وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكُوا (١) أَهْلَ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ».

ثم إنّ الإمام عليه السلام تعرّض لشرح وتوضيح هذا العبارة فقال: «سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ

ص: ٣١١

١- (١). الضمير في «لَمْ يُشَارِكُوا» يعود إلى المتقين، ومفهوم الجملة أنّ المتقين في الآخرة لا يشاركون في عذاب أهل الدنيا والمجرمين، ولكن ورد في بعض النسخ وكذلك النسخة المصححة لنهج البلاغة «لَمْ يُشَارِكُهُمْ» وهي أكثر تناسباً مع المضمون، وتعني أنّ أهل الدنيا لا يشاركون في الآخرة المتقين في نعيمهم في حين أنّ أهل الدنيا يشتركون مع المتقين في دنياهم بشكل معقول.

مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتُمْ، فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ (١)، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَّارَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ»، (أى بعيداً عن التكلّف والتكالب على زخارف الدنيا فى تنميق المساكن وتزيين القصور). وأكلوها بأفضل ما اكلت (الطعام الحلال والبسيط والبعيد عن التلوّث والإسراف).

ومفهوم هذا الكلام لا- يعنى أنّ المتّقين الزاهدين يهتمون بالجلوس على الموائد الملوّنه والسكن فى القصور المجلله وارتداء الملابس الأنيقه، بل المراد من ذلك أنّ هؤلاء فى حياتهم البسيطة يتنعمون منها كما يتنعم أهل الدنيا، لأنهم من جهة يسعون لتوفير ما يحتاجون إليه من المأكل والملبس والمسكن، وبالتالي فإنهم يتنعمون بها أيضاً، لأنّ الإنسان المحتاج عندما يحصل على مقصوده ويحقق مراده فإنه يشعر باللذّه والراحه، كالإنسان الجائع عندما يأكل طعاماً بسيطاً، ومن جهة أخرى أنهم يعلمون أنّ ما يملكونه قد حصلوا عليه من طريق حلال وأنّ الله رزقهم هذه النعم بطريق مشروع، فلا- تترتب عليه العقوبه الأخرويه، وبالتالي ينتفعون من هذه النعم والمواهب بروح هادئه وقلب مطمئن ومشاعر منفتحه.

والكثير من الأشخاص الذين يعيشون فى بيوت صغيره ويملكون وسائل بسيطه من الأثاث ويأكلون ويلبسون ما توفّر لهم من الطعام الزهيد الثمن واللباس المناسب، يعيشون فى ذات الوقت معنويات عاليه ولا يجدون فى أنفسهم امتعاضاً أو شكايه من حالهم، وبذلك يحسّون بالطمأنينه والهدوء النفسى فى واقع الحياه ويشعرون بالسعاده وطيب خاطر، فى حين أنّ غالبيه الأثرياء الذين يسكنون القصور المجلله ويملكون أفضل وسائل العيش ويجلسون على موائد ملوّنه وتجلب لهم أنواع الأطمعه؛ يعيشون الاضطراب والقلق فى حياتهم، وأحياناً تصيبهم الكآبه المزمنه والأمراض النفسيه، والتجارب فى هذا الموضوع تؤكّد صحه ما ذكره الإمام علىّ عليه السلام فى العبارة أعلاه.

ص: ٣١٢

---

١- (١). «مُتْرَفٌ» تعنى، كما تقدّم فى شرح الرساله ١٠، الأثرياء المغرورين الذين يعيشون حاله الطغيان.

أضف إلى ذلك أن المتقين وبسبب حياتهم البسيطة والبعيدة عن الترف والتجمل، عندما يحين أجلهم ويتركون الدنيا فإنهم لا يشعرون بالحسرة في قلوبهم عليها، ولكن المستهترين المتكبرين والمترفين الذين عاشوا حياة الترف والتكالب على ملذات الدنيا وزخارفها عندما يحين أجلهم فسوف يعيشون أشد الحسرات على ما ستركونه من نعيم ولذته، وبخاصة إذا كانوا يعتقدون باليوم الآخر ويعلمون أنهم س يحملون وزر هذه الثروات والخطايا على أعناقهم يوم القيامة.

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِيهَا إِذَا كُنْتَ قَانِعًا

ويستمر الإمام عليه السلام في كلامه عن خصال المتقين ويقول: «ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ (١) ، وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ أَصَابُوا لَدَّهُ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ (٢) عَدَاً فِي آخِرَتِهِمْ، لَأَتُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَدَّهِ».

جملة: «لَأَتُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ» إشاره إلى ما ورد في الآية الشريفه: «لَهُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ» (٣).

وجمله: «وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَدَّهِ» إشاره إلى قوله تعالى: «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ» (٤).

وذهب بعض شراح نهج البلاغه إلى أن عبارته: «لَمَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَدَّهِ» ناظره لحال المتقين في هذا الدنيا، فإنهم وبسبب إيمانهم وحسن يقينهم وصلاح عملهم مستجابو الدعوه، فلا ينقص لهم شيء من لذات الدنيا، ولكن هذا التفسير بعيد عن الصواب، لأن الجملة بعد هذه العبارة تتحدث عن الآخرة، وأما

ص: ٣١٣

١- (١) . «المبْلَغ» تعنى فى الجملة الزاد والمتاع الذى يوصل الإنسان إلى مقصده وهو من «البلوغ» بمعنى الوصول.

٢- (٢) . «جيران الله» كناية عن علو المقام، لأن الله تعالى ليس له دار خاصه ليكون له جيران، فالعبارة تشير إلى القرب المعنوى من الله تعالى.

٣- (٣) . سورة يس، الآية ٥٧.

٤- (٤) . سورة فصلت، الآية ٣١.

حال المتقين في الدنيا فقد ورد في العبارات والجمل السابقه، وكما أسلفنا فإنّ هاتين الجملتين إشاره إلى ما ورد في الآيات القرآنيه بهذا المضمون.

\*\*\*

ص: ٣١٤

فَاخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، خَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَّا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ لَّا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَيْدَاءً فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ، إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَذْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي يَكُمُ؛ وَالِدُنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ. فَاخِذُوا نَارًا قَعْرَهَا بَعِيدٌ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَدَائِبُهَا جَدِيدٌ. دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ وَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَبِيدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ.

### الشرح والتفسير: تحذيرات متواليه

يتحدث الإمام عليه السلام في المقطع من هذه الرسالة مره أخرى عن موضوع كلى وعمام يشمل مخاطبه محمّد بن أبى بكر وكذلك جميع الناس، وجاء فى مطلع هذه الرسالة التى ينقلها السيد الرضى، أنّ الإمام عليه السلام يأمر محمّد بن أبى بكر أن يقرأها على جميع الناس، يقول: «فَاخِذُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَّا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَيْدَاءً، أَوْ شَرٌّ لَّا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَيْدَاءً».

وقد قلنا مراراً أنّ الإنسان حتى لو شكّ فى أى أمر من الأمور فإنّه لا يشكّ فى

الموت ونهايه الحياه، حيث يشمل جميع أفراد البشر بدون استثناء، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ الموت يمثّل بدايه الحركه باتجاه الآخره، فينبغى للإنسان أن يأخذ العده ويتهيأ لهذا السفر الطويل ويعمل على توفير ما يحتاجه لضمان سلامه مسيرته الأبدية.

ومن هذا المنطلق يعتبر الإمام على عليه السلام الموت مرحله مصيريه ومنعطف خطير فى حياه الإنسان حيث يقوده إلى إحدى جهتين، فإمّا الحياه الطيبه الزاخره بالسعاده والحبور والسلامه وهى الجنّه الخالده التى جعلها الله تعالى للصالحين من عباده، أو جهه العذاب الأليم والمصير السيء الذى لا يمكن الخلاص منه والنجاه من آلامه أبداً، وكما أنّ الإنسان لا يعلم من أى الطائفتين سيكون مصيره فلذلك ينبغى له التزام الحذر والاحتياط فى هذا السفر الخطير.

وبالنسبه للفرق بين «أمر عظيم» و «خطب جليل» ففى حين أنّ هاتين العبارتين متقاربتان فى المعنى فإنّ شرّاح نهج البلاغه على حدّ علمنا وإطلاعنا لم يتحدّثوا فى هذا المجال، ولكن ربّما تكون عباره «أمر عظيم» إشاره إلى الانتقال من هذه الدنيا والسفر إلى العالم الآخر بدون إمكانيه العوده، أمّا بالنسبه «خطب جليل» إشاره إلى حساب الأعمال وما يترتب عليها من جزاء ومثوبه، ويحتمل أيضاً أنّ «أمر عظيم» إشاره إلى جملة «خَيْرٌ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً» و «خطب جليل» الذى يوحى فى مفهومه بالمصيبه الكبيره، هو إشاره إلى جملة «شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً».

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العباره قسّم الناس إلى طائفتين فقط، فطائفه ينعمون بالسعاده الأبدية ويعيشون حالات الخير والبركه التى لا- يمتزج معها شرّ أبداً، وطائفه على العكس من ذلك، وهم الغارقون بالشرور المصائب، ولا- يتاح لهم الحصول على خير أبداً، فى حين أننا نعلم بوجود طائفه ثالثه أيضاً وفقاً لما ذكره القرآن الكريم حيث يقول: «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(١).

ص: ٣١٤



وقد أجب شراح نهج البلاغه عن هذا السؤال بإجابات مختلفه، وأحياناً تكون مقترنه بالكثير من التعسف والتكلف، ولكن أوضح جواب هو أنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام ناظر إلى أفراد متميزين يسيرون فى خطّ الطاعه أو العصيان، وليس ناظراً إلى جميع الأفراد، وبعبارة أخرى أنّ مثل هذا الحصر هو حصر إضافي ناظر إلى المؤمنين الكاملين فى الإيمان الذين بلغوا الذروه فى مراتب الإيمان والإخلاص، وكذلك رموز الكفر والظلم، لا أنّه حصر حقيقي يشمل جميع الأفراد.

وقد ورد فى القرآن الكريم عبارات من هذا القبيل أيضاً، مثلاً نقرأ فى سورة هود: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ \* فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ \* خَالِدِينَ فِيهَا... \* وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَمِنَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا» (١).

وجاء فى حديث عن الإمام الجواد عليه السلام عن آباءه الكرام عليهم السلام: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت فقال: «هُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ يَرِدُ عَلَيْهِ إِمَّا بِشَارَةٍ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ وَإِمَّا بِشَارَةٍ بَعْدَابِ الْأَبَدِ وَإِمَّا تَخْزِينٌ وَتَهْوِيلٌ وَأَمْرُهُ مُبْهَمٌ، لَأَتَدْرِي مِنْ أَىِّ الْفِرْقِ هُوَ فَأَمَّا وَئِينَا الْمَطِيعُ لِأَمْرِنَا فَهُوَ الْمُبَشِّرُ بِنَعِيمِ الْأَبَدِ» (٢).

وفى آخر هذه الروايه ورد أيضاً أنّ بعض أفراد الطائفة الثالثه سيمكثون مدّه معينه فى النار ثمّ تشملهم شفاعة أهل البيت عليهم السلام، وطائفة منهم سينالون الشفاعة بعد مدّه طويله.

ومن هنا يتبين ما ذهب إليه ابن أبى الحديد فى تفسير هذه العبارة بما يؤيد مذهبه، حيث قال: «قوله: فإنه يأتى بأمر عظيم... نص صريح فى مذهب أصحابنا فى الوعيد، وأما من دخل النار من جميع المكلفين فليس بخارج، لأنه لو خرج منها لكان الموت قد جاء بشرّ معه خير، وقد نفى نفيّاً عاماً أن يكون مع الشرّ المعقب للموت خير البتّه» (٣)، وهذا الكلام غير سديد ولا يتوافق مع سائر كلمات الإمام عليه السلام

ص: ٣١٧

١- (١). سورة هود، الآيات ١٠٥-١٠٨.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٤.

٣- (٣). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٦٦.

والآيات القرآنية الشريفة، والمراد هنا بيان حال طائفتين من المؤمنين الخالصين والكافرين كذلك، أما الأشخاص الذين ورد ذكرهم في الآية الشريفة من سورة التوبة: «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا»، فإنهم قطعاً لم يكونوا مورد نظر الإمام عليه السلام في هذه العبارة.

ثم إن الإمام عليه السلام بين شرط دخول الجنة وسبب دخول النار في جملتين قصيرتين: «فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا».

وهذا يشير إلى أن الأصل في تعيين مصير الإنسان هو العمل والسعي، لا الآمال والتمنيات، فالأعمال هي التي تقود الإنسان إلى الجنة أو إلى النار، فحتى شفاعته الشفاعة تقع في الهامش ولا تشكل أساساً في النجاة.

والجدير بالذكر أن الإمام عليه السلام يقول هنا أن العاملين للجنة هم أقرب الناس إليها، والعاملين للنار، أي السائرين في خط المعصية والضلالة، هم أقرب الناس إلى النار، ولم يقل إن العاملين للأعمال الصالحة والأعمال السيئة، وهذا كناية لطيفة عن أن العمل الصالح كأنه هو الجنة، والمعصية والذنوب والعمل الطالح كأنه هو النار.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى هذه النقطة المهمة، وهي أن الموت لا يترك أحداً ينجو منه ويتخلص من الوقوع في مصيدته، وبما أن الأمر، كذلك فينبغي التزام الجديّة والاهتمام بهذا الأمر، يقول: وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ (١) الْمَوْتِ، إِنَّ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَزْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ (٢)، وَالْدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ».

ص: ٣١٨

١- (١). «طرداء» جمع «طريد» وقيل إنَّها جمع «طريده» من «الطرد» بمعنى الإبعاد، وتأتي للشخص المحكوم بالنفي والتباعد عن المنطقه، أو الصيد الذي يتبعه الصياد ولا يزال يبعده عن مكانه الأصلي.

٢- (٢). «نواصي» جمع «ناصيه» بمعنى الشعر في مقدم الجبين (ولا تعني الجبين نفسه) وذكر بعض أرباب اللغة وهم قله أن «ناصيه» تعني القسم المقدم من الرأس أو الشعر، وبعضهم ذهب إلى أن الأصل فيها مقدم الرأس والشعر في مقدم الرأس يطلق عليه ناصيه بمناسبة نموّه على هذا القسم المقدم، ولكن موارد استعمال هذه الكلمة في القرآن الكريم يشير بوضوح إلى أن المعنى الأول أنسب، لأنّ الوارد في القرآن في الكثير من الأدعية استعمال كلمة الناصيه بهذا المعنى وخاصة مع كلمة أخذ، ومعلوم أن ما يمكن أخذه والامسك به هو الشعر في مقدم الرأس بحيث يضطر صاحبه للتسليم والاذعان لا الجبين نفسه الذي لا يمكن الامسك والأخذ به، وضمناً فقد وردت عبارته الأخذ بالناصيه في كثير من الموارد كناية عن التسلط على الطرف المقابل.

وأحد معاني عبارته «طَرْدَاءُ الْمَوْتِ» هو أَنَّ الناسَ بمثابة الصيد الذي يتبعه الصياد، ومفهومها أَنَّ الصياد بدرجة من خبرته والقدرة بحيث يصيد البشر سواءً هربوا منه أو لم يهربوا، فلا أحد يستطيع الخلاص من شراكه ومصائده، كما ورد هذا المعنى في القرآن الكريم: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ» (١).

وجمله «هُوَ الْأَرْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ» إشارته إلى أَنَّ عوامل الموت تصحب الإنسان دوماً كالظل الذي يتحرك مع الإنسان أينما ولى، لأنَّ للموت عوامل كثيرة في عمق وجود الإنسان، أحدها السكته القلبية أو انقطاع أحد الأوردة الدقيقة في المخ، أو دخول مقدار من الغذاء إلى جهاز التنفس، وكل من هذه العوامل يمكن أن يؤدي بالإنسان إلى الموت، وفي خارج الإنسان هناك عوامل كثيرة للموت أيضاً منها الحوادث الأليمة كالزلازل والصواعق، السيول، الحشرات المضرّة، الحيوانات المفترسة، وما إلى ذلك من الأمور التي تهدد حياة الإنسان بالخطر فلا يستطيع أن يهرب إلى مكان لا يوجد فيه شيء من هذا العوامل الخارجية والداخلية للموت.

وعبارته «الزّم» ربّما تكون بسبب أَنَّ الظل لا يصاحب الإنسان في ظلمات الليل، ولكن عوامل الموت متوقّرة ليل نهار.

وجمله: «الْمَوْتُ مَعْفُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ» كناية عن أنّكم لا تملكون أيّة مقاومه في مقابل سلطه الموت القاهره كما هو حال الشخص الذي اخذ من شعر مقدّم رأسه بحيث يسلبه ذلك أي نوع من الحركة.

ويقرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة فيما يتصل بمصير المجرمين في يوم القيامة ويقول: «يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» (٢).

ص: ٣١٩

١- (١). سورة النساء، الآية ٧٨.

٢- (٢). سورة الرحمن، الآية ٤١.

وجمله: «الدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ» إشاره لطيفه إلى هذه الحقيقه، وهى أَنَّ الإنسان يتجاوز كلَّ مرحله من مراحل الحياه وكأنَّها كالفراش الذى يطوى خلف الإنسان، بحيث يمكن إعادته لحالته السابقه، فالشيوخ لا يعودون إلى مرحله الشباب، والشباب لا يعودون لمرحله الطفوله، وعلى ضوء ذلك فإنَّ كل لحظه تمثّل للإنسان موتاً وحياءً جديده، الموت الذى لا يمكن معه العوده إلى الحاله السابقه.

وبعد أن بيّن الإمام عليه السلام ما سيواجهه الإنسان فى نهايه الحياه وبعد الموت من حوادث مهوله ومشاكل جسيمه، تحدّث عن عذاب النار والعاقبه الوخيمه لأهل الضلاله فى ذلك اليوم، وقال: «فَاخْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحَرُّهَا شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ».

وبالنسبه لعمق وادى جنّهم يكفى أن ننقل هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما كان مع أصحابه فى المسجد، فجأه سمعوا صوتاً مدوياً، استولى عليهم الخوف، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَتَعْرِفُونَ مَا هَذِهِ الْهَيْدَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «حَجَرٌ أُلْقِيَ مِنْ أَعْلَى جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً، الْآنَ وَصَلَ إِلَى قَعْرِهَا»<sup>(١)</sup>.

وبالنسبه لشده حراره جهنّم يكفى أن ننقل ما ورد فى حديث شريف يقول عليه السلام:

«إِنَّ نَارَكُمْ هَيْدَةٍ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَقَدْ أُطْفِئَتْ سَبْعِينَ مَرَّةً بِالْمَاءِ ثُمَّ التَّهَبَّتْ وَلَوْ لَأَذَلِكُ مَا اسْتِطَاعَ آدَمِيُّ أَنْ يُطِيقَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وعن أنواع العذاب وشده يوم القيامه يتحدّث القرآن الكريم ويقول: «كَلِّمًا نَضَّجَتْ جُلُودُهُمْ يَدْلَنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ»<sup>(٣)</sup>.

ثم يضيف الإمام عليه السلام فى بيان عذاب النار: «دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ».

ص: ٣٢٠

١- (١). منهاج البراعه، ج ١٩، ص ٨٩ ومثله فى المعنى ورد فى عوالى اللثالى، ج ١، ص ٢٨٠.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٨، ص ٢٨٨، ح ٢١.

٣- (٣). سوره النساء، الآيه ٥٦.

ونقرأ هذا المضمون في القرآن الكريم: «وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ... قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ»(١).

وفي مورد آخر يقول القرآن الكريم: «وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ»(٢).

وكذلك في آية أخرى يتحدث القرآن الكريم عن امنيات أصحاب النار: «وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ»(٣).

ويستفاد من رساله الإمام عليه السلام هذه، والتي ذكرها بتمامها صاحب نهج البلاغه الكامل أنّ الإمام عليه السلام بعد أن ذكر الظروف الصعبة والعذاب الأليم لأهل النار، تعرّض لذكر بعض النعم الإلهية والرحمة الواسعة لأهل الجنة ولم يذكرها السيد الرضى في نهج البلاغه تبعاً لنهجه في التلخيص والانتقاء.

وفي هذا السياق يتحدث الإمام عليه السلام بعد أن يذكر العذاب الأليم لأهل النار، عن المواهب والنعم الإلهية والنعيم الخالد في الجنة، وبذلك يقزّر الأصل الإسلامى المهمّ في التعاليم الإلهية، وهى أن يعيش الإنسان بين حالات الخوف والرجاء، ويقول:

«وَإِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ الْعَيْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ».

فهنا يشير الإمام عليه السلام إلى مسأله مهمّه في التعاليم الدينيه، وهى مسأله الخوف والرجاء وضروره أن يعيش الإنسان حاله التعادل والتوازن فى ذلك، وكما سنرى فى بحث التذليل أنّ هذا المفهوم من شأنه أن يخلق فى الإنسان حاله من التوازن

ص: ٣٢١

١- (١) . سورة غافر، الآية ٤٩ و ٥٠.

٢- (٢) . سورة الزخرف، الآية ٧٧.

٣- (٣) . سورة فاطر، الآية ٣٧.

فلا يأس من رحمه الله عندما يسمع كلام الإمام في وصف جهنم وما فيها من العذاب الأليم، ولا يعيش حاله الأمن من العذاب عندما يسمع كلام الإمام عليه السلام في وصف النعم والمواهب الإلهية لأهل الجنة.

### تأمل: التعادل بين الخوف والرجاء

يعتبر الرجاء عاملاً أساسياً لتفعيل حركة الإنسان في خطّ الصلاح والسعادة ويعدّ بمثابة المحرّك الذي يدفع الإنسان بهذا الاتجاه، ويمثّل الخوف عاملاً كابحاً لعناصر الطغيان والانحراف في مسيره الإنسان ونوازعه النفسية، فكما أنّ وسائل النقل من العجلات والسيارات إذا كانت فاقده للمحرّك فسوف تمتنع عليها الحركة، وإذا كانت فاقده للكوابح فسوف يقودها ذلك إلى مهوى خطيره وعدم قدره على تجنّب المطبات والعوائق، فكلا- هذين الأمرين يعدّان أصلاً رئيسيان في حركة الإنسان في خطّ الصلاح والفلاح، ولا بدّ أن يتوفّر فيهما عنصرى التعادل والتوازن بحيث يتحرّك الإنسان في خط الطاعة والإيمان من جهة ويتجنّب المعاصى والذنوب من جهة أخرى.

إنّ أهميه هذين العاملين في وجود الإنسان وفي حياته تتجلّى بوضوح عندما نقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يتحدث فيه عن وصايا لقمان عليه السلام ويذكر منها أموراً عجيبة ونصائح قيّمة، يقول الحارث بن المغيرة، عن أبيه، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت له: ما كان في وصيه لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان وأعجب ما كان فيها أن قال لابنه: «خَفِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيْفَةً لَوْ جِئْتَهُ بِبِرِّ الثَّقَلَيْنِ لَعَيْذَبَكَ، وَارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَوْ جِئْتَهُ بِمُذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لَرَحِمَكَ»، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: كان أبي (يعنى الإمام الباقر عليه السلام) يقول: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا [وَ] فِي قَلْبِهِ نُورَانِ:

نُورٌ خَيْفَهُ وَنُورٌ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَلَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا» (١).

ص: ٣٢٢

١- (١). الكافي، ج ٢، ص ٦٧، باب الخوف والرجاء، ح ١.

يقول ابن أبي الحديد بعد شرحه لكلام الإمام عليه السلام المذكور آنفاً: إِنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَالْخَوْفِ مِنْهُ، وَأَنَّ هَذَا الْمَقَامَ السَّامِيَ هُوَ مَقَامٌ لَا يَنَالُهُ إِلَّا الصَّالِحُونَ وَالْأَبْرَارُ، وَيُنْقَلُ حَدِيثاً عَنِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ: «لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ كِتَاباً أَنَّهُ مُعَذِّبٌ رَجُلًا - وَاحِدًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَهُ أَوْ أَنَّهُ رَاحِمٌ رَجُلًا - وَاحِدًا لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَهُ»<sup>(١)</sup>.

وهذه الكلمات تشير بوضوح إلى أنّ عدم التواصل وعدم التعادل بين حالات الخوف والرجاء في واقع الإنسان يتسبب في تكريس حالات الغرور في الإنسان والاعتزاز بسعه رحمه الله أو يقوده إلى اليأس من رحمه الله، وهذا بدوره يعدّ مانعاً يعيق الإنسان عن الحركة في خطّ الطاعة والعبودية.

\*\*\*

ص: ٣٢٣

---

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٦٧.





وَاعْلَمَ - يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ - أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَيَّ نَفْسِكَ، وَأَنْ تُنَافِخَ عَنِّ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تُسَيِّخِ اللَّهُ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ. صَلَّى الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفِرَاقٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنِّ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ. وَاعْلَمَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ.

### الشرح والتفسير: المهمه الثقيله

يتحدّث الإمام عليه السلام، في هذا المقطع من الرساله مخاطباً محمّد بن أبي بكر، عن أربع توصيات مهمه، في البدايه يستعرض الإمام عليه السلام مقدّمه ويقول: «وَاعْلَمَ - يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ - أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ».

«أجناد» جمع «جند» وفي الأصل تعني الجيش، ولكن أحياناً تطلق على المناطق في البلد الإسلامي، أو على أهالي تلك المناطق، وعلى أيه حال فإنّ هذه العبارة تشير بوضوح إلى أنّ الإمام عليه السلام كان ينظر إلى أهل مصر بعين الإحترام ويرى أنّهم من أكبر شعوب الأمه الإسلاميه، لأنّ مصر أرض كبيره وتاريخيه وتملك حضاره قديمه ويعيش فيها اناس واعون وأذكياء وكادحين.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام أوّل وأهمّ توصيه له، ويقول: «فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ (١) أَنْ تُخَالِفَ عَلَيَّ

نَفْسِكَ»، أى أن المفروض بك أن تجاهد نفسك وتخالف هواك.

وجهاد النفس فرض على الجميع، ولكنه أكثر وأشدّ لزوماً على الولاء والقاده ومن بيدهم القرار، لأنّ هؤلاء يعيشون دوماً الوسواس النفسانيه والشيطانيه، فلو أنّهم غلبوا فى هذا المجال وسيطرت عليهم الأهواء والشهوات فإنّ ذلك من شأنه إشاعه الظلم والفساد فى المناطق التى تحت إمرتهم وولايتهم.

ثمّ بيّن الإمام عليه السلام التوصيه الثانيه ويقول: «وَأَنْ تُنَافِحَ (١) عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ».

وبديهي أنّ الإنسان المؤمن ينبغى أن يتحرّك بعد الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، فى طريق الجهاد الأصغر والتصديّ لقوى الكفر وأعداء الأُمّه لحفظ الدين وصيانته المقدّسات والمنافحه عن التعاليم السماويه، وفى هذا الأمر يؤكّد الإمام عليه السلام على أنّه لو لم تكن لدى الإنسان سوى ساعه من عمره أو من تواجدته فى سدّه الحكم، فينبغى أن لا يكفّ عن الدفاع عن الدّين، ولا يبخل فى بذل الغالى والنفيس فى هذا السبيل.

ثمّ بيّن الإمام عليه السلام التوصيه الثالثه ويقول: «وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ».

فأحياناً يجد الإنسان نفسه بين طريقتين، فطريق يتوجّه به إلى الله تعالى وكسب رضاه، وطريق آخر يقوده لتحقيق رضا الناس، وفى هذا الطريق يطلب منه الناس أموراً أكثر من حقّهم، وهنا يتميّز المؤمنون الخلّص من غير المؤمنين، فالمؤمنون يتحرّكون دوماً فى خطّ الطاعه وطلب رضا الله تعالى، لأنّهم يعلمون أنّ نيل رضا الله ورعايته من شأنه أن يمنحهم القوّه والحيويه ويمنع عنهم أى ضرر ولا يستطيع أى شخص أن يلحق بهم الإساءه، فى حين أنّ السعى لكسب رضا بعض المتزلفين

ص: ٣٢٤

١- (١). «تنافح» من «المنافحه» بمعنى الدفاع عن الشىء، وأصله من «نفح» على وزن «فتح» التى تأتى دائماً بمعنى النسيم الملائم والرائحه العطره، وأحياناً أخرى بمعنى دفع الشىء، وجاءت «منافحه» بهذا المعنى.

والمتملّين، والإعراض عن رضا الله تعالى، سيجعلهم مكشوفين أمام البلايا وغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم.

إنّ ما ذكره الإمام عليه السلام في توصيته الثالثه لمحَمَّد بن أبي بكر، ورد أيضاً في روايه أخرى بوصفه أحد علامات الإيمان الخالص، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ صَحَّه يَقِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْ لَا يُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ» (١).

والتجربه أثبتت أنّ من يسلك هذا الطريق ويرجّح رضا المخلوق على حساب رضا الخالق سيُحرم رضا الخالق ورضا المخلوق أيضاً، وأمّا من يتحرّك في طريق نيل رضا الله تعالى، فربّما يتسبّب أحياناً في غضب البعض وسخطهم عليه، ولكنّه في النهايه سيحصل على رضا الله ورضا المخلوق أيضاً.

والأهمّ من ذلك ما ورد في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ طَلَبَ رِضَا مَخْلُوقٍ بِسَخَطِ الْخَالِقِ سَلَّطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ» (٢).

ثمّ يتعرض الإمام عليه السلام للتوصيه الرابعه لمحَمَّد بن أبي بكر في مسأله الصلاه والتي تعتبر أهمّ ركن من أركان الإسلام، يقول: «صَلِّ الصَّلَاةَ لَوْ قَتَلَهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاسْتِغَالٍ اعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبِعَ لِصَلَاتِكَ».

وذكر الكثير من شراح نهج البلاغه أنّ الإمام عليه السلام في هذه التوصيه بالصلاه، ناظر إلى عدم التعجيل بالصلاه قبل وقتها، مثلاً يصلى صلاه الظهر قبل الزوال ويصلى صلاه الصبح قبل طلوع الفجر، بسبب ما يجده من فراغ في الوقت، ولكن مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ من النادر أن نرى أو نسمع شخصاً يصلى صلاه الظهر قبل وقتها أو يصلى صلاه الصبح قبل الفجر، لأنّ هذا المعنى مرفوض وغير مقبول من قبل جميع الأفراد، فلا معنى لأن يصلى المكلف الصلاه قبل وقتها وهو يعلم ببطلانها، ولذلك

ص: ٣٢٧

١- (١). الكافي، ج ٢، ص ٥٧، ح ٢.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٦، ح ١٣٢.

يوجد هناك احتمال آخر في تفسير هذه العبارة، وهو أنّ كلام الإمام عليه السلام ناظر إلى أوّل الوقت وآخر الوقت، فيقول: إنك لا تكن كالشخص الذى يصلّى أوّل الوقت بسبب الفراغ، وإن كان مشغولاً فى عمل معيّن يؤجّل صلاته لوقت آخر، بل عليك بأن تقيم الصلاة لوقتها على كلّ حال وتترك عملك من أجل الصلاة.

وهذا فى الواقع إشاره إلى ما هو متداول من الشعار المعروف، وهو أنّ الإنسان لا ينبغي أن يقول لصلاته أننى مشغول بعمل، بل يقول لعمله إننى مشغول بالصلاه.

وبديهيّ أنّ الإلتزام بالصلاه فى أوّل وقتها من شأنه أن يمنح الروح طراوه ونورانيه وأنّ نجاحه فى أعماله الأخرى يعود إلى إتيانه بالصلاه فى وقتها حيث تضىف هذه الصلاه بركاتهما على حياه المرء وفكره وروحه.

جاء فى حديث عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه يقول: «إِنَّ الصَّلَاةَ إِذَا ارْتَفَعَتْ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ بَيْضَاءُ مُشْرِقَةٌ تَقُولُ حَفِظْتَنِي حَفِظَكَ اللَّهُ وَإِذَا ارْتَفَعَتْ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا بَغَيْرِ حُدُودِهَا رَجَعَتْ إِلَى صَاحِبِهَا وَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ تَقُولُ ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ» (١).

وجمله: «وَأَعْلَمُ...»، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً يحتمل فيها معنيان، أحدهما: أنّ جميع أعمال الإنسان فى الدنيا تبع لصلاته، فإن أدى الصلاه بشرائطها، فإنّ بركه هذه الصلاه ستمتدّ لتشمل سائر أعماله وحياته، والآخر: أنّ آثار هذه الصلاه ستتجلّى فى الآخرة، كما ورد فى الروايات: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةَ فَإِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَا سِوَاهَا» (٢).

\*\*\*

ص: ٣٢٨

١- (١). الكافي، ج ٣، ص ٢٦٨، باب من حافظ على صلاته، ح ٤.

٢- (٢). المصدر السابق.

وَمِنْهُ: فَإِنَّهُ لَأَسْوَأُ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى وَوَلِيُّ النَّبِيِّ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ.

لَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنِّي لَأَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ بِشْرِكِهِ. لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ.

### الشرح والتفسير: الخوف على الأمة من فنه معينه

وفي آخر مقطع من هذه الرسالة، طبقاً لما أورده السيد الرضوي وما يستفاد من كلمة «منه»، أنّ ما ورد من كلام الإمام عليه السلام نهج البلاغه في لا- يمثل جميع كلامه وتام رسالته، بل يمثل مقطوعاً منها، والإمام يلفت النظر في هذا المقطع إلى هذه الحقيقة الحاسمة والرئيسية ويقول: «وَمِنْهُ: فَإِنَّهُ لَأَسْوَأُ، إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى» (1) وَوَلِيُّ النَّبِيِّ، وَعَدُوُّ النَّبِيِّ».

ومن المعلوم أنّ التعبير بـ «إِمَامُ الْهُدَى» في هذه العبارة إشارة إلى نفسه الشريفه، وكلمه بـ «إِمَامُ الرَّدَى» إشارة إلى معاويه الذي رفع لواء المخالفه والتمرد خلافاً لأمر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وإرادته جميع المسلمين، وخاض غمار حروب داميه أدت إلى سفك دماء المسلمين.

ومفرده «إمام» يراد بها في الغالب إمام الحق، ولكن أحياناً تستعمل في قاده الضلاله والباطل، كما ورد في القرآن الكريم: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ

١- (١). «الردى» من ماده «ردى» على وزن «رأى» بمعنى الهلكه أو السقوط من مرتفع، المقترن مع الهلكه.

والشاهد على أنّ المراد من كلمه «إِمَامُ الرَّدَى» معاويه، فمضافاً إلى القرائن الحاليه، هناك شواهد مذكوره فى موارد أخرى من هذه الرساله لم ينقلها السيد الرضى، وطبقاً لما ورد فى هذ الرساله المذكوره فى كتاب نهج البلاغه الكامل، يقول الإمام عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَدَعْوَةَ الْكُذَّابِ ابْنِ هِنْدٍ».

ثم إنّ الإمام عليه السلام يستند فى كلامه هذا إلى حديث عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله يقول:

«وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنِّي لَأَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَمَّا مُشْرِكًا؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ (٢) اللَّهُ بِشْرِكِهِ. وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقٍ الْجَنَانِ (٣)، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ».

وهذه هى الحقيقه، فالمؤمنون الحقيقيون يمثلون درعاً واقية للإسلام والأمة الإسلاميه، والمشركون يمثلون خطّ الباطل والضلاله، الذين عرفهم الناس بالانحراف وابتعدوا عنهم، فلو أنّ هؤلاء المشركين أرادوا التآمر على الإسلام، فالمؤمنون سيتصدون لهم بإذن الله ويقمعونهم، ولكن المشكله الكبيره التى يبتلى بها المجتمع الإسلامى وكل مجتمع بشرى تتمثل فى الأعداء الذين يرتدون لباس الصداقه والمحبه ويتظاهرون بتقديم الخدمه للآخرين، هؤلاء هم الانتهازيون والمنافقون الذين أظهروا للناس وجهاً جميلاً وأخفوا الوجه القبيح فى باطنهم وتسوّروا بقناع الخير والصلاح، وبذلك تسنى لهم النفوذ فى صفوف المسلمين والأطّلاع على أسرارهم، وأتاح لهم ذلك أن يسدّدوا ضربتهم متى وجدوا الفرصه سانحه بالتمسك بالآيات الإلهيه وسنّه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فى الظاهر والكلام، ولكنهم

ص: ٣٣٠

١- (١). سورة القصص، الآية ٤١.

٢- (٢). «يقمع» من ماده «قمع» على وزن «منع» بمعنى التغلب على الطرف المقابل وإذلاله وكتبته.

٣- (٣). «جنان» بفتح الجيم تعنى القلب، و«جنان» جمع «جنه» بمعنى البستان والزاهر والحديقه الغناء، وكلّها تعود فى الأصل لكلمه «جن» على وزن «فن» بمعنى المغطى والمختفى، وبما أنّ القلب يختفى فى باطن الصدر، وأرض بستان تختفى تحت الأشجار الباسقه فاطلقت هذه الكلمه على هذه الموارد.

على مستوى العمل يتحرّكون خلاف هذه التعاليم السماويه.

والمصداق البارز لهذا الكلام فى ذلك الزمان هو معاويه وأعوانه الذين رفعوا لواء المطالبه بدم عثمان الذى يعدّ خليفه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله، وفى حال الاضطراب رفعوا المصاحف فوق الرماح، هؤلاء كانوا يقيمون الصلاه ويتحدّثون فى خطب صلاه الجمعه بكلام معسول وموافق نصوص الكتاب والسنة، ولكنهم فى ذات الوقت يعملون على إضعاف عقيدة الناس بإمام الهدى المنصوب من قبل الله تعالى، ومن قبل المسلمين، ولا يتركون أى وسيلة إلا واستخدموها فى تحقيق مآربهم وأغراضهم الذاتيه من قتل الأبرياء ونهب أموال المسلمين والإغاره على المناطق الحدوديه للعراق، وباستخدامهم لهذا الاسلوب استطاعوا أخيراً أن يصلوا إلى سدة الحكم ويجلسوا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ويتحدّثوا بخلاف ما أنزل الله تعالى من تعاليم وأحكام.

## تأملان

### 1. خطر المنافقين

يتحدّث الإمام عليه السلام فى هذه الرساله عن وجود خطر مهمّ يهدّد محمّد بن أبى بكر وأهالى مصر، بل جميع شعوب وأقوام المجتمع الإسلامى، أى خطر المنافقين، ويقسم الناس إلى ثلاث طوائف: المؤمنين، المشركين والمنافقين، ثم يقول: إنّ المؤمنين لا يشكّلون أى خطر للمجتمع الإسلامى لأنّ إيمانهم يمنعهم من أى عمل يثير الخلل ويورث الضرر بالإسلام والمسلمين، أمّا المشركون المعاندون الذين يتحرّكون فى خطّ التآمر والحرب ضدّ المجتمع الإسلامى، فخطر هؤلاء ليس بالمقدار المهم، ويمكن التصدّى لهم لأنهم معروفون، والمؤمنون يأخذون حذرهم من حركات هؤلاء ويتصدّون لتآمرهم ويدفعون الخطر بذلك عن الأمة، ولكنّ المشكله العسيره تتمثّل فى المنافقين الذين يعيشون فى الوسط الدينى ويخالفون

ص: ٣٣١

المؤمنين ويتظاهرون بالتدين إلمائهم يخفون سيوفهم تحت ثيابهم كما فى المثل، فيتحدّثون بحديث يجذب قلوب المؤمنين وأفكارهم وعواطفهم فيظنون أنّ هؤلاء المنافقين منهم وعلى ملّتهم، ولكنهم فى اللحظات الحساسه وعندما تسنح الفرصه يقومون بإلقاء سمومهم وتسديد ضربه للإسلام والمسلمين.

وعلى رغم أنّهم يكتمون نفاقهم ويتحرّكون فى خطّ التخريب والتآمر بشكل خفىّ، فإنّ معرفتهم وتشخيصهم ليست بالأمر العسير، فالقرآن الكريم ذكر علامات عديده لمعرفة أهل النفاق فى سورة البقره وسوره المنافقون وبإمكان المؤمنين التعرف عليهم واجتناب خطرهم ودسائسهم.

وقد تقدّمت بحوث مفضّله عن جذور النفاق وطريقه عمل المنافقين على امتداد التاريخ، والأخطار التى تشكّلها هذه الفئه على الأُمّه الإسلاميه، فى الخطبه ١٩٤ (الجزء السابع من ص ٦٠٦ إلى ٦١٩) وكذلك فى ذيل الخطبه ٢١٠.

## ٢. رساله غريبه من المعتضد العباسي

من غرائب العصر العباسيّ أنّ المعتضد العباسيّ أرسل رساله إلى جميع الأقضيه والنواحي، وقد ذكرها المؤرّخ المعروف الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنه ٢٨٤ وأشار إليها ابن الأثير فى تاريخه الكامل (مع بعض الاختلاف فى التعبير) وبدورنا نقلها من شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد الذى استعرضها بشكل مختصر.

يقول ابن أبى الحديد فى الجزء ١٥ من شرح نهج البلاغه فى ذيل هذه الرساله أنّ الإمام عليه السلام كتب هذه الرساله لمحمّد بن أبى بكر، ويقول الطبرى: وفى (سنه ٢٨٤) عزم المعتضد على لعن معاويه بن أبى سفيان على المنابر، وأمر بإنشاء كتاب يقرأ على الناس، فخوّفه عبيد الله بن سليمان (وزيره) اضطراب العامه، وأنّه لا يأمن أن تكون فتنه، فلم يلتفت إليه، فكان أول شيء بدأ به المعتضد من ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامه بلزوم أعمالهم، وترك الاجتماع والعصبيه، والشهادات عند السلطان إلّا أن



يسألوا، ومنع القصاص عن القعود على الطرقات، وأنشئ هذا الكتاب وعملت به نسخ قرئت في الجانبين من مدينه السلام في الأربعاء والمحال والأسواق، يوم الأربعاء لست بقين من جمادى الأولى من هذه السنه، ثم منع يوم الجمعة لأربع بقين منه، ومنع القصاص من القعود في الجانبين، ومنع أهل الحلق من القعود في المسجدين، ونودي في المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع وغيره، وبمنع القصاص وأهل الحلق والقعود، ونودي:

إنّ الذمه قد برئت ممّن اجتمع من الناس في مناظره أو جدال، وتقدّم إلى الشراب الذين يسقون الماء في الجامعين ألا يترحموا على معاويه، ولا يذكروه، وكانت عادتهم جاريه بالترحم عليه.

وتحدّث الناس أنّ الكتاب الذى قد أمر المعتضد بإنشائه بلعن معاويه يقرأ بعد صلاه الجمعة على المنبر، فلما صلى الناس بادروا إلى المقصوره ليسمعوا قراءه الكتاب، فلم يقرأ.

قيل: إنّ عبيدالله بن سليمان صرفه عن قراءته، وإنه أحضر يوسف بن يعقوب القاضى، وأمره أن يعمل الحيله في إبطال ما عزم المعتضد عليه، فمضى يوسف فكلم المعتضد في ذلك، وقال له: إننى أخاف أن تضطرب العامه، ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب حركه، فقال المعتضد: إن تحركت العامه أو نطقت، وضعت السيف فيهم، فقال: يا أمير المؤمنين، فما تصنع بالطالبيين الذين يخرجون في كل ناحيه، ويميل إليهم خلق كبير، لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، وما فى هذا الكتاب من إطرائهم - أو كما قال - وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل، وكانوا هم أبسط ألسنه، وأثبت حجّه منهم اليوم، فأمسك المعتضد فلم يرد إليه جواباً، ولم يأمر بعد ذلك في الكتاب بشيء، وكان من جمله الكتاب بعد أن قدّم حمد الله والثناء عليه والصلاه على رسول الله صلى الله عليه وآله:

أما بعد، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعه العامه من شبهه قد دخلتهم

فى أديانهم، وفساد قد لحقهم فى معتقدهم، وعصبيه قد غلبت عليها أهواؤهم، ونطقت بها ألسنتهم، على غير معرفه ولا رويّه، قد قلدوا فيها قاده الضلاله بلا بينه ولا بصيره، وخالفوا السنن المتبعه، إلى الأهواء المبتدعه، قال الله تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَإِيَّاهُ لَإِيْتِيهِ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ» (١)، خروجاً على الجماعه، ومسارعه إلى الفتنه، وإيثاراً للفرقه، وتشتيتاً للكلمه، وإظهاراً لموالاه من قطع الله عنه الموالاه، وبتر منه العصمه، وأخرجه من الملّه، وأوجب عليه اللعنه، وتعظيماً لم صغر الله حقه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بنى اميّه، الشجره الملعونه، ومخالفه لمن استنقذهم الله من الهلكه، وأسغ عليهم النعمه من أهل بيت البركه والرحمه «وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» (٢).

فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى ترك إنكاره حرجاً عليه فى الدين، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين، وإهمالاً- لما أوجه الله عليه من تقويم المخالفين، وتبصير الجاهلين، وإقامه الحجه على الشاكين، وبسط اليد على المعاندين، وأمير المؤمنين يخبركم معاشر المسلمين، أنّ الله جلّ ثناؤه لما ابتعث محمداً صلى الله عليه وآله بدينه، وأمره أن يصدع بأمره، بدأ بأهله وعشيرته فدعاهم إلى ربّه، وأنذرهم وبشرهم، ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له، وصدق قوله، وأتبع أمره نفر يسير من بنى أبيه، من بين مؤمن بما أتى به من ربّه، وناصر لكلمته وإن لم يتبع دينه إعزازاً له، وإشفاقاً عليه، فمؤمنهم مجاهد ببصيرته، وكافرهم مجاهد بنصرته وحميئته، يدفعون من نابذه، ويقهرون من عازّه وعانده، ويتوثقون له ممّن كانفه وعاضده، ويبايعون من سمح بنصرته، ويتجسسون أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأى العين، حتّى بلغ المدى، وحن وقت الاهتداء، فدخلوا فى دين الله وطاعته وتصديق رسوله والإيمان به بأثبت بصيره، وأحسن

ص: ٣٣٤

١- (١). سورة القصص، الآية ٥٠.

٢- (٢). سورة البقره، الآية ١٠٥.

هدى ورغبه، فجعلهم الله أهل بيت الرحمه، وأهل بيت الدين، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، معدن الحكمة، وورثه النبوه، وموضع الخلافه، أوجب لهم الفضيله، وألزم العباد لهم الطاعه، وكان ممن عانده وكذبه وحاربه من عشيرته العدد الكثير والسواد الأعظم، يتلقونه بالضرر والتشريب، ويقصدونه بالأذى والتخويف، وينابذونه بالعداوه، وينصبون له المحاربه، ويصدون من قصده، وينالون بالتعذيب من أتبعه، وكان أشدهم في ذلك عداوه، وأعظمهم له مخالفه، أولهم في كل حرب ومناصبه، ورأسهم في كل إجلاب وفتنه، ولا يرفع على الإسلام رايه إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها أباسفيان بن حرب صاحب أحد والخندق وغيرهما، وأشياعه من بنى اميه الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن عدّه، لسابق علم الله فيهم، وماضى حكمه في أمرهم، وكفرهم ونفاقهم، فلم يزل لعنه الله يحارب مجاهداً، ويدافع مكابداً، ويجلب منابذاً، حتى قهر السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون، فتعوذ بالإسلام غير منطو عليه، وأسر الكفر غير مقلع عنه، فقبله وقيل ولده على علم منه بحاله وحالهم، ثم أنزل الله تعالى كتاباً فيما أنزله على رسوله يذكر فيه شأنهم، وهو قوله تعالى: «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» (١)، ولا خلاف بين أحد في أنه تبارك وتعالى أراد بها بنى اميه.

ومما ورد من ذلك في السنّه، ورواه ثقات الأئمّه، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاويه يقوده ويزيد يسوقه، فقال صلى الله عليه وآله: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّاكِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ».

ومنه ما روته الرواه عنه من قوله يوم بيعه عثمان: «تَلَقَّوْهُ يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ تَلَقَّفَ الْكُرْهِ فَوَ اللَّهُ مَا مِنْ جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ» وهذا كفر صُراح يلحقه اللعنه من الله كما لحقت الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

ص: ٣٣٥

ومنه ما يُروى من وقوفه على ثيابه أحد من بعد ذهاب بصره وقوله لقائده، هاهنا رمينا محمداً وقتلنا أصحابه.

ومنها الكلمه التي قالها للعباس قبل الفتح وقد عرضت عليه الجنود: «أصبح ملك ابن أخيك عظيماً» فقال العباس: ويحك، إنّه ليس بملك، إنّها النبوه.

ومنها قوله يوم الفتح (فتح مكه) وقد رأى بلاً على ظهر الكعبه يؤذّن ويقول:

«أشهد أنّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»؛ فقال أبو سفيان: لقد أسعد الله عبته بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد.

ومنه الرؤيا التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله فوجم لها: قالوا: ما رئي بعدها ضاحكاً، رأى نفرًا من بنى امية ينزون على منبره نزوه القرده.

ومنها طرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص لمحاكاته إياه في مشيته، وألحقه الله بدعوه رسول الله صلى الله عليه وآله باقيه حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه، فقال: «كُنْ كَمَا أَنْتَ»، فبقى على ذلك سائر عمره.

وهذا إلى ما كان من مروان ابنه في افتتاحه أوّل فتنه كانت في الإسلام، واحتقابه كلّ دم حرام سُفِكَ فيما قبلها أو اريق بعدها.

ومنها ما أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»<sup>(١)</sup>، قالوا:

ملك بنى امية.

ومنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «يَطْلُعُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَشِّرُ عَلَى غَيْرِ مِلَّتِي»، فطلع معاوية.

ومنها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ يَخْطُبُ عَلَيَّ مِثْرِي فَأَقْتُلُوهُ» وذكر في هذا الكتاب روايات قاصمه على معاوية الواردة في الكتب التاريخيه المشهوره.

ومنها افتراؤه بالمحاربه لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً، وأقدمهم إليه سبقاً،

ص: ٣٣٦

وأحسنهم فيه أثراً وذكرًا، عليّ بن أبي طالب، ينازعه حقّه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله أعوانه، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه من إطفاء نور الله، ووجود دينه «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (١)، ويستهوى أهل الجهالة، ويموّه لأهل الغباوه بمكره وبغيه اللذين قدّم رسول الله صلى الله عليه وآله الخبر عنهما، فقال لعمار بن ياسر: «تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ»، مؤثراً للعاجله، وكافراً بالآجله، خارجاً من ريقه الإسلام، مستحلاً للدم الحرام، حتّى سفك في فتنته، وعلى سبيل غوايته وضلالته ما لا يحصى عدده من أخيار المسلمين، الذّابّين عن دين الله، والناصرين لحقّه، مجاهداً في عداوه الله، مجتهداً في أن يعصى الله فلا- يُطاع، وتُبطل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه، فلا يدّ أن تلعو كلمه الضلال وترتفع دعوه الباطل، وكلمه الله هي العليا، ودينه المنصور، وحكمه النافذ، وأمره الغالب وكيد من عاداه وحادّه المغلوب الداحض، حتّى احتمل أوزار تلك الحروب وما تبعها، وتطوّق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسنّ سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها، وأباح المحارم لمن ارتكبتها، ومنع الحقوق أهلها، وغرّته الآمال، واستدرجه الإمهال.

وكان ممّياً أوجب الله عليه به اللعنه قتله من قتل صبراً، من خيار الصحابه والتابعين، وأهل الفضل والدين، مثل عمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدى الكندي، وفيمن قتل من أمثالهم، على أن تكون له العزّه والملك والغلبه، ثم ادّعاؤه زياد بن سميه أخاً، ونسبته إياه والله تعالى يقول: «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...» (٢)، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَلْعُونٌ مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ ائْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ»، وقال صلى الله عليه وآله: «الْوَلَدُ لِلْفَرَّاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»، فخالف حكم الله تعالى ورسوله جهاراً، وجعل الولد لغير الفرّاش و الحجر لغير العاهر، فأحلّ بهذه الدعوه

ص: ٣٣٧

١- (١) . سورة التوبه، الآيه ٣٢.

٢- (٢) . سورة الأحزاب، الآيه ٥.

ومن ذلك إشارته لخلافه الله على عباده ابنه يزيد السكيري والخمير صاحب الديكة واليهود والقرده، وأخذ البيعه له من خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعد والإخافه، والتهديد والرهبه، وهو يعلم سفهه، ويطلع على رهنه وخبثه، ويعاين سكراته وفعلاته، وفجوره وكفره، فلما تمكن - قاتله الله - فيما تمكن منه، طلب بثارات المشركين وطوائهم عند المسلمين، فأوقع بأهل المدينة في وقعه الحزء، الوقعه التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش، فشفى عند نفسه غليله، وظن أنه قد انتقم من أولياء الله، وبلغ الثأر لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِنَدْرِ شَهْدُ وَاجَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ (١)

ثم أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اجترم، سفكه دم الحسين بن علي عليه السلام، مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانته ومنزلته من الدين والفضل والشهادة له ولأخيه بسياده شباب أهل الجنّه، اجترأ على الله، وكفر بدينه، وعداوه لرسوله، ومجاهره لعترته، واستهانته لحرمته، كأنما يقتل منه ومن أهل بيته قوماً من كفره الترك والديلم، ولا يخاف من الله نقمه، ولا يراقب منه سطوه، فبتر الله عمره، وأخبث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته....

ثم أضاف: أيها الناس، إنما أمر ليطاع، ومثل ليمثل، وحكم ليفعل، قال الله سبحانه وتعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَاْفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» (٢) وقال: «أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

ص: ٣٣٨

١- (١). هذا الشعر ل«عبدالله بن زبعر» الذي كان من ألد أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وأنشد هذا الشعر مع أشعار أخرى يوم احد بعد استشهاد طائفه من المسلمين من قبيله الخزرج، وقد أنشده يزيد في حادثه كربلاء ومقصوده أن بني اميه ليتهم كانوا أحياء لسمعوا بكاء وعويل أهل البيت وذراري الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه. وقد نقل الطبري في تاريخه أبياتاً أخرى ليزيد في رساله المعتضد العباسي رغم أن ابن أبي الحديد حذف منه بعض الأبيات منها: فَأَهْلُوا وَاسْتَيْهَلُوا فَرَحَاتُكُمْ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تَشَلَّلِعِبْتُ هَاشِمٌ بِالْمُلْكِ فَلَاخَبْرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ

٢- (٢). سورة الأحزاب، الآية ٦٤.

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» (١)، فالعنوا أيها الناس من لعنه الله ورسوله، وفارقوا من لا تتالون القربه من الله إلا بمفارقتة اللهم العن أباسفيان بن حرب بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن معاوية، ومزوان بن الحكم وولده وولد ولده! اللهم العن أئمة الكفر وقادة الضلال وأعداء الدين مجاهدي الرسول ومُعطي الأحكام ومبدلي الكتاب ومُنتهكي الدم الحرام».

إلى قوله: ولا قوه الا بالله العلي العظيم» (٢).

ما ورد أعلاه يمثل جانباً من الكتاب المطول الذي كتبه «المعتضد العباسي»، وجاء هذا الكتاب في المصادر الإسلامية والتاريخية المعروفة.

وبديهى أن نقل رساله المعتضد بالله العباسي لا تعنى تأييد جميع أعماله فى أيام خلافته.

ونرى من اللازم الإشارة إلى هذه النقطة، وهى أن مخالفه وزير المعتضد «عبيدالله بن سليمان» لنشر هذه الرساله كان بسبب انحرافه عن علي وآله عليه السلام فإن المؤرخين ذكروا عنه فى ترجمه حياته: «كان مُنحرفاً عن علي عليه السلام» فكان خوفه من ثوره الناس ليس سوى ذريعه.

\*\*\*

ص: ٣٣٩

١- (١) . سورة البقره، الآيه ١٥٩.

٢- (٢) . تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ١٨٢-١٨٩ و شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٧٣-١٨٠.





إلى معاوية جواباً (١) قال الشريف: وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكُتُبِ

### نظرة إلى الرسالة

رأينا أنّ هذه الرسالة، كما ورد في مطلعها في نهج البلاغه، تمثل جواباً على أحد كتب معاوية إلى الإمام عليّ عليه السلام، وفيه يتحدّث معاوية بشكل غير مؤدّب مع الإمام عليه السلام ولم يترك أيّ حرمة إلّا وانتهكها، وفي القسم الأول من رسالته يتحدّث عن عظمه نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله والرسالة الإلهية، ويجعل ذلك مقدّمه لبيان فضائل أصحاب النبيّ وأنصاره، ثمّ يتطرق إلى فضائل الخليفة الأوّل والثاني والثالث ويتحدّث عن مقام الأوّل والثاني وعن مظلوميّه الثالث ويّتهم الإمام عليه السلام بالمساهمة في قتل عثمان،

ص: ٣٤١

١- (١). سند الرسالة: يقول مؤلف كتاب مصادر نهج البلاغه (المرحوم السيّد عبد الزهراء الحسيني الخطيب): إنّ هذه الرسالة من الرسائل الشهيرة للإمام عليّ عليه السلام والنص بليغ إلى درجة أنّه يغنينا عن البحث في سندها (وبديهي أنّ مثل هذا النص لا يصدر من غير الإمام) مضافاً إلى أنّ ابن اعثم الكوفي الذي كان يعيش قبل السيد الرضى ذكر هذه الرسالة في كتابه الفتوح مع بعض الإضافات. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٧٨)، وفي مكان آخر يقول بالنسبة لهذه الرسالة: وقد نقلها بعض الكتاب قبل السيد الرضى مع بعض التفاوت من مصادر أخرى غير نهج البلاغه، منهم القلقشندی في كتاب صبح الأعشى والنويري في نهايه الارب (المصدر السابق، ص ٢٧٥).

وكذلك يتَّهمه بالحسد لأبي بكر وكراهيته لخلافه عمر، وفي جميع هذه الرسائل يستخدم معاويه تعبيرات ناييه وكلمات موهنه، وفي ختامها يتَّهم الإمام عليه السلام بوقاحه بأنه معاند ولجوج ويقول: ادفع لنا قتله عثمان واعمل على تشكيل شورى لانتخاب خليفه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله فحن لا- نقبل بيعتك ولا نطيعك، وسيكون جوابك هو السيف ونحن ماضون على ذلك إلى النهايه.

ويتبين من عبارات هذه الرساله أنّ معاويه كان يهدف إلى أمرين: الأول: أن يثير غضب الإمام عليه السلام وإحساساته ليجبيه بكلام مماثل ويتخذ ذلك ذريعه أخرى إلى جانب قميص عثمان لقتال الإمام، وكذلك إغراقه في بيان فضائل الخلفاء الثلاثة واتَّهام الإمام عليه السلام بالحسد لهم ليجبيه الإمام عليه السلام على الضدّ من ذلك، وبالتالي يكون بيده حجّه ضدّ الإمام عليه السلام إلى جانب قميص عثمان.

وهذا الكلام ليس استنباطاً ممّا ورد في رساله معاويه، بل هو أمر ورد بصراحه في التاريخ الإسلامى على لسان عمرو بن العاص، يقول ابن أبى الحديد: إنّ عمرو ابن العاص قد أشار إلى معاويه أن يكتب كتاباً ثانياً مناسباً للكتاب الأول ليستفزّ فيه الإمام على عليه السلام ويستخفّاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلّقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه، وقال له عمرو بن العاص: إنّ عليّاً رجل نزق تياه، فاستطمع منه الكلام بمثل الثناء على أبى بكر وعمر، فكتب معاويه الرساله التى ذكرنا شيئاً منها آنفاً.

أمّا مضمون رساله الإمام عليه السلام بنظره عامه:

إنّ هذه الرساله تشتمل على عدّه محطّات، فالإمام فى المحطّه الأولى يتعرّض لفضح ادّعاءات معاويه الواهيه، ويقول فى جوابه: إنّ الله تعالى بعث محمداً لرسالته ونشر دينه وأيّده بأنصاره، والإمام فى هذه المقطع يبرز تعجّبه الشديد ويقول: وما أنت وهذه الأمور، فقصّيتك مثل قصّه الشخص الذى يحمل الثمر إلى هجر، وهذا المثل معروف لدى العرب، كما يدعو التلميذ استاذة إلى مسابقه علميه مثلاً، فيقول له

الإمام عليه السلام إنّه يحسن بك أن تكفّ عن هذه الأقاويل ولا تحدّث بها أهلنا وقبيلتنا، فنحن أعلم منك بذلك.

وفى المحطّه الثانيه، ويقصد التذكير بنعم الله تعالى، لا من أجل اطلاع معاويه الذى يعلم بهذه الأمور، يتعرّض الإمام عليه السلام لبيان فضائل بنى هاشم وذكر حمزه سيّد الشهداء وجعفر الطيار، وفى الختام يقول: لو لم ينه الله تعالى عن مدح النفس، لذكرت لك فضائل كثيره تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجّها آذان السامعين.

وفى المحطّه الثالثه من هذه الرساله يشير الإمام عليه السلام إلى نقطه أساسيه فى ادّعاءات معاويه، ويتعرّض للمقارنه بين بنى هاشم وبنى اميّه، ويقول: نحن تربطنا رابطه رحم مع النبيّ ونحن أهل بيته، وقد اعتنقنا رسالته ودينه قبل جميع الناس ونحن على معرفه بها أكثر من الآخرين، وبالتالي نحن أحقّ بالخلافه، فالمهاجرون يوم السقيفه استندوا إلى قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ليدعموا موقفهم ضدّ الأنصار الذين كانوا يطمحون إلى الخلافه، فلو كان هذا الأمر دليلاً على الأولويه فنحن أحقّ منهم.

وفى المحطّه الرابعه من هذه الرساله يتعرّض الإمام عليه السلام لنقد بعض عبارات معاويه غير المؤدّبه فى رسالته ويقول: لقد ذكرت فى رسالتك أنّى كنت اقاد كالجمل المغشوش للبيعه، ولكنك بهذا الكلام قد فضحت نفسك، لأنّ المسلم لا يجد فى نفسه غضاظه أن يقع مظلوماً مادام يجد نفسه مستقيماً فى حركته فى خطّ الرساله والإيمان والمسؤوليه، وأنك تحدّثت عن عثمان وكيف كان سلوكى معه، فمن هو الأ-كثر عداوه لعثمان؟ هل هو الشخص الذى انطلق للدفاع عنه ولمدّ يد العون له ونصيحته بتلييه حاجات الناس لإطفاء نار الفتنة وتهدئه الأمور (إشاره إلى توصيات الإمام عليه السلام لعثمان) أو الشخص الذى طلب منه عثمان المعونه وامتنع منها وقبع ينتظر موته (إشاره إلى حال معاويه وموقفه من قتل عثمان).

وفى المحطّه الخامسه والأخيره من هذه الرساله يقول الإمام عليه السلام فى مقام

الجواب عن تهديد معاويه بالهجوم والحرب: لقد أثرت في نفسى الضحك، فأنت تهدد أبناء عبدالمطلب بالموت والحرب، فمتى رأيت أبناء عبدالمطلب يهربون من القتال أو يخافون من السيف؟

\*\*\*

ص: ٣٤٤

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ أَصِيحٌ لِقَاءِ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ حَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبِلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ الثَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مَسِيدِهِ إِلَى النُّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَرَلَمَكَ كُفُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ. وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمُفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلُقَاءِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا! أَلَا تَرُبُّعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ، وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذُرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدْرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ!

### الشرح والتفسير: كيف يجلس المحكوم للحكم والقضاء؟

كما تقدمت الإشارة إليه، فإن هذه الرسالة التي يقول عنها الشريف الرضي من أبلغ وأجمل الرسائل، يتحدث فيها أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل مهممة بعبارات بليغة وحاسمة لمعاويه.

في البدايه يشير الإمام عليه السلام إلى حديث معاويه عن عظمه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورسالته السماويه ويقول: «أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ أَصِيحٌ لِقَاءِ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ حَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا؛ إِذْ

طَفَقَتْ (١) تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ (٢) اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ (٣) إِلَى النَّضَالِ (٤)».

والإمام عليه السلام هنا لغرض بيان فساد وقبح كلام معاويه فيما يتصل بوصف الإسلام وعظمه النبي الكريم صلى الله عليه وآله، وللإمام على عليه السلام الذي يعتبر أول مسلم وأنه نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والنقطه المحوريه للإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، يذكر مثلين كل واحد منهما أبلغ وأقوى من الآخر، في البدايه يذكر المثل العربي المعروف: «فَلَانُ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ» وهذا المثل يعود إلى تاجر كان قادماً من منطقه هجر (وهي إحدى مناطق البحرين) وفيها تكثر زراعه النخيل ويأتي إلى البصره يشتري له بضاعه وينقلها إلى هجر، وكلما بحث عن شيء يشتريه لم يجد أزهده سعراً من التمر، فاشترى برأسماله كله تمراً من البصره وجاء به إلى هجر وادّخره في مخزنه انتظاراً لغلاء سعر التمر، ولكن لسوء حظّه كان سعر التمر يهبط يوماً بعد آخر حتى فسد جميع التمر في مخزنه، وتلف بذلك رأس ماله، فضرب به المثل ويقال لكل من يحمل شيئاً أو يتحدث بأمر من الأمور عند من هو أعلم منه وأخبر به، وحال معاويه أيضاً يشبه ذلك التاجر الأحمق حيث أراد أن يبين للإمام على عليه السلام عظمه الإسلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله فصدق عليه هذا المثل المعروف.

والمثال الثاني يشبه الإمام عليه السلام معاويه بالرامي الناشيء الذي تعلم الرمايه عند استاذه ثم وقف أمام استاذه وأخذ يدعوه للبراز والمسابقه في الرمايه ليخبر استاذه ويمتحنه في تسديد الرميه، وهذا هو ما يثير الضحك والسخرية.

ص: ٣٤٤

- ١- (١) . «طفقت» من ماده «طفق» على وزن «طبق» بمعنى الابتداء بعمل معين والشروع به.
- ٢- (٢) . «بلاء» يعنى الامتحان والاختبار، وبما أنّ البلاء يأتي أحياناً بواسطة النعمه، وأخرى بواسطة المصيبه، هذه المفرده تأتي بمعنى النعمه والمصيبه كليهما، وفي الجمله مورد البحث جاءت بمعنى النعمه.
- ٣- (٣) . «مسدد» من ماده «سداد» على وزن «نهاد» يعنى المحكم والثابت القوى، ومن هنا اطلقت هذه الكلمه على السدّ لأنه يمثّل جداراً ثابتاً وقوياً، ومسدد تعنى الشخص الذى يعلم الآخر الثبات والاستقامه.
- ٤- (٤) . «نضال» يعنى المجابهه بالرمى بين شخصين، ثم اطلقت على كل أشكال المبارزه والمجابهه والنزاع.

وذهب بعض شراح نهج البلاغه إلى أنّ الإمام عليه السلام تحدّث من موقع التواضع بهذا التشبيه حيث شبّه معاويه بالتلميذ رغم سوء أدب معاويه وجرأته على الإمام عليه السلام.

وعلى أيّ حال، فمن يريد الاطلاع على سيره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وحقيقه الإسلام ورسالته الإلهية، فينبغي أن يستوحى ذلك من كلمات الإمام عليه السلام وسلوكياته، وما أقبح أن يطلب معرفه الإسلام من الطلقاء والبعيدون عن أجواء الرساله والإيمان كمعاويه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لقسم آخر من رساله معاويه وحديثه عن صحابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويشير إلى الخليفه الأول والثاني والثالث، ويقول: «وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَقُلَانٌ؛ فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنَّ تَمَّ اعْتَرَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ تَلْمُهُ (١). وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ!».

وكما تقدّمت الإشارة إليه أنّ هدف معاويه من ذكر اسم الخليفه الأول والثاني والثالث وفضائلهم أن يثير حفيظه الإمام عليه السلام بحيث يجيبه بجواب من موقع الغضب فيتّخذ ذريعه ويتمسك بها ضدّ الإمام عليه السلام، ولكنّ الإمام عليه السلام أجابه بكلام متين ومدروس جدّاً، بحيث أخرجه كلياً من دائره القرار وأبعده عن هذا الشأن، والحقيقه أنّ الإمام عليه السلام يريد أن يقول له: أنت ابن أبي سفيان جرثومه الكفر ومحور الشرك والوثنيه، والعدوّ الأوّل للإسلام والأصل لإشعال نيران الحروب والفتنه ضد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمسلمين، وأنت قد رُبيّت في حضانة هند آكله الأكباد وأنّ اسرتك غريبه عن الإسلام والرساله، والآن تريد أن تتحدّث عن صحابه النبي وتعيّن الفاضل والمفضول، وتجعل نفسك واحداً ممّن يرتبط بهذا الشأن!

ويضيف الإمام عليه السلام في إدامه كلامه بشكل أبين وأقوى ويقول: «وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ، التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوْلَى، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ!».

ص: ٣٤٧

١- (١). «تلم» في الأصل بمعنى الكسر والشق، ومعنى الاسم المصدرى لهذه المفرده هو الشق والعيب، ثم اطلقت على كل شكل من الاضرار والخساره، وفي الجمله أعلاه وردت بمعنى الضرر والخساره.

وكأنك قد نسيت أنك يوم فتح مكة وانتصار المسلمين واستيلائهم على آخر معقل للكفر والشرك، كنت تحت رحمة سيوف المجاهدين ولم يكن لديك طريق للفرار، ولذلك أسلمت أنت وأبوك أبوسفیان من موقع التسليم والرضوخ، وقد من رسول الله صلى الله عليه وآله عليكم وجعلكم من الطلقاء، والآن نصيبت نفسك على كرسى التحكيم بين صحابه النبي وجعلت من نفسك عارفاً بدرجاتهم ومكانتهم بين المهاجرين الأولين، والحقيقه أن من المخجل جداً أن يقوم شخص يملك هو وأسرته مثل هذه السابقه السيئه، بالتدخل بمثل هذه الأمور ويجعل نفسه حكماً في هذا الشؤون.

والواقع ينبغي توجيه حربه النقد إلى الأشخاص الذين جعلوا من معاوية يحتل هذه المكانه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ونسوا سوابقه وجعلوه والياً على مقاطعه كبيره من البلاد الإسلاميه، أجل، فمعاوية نُصّب والياً على الشام فى زمان الخليفه الثانى ويتوجه اللوم أيضاً إلى المسلمين الذين نسوا سوابق اسره بنى أميه بهذه السرعه والفاصله الزمنيه القليله، ورضخوا لحكومتهم ولم ينتفضوا ضدهم، كل ذلك مع وجود روايات كثيره عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مذكوره فى المصادر الإسلاميه المختلفه فى ذم بنى اميه وبالتحديد معاويه، وبيان الخطر الذى يهدد الإسلام والأمة الإسلاميه من حكومتهم.

ثم إن الإمام عليه السلام يستمر في كلامه ويقول من موقع التأكيد: «هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ (١) قِدْحٌ (٢) لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا».

وجمله: «حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا» مثل معروف بين العرب يعود أصله إلى أن طائفه من بنى الحنان أرادوا أن يلعبوا القمار فيما بينهم، وهتأوا لذلك النصال، وكان نصيب جدّهم منها نصل غير صالح للرمى، فرمى بنصله من بين تلك النصال، وكان المقسم للنصال رجل أعمى، وعندما أصابت الرميه سهم من هذه السهام انتبه من الصوت أن

ص: ٣٤٨

١- (١). «حَنَّ» من «الحنين» بمعنى اطلاق الصوت بالتأوه من موقع الحزن.

٢- (٢). «قِدْحٌ» بمعنى السهم قبل أن يكتمل صنع رأسه المدب.



تلك النصال زائفه أيضاً، فقال: «حَنَّ قَتَدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا» أى أن هذا النصل ليس من جنس النصال الأصليه، من خلال صوته، وانكشف بذلك زيف هذه النصال، ثم ضرب به المثل لكل شخص أدخل نفسه فى جماعه لم يكن جديراً بهم، وجعل نفسه فى عرض فئه ليس من مستواهم، والإمام عليه السلام استخدم هذا المثل المعروف فى مورد معاويه، وأنتك تخلط نفسك مع جماعه لست منهم، فأنت من الكفار الطلقاء الذين أطلق سراحهم النبى يوم فتح مكه، فما أنت والمجاهدين والمهاجرين الأولين؟ (١).

واللافت للنظر أن الإمام عليه السلام فى عبارته المذكوره أعلاه يقول بصراحه: أنت بهذه السوابق السيئه تعتبر من زمره المحكومين ومن الرعيه، فكيف تجلس على كرسى الحكام وتدعى التحكيم فيما بينهم؟

ثم يضيف الإمام عليه السلام للتأكيد ويقول: «أَلَا تَزْبَعُ (٢) أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ (٣) وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ (٤) وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدْرُ فَمَا عَلَيْكَ غَلْبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ!».

وفى الجمل الثالث يحذر الإمام عليه السلام معاويه فى البدايه أن يعرف قدره ولا يمدّ رجله أكثر من لحافه كما يقول المثل.

وفى الجمله الثانيه يأمره الإمام عليه السلام بمعرفه نفسه: وعليك أن تعرف أنك لست من أهل هذا الميدان وأنك أعجز من أن تطلب زمام الحكومه والولايه على منطقه من البلاد الإسلاميه أو تروم التمييز بين مراتب المهاجرين والأنصار وتقضى فى هذا الشأن، إذن الأفضل أن تجلس فى سلك المرتبه التى تليق بشأنك وإمكاناتك ولا تتجاوز عن حدودك (أى تجلس فى صفالنعال ومكان الأحذيه لا فى صدر المجلس).

ص: ٣٤٩

١- (١). اقتبس من بحار الأنوار، ج ٣٣، ص ٦٥.

٢- (٢). «تَزْبَعُ» من ماده «ربع» على وزن «رفع» بمعنى التوقف والانتظار، وجمله «أَلَا تَزْبَعُ» يعنى لماذا لا تتوقف وتترك الأمر.

٣- (٣). «ظَلْعُ» بمعنى مشى الأعرج، وجمله «إِزْبَعُ عَلَى ظَلْعِكَ» مثل سائد بين العرب يقال للشخص الذى لا يستطيع عمل معين ويتجه عبثاً لتحقيقه، فيقال له اسكن ولا تتلف وقتك.

٤- (٤). «ذَرْعُ» بمعنى فتح اليد والفاصله بين اليدين، و«قُصُورِ ذَرْعِ» كناية عن الضعف والعجز.

وفى الجملة الثالثه يقول: صحيح أنّ المهاجرين والأنصار استطاعوا تحقيق النصر والغلبه فى مواجهاتهم الحاسمه لقوى الكفر والشرك والوثنيه، وأنّ أعداء الإسلام والمشركين انهزموا من الميدان، ولكن ذلك يتعلّق بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والصحابه، وما أنت وهؤلاء حتّى تتحدّث عن انتصار المسلمين وهزيمه الكفّار بوصفها أحد افتخاراتك!

وجمله: «فَمَا عَلَيْكَ...» التى تبتدىء بفاء التفرّيع، إشاره إلى هذه الحقيقه، وهى أنّك امرؤ تعيش التخلّف والتأخّر فى مراتب الإسلام حيث أسلمت ظاهراً أنت وأبوك أبوسفيان فى آخر لحظات الدعوه الإسلاميه وانتصار الرساله على قوى الشرك، فمن هذا المنطلق فأنت تقع كلياً خارج هذا البحث ولا يمكن أن تجلس للتحكيم بين المهاجرين الأولين وتعيين مراتبهم ودرجاتهم.

وفى الجملة الرابعه والأخيره يضيف الإمام عليه السلام: «وَإِنَّكَ لَدَهَابٌ فِي التِّيهِ، رَوَاغٌ عَنِ الْقَصْدِ».

«التيه» فى الأصل بمعنى الحيره، ثم اطلق على الصحراء التى لا- يوجد فيها طريق للخروج منها، بحيث يبقى الإنسان حائراً فيها لا يهتدى سبيلاً، كما هو الحال فى صحراء سيناء فى سنوات «تبه» بنى اسرائيل حيث بقوا فى هذا التيه أربعين سنه.

والإمام عليه السلام فى هذه الجملة الأخيره يرى أنّ مسار معاويه فى هذه القضيه على خطأ من جهتين: الأولى: أنّه قد أوصل نفسه إلى وادٍ لا- يمكن الخروج والنجاه منه وأنّ طريقه ومقصده غير معلوم، والأخرى: أنّه على فرض وضوح الطريق والمقصد، فإنّ معاويه لم يختر لنفسه الطريق القويم، بل انحرف عن هذا المسير وتوغّل فى دروب الضلاله والانحراف والتيه.

«رَوَاغٌ» صيغه مبالغه من ماده روغ (على وزن ذوق) وتعنى الحركات الانحرافيه التى تقود صاحبها تاره إلى هذه الجهه وأخرى إلى تلك، فيقال: إنّ الثعلب يتحرّك بمثل هذه الحركه حتى لا يقع فى المصيد، والإمام يقول لمخاطبه هنا: أنت تتحرّك دوماً من هذه الجهه إلى تلك الجهه من موقع المكر والحيله ولا تتحرّك أبداً فى

المسار الصحيح والطريق المعتدل، فأحياناً تدافع عن صحابه النبي، وأخرى تقف أمامهم وترفع لواء التمرد ضدهم وتدعو الناس للحرب وسفك الدماء.

\*\*\*

ص: ٣٥١



أَلَمْ تَرَى غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُخِذْتُ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا اسْتَشْهَدَ شَهِدْنَا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ! أَوْ لَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - لِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاخِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاخِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحِينَ!» وَلَوْ لَمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَرْكِيهِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ، لَذَكَرَ ذَاكَرٌ فَضَائِلَ جَمَّةٍ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ. فَدَعَّ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّيِّيَّةُ فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبَّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدَ صَنَائِعِ لَنَا.

### الشرح والتفسير: الامتيازات النادرة

تبيّن في المقطع السابق أنّ الإمام عليه السلام خيّب معاويه في بلوغ هدفه من الرسالة، لأنّ معاويه أراد من خلال استعراض سيره الخلفاء الثلاثة أن يثير الإمام عليه السلام ليتحدّث بكلام ضدّهم ويجعل من هذا الكلام حجّة وذريعه كقميص عثمان، ولكنّ الإمام عليه السلام ذكر له بأنك أجنبيّ وغريب عن الدخول في مثل هذه المسائل فلا يحقّ لك أن تنصب نفسك حكماً بين المهاجرين والأنصار.

ثمّ إنّ الإمام في هذا المقطع من هذه الرسالة يستعرض فضائل أهل البيت عليهم السلام بأفضل تعبيرات وأبلغ الكلمات فيبطل ادّعاءات معاويه بشكل غير مباشر، يقول الإمام عليه السلام: «أَلَمْ تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُخِذْتُ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدًا قِيلَ: سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ».

وقد ورد في الروايات الإسلامية أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان كلما كبر تكبيره في صلاته على جثمان حمزه كبرت جماعه من الملائكة معه، وعلى ضوء ذلك جاءت أربعة عشر طائفة من الملائكة بصورة متتالية وصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله على جنازه حمزه (١).

على أيه حال فإنّ غرض الإمام عليه السلام من هذا الكلام أنّنا لو شرعنا بذكر الفضائل وبدأنا من الشهادة، فإنّ هذه الفضيلة تعدّ من أبرز امتيازات قبيلتنا، لأنّ حمزه سيّد الشهداء منّا، فصحيح أنّ جميع الشهداء يملكون مقاماً شامخاً عند الله وعند المؤمنين، ولكن مقام هذا الشهيد من بنى هاشم أعلى وأسمى من الجميع.

وطبعاً فإنّ هذا اللقب لحمزه وهو سيّد الشهداء كان بالنسبة لشهداء عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وإلّا فإنّ مقام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في شهادته وشهادته الإمام الحسين عليه السلام وشهداء كربلاء أعلى من ذلك، اللافت أنّ ابن أبي الحديد يتحدّث بمثل هذه الكلام عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام (٢).

ثمّ إنّ الإمام يستمرّ في بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام وبنى هاشم ويذكر فضيلة أخرى لشهداء بنى هاشم وهي شهادة جعفر الطيار ويقول لمعاوية: «أَوْلَمَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَّاحِينَ».

وقد جاء في شرح نهج البلاغة للمرحوم التستري نقلاً عن المغازي للواقدي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على أسماء - زوجة جعفر بن أبي طالب بعد استشهادها - فعناه

ص: ٣٥٤

١- (١). ورد هذا الحديث (سبعين تكبيره) بشكل إجمالي في الكافي (ج ٣، ص ١٨٦، باب من زاد على خمس تكبيرات، ح ٣)، ولكن ما ورد أعلاه من أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله صلى أربعة عشر صلاة بأربعة عشر من الملائكة ورد في شرح نهج البلاغة لابن ميثم.

٢- (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٩٣.

إياها - إلى أن قال - يا أسماء ألا ابشركي؟ قالت: بلى، بأبي أنت وأمي، قال صلى الله عليه وآله: فإن الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة، قالت: بأبي أنت وأمي يارسول الله، فأعلم الناس ذلك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيدي يمسح بيده على رأسي حتى رقي على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن يعرف عليه، فتكلم وقال: «إن المرء كثير بأخيه وابن عمه، ألا إن جعفرًا قد استشهد وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة» (١).

وبعد أن يستعرض الإمام علي عليه السلام هذين الموردين المتميزين من فضائل بني هاشم، يتحدث بيان كلي، ويقول: «ولو لآما نهى الله عنه من تزكيه المرء نفسه، لذكر ذاك فضل جمه، تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها» (٢) آذان السامعين».

وهذا إشاره إلى أن فضائلنا أهل البيت عليهم السلام قد ملأت الخافقين وليست فضيله واحده أو عدد قليل من الفضائل، بل هي من الشهره والشياع إلى درجه أنه لا يعرفها المؤمنون فحسب، بل حتى المنافقين والغرباء عن الإسلام على معرفه بها وقد سمعها الكثير من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وإن كنت (معاويه) لا تعرفها، ولكن نظراً لحمل البعض بذكر هذه الفضائل، على مدح الذات وتزكيه النفس، فأنا أكتفي بهذا المقدار وأغض النظر عن سائر الفضائل الكثيره، وأترك الحكم إلى المؤمنين وأصحاب النبي صلى الله عليه وآله الخاصين حيث يتواجد الكثير منهم لحد الآن بين المسلمين.

ثم إن الإمام عليه السلام في نهايه هذا المقطع من الرساله يهيب بمعاويه ويقول: «فدع عنك من مالت به الرميئه» (٣) فإننا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا».

ص: ٣٥٥

١- (١). شرح نهج البلاغه للتستري، ج ٣، ص ١١١؛ شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٧١.

٢- (٢). «تمجج» من ماده «مج» على وزن «حج» بمعنى قذف شىء من السوائل من الفم، ثم استخدمت هذه المفرده فى سماع الكلام غير الملائم، والجمله أعلاه تعنى أن الآذان لا تمتنع ولا تأبى استماع هذه الفضائل بل تقبلها.

٣- (٣). «رميئه» بمعنى الصيد الذى يناله الإنسان بالرمى، وجمعه «رمايا»، وجمله «من مالت به الرميئه» إشاره إلى الشخص الذى يطلب صيداً ويجعله ذلك الصيد ينحرف عن مساره الأصلي وربما يتيه فى الصحراء، فيقول الإمام عليه السلام بهذا الكلام لمعاويه إن أشخاصاً مثل عمرو بن العاص يطلبون صيداً من المقام والمال والجاه، ولذلك انحرفوا عن جاده الحق ولا ينبغى أن تسلم زمام أمورك بيد هؤلاء الظالمين.

ويعترف شراح نهج البلاغه أنّ هذه الجملة بليغه جداً وعميقه المحتوى وتمثّل جواباً حاسماً وردّاً قاطعاً لكلام معاويه المتهاوى والهزيل.

لأنّه مع الالتفات إلى أنّ كلمه «صَيَّنَائِع» جمع صنيعه وتعنى الشىء المختار والمصطفى، ومن حاز بتربيته واهتمام بالغ، يقول الإمام عليه السلام: لا- شك، أنّ شمس النبوه طلعت من دورنا، فإنّ الله تعالى قد اختار نبى الإسلام صلى الله عليه وآله من اسرتنا واصطفاه للرساله واصطنعه ورباه وتحمل هذه المسؤوليه الثقيله فى ظلّ الوحي، وعندما بلغ ذروه الكمال والعلم والهدايه، بعث لهدايه الناس وتعليمهم، ونحن بدورنا ممّن اصطفاهم الله لسلك هذا الطريق، وعلى ضوء ذلك فنحن ممّن اصطفاهم الله وربّاهم واصطنعهم لتربيته الناس وتعليمهم وإصلاح نفوسهم، ولذلك لا- مجال لمقارنتنا بالآخرين، وأنت حينما تذكر بعض الأشخاص الذين ساروا فى خطّ الهدايه والإيمان فإنهم قد اهتموا بهدايتنا وبنورنا.

وفى معنى جملة «صَيَّنَائِع لَنَا» سلك البعض مسلك الإفراط فى ذلك وذهب إلى أنّ الناس مخلوقون ومصنوعون من قبل أئمه الهدى عليهم السلام أو أنّهم عبيد لهم، فى حين أنّ هذا الكلام لا يتناغم ولا يتجانس مع آيات القرآن الكريم، فالقرآن الكريم يتحدّث عن موسى عليه السلام ويقول: «وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي» (١)، وفى مورد آخرى يقول:

«وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» (٢).

وللأسف فإنّ التفسير المذكور آنفاً قد أضحى ذريعه بين المخالفين للتشيع على أتباع أهل البيت عليهم السلام واللافت أننا نقرأ فى حديث معتبر ورد فى كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام أنّ أبا الصلت دخل على الإمام الرضا عليه السلام وقال: يا ابن رسول الله ما هذا الذى ينقل الناس عنكم؟ فقال له الإمام الرضا عليه السلام: ماذا يقولون؟ فقال: «إِنَّكُمْ

ص: ٣٥٦

١- (١). سوره طه، الآيه ٤١.

٢- (٢). سوره طه، الآيه ٣٩.



تَدْعُونَ أَنَّ النَّاسَ لَكُمْ عَبِيدٌ» فَتَعَجَّبَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ شَهِيدٌ بِأَنِّي لَمْ أَقُلْ ذَلِكَ قَطُّ وَلَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنْ آبَائِي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ قَطُّ وَأَنْتَ الْعَالِمُ بِمَا لَنَا مِنَ الْمَظَالِمِ عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَإِنَّ هَذِهِ مِنْهَا» (١).

### تأملان: فضائل حمزه سيّد الشهداء

بالنسبة لشخصية حمزه عليه السلام وخدماته الجليلة للإسلام والمسلمين وشهادته الأليمة، فقد أورد المؤرخون في المصادر الإسلامية بحوثاً كثيرة في هذا المجال ونشير هنا إلى جملة منها:

١. جاء في تفسير فرات الكوفي: «يُدْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى عَلِيٍّ لَوَاءِ الْحَمْدِ وَإِلَى حَمْزَةَ لَوَاءِ التَّكْبِيرِ وَإِلَى جَعْفَرَ لَوَاءِ التَّسْبِيحِ» (٢).
٢. جاء في تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «يَأْتِي بِالرُّمُوحِ الَّذِي كَانَ يُقَاتِلُ حَمْزَةَ أَعْدَاءَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا فَيُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ وَيَقُولُ: يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ذِدِ الْجَحِيمِ عَنْ أَوْلِيَائِكَ بِرُمُوحِكَ» (٣).
٣. وأورد ابن حجر العسقلاني في كتابه الاصابة في تمييز الصحابة: «حمزه بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي، أبوعمار، عم النبي صلى الله عليه وآله وأخوه في الرضاعة، أرضعتها ثويبه مولاه أبي لهب كما ثبت، وقريب من أمه أيضاً لأن أم حمزه هاله بنت أهيب بن عبدمناف بن زهره، بنت عم آمنه بنت وهب بن عبدمناف أم النبي صلى الله عليه وآله.

ص: ٣٥٧

١- (١). عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٨٤.

٢- (٢). سفينة البحار، مادة حمزه.

٣- (٣). المصدر السابق.

ولد قبل النبي صلى الله عليه وآله بستين، وقيل: أربع، وأسلم السنة الثانية من البعثة، ولازم نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وهاجر معه... ولقبه النبي صلى الله عليه وآله أسد الله، وسماه سيّد الشهداء، وقف على حمزه حين استشهد وقد مُثِّل به، فجعل ينظر إليه منظرًا كان أوجع قلبه فقال:

«رَحِمَكَ اللَّهُ أَيَّ عَمٍّ لَكُنْتُ وَصَوْلًا لِلرَّحِمِ فَعَوْلًا لِلْخَيْرَاتِ» (١).

٤. وجاء في كتاب اسد الغابه في معرفه الصحابه لابن الأثير: «ولما عاد النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينه سمع النّوح على قتلى الأنصار، (والحال كانت دار حمزه قفره لأنه كان من المهاجرين) فقال صلى الله عليه وآله: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِي لَهُ». فسمع الأنصار، فأمرُوا نساءهم أن يندبن حمزه قبل قتلاهم، ففعلن ذلك، قال الواقدي (المؤرخ المشهور): فلم يزلن يبداً بالنسب لحمزه حتى الآن» (٢).

٥. وجاء في كتاب مكارم الأخلاق أن فاطمه الزهراء عليها السلام صنعت من تراب قبر حمزه مسبحه وكانت تذكر الله بها (٣).

والروايات في فضائل سيّد الشهداء حمزه عليه السلام وتضحياته ودفاعه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإسلام في أيام الغربه والمحنه، وشجاعته في ميدان القتال كثيره، ونختم هذا المختصر بحديث آخر نقله المرحوم الكليني في الكافي عن سدير قال:

كُنَّا عِنْد أَبِي جَعْفَرٍ (الباقر عليه السلام) فَذَكَرْنَا مَا أَحْدَثَ النَّاسَ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاسْتَذَلَّ لَهُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَأَيْنَ كَانَ عَزَّ بَنِي هَاشِمٍ وَمَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَدَدِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ (الباقر) عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمَنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ إِنَّمَا كَانَ جَعْفَرٌ وَحَمْزَةٌ فَمَضَى وَبَقِيَ مَعَهُ رَجُلَانِ ضَعِيفَانِ ذَلِيلَانِ حَيْدِيْنَا عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ، عَبَّاسٌ وَعَقِيلٌ، وَكَانَا مِنَ الطُّلُقَاءِ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ حَمْزَةَ وَجَعْفَرَ كَانَا بِحَضْرَتِهِمَا مَا وَصَلْنَا إِلَيْهِ، وَلَوْ كَانَا شَاهِدِيْهِمَا لِأَتَلَفَا نَفْسِيْهِمَا» (٤).

ص: ٣٥٨

١- (١). الإصابه، ج ١، ص ٣٥٤.

٢- (٢). اسد الغابه، ج ٢، ص ٤٨.

٣- (٣). مكارم الأخلاق، ص ٢٨٠؛ بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٣٣٣، ح ١٦.

٤- (٤). الكافي، ج ٨، ص ١٨٩، ح ٢١٦ (مع تلخيص يسير).

وقد أشار الإمام عليه السلام في رسالته مورد البحث إلى مقام جعفر بن أبي طالب عليه السلام بين شهداء الإسلام بكلمات دقيقة وعميقه المعنى، وقد ورد في الروايات الإسلاميه أيضاً عبارات مهمه في هذا الصدد، منها:

١. ما ورد في كتاب الكافي عن يوسف بن أبي سعيد قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: «إذا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَجَمَعَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْخَلَائِقَ كَانَ نُوحٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ أَوَّلَ مَنْ يُدْعَى بِهِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ.

فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. قَالَ: فَيَخْرُجُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَتَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى يَجِيءَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى كَثِيبِ الْمَشِيكِ وَمَعَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...» (١)، فَيَقُولُ نُوحٌ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَأَلَنِي: هَلْ بَلَغْتَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَقُلْتُ: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَيَقُولُ: يَا جَعْفَرُ يَا حَمَزَةَ أَذْهَبَا وَأَشْهَدَا لَهُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (الصادق) عليه السلام: فَجَعْفَرُ وَحَمَزَةُ الشَّاهِدَانِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِمَا بَلَغُوا»، فَقُلْتُ:

جعلت فداك فعلى أين هو؟ فقال عليه السلام: «هُوَ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً مِنْ ذَلِكَ» (٢).

٢. وينقل ابن أبي الحديد عن أبي الفرج الإصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين أن لجعفر فضائل كثيرة، وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المجال، منها: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح خيبر قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشه، فالتزمه رسوله الله صلى الله عليه وآله وجعل يقبل بين عينيه ويقول: «مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَشَدُّ فَرَحًا بِقُدُومِ جَعْفَرٍ أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ؟» (٣).

ص: ٣٥٩

١- (١). سورة الملك، الآية ٢٧.

٢- (٢). الكافي، ج ٨، ص ٢٦٧، ح ٣٩٢.

٣- (٣). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٧٢. ونقل هذا الحديث ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٦٧.

٣. ويروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق أنّ الإمام على عليه السلام كان أول رجل اعتنق الإسلام وبعده زيد بن حارثه ثم جعفر بن أبى طالب (١).

٤. وفى كتاب الإصابه فى تمييز الصحابه ورد أنّ جعفر كان يهتم كثيراً بالفقراء والمحتاجين ويقدم يد المعونه لهم ويتحدث معهم، بحيث أنّ رسول الله سمّاه «أبوالمساكين» وقال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «أشبهت خلقى وخلقى» ثم أضاف ابن عساكر: إنّ هذا الحديث رواه البخارى ومسلم فى كتابيهما (٢).

٥. وينقل ابن عساكر فى تاريخ دمشق أيضاً عن أنس بن مالك عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «نَحْنُ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ سَادَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: رَسُولُ اللَّهِ وَحَمْرُهُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ وَجَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ» (٣).

وهناك روايات كثيره فى فضائل جعفر بن أبى طالب عليه السلام، نختم هذا البحث بروايه عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «أوحى الله عزّ وجلّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: إني شكرت لجعفر بن أبى طالب أربع خصال، فدعا النبى صلى الله عليه وآله فأخبره، فقال له: لولا أنّ الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتك، ما شربت خمرًا قط، لأنى علمت أنى إن شربتها زال عقلى، وما كذبت قط لأنّ الكذب يُقصّ المرؤة، وما زنيّت قط لأنى خفت أنى إذا عملت عمل بي، وما عيّدت صيماً قط لأنى علمت أنّهُ لا يضرّ ولا ينفع، قال:

فَصَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَدَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ: حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ جَنَاحَيْنِ تَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ» (٤).

مضافاً إلى كلّ ذلك من افتخارات جعفر وامتيازاته فإنّه كان رئيس المهاجرين إلى الحبشه، وعليه فإنّ جعفر كان قد هاجر الهجرتين (الهجرة إلى الحبشه والهجرة إلى المدينة) وصلى إلى القبلتين (بيت المقدس فى بدايه الإسلام والكعبه بعد مجيئه

ص: ٣٦٠

١- (١). مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٦٦.

٢- (٢). الإصابه، ج ١، ص ٢٣٧، ترجمه حياه جعفر بن أبى طالب.

٣- (٣). مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٦٨.

٤- (٤). من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٧، ونقل هذا الحديث ابن عساكر فى مختصر تاريخ دمشق، ج ٦، ص ٦٧ أيضاً.

إلى المدينة) وباع البيعتين مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله (البيعه في بدايه الإسلام والبيعه في فتح مكه) كما ورد ذلك في الأحاديث الشريفه(١).

\*\*\*

ص: ٣٦١

---

١- (١) . سفينه البحار، ماده جعفر.



لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلَا عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فَعَلَ الْأَكْفَاءُ، وَلَسِيْتُمْ! هُنَاكَ وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيهُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ! فَاسْتَلَامْنَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتِنَا لَاتُدْفَعُ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ. وَلَمَّا اخْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ.

### الشرح والتفسير: نقاط مهمه أخرى في فضائل أهل البيت عليهم السلام

يشير الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة إلى نقاط مهمه أخرى، ففي البدايه يحذّر معاويه أن من تصوّر أن مجرد الارتباط النسبي والسببي بين بنى هاشم وبنى اميه دليل على التساوى في المرتبه والمكانه، بل هو نوع من التفضّل والإيثار من بنى هاشم يقول: «لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا وَلَا عَادِيَّ

طَوْلِنَا (١) عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا؛ فَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا، فِعْلُ الْأَكْفَاءِ (٢)، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ!».

إنّما يتحدّث الإمام عليه السلام بهذا الكلام من جهة أنّ لهجه معاويه في رسالته يستوحى منها أنّ بنى اميه في عرض واحد مع بنى هاشم، في حين أنّ بنى هاشم يمثّلون مركز النبوه ومحور الولايه، وأنّ بنى اميه هم أئمه الكفر وقاده الشرّ، ولكن عندما اعتنقوا الإسلام ظاهراً، فإنّ الإسلام فرض على المسلمين أن يتعاملوا فيما بينهم معاملة الأكفاء والأنداد، ومن هذا المنطلق تزوّج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أم حبيبه بنت أبي سفيان، وزوّج النبي ابنته لعثمان بن عفان.

وينطلق الإمام عليه السلام في كلامه لبيان الدليل الواضح والبرهان القاطع على التفاوت الفرق بين بنى هاشم وبنى اميه ويقول: «وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذَّبُ (مثل أبي جهل)، وَمِنَّا أَسِيدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسِيدُ الْأَخْلَافِ (٣) (أبوسفيان)، وَمِنَّا سَيِّدًا شِيَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (الحسين والحسين) وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ (مروان أو عقبه بن أبي معيط)، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (فاطمه الزهراء)، وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ (ام جميل زوجة أبي لهب وأخت أبي سفيان)، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ!».

وعلى هذا الأساس يبيّن الإمام عليه السلام مكانه بنى هاشم الساميه وفضائح بنى اميه وأتباعهم بالشواهد والقرائن التاريخيه، بحيث لا يدع لأياحد مجالاً لإنكار هذه الحقائق، وهذا هو معنى الفصاحه والبلاغه في الكلام.

أمّا مقصود الإمام عليه السلام من «المُكَذَّبُ»، فهناك خلاف بين شراح نهج البلاغه

ص: ٣٦٤

١- (١). «طَوْلٌ» بمعنى الإمكانات والقدره الماليه، ورد بمعنى الفضل والعطاء أيضاً، وفي الأصل «طول» في مقابل «عرض»، لأنّ القدره الماليه أو الجسميه نوع من الطول وقدره الإنسان و «ذِي الطَّوْلِ» بمعنى العطاء والجود، وعلى هذا الأساس أنّ عبارته «عَادِيّ طَوْلِنَا» في الجملة أعلاه بمعنى العطايا الدائمه.

٢- (٢). «الْأَكْفَاءُ» جمع «كفؤ» على وزن «قفل» بمعنى الترادف والتساوى في الشخصيه.

٣- (٣). «الْأَخْلَافُ» جمع «حلف» على وزن «جلف» بمعنى العهد والميثاق و «حلف» على وزن «حرف» تعنى القسم واليمين، وبما أنّ العهد يتمّ توكيده بالقسم فسميت هذه العمليه بالحلف.



فذكروا تاره أشخاصاً مجهولين بوصفهم مكذّبين بحيث يتعجب القارىء من ذلك، فى حين أنّ المُكذّب البارز فى تاريخ الإسلام هو أبو جهل، سواء قلنا إنّهُ من بنى اميه أم لا، لأنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام يستعرض فضائح بنى اميه ومن حالفهم من العرب، وكان شريكاً معهم فى المواقف السليه تجاه الدعوه والنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

وأما بالنسبه ل «أسد الله» فلا يوجد أىّ خلاف بين شراح نهج البلاغه أنّ المقصود منه حمزه سيد الشهداء عليه السلام والذى لقبه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله بهذا اللقب، أما «أسد الأخلاف» فقد ذكروا احتمالات عديده، فى حين أنّ أوضح مصداق له هو (أبو سفيان) الذى قاد قوى الكفر وجيوش الشرك ضدّ الإسلام فى حروب كثيره وتحالف مع المشركين من العرب ضدّ الإسلام وكان آخرها معركة الأحزاب.

وهكذا بالنسبه للمراد من «صبيّه النار» فقد طرح شراح نهج البلاغه آراء مختلفه، ولكنّ الأنسب من الجميع أنّ المقصود منهم أبناء عقبه بن أبى معيط، وهو الذى تلقى ضربات كثيره فى معركة بدر وسقط على الأرض فلما وقعت عينه على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال بصوت ضعيف: «مَنْ لِلصَّبِيهِ يَا مُحَمَّدٌ؟» فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«النار»(١).

وهو إشاره أنّكم تقتلون المسلمين ولا تفكرون بأبنائهم وصبيّتهم، لكنّك الآن تفكر بأبنائك وصبيّتك وأطفالك وهم الصبيه الذين سيتحرّكون فى مسير الشرك والكفر تبعاً لأبيهم، ويقفون فى صفّ أعداء الإسلام ضدّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ودعوته السماويه، والتاريخ الإسلامى يحدثنا أيضاً أنّ أبناء عقبه بن أبى معيط كانوا مصدر الشرّ والفتنه فى الأمه ومنهم الوليد بن عقبه.

والمقصود من «خَيْرُ نَسَائِ الْعَالَمِينَ» فشراح نهج البلاغه وسائر علماء الإسلام يتفقون بالإجماع على أنّها فاطمه الزهراء عليها السلام، لأنّه كما ورد فى صحيح مسلم أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عندما حانت وفاته قال لفاطمه عليها السلام يواسيها ويطيب خاطرها: «يَا

ص: ٣٦٥

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٩٧.

فَاطِمَةُ أَمَّا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» (١).

ومثل هذا الحديث ورد أيضاً في صحيح البخارى الجزء ٧، ص ١٤٢ وجاء في مسند أحمد و مستدرك الحاكم عبارته «سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» بدل العبارة السابقة (٢).

أما «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» فقد وردت الإشارة إليها فى القرآن الكريم ويتفق شراح نهج البلاغه ومفسرو القرآن أن المراد بها أم جميل زوجة أبى لهب، وأخت أبى سفيان وعمه معاوية.

ومن مجموع ما تقدم آنفاً يتبين بوضوح المكانه المرموقه لأهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وبنى هاشم، وكذلك مكانه بنى أميه وأتباعهم، ومن خلال كلام الإمام عليه السلام تستفاد مسائل كثيره أخرى أيضاً ويتضح من خلال الملاحظات التى ذكرها الإمام عليه السلام فى كلامه هذا الجواب الحاسم لمعاوية وادعاءاته الواهيه.

ثم إن الإمام عليه السلام من أجل التأكيد على ما سبق يضيف: «فَإِسْمًا مَّا قَدْ سَمِعَ، وَجَاهِلِيَّتِنَا لَأَتَدَفَّعَ»، الأعمال التى سبق أن قمنا بها فى الجاهليه والإسلام لا تخفى على أحد.

وهذا إشاره إلى أن الإسلام قد بدأ بنا وأنا كنا أول المسلمين والمدافعين الحقيقيين عن الإسلام، وفى زمان الجاهليه أيضاً كنا معروفين بحسن السمع والأعمال الصالحه والأمانه بين جميع العرب قاطبه، ونقرأ فى روايه عن أحوال جعفر أن الله تعالى قد مدحه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله لآربع فضائل متميزه له فى زمان الجاهليه، خلافاً لبنى أميه والقبائل المتحالفه معهم الذين كانوا معروفين بالمكر والشيطنه والفساد وسفك الدماء.

وينقل المرحوم الشيخ مغنيه فى شرحه لنهج البلاغه نقلاً عن كتاب عبقرية محمد للكتاب المصرى المعروف «العقاد» أن بنى هاشم كانوا دوماً معروفين

ص: ٣٦٦

١- (١). صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٤٣ و ١٤٤.

٢- (٢). مسند أحمد، ج ٣ ص ٨٠؛ مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٨٦.

بالفضائل الأخلاقية والقيم الإنسانية والعقيدة السليمة، بعكس بنى اميه المعروفين بالمكر وسوء الخلق، ونحن نرى هذا الاختلاف والتفاوت بين بنى هاشم وبنى اميه فى كافه الصفات الأخلاقية والمثل الإنسانية(١).

واللافت أنّ ابن أبى الحديد يذكر بحثاً مطوّلاً- من مائه صفحته تقريباً فى بيان هذه الفروقات، وفى الفصل الأول يتحدّث عن فضائل بنى هاشم بالمقارنه مع بنى اميه، أبناء عبدشمس، وفى الفصل الثانى يتحدّث عن الأمور التى يفتخر بها بنوأميه، وفى الفصل الثالث يجيب عن هذه الافتخارات المزعومه(٢).

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن طرح هذه الأدله التاريخيه القويه يتوجّه نحو القرآن الكريم ويستعرض آيتين شريفتين لإثبات حقانيه بنى هاشم ويقول: «وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» (٣) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» (٤)».

والإمام عليه السلام فى تفسير وتطبيق هذه الآيه يضيف: «فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقُرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ».

وفى الواقع أنّ الإمام عليه السلام فى ذكره هاتين الآيتين أوصد جميع الطرق على معاويه، فإن كان المعيار فى خلافه النبى الأكرم صلى الله عليه و آله القرابه له، فنحن أولى من الجميع بذلك لأننا أقرب للنبى صلى الله عليه و آله من سائر المسلمين، وإن كان المعيار هو المعرفه بتعاليم الرساله والطاعه للأحكام والأوامر الشرعيه وأوامر النبى الأكرم صلى الله عليه و آله فنحن أعرف من الجميع بذلك وأطوع له ولدينه من الآخرين، فى حين أنّ بنى اميه والأشخاص الآخرين الذين تربّعوا على كرسى خلافه النبى صلى الله عليه و آله لا يملكون مثل

ص: ٣٦٧

١- (١). فى ظلال نهج البلاغه، ج ٣، ص ٤٧١.

٢- (٢). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٥، ص ١٩٨-٢٩٥.

٣- (٣). سوره الأنفال، الآيه ٧٥.

٤- (٤). سوره آل عمران، الآيه ٦٨.

وهنا يفرض هذا السؤال نفسه، وهو: هل أنّ القرابه لوحدها تصلح أن تكون دليلاً على الأحقيته والصلاحيه لخلافه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟

الجواب: إنّ الإمام عليه السلام فى هذا الكلام ناظر إلى الاستدلال الذى طرحه أتباع الخليفه الأول فى سقيفه بنى ساعده، حيث استدّلوا بقرابته للنبي لإثبات أولويته للخلافه، فالإمام يقول: إذا كان هذا هو المعيار المقبول فنحن أقرب من الجميع لرسول الله عليه السلام، وبديهي أنّ المعيار الأصلى هو ما ذكره الإمام عليه السلام فى العبارة الثانيه وهو الطاعه والسير فى خط الامتثال للأوامر الإلهيه والتعاليم الرساليه، الطاعه المتولّده من العلم والإيمان، فالشخص الذى يكون أعرف من الجميع بدين النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويملك إيماناً أقوى من الآخرين، فإنّه جدير بالخلافه وتولّى هذا المقام، ولهذا نحن نرى أنّ الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أجدر وأليق من الجميع لإحراز هذا المنصب، وأعلى من ذلك أنّ الله تعالى بسبب هذه الامتيازات الفرديه واللياقات العاليه قد نصبه لهذا المقام واختاره إماماً للمسلمين.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لتوضيح أكثر عن هذه المسأله المذكوره آنفاً ويقول «وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (لما احتجّ الأنصار على المهاجرين لإثبات أحقيتهم لتولّى الخلافه يوم السقيفه برسول الله صلى الله عليه وآله) فَلَجُوا(1) عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بغيره فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ».

وفى الحقيقه أنّ الإمام عليه السلام يجب عن ادعاءات معاويه فيما يتصل بالخليفه الأول والثانى ويقول: ليس فقط أنّ بنى اميه لا يليقون بخلافه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لأنهم

ص: ٣٦٨

---

١- (١). «فَلَجُوا» من ماده «فَلَج» على وزن «فتح» بمعنى الانتصار والنجاح، و «فَلَج» على وزن «حرج» اسم مصدر بمعنى النصر، ومفرده «فلج» على وزن «خرج» تعنى الشق والفاصله بين شيئين وأحياناً يتسبب فى الشلل والقعود عن الحركة والمشى بشكل غير سليم.

ليسوا من المهاجرين وليسوا من الأنصار، بل من الطلقاء، أى المشركين الذين أطلقهم النبىُّ الأكرم صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة، فإنَّ الخلفاء الأوائل أيضاً واستناداً إلى كلامهم، غير جديرين لتولّى هذا المنصب، لوجود من هو أجدر منهم، فإن كان معيار اللياقة والجدارة، (وفقاً لاستدلالاتهم) القرابه للنبىِّ فإنَّ الإمام على عليه السلام هو أقرب منهم للنبى الأكرم صلى الله عليه وآله، فهو ابن عم النبىِّ وصهره، وإذا كان الآخرون يمثلون أغصان شجره النبوه فالإمام على عليه السلام هو ثمره هذه الشجره وكذلك الأئمه من أهل البيت عليهم السلام.

ومرّه أخرى نكرّر أنّ هذا الاستدلال فى الواقع هو بمسلّمات الخصم، والذي يعبر عنه فى المنطق بالاستدلال الجدلى، يعنى أنّ المتكلم يستند إلى مسلّمات الخصم ويخلع سلاحه منه.

## تأملان

### ١. قصه السقيفه المثيره!

يشير الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الرساله إلى قضيه سقيفه بنى ساعده المثيره التى تمّ تشكيلها لتعيين الخليفه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونحن ذكرناها مع استعراض المقاطع التاريخيه الحساسه استناداً للمصادر المعتمده فى ذيل الخطبه ٦٧ تحت عنوان «مسأله الخلافه وقصه سقيفه بنى ساعده» بشكل مفصّل وكشفنا اللثام عن هذه المؤامره العجيبه، وهنا نضيف عدّه نقاط:

الأولى: أنّ الطبرى فى تاريخه وابن الأثير فى الكامل صرّحاً بأنّ جماعه الأنصار اجتمعوا فى سقيفه بنى ساعده، فقالت جماعه منهم فى مقابل اقتراح عمر بالنسبه لبيعه أبى بكر: «لَمَّا بُيِعَ إِلَّا عَلِيًّا» (فى حين أنّ الإمام على عليه السلام وبنو هاشم ومنهم الزبير وكذلك جماعه أخرى من المهاجرين لم يكونوا حاضرين فى السقيفه، ويقول الطبرى بعد ذكر هذا الكلام: بعد ذلك توجه عمر لدار على وكان فيه طلحه والزبير

وجماعه من المهاجرين وقال: «وَاللَّهِ لَنُحْرِقَنَّ عَلَيْكُمْ أَوْ لَنُخْرِجَنَّ أَلَى التَّبِيعَةِ» (١).

ومن الأشخاص الذين اشتركوا مع عمر في هذا الهجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام أسيد بن خضير وسلمه بن أسلم (٢).

وجماعه اخرى من الأنصار سارعوا ببيعه أبي بكر عندما توجّهوا إلى بعض المقامات، منهم بشير بن سعد الذي كان من المشاورين للخليفة، والآخر أسيد بن خضير الذي تزعم الحرس في المدينة، والثالث سلمه بن أسلم الذي حصل على مقام المعاون لأسيد (٣).

## ٢. فضائل بني هاشم في عصر الجاهليّة والإسلام

تقدّم أنّ ابن أبي الحديد في ذيل هذه الرسالة ذكر بحثاً مفصّلاً (من مائه صفحة تقريباً) في بيان فضائل بني هاشم بالمقارنه مع نقاط الضعف والقصور لبني عبدشمس (عبدشمس هو والد امّيه).

منها: إنّ بني هاشم قدّموا للإسلام شهداء عظام كالإمام عليّ وحمزه وجعفر عليهم السلام، في حين أنّ في بني أميه أفراداً كالحكم بن العاص المعروف، بأنّه كان يسير خلف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ويقلد مشيته، فالتفت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ورآه ولعنه، وبعد ذلك لم يتمكّن من المشى بشكل سليم ومعتدل.

والآخر أنّ أحد المعاهدات الرائعه في عصر الجاهليه (حلف الفضول) وهي المعاهده التي عقدت من أجل الدفاع عن المظلومين وحمايه المستضعفين، وفي هذا المعاهده اشترك بنو هاشم وقبائل أخرى من العرب، ولكن لم يشترك أيّ فرد من عبدشمس فيها.

ص: ٣٧٠

١- (١). تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٤٣ (حوادث سنه ١١).

٢- (٢). سفينه البحار، ماده أسد.

٣- (٣). انظر: كتاب الإمامه والسياسه، ص ٩ وما بعدها.

والثالث، أنّ بني امية قد ارتكبوا في زمان الجاهليه أعمالاً شائنه لم يرتكبها أحد من العرب، منها أنّ اميه زوّج إحدى زوجاته لابنه أبي عمرو، في حين أنّ اسره بني هاشم لم تتلوّث بمثل هذه الأعمال السيئه.

وأيضاً كان لعبدالمطلب - وهو من رموز وأكابر بني هاشم - فضائل فريده، فقد حفر بئر زمزم وأدام منهج إسماعيل وهاجر، وأولى أهميته فاتقه لدم الإنسان حيث جعل لديته مائه من الإبل، فلمّا جاء الإسلام أمضى هذا الحكم، وعندما هجم جيش أبرهه على مكه، فرّت عامّه قريش من مكه، ولكنّ عبدالمطلب الذي كان في ذلك الوقت شاباً، قال: «وَاللّٰهِ لَأُخْرِجُ مِنْ حَرَمِ اللّٰهِ»، وهناك فضائل كثيره أخرى.

وللمزيد من الأطلاع، راجع شرح نهج البلاغه ابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٩٨ إلى ٢٩٥. وقد أشار ابن أبي الحديد في هذه الصفحات إلى بعض ما يزعم من مفاخر بني اميه ويجيب عنها.

\*\*\*

ص: ٣٧١





وَزَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسِدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغِيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجَنَائِبُ عَلَيْكَ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارُهَا

وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمُخْشُوشُ حَتَّى أَبَايَعُ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضِهِ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مِمَّا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ، وَلَمَّا مُرْتَابًا بِبِقِينِهِ! وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ فَضِيدُهَا، وَلَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

### الشرح والتفسير: هذه الأمور لا تخصك!

يتعرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرسالة إلى مقطع من كلام معاوية الخاوي والمهزوز، حيث ذكر في رسالته للإمام عليه السلام: «أنتك حسدت أبا بكر وامتنعت من بيعته وكذلك حسدت عمر وحسدت عثمان أكثر من الجميع وفضحت أعماله على الملأ وكنت شاكاً في دينه وعقله وفهمه للأمر...».

والإمام عليه السلام يردّ عليه هذه الإدعاءات الواهية ويقول: «وَزَعَمْتُ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسِدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغِيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجَنَائِبُ عَلَيْكَ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ وَتِلْكَ شَكَاةٌ (١) ظَاهِرَةٌ (٢) عَنْكَ عَارُهَا».

ص: ٣٧٣

١- (١). «شكاه» و «شكوا» و «شكاء» و «شكوى» في الأصل تعني المرض، ثم اطلقت على كل عيب ونقص، والشكايه تعني اظهار الألم والتظلم.

٢- (٢). «ظاهر» عندما تتعدى بحرف عن تعني الزوال والانتهاء، وجمله «ظاهر عنك عارها» تعني أن ذلك العار والعيب لا يصيبك ولا يتسبب إليك.

من هذا المنطلق يسحب الإمام عليه السلام البساط من تحت معاويه ويخرجه عن هذا الميدان، ويحسب ذلك نوعاً من الفضول والتدخل في أمور الآخرين، ويقول: إنني إذا كانت لدي مشكلة مع الخلفاء فيجب عليهم أو أبنائهم أن يدعوا مثل هذا الإدعاء، وأما أنت، فمن الطلقاء وقد قبلت بالإسلام مضطراً في آخر مرحله، في فتح مكة، فلا حق لك في التدخل في مثل هذه المواضيع.

ويستند الإمام عليه السلام في كلامه هذا إلى عجز بيت لشاعر عربي هو (أبو ذؤيب الهذلي) الذي كان أدرك عصر الجاهلية والإسلام، وعندما هاجر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى المدينة جاء إليه وأسلم على يده وصار من المسلمين الصالحين، وصدر البيت هو:

وَعَيَّرَهَا الْوَأَشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا

فيقول إن سعايه الواشين بحبه لها لا يعد عيباً، ولو كان هناك عيب وعار فهو بعيد عنك.

وهذا الشعر أضحى مثلاً يضرب به لمن يحسب أمراً سيئاً في حين أنه لا يرتبط به.

وجمله: «زَعَمْتَ» تعني أولاً: أن هذه النسبه التي تدعى أنني حسدت الخلفاء نسبه كاذبه وفريه واضحه، ولا سيما أنك زعمت في كلامك أنني شريك في قتل عثمان، والحال أنني كنت أذب عنه وأنهى الناس عن قتله، وثانياً: على فرض أن هذه النسبه صحيحه فهي لا تتعلق بك.

ويستمر الإمام عليه السلام في كلامه ويجب عن قسم آخر مما كتبه معاويه في رسالته:

«وَقُلْت: إِنِّي كُنْتُ أَقْبَادُ كَمَا يُقْبَادُ الْجَمَلُ الْمُخْشَوْشُ (١) حَيْثُ أُرْيَاعُ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمِيدَحْتِ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَأَفْتَضَحْتِ!»،

وهو إشاره إلى أنك أولاً: تعترف بأنني وقعت مظلوماً وأن الآخرين ظلموا حقّي

ص: ٣٧٤

---

١- (١). «المخشوش» في الأصل يقال للجمل الذي ثقب أنفه وادخل فيه جبل أو خشبه متصله بجبل، فعندما يسحب ذلك الجبل يميل هذا الحيوان معه حيثما مال، لأنه لا يستطيع مقاومه الألم الناشئ من جرّ هذا الجبل.

فى هذا المجال، فهذا يمثّل مدحاً لى وذمّاً للظالمين، وثانياً: أنّك أثبتت أنّ خلافهم لم تكن ياجماع الصحابه، فى حين أنّك تدافع عن مثل هذه الخلافه وقلت: أنّ الخليفه الأول أقرب إلى الله من الجميع وأعلى مكاناً، فكيف يمكن ذلك فى حين أنّه ارتكب ظلماً بحقّ أول مسلم وأقرب الناس للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأعلمهم بدينه وأشدّهم دفاعاً عن رسالته؟ وهذا التناقض فى كلامك دليل على خواء ادّعائك وضحاله فكرك.

ثمّ يضيف الإمام عليه السلام فى شرح هذا الكلام: «وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضِهِ (١) فِى أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكِّاً فِى دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً يَبْقِينَهُ!».

أجل، فالمصلحون والسائرون فى طريق الحقّ على إمتداد التاريخ وقعوا بسبب دفاعهم عن الحقّ وعدم استسلامهم وإذعانهم للظالمين، مورد الظلم والجور، وهذا يعدّ افتخاراً لهم.

وهذا يعنى أنّ هذا مثل هذه المظلوميه لو كانت عيباً فيجب أن تقول إنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله عندما جرح فى معركة أحد وكسرت ربايعته على يد أنصار أبيك وشقّت بطن حمزه من قبل أمك وأخرجت كبده ومضغته فى فمها، أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وحمزه عليه السلام يستحقّان الذمّ والتفريع وأنّ أباك ومشركى مكه وأمك هند جديرون بالمدح والتقدير!

ولكن هل يقبل أىّ عاقل مثل هذا الكلام؟ ولو تطلّعنا إلى ماضى التاريخ فإنّ الأنبياء الكبار إبراهيم ويحيى وزكريا والمسيح عليهم السلام وغيرهم وقعوا مورد الظلم والجور فى طريق الاستقامه والدفاع عن الحق والرساله الإلهيه.

وفى ختام هذا المقطع من الرساله يقول الإمام عليه السلام: «وَهَيْدِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ (٢) مِنْ ذِكْرِهَا».

ص: ٣٧٥

١- (١). «غضاضه» بمعنى النقصان والعيب، وهى من ماده «غض» وتعنى التنقيص والتقصير.

٢- (٢). «سنح» من «السnoch» على وزن «فتوح» بمعنى التذكر والفهم.

وهو إشاره إلى أنّ المخاطب الحقيقي لكلامى هذا، الخلفاء الذين أجبرونى على بيعتهم، ولكن بما أنّك قد طرحت هذه المسأله فرأيت من اللازم أن اجيب عنها بالمقدار اللازم.

\*\*\*

ص: ٣٧٤

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُمَانَ، فَلَمَّكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَيْدِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمِنْ بِيَدَلْ لَهُ نُصَيْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ اسْتَقْعَدَهُ، أَمْ مِنْ اسْتَنْصِرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدْرُهُ عَلَيْهِ. كَلَّا وَاللَّهِ لَ «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا». وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْتَقِمُ عَلَيْهِ أَحَدًا؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَأَذْنَبَ لَهُ.

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَا أَرَدْتُ «إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ».

### الشرح والتفسير: المقصر الأصلي في قتل عثمان

ينطلق الإمام عليه السلام في هذا المقطع من رسالته من موقع الإجابة عن أحد أوصاف معاويه ويقول: «ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُمَانَ، فَلَمَّكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَيْدِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى (١) لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ (٢)!» أَمِنْ بَدَلْ لَهُ نُصَيْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ (٣)

ص: ٣٧٧

١- (١). «أعدى» بمعنى أشد عداوه، وهي في الأصل من ماده عداوه.

٢- (٢). «مقاتل» جمع «مقتل» بمعنى محل القتل أو الموضع الخاص من بدن الإنسان الذي إذا أصيب فإنه يؤدي إلى موت الإنسان وقتله.

٣- (٣). «فاسْتَقْعَدَهُ» يستفاد من مجموع القرائن الموجوده في هذه العبارة أنّ ضمير الفاعل يعود إلى عثمان وضمير الفاعل يعود إلى الإمام عليه السلام يعني أنّ عثمان لم يقبل بدعم الإمام عليه السلام ودفاعه عنه، وكان قد طلب من الإمام عليه السلام أن يسكت ويجلس في مكانه ويترك الدفاع عنه، ولكن البعض عكسوا هذا المعنى وقالوا: إنّ الإمام عليه السلام طلب من عثمان أن يجلس ويترك السلوكيات الخاطئه ويستجيب لمطالب الناس، ولكن هذا المعنى بعيد، فعندما ندقق في فاء التفرع في «فاسْتَقْعَدَهُ» نرى أنّ المعنى الأول أقرب وأوضح.

وَاسْتَكْفَهُ، أَمْ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونَ (١) إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ».

إنَّ تاريخ الإسلام يشهد بأنَّ هذه التهمة التي نسبها معاوية للإمام عليّ عليه السلام بأنَّه شارك في دم عثمان أو لم يدافع عنه بالمقدار اللازم، هي تهمة واهية وكذب وافتراء محض، افتراها معاوية لخداع الناس والتعمية على أفكارهم، ومن هذه الجهة استخدم قميص عثمان الدامي لإثاره أحاسيس الجهلة والغوغاء ضدَّ الإمام عليّ عليه السلام، والحال أنَّ الإمام عليّ عليه السلام نصح عثمان مراراً ودعا لإصلاح أخطائه وتعديل سلوكياته وعدم تقسيم بيت المال بين بنى أميه ومَنْ لَفَّ لفهم وعدم تقليد المراكز الحساسه في الحكومه الإسلاميه، وأن يصغى لنداءات المحرومين، ولكن للأسف لم يقبل عثمان بكلّ هذه النصائح، بل أنَّ الإمام عليّ عليه السلام عندما هجمت الجماهير الغاضبه على بيت عثمان أرسل أبناءه للدفاع عنه.

في حين أنَّ معاوية لم يتقدّم خطوه للدفاع عن عثمان مع أنَّ عثمان كان قد كتب إليه رساله يطلب منه إرسال قوّه خاصه من الشام إلى المدينه للدفاع عنه.

واللافت أنَّ معاوية عندما تربّع على كرسىّ الخلافه، ذكروا أنَّه لم يكن أحد أحبَّ إلى معاوية أن يلقاه من أبى الطفيل الكنانى: وهو عامر بن واثله، كان فارس أهل صفين، وشاعرهم، وكان من أخصّ الناس بعليّ كرم الله وجهه، فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر معاوية بقدمه، فأرسل إليه، فأتاه وهو شيخ كبير، فلما دخل عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عامر بن واثله؟ قال نعم، قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين، قال: لا، ولم أكن ممّن شهده

ص: ٣٧٨

١- (١). «بث» فى الأصل بمعنى نشر وفرق و «منون» بمعنى الموت، وعلى ضوء ذلك فإنّ جملة «بثّ المنون» يعنى وفرّ أسباب الموت.

فلم ينصره، قال: ولم؟ قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار، فقال معاوية: أما والله! إن نصرته كانت عليهم حقاً واجباً، وفرضاً لازماً، فإذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم.

فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين (يعنى معاوية) إذ تربصت به ريب المنون أن تنصره ومعك أهل الشام؟ قال معاوية: أو ماترى طلبى بدمه، فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكنى وإياك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أَلْفَيْتَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِيؤِي فِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي (١)

ثم يتحدث الإمام عليه السلام للتأكيد ولتوضيح ما تقدم من كلامه السابق من عدم استجابه معاوية لدعوه عثمان لنصرته، والآن يلقي باللائمة على الآخرين في عدم الدفاع عنه ويقول: «كَلَّا وَاللَّهِ لَ «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ (٢) مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا» (٣).

ونعلم أن هذه الآية نزلت في شأن طائفتين من المنافقين، إحداهما اجتنبت الجهاد والقتال في معركة الأحزاب ودعوا الآخرين لاجتناب الدخول في الحرب، والأخرى الذين قالوا لإخوانهم من المسلمين هلم إلينا ولا تقحموا أنفسكم في هذا الخطر، هؤلاء لم يكونوا من أهل الجهاد والقتال الأعداء ولا يشتركون في مواجهه قوى الكفر والشرك إلهانادراً ومن موقع الإكراه وعدم الرغبة.

ويحتمل أيضاً أن هذه الآية الشريفة لا تشير إلى وجود طائفتين من المنافقين، بل تتحدث عن حاله طائفه معينه تعيش حالتين، أى تشير إلى تلك الطائفه من المنافقين الذين عندما يكونون في صف المجاهدين في ميدان القتال يمتنعون من الحرب والجهاد، وعندما يتخلفون عن الميدان يدعون الآخرين للتخلف معهم وعدم

ص: ٣٧٩

١- (١). الإمامه والسياسه، ج ١، ص ٢١٤.

٢- (٢). «المعوقين» من ماده «عَوَّق» على وزن «فوق» بمعنى المنع والانصراف عن عمل معين، و «عائق» تعنى «المانع» و «معوق» بمعنى ما يمنع من الشىء.

٣- (٣). سوره الأحزاب، الآية ١٨.

على أيه حال فإنّ استشهاد الإمام عليه السلام بهذه الآية الشريفه إشاره إلى أنّك (معاويه) إذ تستخدم أساليب الدجل والتمويه أمام الناس فيما يتصل بحادثه قتل عثمان، فإنّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء، وأنّه يعلم أنّ عثمان طلب منك النصره ولكنك لم تتقدّم خطوه في هذا السبيل (بل كنت مسروراً لمقتله) لعلّ الخلافه تصل إليك.

ومعلوم أنّ معاويه السياسى المحترف كان يعلم أنّ المهاجرين والأنصار إذا التزموا الصمت مقابل ثوره الناس ضدّ عثمان ولم يتحرّكوا على مستوى الدفاع عنه، فإن تدخل في هذا الشأن وجاء مع جيشه للدفاع عن عثمان، فسيكون وجهاً لوجه مع المهاجرين والأنصار، وهذا المعنى يكلفه غالباً في المستقبل، ولهذا السبب لم يهتم بدعوه عثمان لنصرته، رغم أنّه بحسب الظاهر كان واليه وامتكافاً معه.

وهنا ربّما يثار هذا السؤال، وهو أنّ الآية الشريفه المذكوه أعلاه (لآيه ١٨ من سوره الأحزاب) التي تتحدّث عن موقف المنافقين في مقابل النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله ربّما تحسب مدحاً ضمّياً لعثمان، لأنّ الإمام عليه السلام في هذا الكلام شبّهه بنبي الإسلام صلى الله عليه وآله.

ولكنّ العبارات اللاحقه تشير إلى أنّ هذا التشبيه ناظر فقط لتشبيه معاويه بالمنافقين، وبيان آخر أنّ التشبيه هنا من طرف واحد، لأنّ الإمام عليه السلام في سياق كلامه يقول: «وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أُنَى كُنْتُ أَنْتَقِمُ (١) عَلَيْهِ أَحْدَانًا (٢)؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مُلُومٍ لَأَذُنُّبٍ لَهُ. وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ (٣) الْمُتَنَصِّحُ (٤)»، والأحداث تعنى البدع التي ارتكبتها عثمان في تقسيم بيت المال ووضع مقاليد

ص: ٣٨٠

١- (١). «انقم» من ماده «نقم» على وزن «قلم» في الأصل بمعنى إنكار الشيء. ثم استخدمت بمعنى الإنتقام والانتقاد، وفي هذا المورد جاءت بالمعنى الثانى.

٢- (٢). «أحداث» جمع «حدث» على وزن «عبث» وتعنى كل شيء جديد، وتأتى بمعنى البدعه، وجاءت هنا بهذا المعنى الأخير.

٣- (٣). «الظنّه» بمعنى التهمه من «الظنّه»، بمعنى إساءه الظن.

٤- (٤). «المتنصّح» تعنى الشخص الخير والذى ينصح الآخرين بكثره.



الأمر في الحكومه الإسلاميه بيد الانتهازيين وغير الجديرين، فيقول الإمام عليه السلام أنه لا لوم عليّ من إرشادي وهدايتي له ولو لامني أحد فأني أفتخر به.

ويقول الإمام عليه السلام في ختام كلامه: «وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْأَصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ، وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ إِلَيْهِ أُنِيبُ» (١).

ولا شكّ في أنّ الإمام عليه السلام كان من الأشخاص المعدودين الذين رفضوا قتل عثمان ونهوا الناس عن ذلك، وقد أرسل ولديه (الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام) للدفاع عنه (٢).

وجاء في تاريخ ابن عساکر: عن داود بن حصين عن عكرمه عن ابن عيّاس قالوا: بعث عثمان بن عفّان المسور بن مخرمه إلى معاويه يعلمه أنه محصور ويأمره أن يبعث إليه جيشاً سريعاً يمنع عنه، فلما قدم على معاويه وأبلغه ذلك ركب معاويه نجائبه ومعه معاويه بن خديج ومسلم بن عقبه، فسار من دمشق إلى عثمان عشراً فدخل المدينة نصف الليل فدقّ باب عثمان فدخل فأكبّ عليه فقبّل رأسه فقال عثمان: فأين الجيش؟ فقال معاويه: لا والله ما جئتكم إلّا في ثلاثه رهط، فقال عثمان: لا وصل الله رحمك ولا أعزّ نصرك ولا جزاك عنّي خيراً، فوالله ما اقتل إلّا فيك ولا ينقم عليّ إلّا من أجلك.

فقال معاويه: بأبي أنت وأمي لو بعثت إليك جيشاً فسمعوا به، عاجلوك فقتلوك قبل أن يبلغ الجيش إليك، ولكن معي نجائب لا تساير ولم يشعر بي أحد فاخرج معي، فوالله ما هي إلّا ثلاث حتّى ترى معالم الشام، فإنّها أكثر دار الإسلام رجلاً وأحسنه فيك رأياً، فقال عثمان: بشس ما أشرت، وأبي أن يجيبه إلى ذلك.

فخرج معاويه إلى الشام وقدم المسور يريد المدينة فلقى معاويه بندي المروه راجعاً إلى الشام، فقدم المسور على عثمان وهو ذام لمعاويه غير عاذر له، فلما كان

ص: ٣٨١

١- (١). سورة هود، الآية ٨٨.

٢- (٢). الإمامه والسياسه، ج ١، ص ٥٩؛ تاريخ مدينة دمشق، ج ٣٩، ص ٤١٨.

فى حصره الآخبر بعث المسور أيضاً إلى معاويه فأغذ السير حتى قدم عليه فقال: إن عثمان بعثنى إليك لتبعث إلى الرجال والخيول وتنصره بالحق وتمنع عنه الظلم، فقال معاويه: إن عثمان أحسن فأحسن الله به، ثم غير فغير الله به، فشدت عليه، وقال:

يامسور تركتم عثمان حتى إذا كانت نفسه فى حنجرته قلت: إذهب فادفع عنه الموت، ليس ذلك بيدي، ثم أنزلنى فى مشربه على رأسه فما دخل على حتى قتل عثمان»(١).

وجاء فى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ٣٥ الهجرية أن الثوار حاصروا دار عثمان محاصره شديده وقطعوا عنه كل مدد حتى الماء، «وَقَدْ كَانَ يَدْخُلُ بِالشَّيْءِ مِمَّا يُرِيدُ»(٢) أى كان على عليه السلام يأتيه بما يريد من الأمور.

ويذكر الطبرى أيضاً فى هذا الكتاب: أن الناس عندما منعوا الماء والغذاء عن عثمان سخط على عليه السلام بشده وقال لهم: يأيها الناس إن الذى تعملون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، لا تقطعوا عن هذا الرجل الماده، فإن الروم وفارس عندما تؤسر تطعم وتسقى، وما تعرض لكم هذا الرجل بما تستحلون حصره وقتله؟(٣).

ويضيف الطبرى بعد نقله لهذا الكلام: عندما عزم المسلمون على مهاجمه عثمان منعهم من ذلك الحسن بن على... ومن كان معه من أبناء الصحابه(٤).

ولكن بما أن الإمام عليه السلام كان قد انتقد عثمان مراراً عديده قبل هذه الحادته بسبب سوء أعماله، ونصحه مراراً أن يكف عن تلك التصرفات الشائنه ويحضر أمام الناس ويستمع ويستجيب لمطالبهم الحقّه، فهذه الأمور أضحت فيما بعد ذريعه بيد معاويه وأمثاله بأن الإمام عليه السلام كان يثير الناس ضد عثمان، فيقول الإمام: إذا كان الإرشاد والنصيحه ذنباً (والحال أن مثل هذا الإرشاد يعدّ مصداقاً بارزاً للأمر بالمعروف

ص: ٣٨٢

١- (١) . تاريخ مدينه دمشق، ج ٣٩، ص ٣٣٧.

٢- (٢) . تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٤١٦ إلى ٤١٨.

٣- (٣) . المصدر السابق.

٤- (٤) . المصدر السابق.

والنهي عن المنكر) فَإِنِّي أَعْتَرَفُ بِهَذَا الذَّنْبِ، ولكن لا أحد من المؤمنين يعتبر ذلك ذنباً، بل هو فريضة من فرائض الإسلام.

والجدير بالذكر أنّ جملة «رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ» هو مثل عربي معروف ويقال إنّ أوّل من نطق بهذه الكلمة «أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي».

وجمله: «وَقَدْ يَشْتَفِيهِ الظَّنُّ الْمُتَنَصِّحُ» تعني أنّ الشخص أحياناً يصرّ كثيراً على تقديم النصيحة إلى أن يكون متّهماً، وهذه العبارة عجز بيت شعر و صدره: «وَكَمْ سُقْتُ فِي آثَارِكُمْ مِنْ نَصِيحِهِ» وقيل إنّ هذا الشعر قاله شاعر يدعى الرياشي (١).

\*\*\*

ص: ٢٨٣

---

١- (١). شرح نهج البلاغه للعلامة التستري، ج ٩، ص ٦١١.



وَذَكَرَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا ضِيحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَيْنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ  
وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ

فَلَبَّثْتُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرَقَّلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ،  
شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَيَاطِعُ قَتِيَامُهُمْ، مُتَسَدِّدِينَ سِرَابِيلَ الْمَوْتِ؛ أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَدَّحَتْهُمْ ذُرِّيَّةُ يَدْرِيَّةٍ، وَسَيُؤَفِّ  
هَاشِمِيَّةٍ، قَدْ عَرَفَتْ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ».

### الشرح والتفسير: تهددني بالحرب!

يشير الإمام عليه السلام في هذا المقطع من رسالته، وهو المقطع الأخير، إلى إحدى عبارات معاوية في رسالته له عليه السلام  
حيث يهدده فيها بالحرب، ويقول الإمام عليه السلام:

«وَذَكَرَتْ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا ضِيحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ (١)! مَتَى أَلْفَيْتَ (٢) بَيْنِي عَبْدَ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ  
نَاكِلِينَ (٣)، وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ، فَ لَبَّثْتُ قَلِيلًا

ص: ٣٨٥

١- (١). «استعبار» من ماده «عبر» على وزن «ابر» بمعنى البكاء وذرف الدموع.

٢- (٢). «الفيت» من «الإلقاء» بمعنى العثور على الشيء فجأه.

٣- (٣). «ناكلين» جمع «ناكل» وهو الإنسان الضعيف والجبان الذي يتراجع عن العمل المقرّر، من «النكول» ويعنى الخوف  
والتراجع.

وجمله: «لَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ» تعتبر مثلاً للشخص الذى يتحدث بكلام متين وبعبارات قوية إلا أنه فجأه يقول كلاماً واهياً وسخيفاً، لأن تهديد الإمام على عليه السلام وبنى هاشم وعبدالمطلب بالحرب ممّا يضحك الثكلى، فهؤلاء رجال الميدان وأبناء السيف وأصحاب إقدام وصوله فى ميدان القتال، وأنت من جملة المهزومين فى معركة بدر والأحزاب وفتح مكة، ويشهد تاريخ الإسلام أنك من الأشخاص الضعفاء والجنباء، ألا- يكون تهديدك لى بالحرب مضحكاً؟ والجدير بالذكر أنّ جملة: «لَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ» تؤكد على هذه النقطة، وهى أنّ الشخص إذا كان يضحك لبعض الأمور العاديه فهذا ليس بالأمر المهم والمثير، ولكن الشخص الذى يعيش البكاء ويذرف الدموع، لو ضحك فى هذه الأثناء من كلمه أو عباره، فيتبين أنّ هذه الكلمه مضحكه جداً.

وجمله: «لَبَّثُ قَلِيلاً يَلْحَقُ الْهَيْجَاءُ حَمَلٌ» عجز بيت صدره «ما أحسن الموت إذا الموت نزل».

ويعتبر هذا البيت مثلاً معروفاً لدى العرب، وأصله أنّ رجلاً من قبيله «قشير» ويدعى «حمل بن بدر» كانت له إبل نهبت فى إحدى الحروب فى عصر الجاهليه، وكان هذا الرجل شجاعاً، فجاء ليلاً إلى هؤلاء الأعداء وأغار عليهم واستعاد إبله وقال هذا الشعر، ويعنى أنك اصبر قليلاً فسيأتى حمل إلى الميدان، وهو لا يبالى بالموت، لأن الموت جميل دفاعاً عن الشرف.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يواصل كلامه ويهدّد معاويه بعبارات حاسمه وكلمات فى غايه الفصاحه والبلاغه ويقول: «فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَشْتَبِعُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ يَاحْسَانَ».

وهو إشاره إلى أننى سأقدم عليك فى طائفه من المقاتلين الذين أدوا امتحانهم

فى الغزوات الإسلاميه، وهم ثلاثه طوائف: المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، ولكنَّ الأشخاص الذين يتبعونك ويأتون معك للميدان هم المهزومون فى غزوات الإسلام وأبناءؤهم ممن يعيشون لحدِّ الآن رواسب الجاهليه ويسيرون فى خطِّ الوثنيه والضلاله وحبِّ الدنيا.

وجمله: «مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ» مقتبسه من الآيه الشريفه: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ فِي ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»(١).

ثم إنَّ الإمام عليه السلام يصف أنصاره وأصحابه بأوصاف دقيقه وكلمات بليغه ويقول:  
أولاً: «شَدِيدِ زِحَامُهُمْ».

ثم يقول عليه السلام: «سَاطِعِ قَتَامُهُمْ»(٢)، أى أنَّ غبارهم أثناء الحركه يغطى الأجواء ويمنع رؤيه الأفق.

وفى الوصف الثالث يقول: «مُتَسَرِّبِلِينَ»(٣) سَرَابِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ».

وفى الوصف الرابع يقول: «وَقَدْ صَيَّرْتَهُمْ ذُرِّيَّةَ بَدْرِيَّةٍ وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةٍ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا»(٤) فى أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ».

فى هذه الأوصاف الأربعة ذكر الإمام عليه السلام ما ينبغى ذكره فى المقام، فهو من جهه ذكر إيمانهم بالله وعشقهم للشهاده ولقاء ربهم، حيث تعدَّ هذه الحاله من أهم

ص: ٣٨٧

١- (١) . سورة التوبه، الآيه ١٠٠.

٢- (٢) . «قتام» بمعنى الغبار.

٣- (٣) . «مُتَسَرِّبِلِينَ» فى الأصل من «سربال» وهو الثوب، ومتسربل يقال للشخص الذى يرتدى ثوباً، وهنا يشبه الإمام عليه السلام الشهاده بالثوب الذى يرتديه المحاربون من جيشه على أبدانهم، وهو ثوب الافتخار والزينه.

٤- (٤) . «نصال» جمع «نصل» على وزن «نسل» ويعنى رأس السهم أو ذؤابه السيف.

المحفّزات للجهاد فى سبيل الله تعالى، والآخر سابقتهم المنيره فى الإسلام من قبيل مساهمتهم فى معركة بدر والتصدي لأعداء الإسلام بسيف هاشميه، أضف إلى ذلك ما التحق بهم من أعداد غيره من المؤمنين، والحقيقه أنّ تعبيرات الإمام عليه السلام فى هذه الرساله تعدّ من أفصح وأبلغ العبارات وأشدّها قوّه وحسماً.

وجمله: «مُرُقَاتٌ» تدل على سرعه الزحف و «جَحْفَلٌ» تطلق على الجيش العظيم الذى يشارك فيه الكثير من الفرسان، وكلمه «سَاطِعٌ قَتَامُهُمْ» تشير إلى أنغبارهم قد ملأ الخافقين، وكلّ ذلك إشاره إلى أنّ هذا الجيش سيأتىك مسرعاً إلى الميدان ولا يوجد أى تردّد فى نياتهم ولا شكّ فى غاياتهم، بل يتحرّكون باتّجاه ميادين الجهاد بعزم راسخ وعشق للشهاده فى سبيل الله تعالى.

وكلمه: «ذُرِّيَّةٌ يَدْرِيَّةٌ» تعنى أنّ هؤلاء أبناء البدرين، وهم الذين اشتركوا فى معركة بدر وكأنّ هؤلاء قد تربّوا فى ذلك الميدان، ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يضمّ الكثير من مجاهدى معركة بدر، فهذه العبارة مطابقيه للواقع تماماً، وذهب بعض أنّ مفاد هذا العبارة أنّ جيش الإمام عليه السلام يضمّ جماعه من أبناء المحاربين فى معركة بدر، فى حين أنّ هذا التفسير لا ينسجم مع سياقات كلام الإمام عليه السلام.

والمراد من «أخيك»؛ هو أخ معاويه: حنظله بن أبى سفيان، ومقصوده من «خالك»؛ الوليد بن عتبه خال معاويه، والمقصود من «جِدِّكَ»؛ جدّ معاويه لأمه وهو عتبه بن ربيعه، ومراده من «أهلك»؛ اسره معاويه وهم جماعه من أبناء عمومته الذين اشتركوا مع قوى الكفر والشرك فى معركة بدر ضدّ النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله والإسلام.

وجمله: «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» مقطع من آيه ٨٣ من سوره هود، وتشير إلى العذاب الأليم الذى ينتظر قوم لوط، وهم القوم الذين كانوا أشدّ من جميع الأتوام المشركه عذاباً، لأنّ الله تعالى قلب مدنهم وقراهم عاليها سافلها ثمّ أمطر عليهم حجاره من سجيل، تقول الآيه الشريفه: «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا



وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سَجِيلٍ مَّنْضُودٍ \* مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ (١).

والجدير بالذكر أنّ نصر بن مزاحم ينقل في كتابه صفين أنّ سعيد بن قيس الصحابي المعروف قام يوماً بين أصحابه وخطب فيهم وقال: «إنّ أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا، وفي حيزنا، فوالله الذي هو بالعباد بصير أن لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً - إلّا أنّ معنا من البدرين سبعين رجلاً لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا وتطيب أنفسنا، فكيف وإنما رئيسنا ابن عم نبيّنا، بدرى صدق، صلى صغيراً وجاهد مع نبيّكم كبيراً، ومعاويه طليق من وثاق الاسار، وابن طليق، إلما أنّه أغوى جفاه فأوردتهم النار، وأورثهم العار، والله مُجِلّ بهم الذلّ والصغار..» (٢).

### تأمل: مدين في لباس دائن!

هناك مثل معروف منذ القديم يقول: «إذا أردت أن لا تقع مديناً فكن دائناً» ومعاويه من الأشخاص الذين استخدموا هذا المثل بكثرة، وتعتبر رسالته للإمام عليه السلام هذه «وتقدّم آنفاً رساله الإمام عليه السلام له جواباً عليها» مصداقاً بارزاً لهذا المثل، لأنّ معاويه في حين ارتكابه للكثير من السلوكيات الخاطئه، ومع سوء سابقته في الإسلام، أخذ يتبرّج بالحقّانيه ويكتب للإمام عليه السلام رساله فيها الكثير من المطالبه بالحقّ.

ولو استطلعنا قائمه سوابقه الاجتماعيه والأخلاقيه وتصرفاته السيئه في مسيرته في خط الضلاله، لرأينا:

١. من حيث الأسره، فإنّ معاويه يتمتّع بوضع غريب، فوالده أبوسفيان العدوّ الأول للإسلام، وهو العامل الأساس لإشعال نار الحروب ضدّ المسلمين، وأمّه هند

ص: ٣٨٩

١- (١). سوره هود، الآيتان ٨٢ و ٨٣.

٢- (٢). صفين، ص ٢٣٦.

المعروفه بأكله الأكياد، المرأه التي جاءت إلى ميدان القتال في معركة أحد وشقت بطن حمزه بن عبدالمطلب عليه السلام وأخرجت كبده ولاكته.

٢. من حيث الإيمان بالإسلام فإن معاويه أسلم في آخر مرحله من الدعوه، يعنى في سنه فتح مكه، وتحت عوامل الإكراه، حيث أعلن هو وأبوه الإسلام ظاهراً.

٣. امتنع من البيعه لإمام المسلمين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي بايعه المهاجرون والأنصار وجمهور عظيم من المسلمين.

٤. رفع لواء المخالفه ضدّ الحكومه الإسلاميه بذريعه الطلب بدم عثمان وجمع حوله مجاميع كثيره من المنافقين والمطرودين في زمان النبي الأكرم صلى الله عليه و آله.

٥. جعل من بيت مال المسلمين وسيله لتحقيق مآربه ومطامعه، فبنى قصرًا عظيمًا كقصر القياصره والملوك، ووزع أموال بيت المال على وضاع الأحاديث ورؤساء القبائل والأشخاص المتملقين والمتزلفين.

٦. لم يمتنع من سفك دماء الأبرياء، فكان أن قتل محمد بن أبي بكر الرجل الصالح ومالك الأشتر القائد الإسلامي الفذ، وعمار بن ياسر الصحابي المعروف والمقرب للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله، وكان يأمر جيشه بالإغاره على حدود العراق والقرى والقصبات العراقيه ويقتل الكثير من الأبرياء.

٧. بالرغم من تقصيره في الدفاع عن عثمان، ومع طلب عثمان النصره منه، إلا أنه نصب نفسه ومطالباً بدمه وأخذ يطالب بالتأثر له.

وهكذا نرى أنّ معاويه على الرغم من هذه الأعمال، يتحدّث في رسالته للإمام عليه السلام بوصفه دائناً لا مديناً، فمن جهة ينبى للدفاع عن أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه و آله والمهاجرين والأنصار ويتحدّث عن أنّ ظهور النبي الأكرم صلى الله عليه و آله وبعثته هبه إلهيه عظيمه للناس، وأنّ الإمام عليه السلام كان مقصيراً في نصره الصحابه، ومن جهة أخرى يتهم الإمام عليه السلام بالمشاركه في دم عثمان، ومن جهة ثالثة يقول إنّ بيعه الإمام عليه السلام للخليفه الأول من موقع الإكراه تعدّ منقصه ومذمه.

ولكنّ الإمام عليه السلام فى جوابه على هذه الأقاويل أجاب عنها بعبارات حاسمه وبلغه جدّاً وأجهض سعى معاويه فى التشويش على الذهنيه العامه، وألفت نظره إلى ما كان عليه هو وأسرته فى زمان النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ومشاركته هو وأقرباؤه من بنى اميه ضدّ الإسلام والنبى فى معركة بدر، ومقتل الكثير من أرحامه بيد جنود الإسلام، وقال له بصراحه: إنّ ثناءك على النبى صلى الله عليه وآله وبيان أهميه بعثته لشخص مثل على بن أبى طالب إنّما هو من قبيل «حمل التمر إلى هجر»، ثمّ بين الإمام عليه السلام تقصير معاويه فى نصره عثمان، ورسم بعبارات جليّه وبلغه حدود ومعالم اسره بنى هاشم وبنى اميه فى الجاهليه والإسلام، وجدارته لمقام الخلافه بعد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بالأدله والبراهين الجليّه والقاطععه، ويقول بالنسبه لبيعه لأبى بكر، أنّك أردت الذمّ ولكنك مدحت من حيث لا تشعر، وأخيراً أجابه عن تهديده بالحرب وقال له: إنّ تهديدك مضحك ولا معنى له بالنسبه لشخص هو وليد الحرب وقد تربى وترعرع فى ميادين القتال والجهاد.

ومن مجموع ما تقدّم من شرح هذه الرساله، وكما أشرنا إلى ذلك سابقاً، أنّ هذه الرساله للإمام عليه السلام، كما يؤكّد شرح نهج البلاغه أيضاً، تعتبر من أروع الرسائل والكتب التى تبين أهداف الإمام عليه السلام وترسم آفاق رؤاه ومواقفه بأفضل وجه.

\*\*\*

إلى أهل البصره (١)

### نظرة إلى الرسالة

كما أوردنا في بيان سند هذه الرسالة في الهامش، أنّ هذه الرسالة ترتبط بالفتنه التي أثارها معاوية في البصره، والقصه بشكل مختصر كالتالي: إنّ بعض أتباع معاوية بعد استيلاء عمرو بن العاص على مصر ومقتل محمّد بن أبي بكر قالوا له:

إبعث رجلاً إلى البصره لإخراجها من ولايه عليّ بن أبي طالب، فقبل معاوية بهذا الاقتراح ووافق على ذلك. ونقل صاحب كتاب الغارات هذه الواقعة بهذا الشكل:

ص: ٣٩٢

١- (١). سند الرسالة: تتعلق هذه الرسالة بالفتنه التي أشعل فتيلها معاوية في البصره بواسطة شخص يدعى ابن الحضرمي، وغايته من ذلك التسلط على البصره حيث أمر معاوية باستغلال الأحقاد المترسبه لدى أهل البصره من المهزومين في معركة الجمل وكذلك استغلال قضيه مقتل عثمان بن عفان لتثوير الناس في البصره واخراجها من دائره حكمه أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن لم يحالفهم التوفيق، حيث قتل ابن الحضرمي في هذه الوقعه، وقد ذكر الوقعه «إبراهيم الثقفي» في كتابه المعروف الغارات، وبعد أن هدأت هذه الفتنة أرسل الإمام عليه السلام هذه الرسالة إلى أهالي البصره بواسطة بعض أصحابه، وينبغي الالتفات إلى أنّ كتاب «الغارات» تمّ تأليفه قبل السيد الرضي، ومن هنا فإنّه اقتبس هذه الرسالة من مصدر آخر غير نهج البلاغه. (وصاحب هذا الكتاب إبراهيم بن هلال الثقفي المتوفى في سنة ٢٨٣) (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٧٩).

«بعد مقتل محمّد بن بكر واستيلاء عمرو بن العاص على مصر، سيّر معاوية عبد الله بن الحضرمي إلى البصره وقاله له: إنّ جلّ أهلها يرون رأينا في عثمان، وقد قتلوا في الطلب بدمه، فهم لذلك حانقون، يودّون أن يأتهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بشأهم ودم إمامهم، فانزل في مضر وتودّد الأزدي، فإنهم كلهم معك، ودع ربيعه فلن يتحرّف عنك أحد سواهم، لأنهم كلهم ترايبه فاحذرهم، فسار ابن الحضرمي حتّى قدم البصره، وكان ابن عباس قد خرج إلى الكوفه (ليعزّي أمير المؤمنين عليه السلام باستشهاد محمّد بن أبي بكر) واستخلف زياد بن أبيه على البصره، فلما وصل ابن الحضرمي إلى البصره نزل في بني تميم.

فرفع ذلك ابن عباس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فشاع في الناس بالكوفه ما كان من ذلك،.. ثمّ إنّه عليه السلام دعا أعين بن ضبيعه المجاشعي وقال له: يا أعين ما بلغك أنّ قومك وثبوا على عاملي مع ابن الحضرمي بالبصره يدعون إلى فراقى وشقاقى ويساعدون الضلال الفاسقين عليّ؟.

فقال أعين: لا تستأ يا أمير المؤمنين ولا يكن ما تكره، ابغثنى إليهم فأنا لك زعيم، فنجح أعين تقريباً في مهاجمه ولكنّه لما أوى إلى رحله تبعه عشره نفر يظنّ أنّهم خوارج، فضربوه بأسيافهم فقتلوه، ولتّى وصل خبر استشهاده إلى أمير المؤمنين عليه السلام، دعا عليه السلام جاريه بن قدامه (صاحب الكلمه النافذه) وكتب معه كتاباً فقال له: يا ابن قدامه إقرأه على أصحابك، وما جاء في نهج البلاغه سوى قسم من رساله الإمام عليه السلام إلى الناس.

انهزم المخالفون والتجأ ابن الحضرمي إلى دار، فأحرقها ابن قدامه عليه وعلى أنصاره، فهلكوا جميعاً وخمدت نار الفتنة (1).

\*\*\*

ص: ٣٩٣

وَقَدْ كَانَ مِنْ انْتِشَارِ حَيْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ. فَإِنْ خَطَبْتُ بِكُمْ الْأُمُورَ الْمُرْدِيَّةَ، وَسَيِّفُهُ الْأَسْرَاءِ الْجَائِرَةَ، إِلَى مُنَابَذَتِي وَخَلْمَا فِي، فَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي. وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقَعَهُ لَيَكُونَ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْعَمَهُ لَاعِقِي؛ مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِيذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِيذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مَتَّهَمًا إِلَى بَرِيٍّ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ.

### الشرح والتفسير: إطفاء نار الفتنة في البصرة

ينطلق الإمام عليه السلام في هذه الرسالة القصيره والزاخره بالمضمون العميق والدقيق، من موقع العمل على إطفاء نار الفتنة التي أثارها معاويه في البصرة، وذلك استناداً إلى أصلين: الأول: التهديد الجدي والأكيد لمن يتحرك على مستوى نقض البيعه والعهد، ويذكرهم أنهم إذا لم يتركوا تأمرهم ويتخلوا عن الفتنة فإنه سيأتي إليهم بجيش كبير وسيقمعهم كما قمعهم في معركة الجمل، ثم يتحدث عن أصل الرحمة والرفاه بالنسبة للأشخاص الذين التزموا بالوفاء للإمام عليه السلام أو أظهروا الندم على أفعالهم السابقة، ويبشّرهم بأن أموالهم ونفوسهم وأعراضهم ستكون في أمن وأمان من التعرض للخطر.

وبدايه يقول الإمام عليه السلام: «وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْتِشَارِ حَيْلِكُمْ (١) وَشِقَاقِكُمْ (٢) مَا لَمْ تَعْبُوا (٣) عَنْهُ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ».

والحقيقه أنّ الإمام عليه السلام بهذا الكلام يعمل على إبطال حيله معاويه وإجهاض تأمره هو وأتباعه، فقد كان معاويه عازماً على إثارة أهالي البصره ضدّ الإمام عليه السلام بتذكيرهم بمعركة الجمل، ولكنّ الإمام عليه السلام بتذكيرهم بنتائج هذه المعركة عمّل على إطفاء نار الفتنة والفساد، وقال لهم: أنكم كنتم أهل الشقاق وقد تحرّركم في خطّ التمرد والثوره ضدّ الخلافه الإسلاميه، ولكن بعد أن حلّت بكم الهزيمه لم أصدر الأمر بقتلكم، ولم أسمح بتعقب الهاربين منكم، وأصدرت العفو العام عنكم وصفححت عن المجرمين منكم، وقبّلت الأشخاص الذين جاءوا إلّي نادمين وطويت صفحه الماضي، وتناسيت ما ارتكبه من أعمال، وعلى هذا الأساس فينبغي أن تكونوا ممّن يلتزم بالقيم الأخلاقيه، ولا يردّ الجميل بالإساءه ولا يقيم العلاقه مع أعدائه.

وجاء في بعض الروايات أنّ الإمام عليّ عليه السلام بعد انتصاره في معركة الجمل أمر منادياً ينادى بصوت عالٍ: «لَا تُتَّبِعُوا مُؤَلِّيًّا وَلَا تُجْهِزُوا عَلَيَّ جَرِيحٍ» (٤).

ثم أمر منادياً ينادى: «مَنْ أَعْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ» (٥)، وهذا الأمر يشبه ما أصدره رسول الله صلى الله عليه وآله من العفو العام عند فتح مكه.

ثم إنّ الإمام عليه السلام ولغرض إطفاء نار الفتنة هذه، تحدّث عن شدّه والحسم في مقابل الأشخاص المعاندين والانتهازيين وقال: فَإِنْ خَطَّتْ (٦) بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُزْدِيَّةُ،

ص: ٣٩٥

١- (١). «حَبِيل» أصله بمعنى العهد والذمه، ثم اطلق على كل شيء مفقود، وجمله «انْتِشَارُ حَيْلِكُمْ» كناية عن التفرق وتشتت الجماعه.

٢- (٢). «شِقَاق» في الأصل تعني العداوه والكراهيه، وهنا جاءت بمعنى نقض العهد وترك البيعه.

٣- (٣). «تَعْبُوا» من «الغباوه» بمعنى الجهل والغفله، وعلى ضوء ذلك فإنّ جملة «لَمْ تَعْبُوا عَنْهُ» تعني أنكم لستم غافلين عنه.

٤- (٤). الكافي، ج ٥، ص ٣٢.

٥- (٥). المصدر السابق، ص ١٢، ح ٢.

٦- (٦). «خَطَّتْ» من «الخطو» على وزن «خَتَم» بمعنى تقديم القدم في المشى، و«خطوه» بمعنى تقديم القدم مرّه واحده بحيث توجد فاصله بين القدم في حال المشى، وهذه المفرده تعدى بالباء ويكون مفهوم الجملة مورد البحث أنّ الأفكار المهلكه والآراء السخيفه والمفسده تقودكم إلى المخالفه والتمرد.

وَسَفَهُ الْآرَاءِ الْجَائِزَةِ، إِلَى مُنَابَذَتِي (١) وَخِلَافِي، فَهَذَا أَنَا ذَا (٢) قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي (٣)، وَرَحَلْتُ (٤) رِكَابِي.

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «وَلَيْتَ الْجَائِثُومَنِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأَوْقِعَنَّ بِكُمْ وَقَعَهُ (٥) لَا يَكُونُ يَوْمَ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْعَقِهِ لَاعِقِي».

وهذا يعني أنني في معركة الجمل لم أكن مستعداً لها من حيث العدة والعدد وكانت إمكاناتي قليلة في تلك الواقعة، ولكنني اليوم أملك جيشاً منسجماً وكثير العدة والعدد، ويملك أفراد الجيش كل وسيلة قتاليه وآله حربيه، وعلى ضوء ذلك فلو وقعت حرب فلا تقبل المقارنه مع تلك المعركة السابقه، وسوف لا يكون محلّ لما بدر مني من محبته ورأفه بكم في حرب الجمل، لأنكم تناسيتم تلك الرأفه وتجزأتم على إمامكم، وكأنّ تلك المودّه وذلك الإحسان زاد من جرأتكم ووقاحتكم.

وجمله: «لَعَقَهُ لَاعِقِي» مع الالتفات إلى أنّ كلمه «لعه» (على وزن قهوه) بمعنى اللبس، و«لعه» (على وزن بعه)، المقدار من الشيء الذي يحمل بالملعه، فهذا كناية على أنّ هذا المقدار قليل جداً، وفي المثل المتعارف كالقطره في البحر.

ولكن لئلا يستغلّ العدو هذا الكلام ويسيء فهمه ويتصوّر أنّ الإمام عليه السلام يهدّد جميع أهالي البصره ويقول إنني سوف أحرق الأخضر واليابس وأعاقب المحسن

ص: ٣٩٦

١- (١). «مُنَابَذَةٌ» بمعنى المخالفه والمجابهه، وهي في الاصل من «النبد» بمعنى الإلقاء بعيداً وكأنّ الشخص في مخالفته للآخر يدفع به إلى المجابهه بعيداً عن الصلح والمواءمه.

٢- (٢). «ها أنا ذا» عباره مركبه من ثلاث كلمات: «ها» للتنبيه، و«أنا» ضمير المتكلم الواحد و«ذا» اسم إشاره ومفهوم الجمله أنكم على علم بي وتعرفوني.

٣- (٣). «جِيَادٌ» جمع «جواد» وهي الخيل الممتازه.

٤- (٤). «رَحَلْتُ» من ماده «رحل» على وزن «نخل» بمعنى وضع القتب على الإبل، و«ركاب» تعني الإبل.

٥- (٥). «وَقَعَهُ» بمعنى الهجمه في الحرب.



والمسئء يضيف الإمام عليه السلام: «مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِدِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ، وَلِدِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيٍّ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ».

وجاء فى بعض الروايات أنَّ زياد بن أبيه - الذى كان أحد المعاونين والمستشارين لابن عباس والى البصره، وعندما سافر ابن عباس إلى الكوفه لرؤيه الإمام عليه السلام وتقديم التعازى بمناسبه استشهاد محمّد بن أبى بكر، واستلم زمام أمور البصره - خطب خطبه حماسيّه وهدّد فيها أهالى البصره بأننى لا اميز بين المذنب والبرىء وسوف أخذ الأب بذنب ابنه، والجار بذنب جاره، وسأنزل العقاب الشديد بكم جميعاً إلّا أن تسلكوا فى الطريق الصحيح(1).

ويحتمل أنّ هذا الكلام وصل إلى مسامع الإمام عليه السلام، فأراد الإمام عليه السلام بكلامه المذكور أنّفاً بيان سعه دائره العدل الإسلامى وإصلاح ما صدر من زياد بن أبيه من الكلام المتقدّم.

\*\*\*

ص: ٣٩٧

---

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ٤.



إلى معاويه (١)

### نظرة إلى الرسالة

لم ينقل المرحوم السيد الرضیّ مطلع هذه الرسالة، وقد ابتدأت الرسالة وفقاً لما ذكره ابن أبي الحديد بعبارته: «أما بعد فقد بلغني كتابك تذكراً فيه مشاعبتى».

وهذا التعبير يبين بوضوح أنّ الرسالة لم تكن سوى رساله جوابيه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام على رساله معاويه له، والتي يتهم فيها الإمام عليه السلام بخلق الفتنه، والظلم والجور، والإمام عليه السلام يجيبه جواباً قاطعاً أنني أعمل بوظيفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي للظالمين والملحدین والمنافقين على أساس تعاليم القرآن الكريم وأوامر الله تعالى.

ص: ٣٩٩

---

١- (١). سند الرسالة: جاء في كتاب مصادر نهج البلاغه أنّ ابن أبي الحديد في شرحه وابن ميثم في شرحه لنهج البلاغه ذكرا هذه الرسالة مع إضافات قيمه لا توجد في نهج البلاغه، وهذه الحقيقه تشير إلى وجود مصادر أخرى لهذه الرسالة كانت بين أيديهما، مضافاً إلى وجود بعض التفاوت بين نقل ابن أبي الحديد وابن ميثم مما يشير إلى أنّ لكل منهما مصدر مستقل اقتبس منه هذه الرسالة، وقد أورد العلوي في كتابه الطراز بعض مقاطع هذه الرسالة بتعابير متفاوتة عن تعبيرات السيد الرضیّ، وهذا بدوره يدلّ على وجود مصدر آخر لهذه الرسالة. (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٢٧٠).

وبعد أن يبزىء الإمام عليه السلام ساحته من هذه التهم الموهنه يبدأ بتقديم النصح لمعاويه، وهو ما نقله السيد الرضى فى هذه الرساله.

يقول الإمام عليه السلام لمعاويه: ينبغى عليك أن تتعرف على طريق الحق الذى وضحت معالمه وتبينت سبله، فلا عذر لك فى جهلك به، ولا- ينبغى لك أن تنحرف عن مسير الحق وتتحرك فى متاهات الحياه وتسلك دروب الضلاله فيسلب الله تعالى نعمه منك وينزل عليك عقابه وعذابه، فحذار من المسير فى خط الأهواء النفسانيه التى تقودك إلى وادى المهالك وتقحمك فى مهاوى الكفر وترك الإيمان.

\*\*\*

ص: ٤٠٠

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفِهِ مَا لَاتُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَبِيْرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْبَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ؛ مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي التِّيْبِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ. فَنَفْسَيْكَ نَفْسَيْكَ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أُجْرِيَتْ إِلَيْ غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّهُ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غَيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكِ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكِ.

### الشرح والتفسير: ينبغي أن تفكر بعاقبه أمرك!

من المناسب أن نورد هنا رساله معاويه للإمام لغرض توضيح أهداف الإمام عليه السلام من رسالته الجوابيه لمعاويه، وأن جواب الرساله ناظر إلى النص الوارد في الرساله الأولى، ولكن للأسف لم تنقل هذه الرساله، بحدود اطلاقنا، في أي كتاب ومصدر، رغم أن رساله الإمام عليه السلام تبتدىء بمقطع لم ينقله المرحوم السيد الرضی، ومع الالتفات إلى هذا المقطع من الرساله يتبين بشكل إجمالي مضمون رساله معاويه أيضاً، لأن الإمام عليه السلام في مطلع هذه الرساله وطبقاً لما ورد في كتاب «نهج البلاغه الكامل» يقول: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ مُشَاعَبَتِي، وَتَشْتَقِيحٌ مُوَازَرَتِي، وَتَزَعْمُنِي

مُتَجَبِّرًا، وَعَنْ حَقِّ اللَّهِ مُقْصِرًا. فَسُبْحَانَ اللَّهِ، كَيْفَ تَسْتَجِزُ الْغَيْبَةَ، وَتَسْتَحْسِنُ الْعُضْيَةَ. فَإِنِّي لَمْ أَشَاغِبْ إِلَّا فِي أَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ. وَلَمْ أَتَجَبَّرْ إِلَّا عَلَى بَاغِ مَارِقٍ، أَوْ مُلْحِدِ كَافِرٍ، وَلَمْ أَخْذُ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِقَوْلِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ» (١) وَأَمَّا التَّقْصِيرُ فِي حَقِّ اللَّهِ - تَعَالَى - فَمَعَاذَ اللَّهِ وَإِنَّمَا الْمُقْصِرُ فِي حَقِّ اللَّهِ - حَيْلٌ ثَنَائُوهُ - مَنْ عَطَلَ الْحُقُوقَ الْمُؤَكَّدَةَ، وَرَكَنَ إِلَى الْأَهْوَاءِ الْمُتَبَدِّعَةَ، وَأَخْلَمَدَ إِلَى الضَّلَالَةِ الْمُحْيِرَةِ. وَمِنَ الْعَجَبِ أَنْ تَصِفَ، يَا مُعَاوِيَةَ، الْإِحْسَانَ، وَتُخَالَفَ الْبُرْهَانَ، وَتَنْكُثَ الْوَثَائِقَ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - طَلِبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ، مَعَ نَبْذِ الْإِسْلَامِ، وَتَضْيِيعِ الْأَحْكَامِ، وَطَمْسِ الْأَعْلَامِ، وَالْجَزْيِ فِي الْهَوَى، وَالْتِهَؤُسِ فِي الرَّدَى».

أَمَا مَا أورد السيد الرضوي في نهج البلاغه فهو:

إِنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ أَخَذَ يَنْصَحُ مُعَاوِيَةَ وَيَعْظُمُ بِطَرَقٍ مُخْتَلِفَةٍ وَيَتِمُّ الْحُجَّةَ عَلَيْهِ، بِدَايَةِ يَقُولُ فِي ثَلَاثِ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ وَعَمِيقَةٍ الْمَعْنَى: «فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفِهِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ».

الجملة الأولى: «فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ» رَبِّمَا تَشِيرُ إِلَى مَقَامِ مُعَاوِيَةَ فِي وِلَايَةِ الشَّامِ، أَوْ إِلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي يَدِهِ، أَوْ جَمِيعِ نَعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُنَا يَحْذَرُهُ مِنَ التَّمَسُّكِ بِمَا لَيْسَ لَكَ مِنَ الْمَقَامِ وَيَجِبُ عَلَيْكَ إِعَادَتُهُ إِلَى أَصْحَابِهِ وَأَنْ تَسْتَعِينَهُ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْكَ فِي طَرِيقِ طَاعَتِهِ وَالسَّعَى لِنَيْلِ رِضَاهِ وَإِمْتِنَالِ أَمْرِهِ.

والجملة الثانية: «وَأَنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ» إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهُ حَقٌّ عَلَى عِبَادِهِ فِي مَقَابِلِ كُلِّ هَذِهِ النِّعَمِ وَالْمَوَاهِبِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْهِمْ، وَهَذَا الْحَقُّ الْإِلَهِيُّ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَسِيرَ الْعَبْدُ فِي خَطِّ الطَّاعَةِ وَالْعِبُودِيَةِ وَالْإِمْتِنَاعِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، فَلَوْ أَنَّهُ لَمْ يُوَدِّ هَذَا الْحَقَّ فَسَوْفَ يُوَاجِهُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فِي الْآخِرَةِ.

والجملة الثالثة: «وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفِهِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ» ذَهَبَ جَمْعٌ مِنْ شَرَّاحِ

ص: ٤٠٢

نهج البلاغه إلى أنها إشاره لمعرفة الإمام عليه السلام الواجب الإطاعة، فقد ورد في الحديث المشهور: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ فَقَدْ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (١).

ويحتمل أيضاً في تفسير هذه العبارة أنها إشاره إلى جميع المعارف الإلهية والدينية التي لا يعذر الإنسان في جهله بها، وعلى ضوء ذلك فالإمام عليه السلام يوصى معاويه بأن يتعرف على أصول دينه وفروعه والتكاليف الشرعية التي يتوجب عليه القيام بها أمام الله تعالى والناس.

ويتحرك الإمام عليه السلام بعد ذلك من موقع الاستدلال على ما تقدم من كلامه (فإنك غير معذور في حاله الجهل) ويضيف: «فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا تَبَيَّرَةً، وَمَحَجَّةً (٢) نَهَجَةً (٣)، وَعَايَةً مُطَلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ (٤)، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ (٥)».

والإمام عليه السلام في هذا الكلام يتم الحجج على معاويه بأنك يوم القيامة لا يمكنك أبداً أن تدعى أن الطريق كان مظلماً وأن معالمه غير واضحة، ولذلك لم أعرف الحق والحقيقة، فيقول الإمام عليه السلام: إن أعلام هذا الطريق واضحة وآياته بيّنة من خلال ما ورد في الآيات القرآنية من جهة، والأحاديث النبوية المعتبرة من جهة أخرى، والبراهين العقلية الساطعة من جهة ثالثة، وكلها تمثل علامات هذا الطريق المتوفرة في كل مكان منه، أضف إلى ذلك أن الجاده غير مظلّمه «سُبُلًا تَبَيَّرَةً» فالطريق واضح ورحب ليس فيه مآزق ومنزقات: «مَحَجَّةً نَهَجَةً» والغاية النهائية لهذا المسير نيل

ص: ٤٠٣

١- (١). ورد هذا الحديث الشريف بهذه العبارة في كتب الشيعة، مثل: وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٩٢، ح ٢٣، باب ٣٣ من أبواب كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي كتب أهل السنة ورد بتعبير مشابهه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من قبيل: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ فَمِيتَتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». (المعجم الكبير، ج ١٠، ص ٢٨٩). وفي حديث آخر عن معاويه بن أبي سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ مَاتَ بِغَيْرِ إِمَامٍ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» (مسند أحمد، ج ٤، ص ٩٦).

٢- (٢). «مَحَجَّةً» بمعنى الجاده الواسعه والطريق المستقيم والواضح.

٣- (٣). «نَهَجَةً» تارة تأتي بمعنى اسم المصدر وتعني المنهج، وأخرى بمعناها الوصفى وتعني الواضح والبيّن.

٤- (٤). «أَكْيَاسٍ» جمع «كيس» بمعنى الذكي والمنتبه والحكيم.

٥- (٥). «الْأَنْكَاسُ» جمع «نكس» على وزن «حرص» ويعنى الإنسان الضعيف والذليل والجاهل، من ماده «نكس» على وزن «عكس» وتعنى المنقلب وجعل عالي الشئ سافله.

السعادة الأبدية، وهذا المعنى لا يخفى على كل إنسان.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام ذكر في كلامه كلمه: «سُبُل» جمع سبيل، وكذلك «مَحَجَّه» وتعنى الطريق الواسع والجاده الواضحه، لأنّ الإنسان عاده يتحرّك من الطرق الفرعيه ليوصل نفسه إلى الجاده الأصليه، ثم يتوجّه إلى مقصده وغايته، وإذا وردت «سُبُل» بصيغه الجمع و «مَحَجَّه» بصوره مفرد فهي ناظره إلى هذا المعنى وهو أنّ الطرق الفرعيه التى يشرع الإنسان فيها حرّكته، متعدّده، ولكنّ الجاده الأصليه واحده عاده.

أمّا عبارته «غَايَهُ مُطَلَبَهُ» فتارة تقرأ بتشديد الطاء وأخرى بتشديد اللام، وجاء فى بعض النسخ «مطلوبه» وهى كلّها تعنى المطلوبه، فالإمام يقول: إنّ طاعه الله تعالى تمثّل هدفاً مطلوباً للإنسان، والمقصود منها نيل القرب من الله تعالى والوصول إلى السعاده الأبدية والنجاه فى الآخرة وتحصيل رضا الله تعالى وشمول لطفه ورحمته فى الدنيا، فالعقلاء وأولو الألباب يتحرّكون فى واقع الحياه لتحقيق هذا الهدف، لأنّهم غير مستعدّين للتضحيه بالسعاده الأبدية ورضا الله تعالى لحساب تحصيل الأموال والمقامات والشهوات الدنيويه، كما ورد هذا المعنى فى الحديث الشريف عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «الْكَيْسُ مَنْ أَحْيَا فَضَائِلَهُ وَأَمَاتَ رَذَائِلَهُ»<sup>(١)</sup>، ونقرأ فى حديث شريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّمَا الْكَيْسُ كَيْسُ الْآخِرَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وفى مقابل ذلك فإنّ الأراذل من الناس لا يتحرّكون باتجاه هذا الهدف، وإنّما يقنعون بتحصيل الملذّات الدنيويه الرخيصه ويطلبون الزخارف الماديه المهزوزه والعناوين الاعتباريه، ويبيعون أغلى ما لديهم من متاع بأزهد الأثمان، وهذا بذاته دليل على سفاهتهم وحماقتهم.

ص: ٤٠٤

١- (١). غرر الحكم، ص ٣٢٢، ح ٧٤٦٤.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٦٢.



ويستمرّ الإمام عليه السلام في كلامه محدّراً معاويه من معبّه الانحراف عن الصراط المستقيم والإعراض عن طاعه الله تعالى، لأنه: «مَنْ نَكَبَ (١) عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، خَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ».

فالإمام عليه السلام في هذه الجمل الأربع، يشير في البدايه إلى نتيجته الانحراف عن مسير الطاعه، وهو البعد عن الحق والتوغل في دروب المتاهه والحيره، وبالتالي يعيش الإنسان الحرمان من النعم الإلهيه ويستحق حينئذ العقوبه والعذاب.

والجملتان الأوليان في الواقع بمثابة المقدّمه، والجملتين الثالثه والرابعه بمثابة النتيجة وذى المقدمه، وكأنّ كلام الإمام عليه السلام هذا إشاره إلى الآيه الشريفه: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (٢).

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايِهِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّهُ كُفْرٍ».

وهذا التعبير في الحقيقة مقتبس من القرآن الكريم: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ» (٣)، وتعبير الإمام عليه السلام إشاره إلى أنّ هذا الطريق الذى سلكته لا يقودك إلّا إلى الشقاء والخسران والكفر، فينبغى عليك الانتباه من نوم الغفله والعوده إلى أحضان الحقّ وتعاليم الرساله الإلهيه.

وجمله: «قَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ»، ذهب الكثير من شراح نهج البلاغه بأنّ الله تعالى قد بيّن لك سبيل النجاه، فى حين أنّ هذا المعنى قد ورد فى العبارات السابقه ولا حاجة للتكرار، فالمقصود من هذه العبارة شىء آخر، وهو أنّ الإمام عليه السلام يريد القول بأنّ الله تعالى قد بيّن لك خطأ هذا المسير الذى تسير عليه وبيّن لك عواقبه السيئه، والعبارات اللاحقه أيضاً تؤيّد هذا المعنى.

ص: ٤٠٥

١- (١). «نكب» من «النكب» على وزن «نقب» وتعنى الانحراف فى المسير، و «ناكب» هو الشخص الذى انحرف عن الطريق وأعرض عنه، ومن هذه الجهه يقال لمن أعرضت الدنيا عنه أنّه منكوب وأصابته نكبه.

٢- (٢). سورة الأنفال، الآيه ٥٣.

٣- (٣). سورة المائده، الآيه ١٠٥.

وفى المقطع الأخير من الرسالة، طبقاً لما ذكره السيد الرضى بين الإمام عليه السلام فى أربع جمل أخرى العواقب التى تنتظر معاويه والمترتبه على أعماله السيئه، ويقول:

«فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجْتِكَ (١) شَرًّا، وَأَقْحَمْتِكَ (٢) غِيًّا (٣)، وَأَوْرَدْتِكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرْتَ (٤) عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ».

وكلّ جملة من هذه الجمل الأربع تبين أحد أبعاد العاقبة السيئه لأعمال معاويه وكلّ من سار على هذا الخطّ، فى البدايه التورط فى عناصر الشرّ، وأى شرّ أشنع من أن تتلوّث يد الإنسان بدم الأبرياء من الناس والتلاعب ببيت المال وإعطاء مال المسلمين إلى غير المستحقين، وما أشدّ ضلاله الإنسان الذى يتجاوز حدوده ولا يعرف قدره ويّدعى منصب الخلافة وإمامه الأئمة ويجلس مجلس النبى الأكرم صلى الله عليه وآله مع أنه لا يملك اللياقه الكافيه والجداره لإحراز هذا المقام، وأى مهلكه أخطر من حركة الإنسان فى الطريق الذى يؤدى به إلى جهنّم، وأى مشكله أشدّ من أن الإنسان يرتكب الذنوب والآثام بحيث يوصد طريق العوده خلفه ويهدم جسور التوبه والإنابه إلى الله ولا يتمكن بعد ذلك من إصلاح الخلل.

\*\*\*

ص: ٤٠٦

- ١- (١). «أَوْلَجْتِكَ» من «الإيلاج» و «لوج» بمعنى دخول شىء ووروده، وعلى ضوء فإنّ «أَوْلَجْتِكَ شَرًّا» من باب إفعال وتأخذ مفعولين ومفهومها أنّ نفسك جرّتك إلى الشر وادخلتك فيه.
- ٢- (٢). «أَقْحَمْتِكَ» من «الإقحام» بمعنى قذف الشىء فى داخل شىء آخر، وهذا الفعل أيضاً يأخذ مفعولين ومعنى الجملة أنّ نفسك قد قذفت بك فى طريق الضلاله ومتاهه الفتنة.
- ٣- (٣). «غِيًّا» بمعنى الضلاله والانحراف.
- ٤- (٤). «أَوْعَرْتَ» من «الإيعار» و «وعر» على وزن «وقت» فى الأصل بمعنى الصعوبه والعسر والجرج، وجملة «أَوْعَرْتَ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ» تعنى أنّها صعّبت عليك العثور على طرق النجاه، ولهذا يقال للأرض المليئه بالأحجار والمطبات أنّها أرض وعره و «وعير».

## الرساله ٣١: لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَتَبَهَا إِلَيْهِ «بِحَاضِرَيْنِ»

إشاره

لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، كَتَبَهَا إِلَيْهِ «بِحَاضِرَيْنِ» (١)

عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صِفِّينَ (٢)

نظره إلى الرسالة

تعتبر هذه الوصيه بعد عهد مالك الأشتر من أطول الرسائل والكتب للإمام (٣)

ص: ٤٠٧

١- (١). تقرأ هذه المفردة تاره بصوره تثنيه (بفتح الراء) وأخرى بصوره جمع (بكسر الراء). وفي الصوره الأولى تشير إلى مكان معين بين حلب وقسرين من أراضي الشام، وفي الصوره الثانيه يمكن أن تكون إشاره إلى ذلك المكان باعتبار حضور أقوام مختلفه فيه.

٢- (٢). سند الرساله: تعتبر هذه الرساله كما يقول صاحب كتاب مصادر نهج البلاغه، من أشهر رسائل ووصايا الإمام  
٣- (٣) أمير المؤمنين عليه السلام والتي ذكرها جماعه من أبرز علماء الإسلام في كتبهم قبل ولاده السيد الرضى، منهم المرحوم الشيخ الكليني في كتاب الرسائل والمرحوم الحسن بن عبدالله العسكري (من أساتيد الشيخ الصدوق) في كتاب الزواجر والمواعظ، وصاحب كتاب عقد الفريد في موضعين من كتابه في باب مواعظ الآباء للأبناء، والحسن بن علي بن شعبه في كتاب تحف العقول، ضمن بيانه لكلمات الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، والشيخ الصدوق بدوره نقل أيضاً مقاطع من هذه الوصيه في موردين من كتاب من لا يحضره الفقيه، ونقلها بعد السيد الرضى جماعه كثيرون في كتبهم منهم: المرحوم السيد ابن طاووس في آخر كتاب كشف المحججه، ضمن بيان أن هذه الوصيه وردت بأسناد متعدده، ومجموعه الأسناد التي أوردها هؤلاء العلماء في كتبهم لهذه الرساله تصل إلى سته طرق وأسناد (ويتبين من مجموع هذه الطرق والأسناد لهؤلاء العلماء أن انتساب هذه الرساله إلى الإمام علي عليه السلام لا يبقى مجالاً للشك والتردد، أضف إلى ذلك أن محتوى هذه الرساله والوصيه إلى درجه من القوه والمتانه بحيث لا يمكن صدورهما من غير المعصوم). (مصادر نهج البلاغه، ج ٣، ص ٣٠٧-٣١١).

علّي عليه السلام فى نهج البلاغه، وهى عبارته عن دوره كامله من دروس الأخلاق وتهذيب النفس وتزكيتها وبيان معالم السير والسلوك إلى الله، وفى الحقيقه أنّها تتألف من ثلاثين قسماً ومقطعاً.

والإمام عليه السلام فى المقطع الأول يخاطب نفسه وأبناءه بوصفه كاتب هذه الوصيه ويعرّف نفسه للمخاطب بعبارات عميقه المضمون ومنسجمه مع روح هذه الوصيه.

وفى المقطع الثانى يعرّف هذه الوصيه بأنّها وصيه والده متحرّق ومحبّ لأبنه الذى يملك له محبّه شديده.

وفى المقطع الثالث إلى المقطع العاشر يوصى ولده بالتقوى ومطالعه سيره الأسلاف وتاريخ القدماء والتوصيه بالاحتياط فى جميع الأمور والتفقه فى الدين والصبر والاستقامه فى مقابل المشكلات والتحديات والتوكّل على الله وتفويض الأمور إليه، والتوجه إلى هذه الحقيقه وهى أنّ قلب الشابّ مستعدّ لاستلهاام جميع التعاليم والتوصيات، والتأكيد على أنّ أباك قد اختتم تجارب العمر ووضعها تحت اختيارك بدون أن تتعب نفسك فى ذلك، ثمّ التوصيه بالتمعّن أكثر فى كتاب الله ومعرفة الحلال والحرام الإلهيين، وأخيراً الاقتداء بسنّه الصالحين وضروره اجتناب الشبهات.

والمقطع الحادى عشر إلى المقطع العشرين يتحدّث الإمام عليه السلام عن كثره مجهولات الإنسان فى مقابل معلوماته، ويحدّره من أى انحراف عن الحقّ ويؤكد عليه لزوم اتّباع نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وأنّ أىّ إنسان لا يصل إلى نتيجة صحيحة بدون التأسى به، ثمّ يؤكد له على مسأله التوحيد وشرح بعض الصفات الإلهيه، وأخيراً يرسم له معالم القصور فى الدنيا وعدم ثباتها بذكر مثال جميل فى هذا الشأن.

ثم يبين لولده العزيز هذه الحقيقه، وهى أنه لابد أن تجعل نفسك ميزاناً للحكم على الآخرين، فما كنت تحبّه لنفسك ينبغي أن تحبّه للآخرين وما تكره لها تكره لهم، ثم يتحدّث عن الآفات الأخلاقية المهمه من قبيل الأنانيه والعجب ويؤكد له أن خدمه الخلق تمثّل زاداً ومتاعاً للآخره، ويحذّره من الطريق الملىء بالمطبات والمآزق فى سبيل النجاه لنيل السعاده الأخرويه ويتحدّث أيضاً عن أهميه الدعاء وأنه مفتاح جميع الخيرات والبركات، وأن الهدف والغايه من خلق الإنسان نيل الحياه الأبدية والسعاده الدائمه فى الآخره، إلّا أن يعيش الإنسان أيام معدوده فى هذه الدنيا ويجعلها هدفاً نهائياً له فى حركه الحياه.

وفى المقطع الحادى والعشرين إلى الثلاثين يذكر الإمام مسأله الموت وكيفيه الانتباه من الغفله ويحذّره من السير فى خطّ أهل الدنيا، ويتحدّث كذلك عن سرعه انقضاء العمر وطرق تهذيب النفس ولزوم التوقى من الآمال البعيده والطموحات الزائفه، وضمناً يبيّن له سلسله من المسائل الأخلاقية المهمه، ثم يتحدّث عن كيفيه معاشره المؤمنين ويتحدّث عن نقاط مهمه فى هذا المجال، ثم يتقدّم له بنصائح مهمه فى مجال اجتناب الحرص والطمع فى تحصيل الرزق، وبعد ذلك يتحدّث الإمام عن بعض المسائل المهمه المتعلقه بحفظ حرمة النساء والتعامل الصحيح معهنّ، ثم يتحدّث عن المسائل المتعلقه بإداره الحياه والمعيشه وتقسيم العمل بين الأفراد، وأخيراً ينهى الإمام عليه السلام هذه الوصيه بتفويض أمره إلى الله عزّ وجلّ ويسأله خير الدنيا والآخره.

وبالالتفات إلى ما تقدّم آنفاً، فإنّ القراء الأعزاء لهذه الوصيه سيطلعون على مضامين عاليه وتوصيات ساميه فيما يتصل بتربيه النفوس وتهذيب القلوب.

والنقطه الأخرى التى ينبغى الالتفات إليها فى هذا المورد، هو أن أغلب نسخ نهج البلاغه تقرّر أنّ المخاطب لهذه الوصيه هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وهذا ما ورد فى غالبه طرق السند فى هذه الوصيه (كما يقول العلامة التستري فى شرح

هذه الوصية المهمّة، وطرق السند بلغت خمس طرق)، ولكن هنا طريق واحد لروايه هذه الوصيه يقرّر فيها أنّ المخاطب لها هو محمّد بن الحنفية، وبعض شراح نهج البلاغه يؤكّدون على المعنى الثانى، وأنّ المخاطب للوصيه ليس هو الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ويستدلّون لذلك بأنّ بعض عبارات هذه الوصيه لا يتناسب مع كون المخاطب هو الإمام المعصوم، فى حين أننا نعلم أنّ مثل هذه العبارات فى مقام الموعظه والنصيحه من الوالد لابنه هو اسلوب متداول وشائع، والمهمّ أنّ المخاطب لهذه الوصيه وإن كان شخصاً واحداً، إلّا أنّ المقصود هو جميع الشيعه والمسلمين فى العالم، بل جميع أبناء آدم، وكأنّ الإمام عليه السلام يتحدّث مع جميع أبناء البشر بوصفه أباً لهم وأنّ المخاطب له، وإن كان الإمام الحسن عليه السلام مباشره، إلّا أنّ المخاطب الحقيقى جميع أفراد البشر.

وأما ما ذكره البعض من أنّ الإمام المعصوم عليه السلام مع توفّر مقام العصمه والإمامه لا يحتاج إلى نصيحه وموعظه، فهو اشتباه كبير لأنّ مقام الإمامه والعصمه الشامخ لا يتنافى إطلاقاً مع التأكيد على المسائل الأخلاقية المهمّة، ولهذا نرى أنّ الإمام علىّ عليه السلام وهو فى فراش الوفاه يعظ أبناءه الإمام الحسن والحسين عليهما السلام ويقدم لهما توصيات وتعاليم لم يكونا غافلين عنها.

وكذلك ما ذكره البعض من أنّ الإمام الحسن عليه السلام فى زمان صدور هذه الوصيه كان قد بلغ من العمر أكثر من ثلاثين سنه وهو لا يتناسب مع ما ورد فى هذه الوصيه من عبارته: «وأما قلب الشاب يتقبّل جميع التعاليم والإرشادات» وهذا خطأ أيضاً لأنّ الإنسان فى سنّ الثلاثين عاماً لا يزال شاباً، أضف إلى ذلك أنّ المخاطب لهذه الوصيه جميع أفراد البشر بوصفهم أبناء الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام.

وقد ورد فى كتاب الإمامه والسياسه فى قصّه السقيفه أنّ أباعبيده الجراح عندما أراد إبعاد الإمام علىّ عليه السلام عن تولّى لخلافه قال: «يَابْنَ عَمِّ إِنَّكَ حَيْدِثُ السَّنِّ وَهُؤُلَاءِ مَشِيخُهُ قَوْمِكَ»<sup>(١)</sup>، ونعلم أنّ الإمام عليه السلام كان عمره فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً.

ص: ٤١٠

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا؛ إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَأَيُّدِرُكَ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، وَرَهِينِهِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيهِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَخَلِيفِ الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الْآفَاتِ، وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ.

### الشرح والتفسير: هذه الوصيه ممن وإلى من؟

هذا المقطع من الوصيه يبيّن في الحقيقه عنوان الوصيه والمرسل لها، لأنّ المتداول في كتابه الرسائل أن يكتب في مستهلّ الرساله عنوان الشخص المرسل والمرسل إليه، ويقال من فلان إلى فلان؛ فالإمام عليه السلام بدلاً من ذكر اسمه واسم ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام اكتفى بذكر صفات المرسل والمرسل إليه، ممّا يوفر الأرضيه المساعده لتقبّل هذه المواعظ والنصائح.

بدايه يطرح الإمام عليه السلام ستّ صفات لنفسه، ثمّ يذكر أربعة عشر صفة لولده لغرض تهيئه الأجواء بهذه الصفات، وأن يكون المخاطب على استعداد تامّ لطرح الموضوع.

في البدايه يقول: «مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ (1)، الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ، الْمُسْتَسْلِمِ

ص: ٤١١

١- (١). «زمان» في الأصل يراد به الوقت المعروف الذي يشمل الأوقات القصيره والطويله، ولكن بما أنّ الزمان في هذه الدنيا يقترن بالحوادث المختلفه المرّه والحلوه، فهذه المفرده تشير أحياناً إلى هذا المعنى، و «المُقَرَّرُ لِلزَّمَانِ» إشاره إلى الشخص الذي يعيش الإذعان والقبول بهذه الحقيقه وهي أنّ الدنيا دار حوادث ومتغيّرات، ولكنّه عملاً لا ينسجم مع هذه الحوادث.

لِلدُّنْيَا (١)، السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ (٢) عَنْهَا غَدًا.

فالإمام عليه السلام عندما ينطلق بذكر هذه الصفات لنفسه يهدف منها تحقيق عدّه أمور:

الأول: أن يفهم ولده بأننى عندما أكتب هذه الوصيه لك فإننى أحمل معى تجارب كثيره حصلت عليها بمرور الزمان، والآخر: أن القائل لهذه النصائح تحدّث بلغه التواضع ولم يتكلّم من موقع الفوقيه والاستعلاء، وهذا من شأنه أن يؤثّر إيجاباً فى نفس المخاطب، الثالث: أن يعلم ولده بأنّه عمّا قريب سيكون أباً ولا بدّ أن يشعر بمسؤوليه الوالد ويدرك هذه الحقيقه، ودرك هذه الحقيقه يجعله مستعدّاً لقبول هذه المواعظ.

والتعبير ب «فان» (وهى فى الأصل «فأنى») ولكن حذف الياء لمزيد التجانس مع الجمل اللاحقه) إشاره إلى أننى قضيت الشطر الأكبر من عمرى، وأنا الآن فى مرحله الرحيل من هذه الدنيا، لأنّ الإمام عليه السلام تحدّث بهذا الكلام فى وقت كان قد بلغ من العمر حسب الظاهر ستين سنه.

وجمله: «الْمُقَرَّرَ لِلزَّمَانِ» إشاره إلى الحوادث والأزمات الصعبه والحوادث المرّه والحلوه التى يواجهها الإنسان فى حركه الحياه والواقع.

وجمله: «الْمُدْبِرِ الْعُمْرِ» تأكيد على أننى أسير فى منزلق نهايه العمر، وجمله:

«الْمُسْتَسْلِمِ لِلدُّنْيَا» إشاره إلى غلبه الحوادث والوقائع على إرادته الإنسان.

وجمله «السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى» إشاره إلى أنّ المساكن التى نساكنها هى فى الغالب من بناء وتشيد السابقين، فأولئك بنوا هذا الدور ونحن سكاّن فيها وأحياناً بنى ويسكنها اللاحقون.

وأخيراً جملة: «وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا» إشاره إلى قرب لحظه الرحيل من هذه الدنيا، يعنى أننى عندما أكتب لك هذه الوصيه أعلم بجميع هذه الخصوصيات والمفارقات.

ص: ٤١٢

١- (١). ورد فى الكثير من النصوص والشروح لنهج البلاغه بعد هذه الصفه صفه أخرى وهى «الذامُّ لِلدُّنْيَا» وحينئذٍ تبلغ صفات الدنيا فى هذا المقطع إلى سبع صفات.

٢- (٢). «الظَّاعِنِ» بمعنى المنتقل، من «الظعن» على وزن «ظعن» وتعنى الانتقال من مكان إلى آخر.



ثم إن الإمام عليه السلام يصف مخاطبه بدون ذكر اسمه في أربعة عشر صفه ويقول:

«إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ (١) الْأَسْقَامِ، وَرَهِينِهِ (٢) الْأَيَّامِ، وَرَمِيهِ (٣) الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَايَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَخَلِيفِ (٤) الْهُمُومِ، وَقَرِينِ الْأَخْزَانِ، وَنُصْبِ الْأَقَاتِ، وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفِهِ الْأَمْوَاتِ».

وأول وصف يصف الإمام عليه السلام ولده، وبيان آخر يصف جميع أفراد البشر هو أنك في هذا العالم تتحرك لتحصيل ما لا يمكن تحصيله، لأن الإنسان يريد أن يعيش حياه خاليه من جميع المشاكل وحالات القصور والألم، في حين أن طبيعه الدنيا مقترنه بالمشاكل والآلام والمصائب «المؤمل ما لا يدرك».

وجمله: «السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ» تعنى أن جميع أفراد البشر يسيرون في طريق ينتهى إلى الموت والهلكه، كما يقول القرآن الكريم: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (٥) ولا يوجد أى استثناء من هذه القاعده.

وجمله «غَرَضِ الْأَسْقَامِ» هى فى الحقيقه توضيح لما سبق، لأن الإنسان شاء أم أبى يواجه فى هذا الحياه حالات المرض وأنواع الأسقام فى طفولته وفى شبابه وفى شيخوخته بشكل من الأشكال.

والتعبير ب «وَرَهِينِهِ الْأَيَّامِ» مع الأخذ بالحسبان أن «رهينه» تعنى الأسر والاختطاف، فهى إشاره إلى أن الإنسان يعيش دوماً فى أسر الأزمات وأن مر الزمان يأخذ بيده إلى المجهول ويتركه شاء أم أبى فى نهايه العمر ويسلمه إلى القبر.

ص: ٤١٣

١- (١) . «الغرض» بمعنى الهدف الذى يوضع ليرميه المتسابقون والرماه.

٢- (٢) . «رهينه» من الرهن وهو الثبات ودوام الشىء، والرهينه جمعها رهائن وهى ما يرهن ويحتسب فيه الشىء فى مقابل ثمن.

٣- (٣) . «رميه» عباره أخرى عن «غرض» و «هدف» (صفه مشبهه بمعنى المفعول).

٤- (٤) . «خليف» بمعنى المتفق والذى يجتمع معه بميثاق، من ماده «حلف» على وزن «حرف» وهو القسم واليمين.

٥- (٥) . سوره آل عمران، الآيه ١٨٥.

وعبارته: «وَرَمِيَهُ الْمَصَائِبُ» مع الأخذ بالحسبان أن كلمة «رميته» تعنى الشيء الذى يوضع غرضاً وهدفاً لرمى السهام، فهذه العبارة تشير إلى المصائب والبلايا التى تصيب الإنسان فى ماله ونفسه وأقربائه وأعزته حيث تهجم عليه من كل جهه وتجعله غرضاً لها، فلا نكاد نرى أحداً لم يواجه طيله عمره المصائب المختلفه، كما قال الإمام عليه السلام فى مورد آخر: «دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ»<sup>(١)</sup>.

ومن عجائب الدنيا أن الإنسان غالباً لا يرى سهام المصائب وهى تتجه نحوه ولا يرى مصدرها وكيف ابتلى بها، ولكنه فجأه يفتح عينه ليرى حلول المصيبة به، وكما قال الشاعر:

وَلَوْ أَنَّى أَرْمَى بِنَبْلِ، رَأَيْتُهَا وَلَكِنِّى أَرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ<sup>(٢)</sup>

وجمله: «وَعَبْدُ الدُّنْيَا وَتَاجِرُ الْغُرُورِ» إشاره إلى أن الإنسان حاله حال العبد يعيش فى أسر الأهواء والشهوات ويرفل فى قيود الآمال والمطامع الدنيويه، وهذه الأمور تأخذ به من كل جانب، أما كونه تاجر الغرور، من جهه أنه يتصور أن أمواله ورأس ماله الذى أتعب نفسه فى جمعه فى هذه الدنيا حقيقه موضوعيه إلمائه ليس سوى سراب بقيعه وتشكيله من الخداع الغرور، فسوف يفقد هذه الأموال والثروات وقد يقبع الآخرون فى انتظارها.

وعبارته: «غَرِيمَ الْمَنَايَا» تشبيه للإنسان بالشخص المدين الذى يطلبه الموت، فالموت يسلب منه روحه ويضع جسمه فى لحد القبر، وكلمته: «أَسِيرِ الْمَوْتِ» تبين هذا المضمون بشكل آخر، فأحياناً يقول: غريم الموت، وأخرى يقول: أسير الموت.

وعبارته «حَلِيفِ الْهُمُومِ» و«قَرِينِ الْأَحْزَانِ» إشاره إلى أن الإنسان يعيش طيله حياته مع أنواع الهموم والأحزان، هم المعيشه والرزق، هم المرض، هم فقدان الفرص، هم خيانه بعض الأقرين والرفقاء، هم مؤامرات الأعداء، فهل يمكن العثور

ص: ٤١٤

١- (١). نهج البلاغه، الخطبه ٢٢٦.

٢- (٢). القائل هو لييد بن ربيعه الجعفرى، وهو من المعمرين، انظر: كمال الدين و تمام النعمه، ص ٥٦٥، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٢٤٥.

على شخص لم يقع طيله عمره أسيراً لمثل هذه الهموم والغموم؟

ومن المناسب هنا الإشارة إلى قصه الإسكندر المعروفه، فعندما حان أجله وكانت أمه لا زالت على قيد الحياه، ويعلم أنها سوف تحزن عليه بشده، ففكر بأمر لتخفيف حزنها وألمها، فقال لها: يا أماه إبكى عليّ وأقيمي المأتم ولكن لا تبكى لوحدك، بل ادعى معك جماعة يشاركونك في هذا الأمر وليبكوا عليّ لا على مصائبهم ومشاكلهم.

فعملت هذه الأم بوصيته بعد موته وتوجّهت للجيران والأقرباء والأصدقاء وكلّما سألت أحداً منهم: هل أنك خالٍ من الغم والحزن؟ فإنه يذكر لها بعض همومه وأحزانه، فيقول أحدهم: ماتت زوجتي، والآخر يقول: مات ولدي، والثالث يقول:

إنّي خسرت في تجارتي، الرابع يقول: إنني أعيش الأسقام والآلام، ففهمت الأم أنه لا يوجد شخص لا يعيش الحزن ولا تواجه الهموم، وحسب المثل المعروف: «الليئله إذا عمّت طابّت» فخفّت عليها حينئذٍ مصيبه فقد ولدها.

وعبارته: «نُصِبِ الْآفَاتِ وَصَيْرِيعِ الشَّهَوَاتِ» مع الأخذ بالحسبان أنّ كلمه «نُصِبِ» تعنى الأغراض التي ينصبها الرماه لتسديد الرميّه باتجاهها، وكلمه «صَيْرِيعِ» تعنى الشخص المغلوب على أمره والذي سقط على الأرض، فالعباره تشير إلى الآفات والبلايا المختلفه التي تصيب الإنسان من كلّ جهه وتجعله هدفاً لها، والشهوات التي تصرعه في حياته ولا يستطيع التصدّي لها ومقاومتها.

وجمله: «خَلِيفَهُ الْمَأْمُوتِ» إشاره إلى أنّك أيها الإنسان لا تغفل عن أنّك خليفه الأموات وسوف تلتحق بهم في المستقبل القريب وسيحلّ آخرون محلّك، وهكذا تستمرّ هذه المعادله في حياه البشريه.

واللافت أنّ الإمام عليه السلام قد وصف نفسه بسّ صفات، ولكنّه وصف ولده بأربعة عشر صفه ممّا يواجهه كلّ إنسان في حياته الدنيا من مشاكل وصعوبات، يعنى في مقابل كلّ صفه وصف فيها نفسه، فقد وصف ولده بصفتين، وفي مقابل كلّ مشكله واجهها في حياته، فإنّ مخاطبه سيواجه مشكلتين.



أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ، وَإِقْبَالِ الآخِرَةِ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَيَّرَفَنِي رَأْيِي، وَصَيَّرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَيَّرَحَ لِي مَخْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدِّ لَيْكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَيْشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَضْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ.

### الشرح والتفسير: عله كتابه هذه الوصيه

في هذه الفقرة من الوصيه يتحدث الإمام عليه السلام فيها بادئاً من نفسه ويذكر الباعث له لكتابه مثل هذه الوصيه الأخلاقيه والإنسانيه، ويقول ما خلاصته: إنني نظرت إلى نفسي فرأيت كوكب عمري متجهاً نحو الأفول، وينبغي أن أهتم بنفسي وأستعد لسفر آخرتي، ولكن بما أنك تمثل جزءاً من وجودي بل جميع وجودي، فرأيت من الضروري أن أقدم لك هذه التحذيرات والنصائح، ويقول الإمام عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي، وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ وَإِقْبَالِ

ص: ٤١٧

١- (١). «جُمُوح» بمعنى التمرد والطغيان، و«جُمُوح» على وزن «قبول» وفي الأصل تعني الحيوان المتمرد والمنفلت، ثم اطلقت على كل إنسان منفلت ومتمرد بل تطلق أيضاً على الحوادث والقضايا التي تخرج عن اختيار الإنسان.

الْآخِرَةَ إِلَيَّ، مَا يَزَعُنِي (١) عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ، وَالْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي (٢)».

وفى هذا السياق يستنتج الإمام عليه السلام هذه النتيجة، أنّ هذا الاهتمام دعانى للتفكير فى نفسى والانصراف عن سلوكك طريق الأهواء النفسية وبين لى حقيقه مصيرى وأوصلنى هذا الأمر إلى مرحله لا يشوبها اللعب والهزل، بل كلّها صدق وحقّ: «غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي (٣) رَأْيِي وَصَيَّرَفَنِي عَنْ هَوَايَ، وَصَرَخَ لِي مَحْضُ أَمْرِي، فَأَفْضَى (٤) بِي إِلَى جِدِّ لَيْكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٌ لَأَيُشِوبُهُ كَذِبٌ».

وهذا إشاره إلى أنّ الإعراض عن الدنيا يوجب للإنسان اليقظه ويبعث فيه الانتباه لأنّه يرى نفسه فى مرحله الانتقال من هذه الدنيا، وهذا الأمر يقوده لاجتناب السقوط فى فخ الأهواء النفسانية، وأن يفكر بشكل جادّ بمصيره وعاقبته، ويجتنب أشكال اللهو واللعب ويحمل نفسه على الصدق وطلب الحقيقه بعيداً عن كلّ أشكال التعصّب والتساهل، ويهتمّ بمستقبله وحياته بعد الموت فيما يجمع له من زادٍ لسفر الآخرة.

وبهذه المقدمه يهدف الإمام عليه السلام ظاهراً لتحقيق أمرين: الأوّل: أن يؤمن مخاطبه بشكل تامّ أنّ ما قاله آنفاً ليس بالهزل، بل هو جادّ تماماً فى هذا الكلام، ويمثّل نتيجة مطالعات عميقه وتأمّلات فى وضعه الحالى والمستقبلى، والآخر أنّه يحذّر ولده من أنّه سيواجه مثل هذه الأمور فى المستقبل، ولا يبقى فى مرحله الشباب

ص: ٤١٨

١- (١). «يَزَعُ» من ماده «وزع» على وزن «وضع» بمعنى المنع والاعاقه عن شىء.

٢- (٢). «ما ورائى» إشاره إلى أهل الدنيا، المقامات، الثروات وأمّثال ذلك، وغرض الإمام عليه السلام من ذلك بيان هذه الحقيقه وهى أنّ الالتفات إلى قرب الانتقال من هذه الدنيا منعى من الميل للأموال الدنيويه وجعلنى ملتفتاً لمصيرى ومستقبلى، والعجيب أنّ بعض شراح نهج البلاغه ذكروا فى معنى «ما ورائى» أنّها تعنى الآخرة، فى حين أنّ مفهوم هذه العبارة يكون بهذه الصوره: إنّ الالتفات إلى نهايه عمرى شغلنى عن الاهتمام بأمر الآخرة، وهذا التفسير مجانب للصواب.

٣- (٣). «صدف» من ماده «صدف» على وزن «حذف» بمعنى الإعراض عن شىء.

٤- (٤). «أَفْضَى» من «الإفضاء» و«فضاء» وتعنى الوصول إلى شىء وكأنّه دخل إلى فضائه وجوّه.

دائماً (رغم أنّ الشباب ليس عنصراً يثير الاطمئنان والاعتماد في الحياه) وسوف لا تمضى مدّه إلّا وتقترب قافله عمرك وحياتك للوصول إلى المنزل الأخير، لئلا يعيش ولده حالات الغرور بالشباب وتقوده عناصر الحيويه نحو الطغيان وينسى مستقبله ويغفل عن عاقبه أمره.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يلفت النظر إلى هذه النقطة، وأنه لماذا فكر بتقديم النصح الكثير لولده في حين أنّ الإمام عليه السلام يعيش حاله الاهتمام بنفسه، ويقول: «وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي مُسْتَظْهِراً<sup>(١)</sup> بِهِ إِنَّ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ».

وعندما يعتبر الإمام عليه السلام بأنك بعض من وجودي فالمعنى واضح، لأنّ الإبن يولد من الأب والأم، وتتشكل أجزاء بدنه من بدن والديه، ولكن عندما يقول: ووجدتك جميع وجودي، يمكن أن يكون إشاره إلى أنّك الإمام بعدى وخليفتي في هذا المقام، وعلى هذا الأساس فإنّ جميع وجودي يتجلّى فيك، وتكون مرآه يتجلّى فيها كل وجودي.

ويحتمل أيضاً أنّ هذه الجملة إشاره إلى مجموعه الصفات الجسمانيه والروحانيه التي تنتقل من الآباء للأبناء بحكم قانون الوراثة، وأنّ الأبناء سيتحلّون بالصفات الجسمانيه والروحانيه للآباء.

وهنا مثل عربى معروف يمثّل بيت شعر يقول فيه الشاعر:

إِنَّمَا أَوْلَادُنَا يَبْنُونَ كَبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup>

وجاء فى شرح نهج البلاغه للمرحوم التستري أنّ رجلاً أعرابياً مات ابنه فكفنه ودفنه، ثمّ قال:

ص: ٤١٩

١- (١). «مستظها» من «الإستظهار» بمعنى طلب المعونه والنصره من شخص أو شىء.

٢- (٢). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ٦١.

دَفَنْتُ بِنَفْسِي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْحَبْتُ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا دَافِقٌ وَدَفِينٌ (١)

وجمله: «حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا...» وهى توضيح وبمثابه الدليل على كيفية أن يكون ابنه العزيز بعض وجوده أو كل وجوده فيقول: ومن هنا أجد أنّ كل مصيبه وكل ألم يصيبك فكأنما يصيبني حتى لو أنّ الموت جاءك فكأنه جاءني، لأننى أرى كل شىء فى نفسى فىك، فأنت جميع كيانى ووجودى، وعلى أية حال فهذا الاهتمام من الإمام علىّ بأمر ولده يشكّل الباعث الأصلي لكتابه هذه الوصيه المطوّله التى تعتبر تشكيله من أفضل المواعظ والإرشادات فى مجال التوحيد والمعاد، آداب الحياه، آداب تهذيب النفس، ورسم الطريق القويم والسلوك الصحيح فى الحياه مع المجتمع، وبما أنّ الإمام عليه السلام يمثّل أباً لجميع أفراد الأُمّه كما هو مقتضى الحديث النبويّ المعروف: «أَنَا وَعَلِيٌّ أَبَوَا هَذِهِ الْأُمَّه» (٢) فإنّ المخاطب بهذه الوصيه فى الحقيقه جميع أفراد الأُمّه.

وجمله: «إِنَّ أَنَا بَقِيْتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ» إشاره خلود مضمون هذه الرساله ودوامها، والواقع هو كذلك، فبالرغم من مضى أكثر من ألف عام عليها، فإنّها لا زالت طريه ويانعه وزاخره بالحيويه والحركه، وهى المصداق البارز لقول تعالى: «كَشَجَرِهِ طَيِّبِهِ أَضِيْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» (٣).

\*\*\*

ص: ٤٢٠

١- (١) . شرح نهج البلاغه التستري، ج ٨، ص ٣٣٠.

٢- (٢) . بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٩٥.

٣- (٣) . سوره ابراهيم، الآيتان ٢٤ و ٢٥.



فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ - أَيْ بُنَى - وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ.

### الشرح والتفسير: أوثق وسيله للنجاه

يستهل الإمام عليه السلام هذا المقطع من رساله بنصائح ببناءه ومفعمه بالإيمان، ويقدم في أربع جمل قصيره أربع توصيات لولده، وتمثل هذه التوصيات عصاره جميع الفضائل ويقول: «فإنني أوصييك بتقوى الله - أَيْ بُنَى - ولزوم أمره، وعماره قلبك بذكره، والإعتصام بحبله».

إنّ التوصيه بالتقوى هي التوصيه التي جعلها جميع الأنبياء والأوصياء في سلم أولويات برامجهم في حركه الحياه بعد الإيمان بالله، التقوى التي تمثل الزاد والمتاع في طريق الآخرة، ومعيار الفضيله والامتياز لشخص على سائر الناس، ومفتاح الجنه، والتقوى تعني الخشيّه الباطنيه والقلبيه من الله تعالى واجتناب كلّ أشكال الذنوب وارتكاب الآثام، والشعور والإحساس بالمسؤوليه أمام الله، ومن شأنها أنّ تخلق في نفس الإنسان مانعاً وسدّاً يحول بينه وبين الذنوب، والمرتبّه الأدنى منها هي العداله، والمرتبّه القصوى هي العصمه.

وفي التوصيه الثانيه يشير الإمام عليه السلام إلى الالتزام الواعي بالأوامر الإلهيه، وهذا هو الأمر الذي أكد عليه القرآن الكريم مراراً بعنوان «أطيعوا الله» والذي يعتبر من ثمار شجره التقوى.

وعبارته: «عَمَّارَهُ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ» إشارته إلى أهميته ذكر الله، لأن الغفلة عن ذكر الله تعنى خراب القلب وخواء الروح وجفاء العواطف ويصير الإنسان بالتالى ميداناً وملاذاً لجيش الشيطان، يقول القرآن الكريم: «أَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ تَطْمِئِنَّ الْقُلُوبُ» (١) وهذا الإحياء للقلوب لا يتسنى بالذكر اللفظى فقط، رغم أن الذكر اللفظى مهم جداً، بل الذكر العملى كما ورد ذلك فى الروايات الشريفه يقول الإمام الباقر عليه السلام: «ثَلَاثٌ مِنْ أَشَدِّ مَا عَمِلَ الْعِبَادُ: إِنْصَافُ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ، وَمُؤَاسَاةُ الْمَرْءِ مِنْ أَخِيهِ، وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ» ثم ذكر المقصود من ذلك وقال: «وَهُوَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ يَهُمُّ بِهَا فَيُحَوَّلُ ذِكْرُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةِ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» (٢).

وعبارته: «الِإِعْتِصَامُ بِحَبْلِهِ» إشارته إلى التمسك بتعاليم القرآن الكريم والذى يتضمّن مناهج لتحقيق السعادة فى واقع الحياه، ويشير القرآن إلى ذلك أيضاً بقوله:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا» (٣).

ونعلم أن المفسرين ذكروا لكلمه حبل الله فى هذه الآيه الشريفه معانٍ كثيره، فذهب بعض المفسرين إلى أن المراد منها القرآن الكريم، وذهب آخرون إلى أنها تعنى الإسلام، ويعتقد بعض أن المقصود منها أهل بيت النبوه، ولكن لا يوجد اختلاف وتباين بين هذه التفاسير، لأن «حبل الله» تعنى الارتباط الوثيق بالله تعالى وتشمل جميع هذه المعانى المذكوره.

ولهذا يقول الإمام عليه السلام فى مواصلاً كلامه: «وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْتَقُّ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ».

والتعبير بالحبل إشارته إلى أن الإنسان بدون التريبه الإلهيه يهبط إلى الحضيض

ص: ٤٢٢

١- (١) . سورة الرعد، الآيه ٢٨.

٢- (٢) . بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ١٥١، ح ٦ والآيه ٢٠١ من سورة الأعراف.

٣- (٣) . سورة آل عمران، الآيه ١٠٣.

ويسقط في بئر الطبعه، ولذلك لابد له من جبل متين يتمسك به ويرقى بواسطته ليخرج من هذه البئر، وهذا الجبل هو القرآن والإسلام والعترة.

وبالنسبة للتقوى وأهميتها وآثارها في حياه الإنسان وردت بحوث في ذيل الخطبه ١٥٧، الجزء ٦ ص ١٧٢ فصاعداً، والخطبه ١٦١، ص ٢٧٤ فما بعد.

\*\*\*

ص: ٤٢٣



أَحْيَ قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِنَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوَّهَ بِالْيَقِينِ، وَنَوَّرَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصَّرَهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا، وَحَيَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيْلِ إِلَى وَالْمَأْيَامِ، وَأَعْرَضَ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِيَيْنِ، وَذَكَّرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسَرَّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ، فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيَّنْ حُلُومًا وَنَزَلُوا! فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْيَاءِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرُوبِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ.

### الشرح والتفسير: أحي قلبك بالموعظه

ينطلق الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصيه ليستعرض اثنتي عشره موعظه مهمه تتسبب في تكامل روح الإنسان وأخلاقه، وتجعله يعيش الحياه المعنويه والمثل الإنسانيه.

بدايه يقول: «أَحْيَ قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِنَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوَّهَ بِالْيَقِينِ، وَنَوَّرَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرَّرَهُ (١) بِالْفَنَاءِ».

ويتبدى الإمام عليه السلام في هذه التوصيات الست بإحياء القلب، والقلب في هذا الموارد الروح والعقل والإدراك، فما لم يعيش القلب هذه الحياه المعنويه فلن يستطيع

ص: ٤٢٥

١- (١). «قَرَّرَ» من «التقرير» وتأتى بمعنيين، الأول، التثبيت ووضع الشيء في محله، والآخر بمعنى دفع شخص للإقرار والإعتراف بشيء معين، وفي الجمله مورد البحث جاءت بالمعنى الثاني، يعنى اجعل قلبك يقر ويعترف بفناء الدنيا.

الإنسان أن يتقدّم خطوه واحده باتجاه التكامل والسّموّ والتعالى، ويتوقف عن المسير عند هذا الحدّ، فما يوجب الحياه للقلب وينفخ فيه الروح، هو المواعظ والنصائح التي وردت فى القرآن الكريم والأحاديث النبويه الشريفه وروايات الأئمّه المعصومين عليهم السلام وما يستوحيه الإنسان من حوادث الدهر وتاريخ الأقبام البشريه.

وحقيقه الموعظه تتمثل فى التوصيه بالخيرات والمكرمات والتوقى من السيئات والقبايح، فإذا انطلقت هذه المواعظ من القلب مقترنه بالأدله والشواهد، وبتيه إسداء الخير للآخرين والشفقه عليهم، فإنّها تسكن فى القلب وتؤثّر فى إحياء الروح والعواطف.

وجمله: «أَمَّتُهُ بِالزَّهَادَةِ» المراد القلب الذى يعيش أسير الأهواء والشهوات، فمثل هذا القلب يجب أن يموت بآليه الزهد ويكسب له حياه جديده بالموعظه، وهذا التعبير بليغ وجدّاب جدّاً حيث يأمر الإمام عليه السلام أولاً بإحياء القلب ثم يأمر بإماتته، فالأمر الأوّل ناظر للأبعاد الإيجابيه فى العقل والروح، والأمر الثانى ناظر للأبعاد السلبيه وأن يكون العقل أسيراً فى براثن الشهوات، وفى الواقع أنّ الإمام عليه السلام يشبّه قلب الإنسان وروحه بالبستان الذى يحتوى على أشجار مثمره وأغصان زاهره وأزهار مختلفه الألوان، وفى ذات الوقت هناك أعشاب وأشواك ضارّه كثيره بين هذه الأشجار، فإحياء هذا البستان يعتمد على تنميه تلك الأشجار والأزهار وقلع هذه الأشواك والأعشاب الضارّه.

وبعد أن يحيى القلب بالموعظه وتتمّ إزاله العوائق والموانع بالزهد، تصل النوبه لتقويه القلب، فيقول الإمام عليه السلام: «وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ»، اليقين الذى يحصل عليه الإنسان من خلال النظر فى آفاق الخلق وأسرار الطبيعه، أو من خلال العباده والعبوديه لله تعالى، وبعد تقويه القلب باليقين يشتغل المؤمن بتنويره، وهو قول الإمام عليه السلام:

«وَنَوِّرُهُ بِالْحِكْمَةِ» فالحكّمه والمعرفه والعلم من شأنها أن تنير طريق السالك إلى الله وتمنحه المعرفه بالمطبيات والعوائق التى تواجه المؤمن فى طريق المعنويه.

وبما أنّ نفس الإنسان ربّما تتمرّد عليه وتسلك سبيل الطغيان والعصيان، فالإمام عليه السلام يرشدنا لكيفية كبح جماح هذه النفس، ويقول في الجملة الخامسة والسادسة: «وَدَلَّ اللَّهُ بِحِذْرِ الْمَوْتِ وَقَرَّزَهُ بِالْفَنَاءِ»، لأنّ الموت والإقرار بالفناء يعملان على تذليل هذا الجموح ويتعامل الإنسان مع الواقع والحياه من موقع الإذعان والتسليم، وقد رأينا الكثير من الناس عندما يفقدون عزيزاً لهم في حادثه فجائيه ويرون مشاركة الناس من الأقرباء والمعارف في التشيع ويحضرون في مجالس العزاء والمأتم، فإن آثار التذلل والتسليم باديه على وجوه الجميع، وربّما يكون لهذه الحاله تأثير مؤقت، ولكن على أيّه حال تشير إلى أنّ ذكر الموت والإقرار بالفناء إذا استمر لمدّه طويله فذلك من شأنه كبح جماح النفس المتمرّده والسيطره على نوازعها وشهواتها.

وبعد أن طرح الإمام عليه السلام هذه التوصيات في الجمل والعبارات السابقه، يوصى ولده بأن يتمعّن ويتدبّر في حوادث الدهر والزمان، ويرى المتغيّرات والتقلّبات التي تطرأ بالليل والنهار: «وَبَصَّرَهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَدَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ (١) تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ».

أحياناً تسدل الغفله ستائرهما على قلب الإنسان فيغرق في دوامه الأهواء والشهوات بحيث لا يدرك الحقائق المتعلّقه بالحياه والسعاده، ولا يتحرّك في طريق العقل والسلامه، فمن أجل إزاحه هذه الستائر والحجب وإضاءه زوايا القلب وتنوير العقل، فلا شيء أفضل من التدبّر في الحوادث المرّه والبلايا المؤلمه للدنيا وكثره التقلّبات الفجائيه في الحياه وبالأخصّ ما يراه الإنسان في حياه أصحاب القدره والسلطه في العالم، كلّ ذلك من شأنه أن يفتح نوافذ القلب ويعيد إليه بصيرته.

ص: ٤٢٧

---

١- (١). «فحش» يقال لكل عمل خرج عن حدّ الاعتدال واتجه نحو القبح، ولذلك تطلق هذه الكلمه على جميع المنكرات والقبايح الفاضحه، فيقال «فحش» و «فحشاء»، رغم أنّ هذه المفرده تستخدم في عرفنا المعاصر في مورد الانحرافات الجنسيه (وأحياناً تأتي كلمه فحش بمعناها المصدرى وأخرى يراد منها اسم المصدر).

وعبارته: «فَجَائِعِ الدُّنْيَا» إشارته إلى فجائع الناس في الدنيا، والتي تستتبع متغيرات وتقلبات كثيرة، أو إشارته إلى الحوادث المرّة والأليمه التي يفرضها الواقع الصعب على الإنسان في حركة الحياه.

وعبارته: «صَوَّلَهُ الدَّهْرُ» مع الالتفات إلى أنّ «صَوَّلَهُ» بمعنى الهجوم الكاسح والحمله الحاسمه، سواء كانت هذه الحمله من قبل حيوان مفترس أو إنسان قوئى وغاشم، فالعباره تشير إلى الآفات والبلايا والأمراض وأشكال الإخفاق التي يواجهها الإنسان في واقع الحياه والتي تهجم عليه كالحيوان المفترس في حين أنه لا- يملك وسيله للدفاع عن نفسه وغير قادر على التصدّى لها ومقاومتها.

وجمله: «فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيْلِ إِلَى وَالْمَأْيَامِ»، مع الالتفات إلى أنّ «فحش» تعنى كلّ عمل قبيح وغير مقبول، فهي تشير إلى أنّ مرور الزمان وتقلّب الليل والنهار من شأنه أن يثير تقلّبات مزعجه وتغيّرات مؤسفه في حياه الفرد والمجتمع البشريّ وتجعل من حياه الإنسان مظلمه ومشوشه، فلو تمعّن الإنسان في هذه الأمور وتدبّر في هذه الحوادث والتقلّبات، فذلك من شأنه أن يمنحه مزيداً من البصيره بحقائق هذا العالم، ويدفعه للحركه في الطريق الصحيح.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام يتعرّض لشرح هذه الحقيقه ويقول: «وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَحْبَارَ الْمَاضِيْنَ، وَذَكْرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِيْنَ، وَسِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ، فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا (١) وَنَزَلُوا».

وهذا المضمون هو ما ورد في القرآن الكريم في أكثر من آيه، حيث قال تعالى:

«قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» (٢).

ويقول أيضاً: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

ص: ٤٢٨

---

١- (١). «حلّوا» من ماده «حلّ» تأتي أحياناً بمعنى فتح العقده وحل المشكله، وأخرى الدخول إلى مكان معين، وفي الجمله أعلاه جاءت بالمعنى الثاني.

٢- (٢). سوره الروم، الآيه ٤٢.



يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (١).

المهم، أنّ المرء يشاهد في زوايا هذا العالم وفي الكثير من المناطق والمدن والأرياف، آثار القدماء من سكنه هذه المعموره، الآثار القديمه والأطلال الباليه التي عفى عليها الزمن، ولكنها في ذات كونها صامده تنطق بألف لسان وتتحدث معنا من موقع الاعتبار وتبين لنا حقيقه هذه الحياه الدنيا، والكثير من الناس عندما يشاهدون هذه الآثار والأطلال يفتخرون بها على اعتبار أنّها آثار تاريخيه تدلّ على وجود تمدّن وحضاره لدى أسلافنا وأجدادنا، في حين أنّ المرء ينبغي أن يستوحى منها دروس العبره ويسترشد بتقلّبات الزمان بما ينفعه في حياته ويكشف له الطريق.

ويتحدّث الإمام عليه السلام بعد ذلك ويبيّن توضيحاً أكثر لهذه الحقيقه: «فإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَبِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرَبَاءِ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ».

أجل، فلو شككنا في كل شيء فإننا لا نشكّ في هذه الحقيقه الحاسمه، وهي أنّنا بدون استثناء سائرون على خطى القدماء وسنلاقي نفس المصير، في ذلك اليوم الذي نودّع فيه الزوجه والأبناء الأصدقاء والمقامات وجميع وسائل الحياه ونتركها لغيرنا ونرحل.

## تأملان

### ١. الحياه وإعمار القلب

يشير الإمام عليه السلام في مستهلّ هذه الفقره من الوصيه إلى إحياء القلب بواسطه الموعظه، وفي الفقره السابقه أشار إلى عمران القلب، ومعلوم أنّ المقصود من القلب في هذه العبارات وأمثالها ليس ذلك العضو الخاص من البدن والذي يقع في الصدر، ووظيفته ضخّ الدم إلى جميع أعضاء البدن؛ بل المراد منه روح الإنسان وعقله كما ورد ذلك أيضاً في المصادر اللغويه.

ص: ٤٢٩

والروح الإنسانيه هي التي يجب إعمارها وإصلاح الخلل فيها من خلال سلوك سبيل التقوى والإصغاء إلى المواعظ، لأننا نعلم أنّ الإنسان يملك ثلاث نفوس، وأحياناً أربع نفوس، النفس النباتيه والتي تظهر آثارها في نموّ الجسم والتغذيه وتوليد النسل، النفس الحيوانيه، التي تتولى، مضافاً لما سبق، الإحساس والحركه، فالأظافر وشعر الإنسان تملك روحاً نباتيه فقط، ولهذا السبب لا- يشعر بها الإنسان عندما تقطع في عمليه تقليم الأظافر وقصّ الشعر، ولكن اللحم والعضلات - مضافاً إلى أنّها تملك روحاً نباتيه، فلها روح حيوانيه أيضاً، فأدنى ضرر أو أذى يلحق بالإنسان تحسّ به هذه العضلات وتتألم، أمّا النفس الإنسانيه، فإنّ أثرها البارز هو الإدراك والشعور والخلاقيّه والتفسير والتحليل للمسائل المختلفه، وهي حقيقه يملكها الإنسان مضافاً للنفس النباتيه والحيوانيه، وطبعاً هناك بعض الأشخاص الذين يملكون نفساً رابعه أيضاً وهي التي يطلق عليها بالنفس القدسيه، وهذه تدرك الحقائق المجرّده التي يعجز عن إدراكها الأفراد العاديون (أحياناً تطلق روح القدس على جبرئيل، وأحياناً أخرى على ملك أعظم منه) وقد ورد التعبير عنها في بعض الروايات (روح الإيمان) ولعلّ ذلك إشاره إلى هذه المرتبه العاليه للنفس الإنسانيه.

وجاء في حديث شريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ فَارَقَهُ رُوحُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>، إلّا أن يتوب ويتحرّك على مستوى جبران الخلل.

وجاء في بعض الروايات أنّ روح القدس أعلى مرتبه من روح الإيمان وقد جاءت الأرواح الخمسه فيها<sup>(٢)</sup>.

الروح الإنسانيه أحياناً تكون بدرجة من القوّه والنفوذ بحيث تنير كافّه زوايا الإنسان وأبعاد شخصيته، وأحياناً أخرى تكون إلى درجه من الضعف بحيث يقال عنها أنّها ميّته.

ص: ٤٣٠

١- (١). الكافي، ج ٢، ص ٢٨٠، باب الكبائر، ح ١١.

٢- (٢). انظر: الكافي، ج ٢، ص ٢٨٢، باب الكبائر، ح ١٦.

يقول الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: «التَّفَكُّرُ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ»<sup>(١)</sup>. وفي حديث آخر عنه عليه السلام يقول: «عَلَيْكُمْ بِالْفِكْرِ فَإِنَّهُ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ وَمَفَاتِيحُ أَبْوَابِ الْحِكْمَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي مقابل ذلك ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «أَرْبَعٌ يُمْتَنُ الْقَلْبُ: الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ وَكَثْرَةُ مُنَاقَشَةِ النَّسَاءِ - يَعْنِي مُحَادَثَتَهُنَّ - وَمُمَارَاةُ الْأَحْمَقِ... وَمُجَالَسَةُ الْمَوْتَى، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْمَوْتَى؟ قَالَ كُلُّ غَنِيٍّ مُتْرَفٍ»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك ورد في الروايات عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «لِقَاءُ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ عِمَارَةُ الْقُلُوبِ وَمُسْتَفَادُ الْحِكْمَةِ»<sup>(٤)</sup>. وفي روايه أخرى يقول عليه السلام: «عِمَارَةُ الْقُلُوبِ فِي مُعَاشَرَةِ ذَوِي الْعُقُولِ»<sup>(٥)</sup>.

ومن المعلوم، كما ورد في الروايات أعلاه، أن قلب الإنسان أحياناً يكون بشكل خربه أو يكون سقيماً، وأحياناً أخرى يفقد جميع ملامح إنسانيته وقد يكون أقرب إلى الموت منه إلى الحياة، والإمام عليه السلام في وصيته مورد البحث يوصي الإنسان بإحياء قلبه وعمرانه والعمل على تعميره وتقويته معنويته، وذكر الله عامل أساس لإحياء القلب والموعظه بدورها وسيله وأداة لهذا الإحياء المعنوي.

## ٢. الوعظ الكثيرون

عندما يدور الحديث عن الوعظ فسوف يتبادر إلى الذهن من هذه الكلمه الإنسان المجرب والحكيم والمتقى والسالك سبيل الخير والإيمان، الذي استفاده من آيات القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام وتجارب الآخرين ومطالعاته في زياده الوعي بحقائق العالم وكيفيه السير في طريق معنويات والقيم، في حين أن

ص: ٤٣١

١- (١) . ميزان الحكمه، ح ١٧٠٣٠.

٢- (٢) . المصدر السابق، ح ١٧٠٣١.

٣- (٣) . الخصال، ص ٢٢٨.

٤- (٤) . غرر الحكم، ص ٤٣٠، ح ٩٧٩٥.

٥- (٥) . المصدر السابق، ص ٤٢٩، ح ٩٧٧٤.

الروايات الشريفه تذكر وعظاً آخرين إلى جانب ذلك، ومنهم الحوادث الممره والمصائب الأليمه التي تصيب الإنسان في الدنيا، وهو ما يشير إليه الإمام عليه السلام في قوله: «أَخِي قَلْبِكَ بِالْمَوْعِظَةِ».

والواعظ الآخر للإنسان يتمثل في تاريخ القدماء وسيره الأتوام الماضيه وأطلال القصور والقبور المندرسه والديار المتروكه، والتي تتحدث مع الإنسان بألف لسان وهي صامته، والإمام عليه السلام بهذه العبارات يشير إلى هذا الواعظ أيضاً.

الواعظ الآخر الذي يتحدث عنه الإمام عليه السلام في نهج البلاغه في (الخطبه ١٨٨) أجساد الموتى ويقول: «فَكَفَى وَعِظًا بِمَوْتِي عَايِنْتُمُوهُمْ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ»<sup>(١)</sup>.

وقد نستوحى من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وعظاً آخرين يعبر عنهم بالواعظ الباطني، يعنى الوجدان اليقظ والضمير الحي في واقع الإنسان وقلبه، يقول: «وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ»<sup>(٢)</sup>، وهذا الواعظ النفساني هو ما ورد في القرآن الكريم في سوره الشمس، قال تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»<sup>(٣)</sup>.

الواعظ الآخر هو ما بينه الإمام موسى الكاظم عليه السلام لهارون الرشيد عندما طلب هذا الأخير من الإمام عليه السلام موعظه، فقال له الإمام عليه السلام كلاماً وجيزاً وعميق الغور: «مَا مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ عَيْنَيْكَ إِلَّا وَفِيهِ مَوْعِظَةٌ»<sup>(٤)</sup>.

يعنى أن النجوم المتلألئه في السماء، والشمس والمضيئه، والقمر المنير، والظهر المحدودب للمسنيين، الشعر الأبيض للشيخ، أوراق الشجر اليابسه في فصل الخريف، والقبور المندرسه للموتى، والقصور المتهاوويه للملوك، كلها تتضمن دروساً

ص: ٤٣٢

١- (١) . نهج البلاغه، الخطبه ١٨٨.

٢- (٢) . نهج البلاغه، الكلمات القصار ٨٩.

٣- (٣) . سوره الشمس، الآيتان ٧ و ٨.

٤- (٤) . بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٢٤.

وعبراً، وتنطق بالمواعظ فى سكوتها المطبق.

فلو أنّ هارون نظر إلى الحوادث المثيرة والتقلّبات المذهله فى تاريخ بنى أميه وبنى العباس، فسوف يستوحى منها أفضل الدروس وأعظم العبر.

ومن هذا المنطلق يكون كلام الإمام عليه السلام فى هذه الوصية: «أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ» يتضمّن مفهوماً واسعاً بحيث يستوعب جميع عناصر الوعظ وكافّه الوعّاظ.

يقول أبوالفرج الاصفهاني فى كتاب الأغاني: كانت الخرقاء بنت النعمان إذا خرجت إلى بيعتها (محلّ العباده) يفرش لها الطريق بالحرير والديباج المغشّى بالخزّ والوشى، ثمّ تقبل فى جواربها حتّى تصل إلى بيعتها، وترجع إلى منزلها، فلما هلك النعمان نكبها الزمان، فأنزلها من الرفعه إلى الذلّه، فلمّا وفد سعد القادسيه أميراً عليها وانهزم الفرس وقتل رستم، أتته فى حفده من قومها وجواربها عليهنّ المسوح والمقطّعات السود تطلب صِلته، فقال لهنّ: أيتكنّ الخرقاء؟ قال: ها أنا ذى إنّ الدنيا دار زوال ولا تدوم على حال، كتّما ملوك هذا المصر يُجى لنا خراجه ويطيعنا أهله مدى المدّه والزمان، كذلك الدهر ليس يأتى قوماً بمسرّه إلّا ويعقبهم بحسره ثمّ قالت:

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا

وكذلك ينقل عن محمد بن عبدالرحمن الهاشمى قال: دخلت على امى يوم أضحىّ وعندها امرأه فى أثواب دنسه، فقالت: أتعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هى عتابه ام جعفر البرمكى، فسلمت عليها وقلت لها: حديثنى بيعض أمركم، فقالت:

أذكر لك جملة فيها عبره لمن اعتبر، لقد هجم علىّ مثل هذا اليوم وعلى رأسى أربعمائه وصيفه وأنا أزعم أنّ ابنى جعفر عاقّ فىّ، وقد أتيتكم اليوم أسألکم جلدى شاتين، شعار ودثار(١).

ص: ٤٣٣

١- (٢). المصدر السابق، ص ٣٣٣ ونقل هذه القصة أيضاً المرحوم المحدّث القمى فى تتمه المنتهى، ص ٢٤٨.

أَيْنَ كِسْرَى الْمُلُوكِ أُنُو

سِرَّهُ مُلْكُهُ وَكَثْرَهُ مَا يَم

\*\*\*

ص: ٤٣٤

فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَمَّا تَبِعَ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَمَّا تَعْرِفُ، الْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ. وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ خَيْرِهِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ. وَأُمِرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنِ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ، وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ. وَخُصِّ الْعَمْرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ، وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ، وَعَوِّذْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ.

### الشرح والتفسير: الاستقامه سبب تحقيق النصر والنجاح

يتحرّك الإمام عليه السلام في مستهلّ هذا المقطع من الوصيه ليستنتج ممّا تقدّم في المقطع السابق من التوصيه بمطالعه أحوال القدماء والسير في آفاق التاريخ، خمس نتائج ومواعظ مهمه، ويقول: «فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ؛ وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ، وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ خَيْرِهِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ».

جمله «أَصْلِحْ مَثْوَاكَ» مع الالتفات إلى أنّ «مَثْوَى» تعنى المكان والمنزل والأخير، أى آخرتك، فهى تشير إلى أنّك يجب عليك أن تتحرّك فى هذه الدنيا من موقع النظر إلى الآخرة والاهتمام بإعمارها.

ونقرأ فى دعاء يوم الثلاثاء من أذنيه أيام الاسبوع للإمام على بن الحسين عليهما السلام:

«وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي فَإِنَّهَا دَارُ مَقَرِّي».

وجمله: «لَمَا تَبِعَ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ» إشاره إلى أن المتاع الثمين الذى يوصل الإنسان إلى دار السعادة الأبدية لا ينبغي أن تبيعه مقابل ملذات رخيصه وسريعه الزوال فى الدنيا، وهذا هو ما ذمّ عليه القرآن الكريم جماعه من اليهود وشجب أعمالهم حيث قال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ» (١).

وجمله: «دَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَاتَعْرِفُ» إشاره إلى أن الإنسان قد يتحدث عن أمور لا يحيط بها علماً، وقد نهى القرآن الكريم عن هذا العمل مراراً، منه قوله تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» (٢) وفى مورد اتباع وساوس الشيطان يقول: «إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (٣).

وعبارته: «وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ» إشاره إلى أن لا ينبغي لك أن تتدخل فيما لا يخصك ولا يعينك، وبالتعبير المتداول (لا تكن فضولياً فى شؤون الآخرين) فما أكثر الأشخاص الذين واجهوا بسبب تدخلهم فى شؤون الآخرين وفيما لا يعينهم، مشاكل كثيره وتورطوا فى صراعات وخسروا الكثير ممّا بهمهم، وهذا هو ما أكد عليه القرآن الكريم: «عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» (٤).

وآخر جملة: «وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ...» إشاره لضروره رعايه الاحتياط فى الشبهات، وهذا المعنى يعتبر أصلاً عقلائياً مسلماً، فعندما يجد الإنسان نفسه فى مفترق طريقين، طريق يتميز بوضوح، خالى من العثرات والمطبات، وطريق مظلم ومجهول، فالعقل يقول: لا ينبغي أن تسلك فى مثل هذا الطريق، لأنك سوف تبلى بعواقب سيئه، وحتى لو وصلت لمقصدك من هذا الطريق، فإن مصيرك محفوف بالخوف والاضطراب، فينبغى للإنسان أن يسير بخطوات مطمئنه فى الطريق الواضح

ص: ٤٣٦

١- (١) . سورة البقره، الآيه ٨٦.

٢- (٢) . سورة الاسراء، الآيه ٣٦.

٣- (٣) . سورة البقره، الآيه ١٦٩.

٤- (٤) . سورة المائده، الآيه ١٠٥.



وبحاله من الطمأنينه ليصل إلى مقصده وينال بغيته.

وهذا الأصل العقلاني ورد في روايات كثيرة، منها ما وردت الإشارة إليه في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «دَعَّ مَا يُرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيئُكَ»<sup>(١)</sup> وحديث طويل عن عمر بن حنظله قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام: عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعه...  
أصحابنا بينهما منازعه...

إلى أن قال عليه السلام: «إِنَّمَا الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ بَيْنَ رُشْدِهِ فَيَتَّبِعُ، وَأَمْرٌ بَيْنَ عَيْهِ فَيَجْتَنِبُ، وَأَمْرٌ مُشْكِلٌ يُرَدُّ عَلَيْهِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: حَلَالٌ بَيْنَ وَحَرَامٌ بَيْنَ وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ نَجَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَمَنْ أَخَذَ الشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ الْمُحَرَّمَاتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ»<sup>(٢)</sup>.

وبديهى أن كل هذه التوصيات والأوامر لا تتنافى مع مسأله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإرشاد الجاهل، بل ترتبط بالموارد التي لا يملك الإنسان مسؤوليه تجاهها، ولذلك يقول الإمام عليه السلام بعد هذه التوصيات: «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنُّ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ، وَبَايِنُ مَنْ فَعَلَهُ بِجَهْدِكَ».

الجملة الأولى: «وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنُّ مِنْ أَهْلِهِ» إشاره إلى أن الإنسان عندما يأمر الآخرين بالمعروف ولا يكون من أهله فسوف يعيش تائب الضمير ويشعر بالخجل أمام وجدانه، أضف إلى ذلك أنه يخجل من الناس عندما يقولون إنه يأمر بالمعروف في حين أنه يرتكب المنكر، ومجموع هذه الأمور يقود الإنسان من خلال الأمر بالمعروف إلى مرتبه أخلاقية بحيث يجد نفسه تدريجياً يسير في خط العاملين بالمعروف الذين يعيشون أجواء الفضيله.

وجمله: «وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ...» إشاره إلى مراتب النهي عن المنكر، وقد ذكر الإمام عليه السلام هنا مرتبتين لهذه المهمه، جاء في مورد آخر من كلمات الإمام عليه السلام القصار الإشاره إلى ثلاث مراحل ومراتب لها: الأولى: الإنكار بالقلب، والامتعاض الباطنى

ص: ٤٣٧

١- (١). بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٥٩، ح ٧.

٢- (٢). الكافي، ج ١، ص ٦٨، ح ١٠.

من المنكر، وذلك عندما يجد المؤمن نفسه فى مناخ غير مناسب ويعيش القهر والظلم من قبل الظالمين وقوى الشر، فيجد يديه مقيدته وفمه مكتوم.

المرحلة الثانية: الإنكار باللسان.

والمرحلة الثالثة: التصدى العملى لمواجهة المنكرات والعمل على تطهير الإنسان والمجتمع منها، والكثير من الفقهاء يرون أن هذه المرحلة من وظائف الحكومه الإسلاميه والحاكم الشرعى، بينما المرحلة الأولى والثانية تقع على عهده عامه المكلفين.

وجمله: «وَيَايُنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ» ممكن أن تكون إشاره إلى المورد لا يؤثر فيه النهى عن المنكر، ففى مثل هذا المورد يجب على الإنسان أن يترك مجالس المنكر ويتعد عن المرتكبين للمعاصى والمنكرات.

ويحتمل أيضاً أن المراد النهى القلبى الذى يترك آثاره على ملامح الوجه، وهو أحد المراحل الثلاث للنهى عن المنكر، وقد ورد فى حديث عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِي بِوُجُوهِ مُكْفَهَرَةٍ»<sup>(١)</sup>، ليعلموا من ملامح الغضب المرتسمه على وجوهنا أننا ننكر أعمالهم ولا نوافقهم فى سلوكياتهم.

ثم يستمر الإمام عليه السلام فى بيان هذه التوصيات والمواعظ ويقول: «وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ. وَخُضْ (٢) الْغَمْرَاتِ (٣) لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ».

ونعلم أن للجهاد مراحل ومراتب متعدده، سواء كان المقصود الجهاد المسلح ضد الأعداء، أو بمعنى السعى وبذل الجهد فى مسير الحق والعدالة، وبعض هذه المراحل لا تليق بالمجاهدين الحقيقيين، اللائق هم أن يحققوا فى واقعهم وذواتهم آخر

ص: ٤٣٨

١- (١). الكافى، ج ٥، ص ٥٨، ح ١٠.

٢- (٢). «خض» صيغه أمر من «الخوض» على وزن «حوض» فى الأصل بمعنى الدخول التدريجى فى الماء، ثم استخدم كناية عن الورود أو الشروع فى كل عمل.

٣- (٣). «غمرات» جمع «غمرة» على وزن «ضربه» وأصلها من «غمر» وتعنى زوال أثر الشىء، ثم استخدمت فى الماء الكثير الذى يغطى جميع جهات الشىء، يقال: «غمرة» و «غامر» ثم اطلقت على كل ابتلاء شديد وجهل يغمر الإنسان ويحيط به من كل جانب و «غمرات الموت» بمعنى الشدائد التى يواجهها المحتضر فى حالات الموت.

مرحله وأعلى مرتبه من هذا السلوك المعنوي، ويبدلوا كل جهدهم وطاقتهم في سبيل الثبات والاستقامه في خط الإيمان والعبوديه، وجمله: «جَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» إشاره إلى هذا المعنى.

أمّا جملة: «وَلَمَّا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَمَائِمٍ» فهي إشاره إلى أنه أحياناً يلتف بعض الأراذل حول الإنسان المجاهد ويلومونه على مسلكه ويعيقون حركته في طريق الحق، والإيمان، فالإمام عليه السلام يقول: لا ينبغي أن يكون هذا الذمّ والتوبيخ مانعاً لك من الاستقامه في هذا الطريق، فعندما يتبين لك طريق الحق فسر فيه بعزم راسخ وتوكل على الله، ولا تهتم لأقويل المبطلين، ولا تلتفت للوم اللائمين.

وبما أنّ طريق الحق يزخر بالمشكلات الكثيره والمآزق الخطيره، وأنّ السالكين في طريق الحق لا يصلون إلى مقصدهم بدون مواجهه هذه الأزمات والمآزق، فالإمام عليه السلام يشبه هذه المشاكل والمآزق بأمواج البحر العاتيه «وَحُضِّ الغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ» ويأمر بخوض هذه الغمرات وعدم التراجع عن هذه الأمواج للوصول إلى المطلوب ونيل الجواهر الحقيقيه.

وهذا الكلام للإمام عليّ عليه السلام مقتبس من الآيات القرآنيه الشريفه، فنقرأ في الآيه ٧٨ من سوره الحج: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» وفي الآيه ٥٤ من سوره المائده:

«يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ».

وذهب الكثير من المفسرين أنّ «حقّ الجهاد» تعنى إخلاص التيه، ولكن ينبغي الالتفات إلى أنّ هذا المفهوم لا ينحصر بإخلاص التيه، بل مراده أنّ أصعب مراحل الجهاد وهو جهاد النفس يتطلب إخلاص التيه.

وفي ختام هذه الفقره يطرح الإمام عليه السلام نصيحتين مهمتين أيضاً لولده، فيقول: «وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ (١) عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ».

ص: ٤٣٩

---

١- (١). «تصبر» من ماده «صبر» بمعنى الاستقامه وضبط النفس، والفرق بين التصبر والصبر أنّ الشخص الصبور هو واقعاً من أهل الصبر والاستقامه، وأمّا التصبر فيقال في مورد الشخص الذي لم يصبح من أهل الصبر فعلاً بل يريد أن يملك هذه الحاله النفسيه والفضيله الأخلاقيه.

ومع الالتفات إلى أن «تفقه» من مادة «فقه» يعنى الفهم والإدراك، فمقصود الإمام عليه السلام من هذه الجملة «وَتَفَقَّهُ فِي الدِّينِ» أنه لابد من الوعي الكامل لحقائق الدين ومعرفة أصوله وفروعه من موقع العمق والتمعن ولا تقنع بالفهم السطحي لقضايا الدين، بل عليك التعمق في هذه الأمور.

وجمله: «عَوِّدْ نَفْسَكَ...» إشارة إلى أن الصبر والاستقامه في مقابل المشكلات والتحديات لا تتوفر للإنسان إلا من خلال التمرن وتعويد النفس على الثبات في مواجهه الشدائد، فينبغي عليك أن تمرن نفسك على الثبات والصبر حتى بضحي لديك عادة وملكه راسخه.

وعبارته: «نِعْمَ الخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الحَقِّ» إشارة إلى أن كل عمل جيّد ومطلوب يواجهه عادة موانع ومشاكل مختلفه، فلو لم يتمسك الإنسان بآليه الصبر والاستقامه على الحق، فلا يستطيع أن يصل إلى نتيجة مرضيه من أى عمل إيجابى، فقطف الورد لا يتيسر بدون تحمّل ألم الشوك، والحصول على العسل من خليه النحل يقترن غالباً بلسعات الزنابير، فلو لم يستقم الإنسان في خطّ الحق والإيمان مقابل المشاكل والتحديات الصعبة التي يفرضها الواقع، فسوف لا يصل إلى أى هدف مقدّس في حركة الحياه.

ومن المناسب هنا أن نستعرض بعض أشعار أبي الأسود الدؤلى في هذا الصدد، يقول:

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتُهُ

تأملان

## 1. رعايه الاحتياط عند الإحساس بالخطر

يعدّ الاحتياط في موارد الشك، أحد الأصول المسلّمه في مذهبنا، وأحياناً يكون الاحتياط واجباً في بعض الموارد، وأخرى مستحباً.

وأصل الاحتياط يمتدّ بجذوره إلى حكم العقل، ويقرّر العلماء في علم الأصول هذا الاحتياط بأنه دفع الضرر والمحمل، وهنا بحث في وجوبه بشكل مطلق أو بتوفّر بعض القيود والشروط، فالعقل يحكم بضروره اجتناب الأضرار المحتمله والابتعاد عنها، والملفت أن نفس هذه المسأله وردت في علم الكلام (العقائد) بوصفها ركيزه أساسيه للتحقيق في المسائل الدينيه والمسائل العقائديه كالمبدأ والمعاد، وعلى هذا الأساس يتمّ البحث عن مسأله وجود الله ومعرفة الله وأنّ ترك التحقيق في هذه المسائل ربّما تترتب عليه أضرار عظيمه، ولهذا السبب يحكم العقل بضروره أن يتحرّك الإنسان من موقع البحث والتحقيق فيها.

ولا- يكتفى الإمام عليه السلام بمجرد تقديم النصحيه بالاحتياط في هذه الفقره «وَأْمَسَّكَ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَمَالَتَهُ..» بل يتحرّك على مستوى الاستدلال وبيان هذه النصيحه لولده بآليات الإقناع والبرهان ويقول: إنّ المسير في طريق يخشى فيه من الوقوع في مهاوى الضلاله، وربّما يقود الإنسان نحو الحوادث المهوله والمخوفه؛ فينبغي اجتناب سلوك هذا الطريق، لأنّ التوقى والكفّ في مثل هذه الموارد أفضل من الوقوع في دوامه الحوادث الصعبه وركوب الأهوال الخطيره.

وأساساً فإنّ الاحتياط، مع رعايه الاعتدال فيه وعدم الإفراط، يعتبر في جميع الموارد المعنويه والماديه، عمل منطقي ومعقول.

## ٢. الطريق لنيل الفضائل الأخلاقية

جملة: «وَعَيَّوْذُ نَفْسِكَ التَّصَبُّرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ» إشاره إلى أصل أخلاقي مهم، وهو أنّ الأشخاص الذين لم يتلقوا تربيته أخلاقية مناسبة في بدايه أمرهم سيكون من

ص: ٤٤٠



الصعب عليهم تقبيل الأوصول والقيم الأخلاقية، وينبغي لهم أن يمارسوا فرض هذه القيم على النفس بآلية التكرار والتمرن على ذلك، وهذا الفعل المتكرر، من شأنه أن يتسبب في صيروره ذلك الأمر الأخلاقي عادة مستديمه، والاستمرار على هذه العاده يجعل منها ملكه نفسانيه راسخه في واقع الإنسان، يعنى أن هذا الخلق سينفذ تدريجياً إلى أعماق روح الإنسان بحيث تشهد تحوّلاً في السلوك الأخلاقي.

وقد ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب غررالحكم: «الخَيْرُ عَادَةٌ» وأيضاً «العَادَةُ طَبْعٌ ثَانٍ»، وهذه الكلمات إشاره إلى هذا المعنى مورد البحث.

أما الفرق بين التصبر والصبر، فهو أنّ الشخص الصابر هو واقعاً من أهل الصبر والاستقامه، أى يعيش هذه الملكه الراسخه، وأما التصبر فيقال للشخص الذى لا يجد فى نفسه ملكه الصبر وليس من الصابرين، بل يدفع نفسه بهذا الاتجاه.

وأساساً فالكثير من الفضائل الأخلاقية لا يحصل عليها الإنسان إلا برياضه النفس والتعود والتمرن، وبما أنّ الصبر والاستقامه ومواجهه التحديات الصعبه يعتبر رأس مال جميع النجاحات فى الحياه، وطبقاً لما ورد فى بعض الروايات أنّ الصبر بالنسبه للإيمان كالرأس من الجسد، فلا بد للإنسان من السعى الجادّ لتحقيق هذه الملكه والفضيله الساميه، وكما يقول الشاعر:

صَبْرًا لِمَا تُحَدِّثُ الْأَيَّامُ مِنْ حَدِيثٍ

ومما ينسب لإمير المؤمنين عليه السلام:

أَلَا فَاصْبِرْ عَلَى الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ

وَأَلْجَيْ نَفْسِيكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيْزٍ، وَمَانِعِ عَزِيْزٍ. وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِزْمَانَ، أَكْثَرَ الْإِسْتِخَارَةِ، وَتَفْهَمَ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحًا، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَأَخَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ.

### الشرح والتفسير: لا تساهل في هذه الوصية

وينطلق الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصية (القسم السادس) لبيان خمس توصيات مهمّة لولده وثمره فؤاده.

بدايه يطرح مسأله التوكّل على الله ويقول: «وَأَلْجَيْ (١) نَفْسِيكَ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ، فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ (٢) حَرِيْزٍ (٣)، وَمَانِعِ عَزِيْزٍ».

إنّ التوكّل وليد الإيمان بالتوحيد الأفعالي، فعندما يعتقد الإنسان أنّ جميع الأمور في العالم بيد الله تعالى، ويؤمن بأنّ الله مسبّب الأسباب، فمن الطبيعي أن يلتجئ إليه في جميع مشاكله وحاجاته، وتسكن إليه نفسه ويرى فيه ملاذاً آمناً لما يواجهه في واقع الحياه من أزمات وتحديات.

والتوكّل لا يعنى التكاسل وأن يترك الإنسان السعى والعمل ويجلس بأمل لطف

ص: ٤٤٣

١- (١). «ألجىء» من «الإلجاء» وأصلها من «الجوء» بمعنى الاحتماء بالشيء، و «الرجاء» تعنى دفعه لطلب اللجوء والحمايه من الطرف الآخر.

٢- (٢). «كهف» بمعنى الغار الواسع وثم اطلقت على كل شيء ملاذ وملجأ يلجأ إلى الإنسان.

٣- (٣). «حريز» بمعنى المحافظ وهو من ماده «حرز» على وزن «فكر» ويعنى حفظ الشيء.



اللّه ورزقه، بل بمعنى أن يستخدم الإنسان جميع طاقاته وقدراته في سبيل الوصول إلى أغراضه، ويتحرّك على مستوى إزاحه الموانع وحلّ المشكلات، ولكن بما أنّ بعض هذه المشاكل والأزمات ربّما يكون حلّها خارج طاقه الإنسان وفوق قدرته وإمكاناته، فإنّه يلتجئ إلى لطف الله تعالى ورحمته الواسعه ويلوذ بقدرته المطلقة ليتسنى له السيطرة على تلك المشاكل.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى مسأله الإخلاص ويقول: «وَأَخْلَصَ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ، فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِزْمَانَ».

الإخلاص بدوره يعدّ من ثمرات الإيمان بالتوحيد الأفعالي أيضاً، لأنّ الإنسان عندما يعلم يقيناً بأنّه: «لا مَوْثِرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ» فيكون حينئذٍ الرزق والحرمان بيد الله تعالى، وعندما يؤمن بهذا الأمر من موقع الاطمئنان القلبي فسوف لا يطلب شيئاً من غيره، ويتوجّه إليه بإخلاص وصفاء نيّه ويسأله حاجاته، ومن هنا فقد ورد في الروايات الشريفه أنّ المرائين مشركون، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «كُلُّ رِيَاءٍ شِرْكٌ إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِلنَّاسِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى النَّاسِ وَمَنْ عَمِلَ لِلَّهِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ» (١).

وتشير هذه الجملة ضمناً إلى هذه الحقيقه، وهى أنّ الإنسان لا ينبغي له أن يطلب حاجاته إلّا من البارى تعالى، وإن توجّه لغير الله في بعض الحاجات طبقاً لما يفرضه عالم الطبيعه من أسباب وعلل ماديّه وطبيعيّه، فيجب أن يعلم أيضاً بأنّ المؤثر الحقيقي هو الله تعالى، وأنّ إرادته غالبه على كلّ شىء، وأنّ مشيئته مهيمنه على مشيئته عباده، فجملة «فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِزْمَانَ»، تقرّر هذه الحقيقه الغيبيه.

وفى التوصيه الثالثه يقول الإمام عليه السلام: «وَأَكْثِرِ الْإِسْتِخَارَةَ»، أى اطلب من الله الخير والصلاح فى الحياه.

وللاستخاره معنيان: أحدهما الاستخاره المتداوله بين الناس فى هذه الأيام، فكلّ مشكله يواجهها الإنسان ولا يستطيع حلّها بقوّه عقله أو بواسطه التشاور مع

ص: ٤٤٤

أهله ورفاقه، فإنه يتوجه إلى الله تعالى ويستشير في هذا الأمر، فالاستخاره هنا نوع من المشورة مع الله تعالى، والمعنى الآخر للاستخاره أن يطلب الإنسان من الله تعالى الخير والصلاح في كل عمل يقدم عليه، يعنى أن يجعل الله تعالى حاكماً على مصيره، فيتحرّك في حياته من أجل الكسب والتجارة والزراعة وما إلى ذلك ولكن لسان حاله يقول: (أَسَدٌ يَخِيْرُ اللّٰهَ بِرَحْمَتِهِ)، يعنى أطلب من الله الخير والبركة والرحمة، وهذا النوع من الاستخاره ورد التأكيد عليه كثيراً في الروايات الشريفة، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَا اسْتَخَارَ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدٌ مُّؤْمِنٌ إِلَّا خَارَ لَهُ» (١).

ثم يوصى الإمام عليه السلام ولده بأن يتعمق في فهم هذه الوصايا والنصائح، ولا يمرّ عليها مرور الكرام أو يتعامل معها بسطحيته وتساهل، ويقول: «وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْكَ صَفْحاً» (٢).

ثم يقدم الدليل لتأييد هذه الحقيقة، ويقسم العلوم والمعارف إلى ثلاثة أقسام يقول: «فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَع، وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَأَخَيْرٍ فِي عِلْمٍ لَّا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَّا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ».

فالعلوم النافعة هي العلوم التي تعين الإنسان في مسيرته المعنوية والقرب إلى الله، سواء كانت في مجال العقائد أو العبادات أو الأخلاق وما شاكل ذلك، وبذلك تحقق له حياه كريمه في هذه الدنيا وتنقذه من الفقر الذي يعدّ عاملاً رئيسياً للكفر والضلاله والانحراف.

والعلوم غير النافعة هي العلوم التي لا يجد الإنسان فيها خير الدنيا ولا خير

ص: ٤٤٥

١- (١). بحار الأنوار، ج ٨٨، ص ٢٢٤، ح ٤.

٢- (٢). «صفح» في الأصل بمعنى الجانب والطرف المواجه للشيء، ومعناه المصدرى الإعراض وصرف النظر عن الشيء، وبما أنّ صرف الإعراض عن الشيء تارة بدفاع العفو الصفح وأخرى بسبب الغضب والاستياء، فهذه المفردة تستعمل بكلا المعنيين، وضمناً ينبغي الالتفات إلى أنّ فاعل تذهبن هو الوصيه، ومعنى الجملة أنّ وصيتي لا ينبغي أن تنسى بسبب الإهمال والإعراض عنها، أى لا تتعامل معها من موقع اللامبالاه والتساهل، وجاء في بعض النسخ كلمه «عنها»، بدلاً من عنك، وفي هذه الصوره سيكون فاعل تذهبن المخاطب، أى الإمام الحسن عليه السلام.

الآخره، وأحياناً يستخدمها الإنسان لقضاء الوقت أو اللهو والتفاخر، كما ورد في الحديث المعروف عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: عَلَّامَةٌ. فَقَالَ: وَمَا الْعَلَّامَةُ؟ فَقَالُوا لَهُ: أَعَلِمَ النَّاسَ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا، وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَالْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ، قَالَ:

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ذَاكَ عِلْمٌ لِيَضُرُّ مَنْ جَهَلَهُ وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ» (١).

وبديهي أن العلوم والمعارف التي يحتاج إليها الإنسان في إعمار الدنيا وقضاء حاجاته الدنيوية، وتساهم في نجاته من الفقر والمرض ومشكلاته الأخرى، تعتبر من العلوم المفيدة أيضاً، لأنها في الواقع بمثابة مقدّمه لتلك الطوائف الثلاث من العلوم النافعة.

والقسم الثالث من العلوم، العلوم المضرة، من قبيل علم السحر والشعوذة والعلوم التي ترتبط بإنتاج الوسائل المحرّمة مثل الخمر والمخدرات، وفي عالمنا المعاصر نرى أن هذه العلوم أكثر بكثير من الماضي، منها العلوم التي تساهم في صنائه أسلحه الدمار الشامل كالقنابل الذرية والأسلحه الكيماوية وأمثال ذلك، فتعلم مثل هذه العلوم وتعليمها حرام في الإسلام، لأنها تكون مقدّمه للحرام.

### تأمل: العلوم النافعة وغير النافعة

لا شك أن العلم نور وضياء في حياه الإنسان، ولكن هذا لا يعنى أن جميع العلوم مفيدة ومطلوبه.

وكما رأينا في وصيه الإمام عليه السلام مورد البحث أن الإمام قد قسم العلوم إلى ثلاثه أقسام:

ص: ٤٤٤

١- (١). الكافي، ج ١، ص ٣٢، ح ١.

الأول: العلوم التي تنفع الإنسان في حياته، وأحياناً تكون ذات بعد معنويّ من قبيل العلوم والمعارف الدينيه والأحكام الشرعيه والأخلاق الإنسانيه، وأحياناً ذات بعد مادّي مثل جميع العلوم التي يحتاج إليها الإنسان في حياته الدنيويه ومعاشه، من قبيل علم الطبّ، الزراعة، العلوم الدفاعيه، الصناعات الخفيفه والثقيله، وما إلى ذلك، وأنه لولا توفر هذه العلوم والمعارف وما يترتب على فقدانها من خلل في حياه الإنسان الماديّه، فإنّ ذلك من شأنه أن يفرز مشاكل معنويه كثيره، وعلى ضوء ذلك فإنّ مثل هذه العلوم تعتبر في الإسلام واجباً كفاثياً، يعنى يجب على كلّ جماعه أن يتوجّهوا لطلب بعض هذه العلوم لتأمين جميع حاجات المجتمع الإسلامي الماديّه، ولو لم يتوفّر في فرع من فروع هذه العلوم من يتصدّى له بالمقدار الكافي، فسيكون الوجود عينياً على الأفراد.

وفي هذا السياق لا ينبغي للمسلمين في كلّ عصر وزمان، بخاصّه في عصرنا هذا، أن يتخلّفوا عن الآخرين في هذه العلوم، بل يجب أن يكونوا رواداً للعلم والمعرفه كما كانوا كذلك في القرون الأولى للإسلام.

الثاني: العلوم المضرّه، وهي العلوم التي يترتب عليها تخريب النظام الاجتماعيّ وهدم سلامه المجتمع وإعاقه حركه المجتمع نحو التطوّر والتقدّم والإزدهار، كالعلوم التي تنتج أسلحه الدمار الشامل وتستخدم لصناعه المخدّرات والخمور وأمثالها.

الثالث: العلوم الزائفه وغير المفيده، أي أنّها غير مضرّه وغير نافعه، وقد ذكرنا نماذج منها في شرح كلام الإمام عليه السلام.

\*\*\*



أَيُّ بَيْتِي، إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًّا، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادًا وَهِنًا، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأُورِدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجْلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقُنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ.

وإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبَلَ بِحِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُعَيْتَهُ وَتَجَرِبَتُهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِّتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رَبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ.

### الشرح والتفسير: الباعث لكتابه هذه الوصيه

في هذا المقطع من الوصيه وهو (المقطع السابع) ينطلق الإمام عليه السلام مره أخرى ليبيّن هدفه من كتابه هذه الوصيه المطوّله والزاخره بالمواعظ النافعه، ويتألف الهدف الذي يرسمه الإمام عليه السلام من قسمين، قسم يتمثل في وجود الإمام عليه السلام وإحساساته، وقسم آخر يتجسّد في وجود الإمام الحسن عليه السلام، وخلاصه ما يريد الإمام عليه السلام قوله:

إِنِّي بَلَغْتُ سِنًّا مُتَقَدِّمَةً وَرَبَّمَا يَكُونُ قَدْ حَانَ أَجْلِي، وَلِهَذَا السَّبَبُ أَقْدَمْتُ عَلَى كِتَابَةِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ لَكَ، وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى فَأَنْتَ شَابٌ تَمْلِكُ الاسْتِعْدَادَ لِقَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِصْغَاءَ إِلَى الْمَوَاعِظِ، وَأَخْشَى أَنْ يَتَقَدَّمَ بِكَ الْعُمْرُ وَتَفْقُدَ مِثْلَ هَذَا الاسْتِعْدَادِ،

ولها تين الجهتين بادرت لكتابه هذه الوصيه.

بدايه يقول الإمام عليه السلام: «أبى بنبى إنبى لَمَا رَأَيْتُنِى قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتُنِى أَرْدَادُ وَهْنَا، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ».

ومعلوم أن عمر الإمام عليه السلام فى ذلك الوقت كان قد بلغ ستين سنه أو أكثر قليلاً من ذلك، وكان عمر الحسن عليه السلام أكثر من ثلاثين عاماً ويملك فى ذلك الوقت مشاعر الشباب وإحساسات الفتوه، وهذا يعتبر درساً لجميع الآباء تجاه أبنائهم، فعندما يتقدم بهم العمر وقبل أن يحلّ أجلهم، أو يتجاوز الأبناء مرحله الشباب ويفقدوا الاستعداد لتقبل النصيحة وتغيير المواقف والسلوكيات، فاللازم على الآباء أن يتقدموا لهم بمثل هذه التوصيات.

ثم إن الإمام عليه السلام يتقدم بتوضيح أكثر ويقول: «وَأُورِدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْصِي (١) إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ (٢)».

وهنا نرى الإمام عليه السلام يتحدث، لا من موقع كونه إماماً معصوماً ولا أن مخاطبه بوصفه ابنه المعصوم، بل بوصفه أباً مسناً ومحبباً لولده الذى يخشى عليه أن يقع فى دوامه الأهواء وفتن الدنيا ووساوس النفس، ويشير إلى أمرين، أحدهما يعود لنفسه، والآخر لولده، ويقول: إننى من جهه قد بلغ بى العمر سنّ الشيخوخه، وأخشى أن يحين أجلى وأفقد الحديث معك، ومن جهه أخرى أن التقدم فى السنّ ربّما يضعف الذهن والفكر كما يضعف أعضاء البدن الأخرى، ومن جهه ثالثه، أخشى عليك الآفات المختلفه والوقوع فى شباك الشيطان والأهواء النفسانيه ومغريات الدنيا،

ص: ٤٥٠

١- (١). «أفصى» من «الإفضاء» وأصلها «فضاء» بمعنى الوصول للشىء وكأنه دخل فى جوه وفضائه، ثم اطلقت على مفهوم إلقاء مطلب معين وتعليمه لآخر وكأن المتكلم ألقى هذا المفهوم فى فضاء فكر المخاطب.

٢- (٢). «نفور» فى الأصل بمعنى الحيوان الهارب الذى نفر من شىء مخوف، ثم اطلقت على كل إنسان يهرب من شىء.

وحينئذٍ ستزول الفرصه للموعظه وتقديم النصح.

وعلى أساس هذه الجهات بادرت لكتابه هذه الوصيه لأصل إلى الغايه المطلوبه قبل فوات الأوان.

والعجيب أن ابن أبي الحديد في شرح عبارات هذه الوصيه، وعندما يبلغ حديث الإمام عليه السلام عن نفسه يقول: «إن هذه العبارات تشير إلى خلاف ما يعتقد الشيعه الذين يقولون أن الإمام معصوم في مثل هذه الأمور ولا يواجه نقصاً في فكره ولا قصوراً في رأيه»<sup>(١)</sup>.

في حين أن جميع القرائن، كما أسلفنا ذلك، تشير إلى أن الإمام عليه السلام عندما يتحدّث بمثل هذا الكلام فإنه لا ينطلق من موقع الإمامه والعصمه، بل من موقع الأب المسنّ والخير والمجرب الذي يتقدّم بالنصح لولده الشاب الذي لم يجرب الأمور بعد.

ولو أن ابن أبي الحديد التفت إلى كلام آخر للإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغه أيضاً حيث يقول: «فَأَسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَتَسْأَلُونَ عَن شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ»<sup>(٢)</sup>، فسوف يتبين له الجواب عن هذا التّوهم.

وأيضاً يقول الإمام عليه السلام في كلام آخر في الخطبه ١٨٩: «أَيُّهَا النَّاسُ سِئَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَلَأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ»، أجل، لو أن ابن أبي الحديد أخذ بنظر الحسبان هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام لما تحدّث بمثل ذلك الكلام.

ثم إن الإمام عليه السلام يبيّن الدليل والعلّه ل طرح هذه الوصايا لولده الشاب، ويقول:

«وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ».

وهذا الأمر قد ثبت بالتجربه مرّات عديده، بل هناك روايه صارت كالمثل تقول:

«الْعِلْمُ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ»<sup>(٣)</sup> أي الخطّ والرسم الثابت والعميق الذي لا

ص: ٤٥١

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٦٦.

٢- (٢). نهج البلاغه، الخطبه ٩٣.

٣- (٣). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٦٧.



يزول أو يتغير بسهولة. ثم تضيف الرواية: وَالتَّعَلُّمُ فِي الكِبَرِ كَالخَطِّ عَلَى المَاءِ،<sup>(١)</sup> في سرعه زواله وتغييره.

ثم إنَّ الإمامَ يقدِّم دليلين آخرين ويقول: فَبَادِرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَتَسَوَّ قَلْبُكَ، وَيَسْتَعْمَلَ لُبُّكَ.

والحقيقه أنَّ الإمامَ يبيِّن ثلاثة أدلَّة لاختياره لهذا الموقع والسَّن لتقديم النصيح والموعظه، منها، استعداد قلب الشاب لتقبل الموعظ، وقساوه القلب بسبب عدم التلوُّث بالذنوب وعدم اشتغال الذهن بمشاكل الحياه، وكلِّ واحده من هذه الجهات الثلاث كافٍ لوحده لاختيار هذا الوقت المحدد، فكيف إذا اجتمعت هذه الجهات مع بعضها!

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «لَسَدَيْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ»<sup>(٢)</sup> وَتَجْرِبَتُهُ، فَتُكُونُ قَدْ كُفِيَتْ مَوْئِنَهُ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ.

ويشير الإمام عليه السلام في هذه الفقره من الكلام إلى أهميه الاستفادة من تجارب الآخرين، لأنَّ الحياه ليست سوى تجارب، والإنسان العاقل بدلاً من أن يجزَّب كلَّ شيء بنفسه ويترتَّب على ذلك أضرار ومشاكل كثيره، فإنَّه يستفيد من تجارب الآخرين ويتعلَّم منهم ما يعينه في مسيرته بدون أن يدفع ثمن هذه التجارب، وبعبارة أخرى، إنَّ الأجيال اللاحقه من حيث انتفاعها بتجارب القديماء، تعيش أفضل حالاً منهم من حيث السعاده والخبره في مواجهه التحديات والظروف، فما اكتسبه القديماء بتعب وجهد كبير فإنَّ الجيل اللاحق ينتفع منه بدون تعب، وكما يقول الإمام: «كُفِيَتْ مَوْئِنَهُ الطَّلَبِ وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ».

ولذلك يقول الإمام عليه السلام في ختام هذه الفقره من الوصيه: «فَاتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا

ص: ٤٥٢

١- (١). شرح نهج البلاغه، ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٦٧.

٢- (٢). «بغيه» بمعنى الطلب، من ماده «بغى» على وزن «نقى»، ويقول الراغب في مفرداته إنَّ هذه الكلمه تعنى أحياناً مفهوماً ايجابياً وهو طلب الخيرات، وأخرى مفهوماً سلبياً وهو تجاوز حدِّ العداله والميل لجهه الظلم والباطل.

نَأْتِيهِ، وَاسْتَيْبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ»، فحصلت عليه بدون أن تتعب نفسك في تحصيله، بل ربّما كان قد خفى عنك بعض الأمور ولكن بمرور الزمان استبان لك، وهو إشارة إلى أن تجارب القدماء أحياناً تقع بأيدي الجيل اللاحق بشكل كامل فينتفعون بصورة تامّة، وأحياناً يكون القدماء قد سلكوا بعض الطريق وعلى الخلف أن يكمل المسيره، وقد يحصل على نتائج وثمار لم يحصل عليها القدماء.

وكما أشرنا سابقاً أنّ الإمام عليه السلام في هذه الوصيه لا يتحدّث من موقع الإمامه ومقام العصمه، بل بوصفه رجلاً مجرباً وخبيراً بالأمور الدنيا وتعقيداتها وينقل هذه التجارب من موقع الحرقه والشفقه على ولده الذى يجده فى مواجهه التحديات الصعبه وأعاصير الحوادث والمتغيرات لينتفع من هذه التجارب، بل أحياناً يكون الأب قد سار بعض الطريق وحصل على بعض النتائج وعلى الابن إكمال هذه المسيره والحصول على نتائج أفضل.

### تأمل: معطيات التريه فى سنّ الشباب

إنّ تاريخ الأنبياء يشير إلى أنّ الشباب هم الشريحه الاجتماعيه الأولى الذين آمنوا بالرساله الإلهيه وتحركوا من موقع الدفاع عنها والالتزام الواعى بتعاليمها، ويحدّثنا القرآن الكريم فى موارد عدّه عن قصّه نوح عليه السلام وإيمان الشباب به وإعراض المسنّين الأثرياء عنه وعن رسالته السماويه، وكذلك يدلّنا تاريخ الإسلام على أنّ المؤمنين بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كانوا فى الغالب من فئه الشباب.

والروايات الإسلاميه تؤيد هذه الحقيقه، فالإمام الصادق عليه السلام يقول لأحد أصحابه والذى توجه إلى البصره للدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام: «عَلَيْكَ بِالْأَحْدَاثِ فَإِنَّهُمْ أَسْرَعُ إِلَيَّ كُلِّ خَيْرٍ» (١).

ص: ٤٥٣

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» (١).

وأيضاً ورد فى حديث آخر عنه عليه السلام أنه قال: «بَادِرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْحَدِيثِ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَكُمْ إِلَيْهِمُ الْمُرْجَةُ» (٢)، والمرجئه هم الذين لا يعتقدون بإمامه على بن أبى طالب عليه السلام وأنه خليفه رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة.

ويستفاد من الفقرة الأخيرة من وصيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة بوضوح تام.

والدليل على ذلك واضح، لأن قلب الشبان من جهة نقى وخالٍ من أدران التلوث بالعقائد الباطلة وحالات العناد والتعصب، ولهذا السبب فهو كالأرض الصالحة للزراعة، الخالية من الأشواك والأعشاب الضارة، فعندما يبذر فيها أى نوع من البذور، فإنه ينمو بسرعة.

ومن جهة أخرى فإن الشاب قليل التعلق بالأمور الدنيوية والمادية، وقليل الانشغال بالأوهام والعناوين الزائفة التى من شأنها حجب القلب والعقل عن تقبل الحق.

ومن جهة ثالثة فإن تعاليم الأنبياء وأحكام الدين الإلهى تتقاطع فى موارد كثيرة مع مطاعم الشيوخ غير المشروعة، فهؤلاء غير مستعدين للتنازل عن مطاعمهم وطموحاتهم بسهولة، فى حين أن الشباب لا يعيشون هذه المشكله ولا يواجهون هذا العائق.

يقول أحد الشعراء:

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مُهَلِّ

\*\*\*

## القسم الثامن

### إشارة

أَيُّ بَيْتِي، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرٌ مِنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرَّتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ؛ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمَرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صِفَافَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لِمَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لِمَكَ جَمِيلَهُ، وَصَيَّرْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمَرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو بَيْتِهِ سَلِيمِهِ، وَنَفْسٍ صَافِيهِ.

### الشرح والتفسير: تجارب الآخرين وإطاله عمر اللاحقين

يشير الإمام عليه السلام فى مطلع هذه الفقرة من الوصية إلى نقطه فى غاية الأهمية، وهى ضروره مطالعه ودراسه تاريخ القدماء وسيره الأقوام السالفه فيما يصل إلينا من أخبارهم وأعمالهم ومن خلال ما تركه لنا آثارهم (ولأطلاع القبور المندرسه والثروات الباقية...) ويقول: «أَيُّ بَيْتِي، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرٌ مِنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرَّتُ

فِي آثَارِهِمْ؛ حَتَّىٰ عُذْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَىٰ إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ».

وهو إشارة إلى أن الحياة ليست سوى تجربه، فلو أن المرء انتفع من تجارب الآخرين وتدبر في أعمالهم والنتائج المترتبة عليها، ونظر بعين العبرة إلى آثارهم وما بقي منهم في مطاوى التاريخ، فإنه سيعيش طيله عمره وكأنه عاش مع جميع

ص: ٤٥٤

---

١- (١). الكافي، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ٤.

٢- (٢). المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٧، ح ٥.



الأقوام والمجتمعات البشرية على امتداد التاريخ، منذ أن خلق الله آدم عليه السلام ولحد الآن.

ثم يضيف الإمام عليه السلام، لقد تدبّرت في جميع أخبارهم وآثارهم، واخترت منها الصفوه، وعرفت النافع من الضارّ، والحسن من السيء: «فَعَرَفْتُ صِفُو ذَلِكُ مِنْ كَدْرِهِ، وَنَفَعُهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ (١) وَتَوَخَّيْتُ (٢) لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ».

إشاره إلى أنّ مطالعه آثار القدماء والسير في ثنايا تاريخهم وآثارهم لا يكفي في التعلّم والاعتبار، بل ينبغي أن يكون الإنسان كالصّرّاف الذي يستخلص من كلّ أمر الجيّد منه ويميّز بين الغثّ والسمين، والحسن والردىء ويلقى بالسيء والردىء جانباً، وينتفع من الحسن والجيّد، فيقول الإمام عليه السلام: وقد اخترت لك الجميل من أعمالهم وصرفت عنك الردىء وألقيت به بعيداً.

وفى ختام هذه الفقره من الوصيه يبيّن الإمام عليه السلام الباعث له على هذه الوصيه مرّه أخرى بقوله: «وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْبَعِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ (٣) الدَّهْرِ، ذُو نَيْهِ سَلِيمِهِ، وَنَفْسٍ صَافِيهِ».

وهذا اشاره إلى أنّى عندما أتعبت نفسى فى جمع تجارب القدماء وما تحدّث به التاريخ عن الأمم السابقه، فقد استخلصت لك منها هذه المواعظ، والباعث لذلك أمران: الأول: أنّى والدك الشفيق والمحبّ لك والطالب لسعادتك، والآخر: أنّك

ص: ٤٥٦

١- (١). «نخيل» من «النخل» فى الأصل تعنى الغراب الذى يستخدم فى تطهير الدقيق من الشوائب والنخاله، ثم اطلقت كلمه «نخيل» على كل شىء تمت تصفيته وتنقيته، والمراد من العبارة أعلاه أنّى اخترت لك الشىء النقى والمصفى من تاريخ وسيره القدماء وتركت الأمور المظلمه والكدره جانباً، وينبغى الالتفات إلى أنّ «نخيل» بهذا المعنى لها جهه وصفيه، وهى غير «نخيل» جمع «نخل» وهى شجره التمر.

٢- (٢). «توخيت» من «الوخى» على وزن «نفى» بمعنى قصد الشىء والتوجه إليه، و «توخى» فى هذا المورد جاءت بمعنى الانتخاب والاصطفاء.

٣- (٣). «مقتبل» بمعنى مطلع وبدايه كل شىء، وهى من «الإقبال» وتعنى الشروع بالأمر والابتداء عمل معين.

شابت وتعيش في بدايه العمر وتملك قلباً نقياً وروحاً طاهره، فهذان الأمران يبيران ما أتعبت نفسى من أجلك وييسران كل عسير من أجل سعادتك وراحتك.

والواقع أنّ الإمام عليه السلام بهذا الكلام يعلم جميع الآباء والمحبين لأبنائهم أنّهم إذا كانوا يطلبون السعاده لأبنائهم فعليهم أن يتعاملوا معهم بآليه التربيه مادامت قلوب الأبناء صافيه ونقيه وغير مكدره بمشاكل الحياه، ولاسيما أنّ تاريخ القدماء زاهر بالدروس والعبر وتقدّم للإنسان نماذج حسيه للمسير في خطّ القيم الأخلاقيه والمثل الإنسانيه.

## تأملان

### ١. تشكيله منسجمه من أسرار التاريخ

منذ اليوم الذى اخترع فيه الإنسان الخطّ واستطاع تدوين آثاره وتجاربه من خلال الكتابه، ابتدأ التاريخ البشرى، وانتقلت تجارب الأقسام السابقيه إلى الأقسام اللاحقه بوصفها ميراثاً ثميناً مختزناً في مطاوى التاريخ وثنايا القرون، فقد دون التاريخ عوامل النجاحات والإخفاقات التى أصابت الأقسام والمجتمعات البشرى، وبين أسباب اهتزاز السلطات والحكومات وعوامل انهيار الحضارات والحوادث الحلوه والمره التى يزخر بها تاريخ البشرى بحيث أنّ الأشخاص المطلعين وأهل الخبره يستطيعون رؤيه مسيره حياتهم الفرديه والإجتماعيه فى مرآه التاريخ دون أن يحتاجوا لخوض غمار تجارب جديدته وتكرار ما واجهته الأقسام السابقيه اعتماداً على ما يستوحونه ويستفيدونه من تجارب الآخرين.

ومن هذا المنطلق يستعرض القرآن الكريم فى آيات كثيره تاريخ الأقسام السالفه من موقع كونها عبره للأحياء، ويتحدّث عن هذه الحقيقه بصراحه: «لَقَدْ كَانَ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ» (١).

ص: ٤٥٧

١- (١). سوره يوسف، الآيه ١١١.

ويتحدّث القرآن أيضاً في بعض أخباره التاريخيه من موقع كونها تمثّل دروساً وتختزن في مطاويها عبراً يستوحى منها الناس ما ينفعهم في حياتهم ومعيشتهم، ويختار منها «أَحْسَنُ الْقَصَصِ» ويقول: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ» (١).

وأحياناً يحثّ القرآن الكريم مخاطبه على السير في الأرض ومطالعه آثار الأقبام الماضيه وما انعكس على حياتهم وسلوكياتهم في التاريخ ويقول: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» (٢).

وفي هذه الوصيه يشير الإمام عليه السلام إلى نقطه مهمه فيما يتّصل بالتاريخ البشري، وهي أنّ مطالعه تاريخ القدماء من موقع الدقه والعمق، من شأنه أن يمنح الإنسان عمراً خالداً وكأنّ الإنسان الذي يدرس حوادث التاريخ يعيش مع الأقبام البشريه منذ أن خلق الله آدم وإلى هذا اليوم، ويستوحى من تجاربهم وحالتهم ما يعينه في مسيرته وحياته، ويمثّل له زاداً ومتاعاً لمواجهه الصعوبات والتحدّيات التي يفرضها الواقع عليهم، والحقيقه أنّ مثل هذا التراث الثمين الذي حصل عليه الإنسان المعاصر بنفقات زهيده جداً، يعدّ متاعاً مهماً وزاداً ضرورياً يمنحه الحركه والقدرة على مواصله المسيره.

ومن الطبيعيّ أن نجد بعض نقاط القصور والثغرات المهمه في التاريخ، وذلك بسبب هيمنه قوى الاستكبار والسلطه لتشيويه وتحريف حقائق التاريخ بما يصبّ في صالحها، بحيث استطاعوا تلويث مرآه التاريخ في موارد كثيره و عملوا على إخضاع المؤرّخين بآليات الطمع والتهديد لصياغه التاريخ حسب رؤيتهم لا على أساس ما يعكسه الواقع التاريخي، وكنموذج بارز لهذا التحريف والتشويش ما قام به بنو اميه من تحوير وتزييف لحقائق التاريخ.

ص: ٤٥٨

١- (١) . سورة يوسف، الآيه ٣.

٢- (٢) . سورة الروم، الآيه ٤٢.



ولكنَّ المحقِّقين من أهل الخِبره والأطّلاع استطاعوا من خلال توخّي الدقه في ملاحظه البرهان والشواهد المتناثره في زوايا التاريخ ومطاوى الحوادث التاريخيه، أن يميّزوا بين الصحيح والسقيم، الحقّ والباطل، وبما أنّ الكاذب ضعيف الحافظه وبيتلى غالباً بالتناقض في كلامه، استطاع هؤلاء المؤرّخون المخلصون من تمييز الماء الزلال من الكدر وتشخيص الحقيقه من الوهم والزيف.

ونتمنّى على أصحاب السلطه وقوى الهيمنه والاستكبار في عالمنا المعاصر إلقاء نظره إلى التاريخ، وعلى الأقلّ مطالعه مسيره الملوك والسلاطين السابقين وما كان مصيرهم ليشاهدوا عن كثب مصيرهم في المستقبل في مرآه التاريخ ويتجنّبوا التعامل مع الشعوب بالظلم والجور والسحق الحقوق.

## ٢. كيف توصل الإمام عليه السلام لتاريخ الأقسام الماضيه؟

يستفاد من كلمات الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الرساله أنّ الإمام عليه السلام قد توصل لفهم تاريخ القدماء من خلال أربع طرق: الأول: من خلال النظر في أعمالهم، ويمكن أن يكون ذلك إشاره إلى الأعمال والسلوكيات التي انتقلت شفويّاً من جيل إلى جيل، ومن الآباء إلى الأبناء حتّى وصلت إليه.

الثاني: من خلال التفكير والتدبّر في أخبارهم المنعكسه والمدوّنه على صفحات التاريخ بشكل مكتوب.

الثالث: من خلال السير في آثارهم والنظر إلى بقايا مدنهم وأطلال قصورهم، أي القصور الخاويه على عروشها والخرائب والأطلال المتبقّيه من مدنهم، القبور المندرسه وما إلى ذلك، حيث تتحدّث هذه الآثار والأطلال وهي صامته عن الحقائق التي تتعلّق بتلك الأقسام الماضيه، وتبين ما كانوا عليه من حياه وثقافه وسلوك وفكر، وقد نقل إلينا العرفاء المطلعون والشعراء المتعمّقون أموراً كثيره عن تلكم الأقسام من خلال تدبّرهم وتأملهم في هذه الآثار المتبقّيه.

الطريق الرابع الذى استفاده منه الإمام عليه السلام لمعرفة حالات القدماء وتاريخهم يتمثل فى العلم عن طريق الوحي النازل على النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وقد نقله النبى الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أعز تلاميذه والوصى على رسالته وهو الإمام على عليه السلام.

وبما أن المصادر الأخرى غير هذا المصدر الأخير، يقترن عادة بالأخطاء والتحريف واختلاط الأخبار الصحيحه والزائفه، فالإمام عليه السلام يقول: «فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ... فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ...».

\*\*\*

ص: ٤٦٠

وَأَنْ أُبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لِأَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ. ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مِمَّا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُمْ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَيَّ أَمْرٍ لَمَّا آمَنْتُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقُصْدِكَ فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ.

### الشرح والتفسير

رغم أن هذا المقطع من كلام الإمام عليه السلام (القسم التاسع) معطوف على الجملة السابقة أي: (أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ) وينبغي أن يمثل قسماً شاخصاً، ولكن بما أن الإمام عليه السلام استعرض في هذا المقطع المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم والتعاليم الإلهية فإنه جعل ذلك قسماً مستقلاً على حده وقال: «وَأَنْ أُبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ (1) الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، لِأَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ».

ومما لا شك فيه أن أعلى ما ورد من تعاليم الإسلام من العقائد والأحكام والقيم

ص: ٤٦١

١- (١). «شرائع» جمع «شريعة» وفي الأصل بمعنى الشاطيء والمحل الذي يرد منه الإنسان إلى النهر ليشرب، لأن سطح الأنهار عادة يقع أسفل من سطح الأرض، ولذلك يتم تعديل الشاطيء بشكل انسيابي وتدرجي أو على شكل مدرجات ليستطيع الناس من الوصول إلى الماء بسهولة. ثم اطلقت هذه المفردة على الأحكام السماوية والشرعية والتعاليم الإلهية للناس، أعم من العقائد والأحكام والأخلاق، وارتباطها بالمعنى الأصلي واضح، لأن الإيمان والتقوى والعدل والصلح حالها حال ماء الحياة للإنسان وتحقيق السعادة الأبدية والطريق الوصول إليها من خلال الشرعية الإلهية.

الأخلاقية، وردت في القرآن الكريم، وأنَّ سنَّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام بمثابة الشرح على فروع ومسائل تلك الأصول المبيّنة في كتاب الله، ومن هنا فالإمام يتدبّر في تربيته ولده من القرآن الكريم، ويوحى لجميع المسلمين أن ينتهجوا بتعليم وتربيته أبناءهم هذا النهج من القرآن الكريم، حتّى لا يقعوا فريسه وساوس الشياطين من الجن والإنس.

والمقصود من «تأويله» هو تفسير القرآن، لأنَّ القرآن الكريم يتضمّن بعض المواضيع المذكورة على سبيل الإجمال، فتحتاج لتوضيح وتفسير النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام والعلماء والمطلعون على عمق مداليل النصّ القرآنيّ من خلال القرائن الحاليه والمقاليه، والمراد من «شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ» العقائد الإسلاميه بقريته ذكر الأحكام بعده، رغم أنّ الشرائع والشريعة تطلق على الأصول والفروع، وعبارته «حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ» توضيح للأحكام، لأنَّ العمده في الأحكام ما يتصلّ بمسأله الحلال والحرام، رغم وجود أحكام أخرى من قبيل المستحبات والمكروهات والأحكام الوضعيه أيضاً.

وجمله: «لَمَّا أُجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ» إشاره إلى أنني أرى جميع حقائق الدين بعيده عن أيّ خطأ واشتباه في القرآن الكريم، وبذلك لا اسلمك لسلوك طرق مشكوكه في العقائد والأحكام، لأنني أعلم أنّ الكثير من المسلمين في صدر الإسلام وبسبب نفوذ الأفكار الزائفة، انجذبوا نحو المذاهب الباطله في الأصول والفروع، وقد انعكس ذلك على تفسيرهم للآيات القرآنيه وأخذوا يفسّرون القرآن برأيهم وبالاستناد لتلك الذهنيه المشوّشه، وقد اتّجهوا في معرفتهم لأحكام الإسلام نحو القياس والاستحسان والاجتهادات الظنيه التي تفتقد للأساس المحكم والدعامه القويه، وفي المسائل الفرعيه وقعوا في أخطاء واشتباهاات كثيره وغرقوا في دوامه البدع. والعبارات اللاحقه في كلام الإمام عليه السلام شاهد على هذه الحقيقه.

ثُمَّ إِنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ السَّلَامَ يَشِيرُ إِلَى نَقْطَةِ أُخْرَى وَيَقُولُ: «ثُمَّ أَشْفَقْتُ (١) أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتُمْ مِنْ تَنْبِيهِكُمْ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكُمْ إِلَيَّ أَمْرٌ لِمَا آمَنُ عَلَيْكُمْ بِهِ الْهَلَكَةَ».

وخلاصه كلام الإمام عليه السلام هو أنني في هذه الوصية بينت بالدليل والبرهان زيف العقائد الباطلة والآراء الموهومة رغم أن طرح مثل هذه العقائد الباطلة وشبهات المنحرفين ليس محبباً، ولكن الضرورة تستوجب أن أطرح مثل هذه المقولات وأجيب عنها، لأن هذا العمل أفضل من أن أقوم بإخفائها والتستر عليها، وربما تبثلى أنت بها في يوم من الأيام ولا يمكنك الإجابة عنها.

إن هذا الهاجس يعيشه جميع المعلمين والمربين من أهل العلم والأطلاع، فإنهم لو لم يطرحوا شبهات الضالين فيخشى على الطرف المقابل مَن يرومون تربيته وتعليمه أن يقع يوماً في شباك هذه الشبهات، ومن هذا المنطلق يسعون لعرض تلك الشبهات، وعلى الأقل المهم منها بشكل كلي والإجابة عنه بشكل حاسم.

وهذه العبارة يمكن أن تكون استمراراً لكلام الإمام عليه السلام حيث يعود إلى القرآن الكريم وبيان أهميته، فيقول: إنني استوحى من آيات القرآن الكريم الأدلة والبراهين على بطلان هذه العقائد الفاسدة وأقدمها لك لئلا تتورط يوماً بشبهات الفاسدين والمفسدين.

ويحتمل أن تكون هذه العبارة جملة مستقلة، يعنى مضافاً إلى أنني أرى لزوم تعليمك كتاب الله وتفسيره ومعرفة حلاله وحرامه وأحكامه، أرى أيضاً لزوم

ص: ٤٤٣

---

١- (١). «شفقه» تأتي في مثل هذه الموارد مرادفه للخوف، في حين أن معناها الأصلي على حد قول بعض الأدباء التوجه للشيء المقترن بالخوف، أو بعبارة أخرى الخوف مقترن بالحب والاحترام والأمل، لأن هذه الكلمة في الأصل من مادة «شفق» وهو ضوء الصبح الباكر الممتزج بالظلام، غايه الأمر أن هذه المفردة إذا جاءت مع «من» المتعدية فإن وجه الخوف ستكون غالبه في العبارة مورد البحث، وعندما تأتي متعدية بحرف «في» و «على»، فإن المودّة والشفقه ستكون الغالبة، كأن يقول الإنسان لصديقه: «أنا مُشْفِقٌ عَلَيْكَ».

الاستعانة بالبرهان والعقل لنقد الآراء الباطلة والعقائد الفاسده لئلا تسقط في مصائد هؤلاء المنحرفين، وعبارته: «ثُمَّ أَشْفَقْتُ» مع الأخذ بالحسبان أن كلمه «ثم» إشاره لمطلب جديد، فإنها تتناسب أكثر مع التفسير الثانى.

وعلى حدّ قول الشيخ مغنيه فى شرحه لنهج البلاغه، أنّ تعبيرات الإمام عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيه يؤكّد مرّه أخرى على هذه الحقيقه، وهى أنّ الإمام عليه السلام لم يطرح هذه التوصيات من موقع كونه إماماً، وأنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بوصفه خليفه وإماماً بعده، بل بوصفه أباً شقيقاً فى مقابل ولده المحتاج للتعليم والتربيه، لأنّه كما سبقت الإشاره إليه، أنّ الإمام الحسن عليه السلام كان قد بلغ من العمر فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين سنه، فهل يحتمل أن يكون الإمام على عليه السلام قد غفل عن تعليم ولده القرآن إلى ذلك الوقت، ولم يطلعه على الآراء الباطله والمذاهب الفاسده؟ إنّ الإمام الحسن عليه السلام قد عاش أولاً فى أحضان والده، ثمّ بقى إلى جانبه كلّ هذه الأعوام الطويله، مضافاً إلى استماعه لخطب والده الفصيحه والبلغه وما خصّه من علم ومعرفه وتعاليم إلهيه أيضاً.

وفى آخر جمله من هذا المقطع من الوصيه يبرز الإمام عليه السلام أمله فى أن تؤثّر هذه الوصايا أثرها بشكل كامل فى ولده ويقول: «وَرَجَوْتُ أَنْ يُوفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ (١)، أَنْ يَهْدِيَكَ لِقُضْدِكَ (٢)، فَعَهْدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ».

ويستفاد من عبارته الإمام عليه السلام: «فَعَهْدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ»، أنّ ما تقدّم من الأقسام التسعه لهذه الوصيه تمثّل فى الحقيقه مقدّمه لأصل الوصيه، والغايه منها أن يستعدّ الابن بشكل كامل لتقبّل الوصايا الأصلية التى سيذكرها الإمام عليه السلام لاحقاً، فبدون التمهيّد لها لا يمكن تحصيل النتائج المطلوبه المترتبه عليها.

ص: ٤٦٤

١- (١). مفرد «رشد» فى الأصل بمعنى السير نحو المقصد، وجمله «راشداً مهدياً» دعاء يقال عند توديع المسافر، يعنى إن شاء الله ستصل إلى مقصودك وتهتدى إلى مرادك.

٢- (٢). «قصد» تأتى أحياناً بمعنى التيه، وأخرى بمعنى سلوك الطريق المستقيم والمعتدل بعيداً عن الافراط والتفريط، و«قصدُ السبيل» تعنى الجاده التى يسلكها الإنسان للوصول إلى مقصده.

وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ  
الْمَأْوَلُونَ مِنْ آبَائِكَ، الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لَأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ  
رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَيَّ الْأَخْذُ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا، فَإِنَّ أَبْتَ نَفْسِكَ أَنْ تَقِيلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا  
فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، لَابْتَوْرُطِ الشُّبُهَاتِ، وَعَلَقِ الْخُصُومَاتِ.

وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالْإِسْتِغْنَاءِ بِالْهَيْكِ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجْتِكَ فِي شُبُهَةٍ، أَوْ أَسِيلَمْتِكَ إِلَى  
ضَلَالَةٍ. فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَيَّرْنَا قَلْبَكَ فَخَشَعٌ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هُمُكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ، وَإِنْ  
لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغَ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعُشُوءَ، وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ. وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ  
مَنْ خَبِطَ أَوْ خَلَطَ وَالْإِمْسَاكُ عَنِ ذَلِكَ أَمْتَلٌ.

### الشرح والتفسير: الحذر من سلوك الطرق المشكوكه

يقدم الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصية نصائح مهمه لولده، وأولها وأهمها التوصيه بتقوى الله والقناعه بامتنال  
الفرائض والأحكام البينه والواضحه واجتناب المسير في الطرق المشكوكه والسبل المشبوهه، يقول: «وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا  
أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ

بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوْلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ».

ولا شك أن تقوى الله تعتبر على رأس الأولويات في وصايا جميع أولياء الله والزيد والمتاع لمسيره الإنسان إلى الآخرة وجواز دخول الجنة والمعيار لجميع امتيازات الإنسان وفضائله الأخرى، وعلى ضوء ذلك وردت التوصية بالتقوى في جميع خطب صلاحه الجمعه والتأكيد عليها، والتقوى هي حاله الخشيه القليه من الله تعالى وتقبل المسؤوليات الرساليه، ومن شأنها منع الإنسان من التلوث بالذنوب والخطايا.

وجمله: «وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» لا تعنى أن يقنع الإنسان بالإتيان بالواجبات ويترك المستحبات والسنن، وهي ما سيأتي لاحقاً من اجتناب الأمور المسكوت عنها في الشريعة والتي لا يعيش الإنسان المسؤوليه تجاهها، أو لا يتيسر تحقيقها وإنجازها بسهولة، أو يستحيل على الإنسان نيلها، من قبيل المعرفه بحقيقه الذات المقدسه.

وجمله: «وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ» إشاره إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وعبدالمطلب وحمزه وأبي طالب وجعفر عليهم السلام.

ثم إن الإمام عليه السلام يتعرض لذكر الدليل على هذه الحقيقه، ويقول: «فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ، وَفَكَرُّوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّاهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا».

وهذا الكلام أيضاً ناظر إلى أن الإنسان ينبغي أن يتحرك على مستوى التحقيق في المسائل المتعلقة بالدين والتي لا يعذر في الجهل بها، بل يجب على الجميع الإطلاع عليها، وهناك بعض الأمور الخارجه عن قدره الإنسان وقابليته الذهنيه والعقليه، كمعرفه الذات المقدسه، فلا يوجد أي نبي مرسل قد توصل إلى هذه الحقيقه، أو بعض الأمور التي وضعها الله تعالى عن عاتق المكلفين بلطفه وكرمه تخفيفاً منه لعباده، ولكن ربما يكون الإنسان مكلفاً بها في حاله الإصرار عليها من



قبيل ما ورد في قصه بني اسرائيل فيما يتصل بذبح بقره خاصه، فلو لم يصرّ بنو اسرائيل على معرفه الجزئيات والتفاصيل، كان يكفيهم ذبح آيه بقره، ولكن إصرارهم أكثر من اللازم أدى إلى تكليفهم بذبح بقره خاصه وبأوصاف معينه وكان ذلك سبباً في تورطهم في العسر والحرَج.

وكذلك ما ورد في مسأله الحجّ في الحديث الشريف: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ» فقام عكاشه بن محصن، ويروي سراقه بن مالك، فقال:

أفي كلّ عام يارسول الله، فأعرض (رسول الله) عنه، حتّى عاد مرّتين وثلاثاً، فقال رسول الله: «وَيَحْكُ مَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَقُولَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجِبَتْ، وَلَوْ وَجِبَتْ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ كَفَرْتُمْ، فَاتْرُكُونِي مَا تَرَكْتُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤْلِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ» (١).

ونقرأ في حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبه له: «إِنَّ اللَّهَ حَيَّدَ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا وَفَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تَنْفُصُوهَا وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَشْكُ عَنْهَا نَسِياناً فَلَا تَكَلَّفُوهَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ فَاقْبَلُوهَا» (٢).

ثم قال الإمام عليه السلام في هذه فقره من الوصيه: «فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا، فَلْيَكُنْ طَلِبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعْلَمُ، لَمَّا بَتَّوَرَطِ الشُّبُهَاتِ، وَعَلَقِ الخُصُومِيَّاتِ. وَابْيَدِّ قَبِيلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْهَيْكَلِ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ، وَتَزَكِّ كُلِّ شَيْءٍ أَوْلَجْتِكَ (٣) فِي شُبُهَةٍ، أَوْ أَسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ».

وعصاره كلام الإمام عليه السلام في هذه الفقره هي أنّ أمامك طريقين للوصول إلى

ص: ٤٤٧

١- (١). بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣١.

٢- (٢). وسائل الشيعه، ج ١٨، ص ١٢٩، ابواب صفات قاضي، باب ١٢، ح ٤١.

٣- (٣). «أَوْلَجْتِكَ» من «الإيلاج» وأصلها «ولوج» بمعنى الدخول في مكان محدود، وعندما تأتي من باب إفعال تكون متعدية، وعليه فإنّ «أَوْلَجَ» يعني ادخال شخص أو شيء آخر.

الحق، أحدهما: الطريق الذى سلكه السلف الصالح من أهل بيتك ويماكنك الاستفادة من تجاربهم الكثيره، فهؤلاء سلكوا طريقاً سهلاً وبعيداً عن الخطر نسبياً.

الطريق الثانى: الاجتهاد الشخصى فى المسائل والقضايا التى تواجهها فى ميدان الحياه، أى أن تدخل بنفسك الميدان، وتعمل على تشخيص الحق من الباطل، وتسلك هذا الطريق بأربعة شروط:

الأول: أن تتمعّن فى كلّ أمرٍ وتتدبّر عاقبته بدقه، والثانى: الابتعاد عن التورّط بالشبهات أو التمسّك بحالات التعصّب أو الخصومه، والثالث: أن تستعين بالله تعالى وتطلب منه أن يمدّ لك يد العون فى هذا المسير، والرابع: أن تجتنب كلّ أمر مشكوك ربّما يقودك إلى التورّط فى الشبهات أو يجرّك إلى مهاوى الضلاله والانحراف.

ثمّ يبيّن الإمام عليه السلام فى إدامه كلامه هذه النقطه، وهى أنّ كلامى النافع والمثمر والمؤثر ليس كافياً، بل ينبغى توفر الاستعداد والقابليه على التقبّل فى وجودك، فإنّ ذلك يعدّ من شروط التأثير فى الكلام، وبعباره أخرى، كما أنّ فاعليه الفاعل تعدّ شرطاً فى التأثير، فإنّ قابليه القابل كذلك، ومن هذه الجبهه يهّئ الإمام عليه السلام قلب ولده وروحه بتقبّل هذه الوصايا ويقول:

«فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَحَشَّعْ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعْ، وَكَانَ هُمُكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ».

وبديهى أنّ الأشخاص الذين يعيشون قلوباً مظلمه ومشحونه بحالات التعصّب والأهواء والشهوات، ويعيشون حاله التشبّت فى الفكر والذهن، فإنّهم تاره يفكّرون بحفظ مقامهم وأخرى بفكر جمع الأموال، وثالثه بإشباع الرغبات الرخيصه وإرضاء النوازع النفسانيه، فمثل هؤلاء لا يقدرّون على الانتفاع من هذه المواعظ وإصلاح الخلل فى وجودهم وتعديل مسارهم حتّى لو كان الواعظ لهم الإمام المعصوم، ومن هذه الجبهه فإنّ الآيات القرآنيه التى لا شكّ فى تأثيرها القاطع والحاسم، إنّما تؤثّر على جماعه تتوفّر فيهم حاله القبول، ولا تؤثّر فى الأشخاص الذين يعيشون

حالات العناد والخصومه، بل ربّما يكون لها أثر عكسى، ونقرأ فى الآيه ١٢٤ و ١٢٥ من سوره التوبه: «وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ».

وكما يقول الشاعر:

بَقَدْرِ الكَدِّ تُكْتَسَبُ المَعَالِي

ويستمرّ الإمام عليه السلام فى بيان توصياته لولده ويقول: «وَإِنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لِمَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغَ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخِطُّ العَشْوَاءَ (١)، وَتَتَوَرَّطُ (٢) الظُّلْمَاءَ وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ (٣)».

فالإمام عليه السلام هنا يحثّ ولده أن يشحذ همّته وإرادته لنيل النتيجة المطلوبه من هذه الوصيه ويتعد مهما أمكن عن تشويش خاطر والذهن، ويتحرّك بعزم جادّ وخطوات راسخه نحو الميدان، ويسلمّ قلبه إلى كلام الإمام عليه السلام ليتسنى له الوصول إلى برّ الأمان ومرفأ السعاده الأبدية من خلال تجسيد هذه الوصايا والمواعظ على أرض الواقع النفسى والسلوكى، وفى غير هذه الصوره فإنّ الإنسان يتعب نفسه بدون أن يحقّق المقصود وينال بغيته.

\*\*\*

ص: ٤٦٩

١- (٢). «عشواء» فى الأصل بمعنى الجمل الأعشى وضعيف البصر، ولهذا يضل الطريق ويتمايل نحو اليمين واليسار، ثم اطلقت على كل إنسان يسير بهذه الكيفيه.

٢- (٣). «تتورط» من «التورط» على وزن «توكل» وتعنى السقوط فى مكان يصعب الخلاص منه أو يستحيل الخروج منه.

٣- (٤). «أمثل» من «المثول» على وزن «طلوع» بمعنى الأفضل والأحسن و «أمائل» و «مئل» على وزن «كتب».



فَتَفَهَّمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكِ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلَى هُوَ الْمُعَافَى، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عَلَّمْتَ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، يَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصِيرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ! فَاعْتَصِمَ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّأَكَ، وَلِيَكُنْ لَهُ تَعْبُدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ.

### الشرح والتفسير: كل شيء من الله

يأمر الإمام عليه السلام بدايةً في هذا المقطع من وصيته لولده أن يتمعن فيما يقوله له ويتفهّم ما يرد في هذه الوصية، ويقول: «فَتَفَهَّمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي».

وهذه الجملة في الحقيقة تشير إلى أهميّة الموضوع الذى سيذكره الإمام عليه السلام لاحقاً حيث يتطلّب من المخاطب تحزى الدقه والتدبر الجاد.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى هذه الحقيقة، وهى أنّ كلّ ما فى هذا العالم من حياه وموت، صحه وسقم، حوادث حلوه ومره، نعم وبلايا و... كلّها من عند الله تبارك وتعالى الذى يدبر الأمور بحكمته البالغه ومشيتته القاهره، فلو لم يتعقل الإنسان الحكمة من بعض الأمور والظواهر فى هذا العالم، فينبغى حملها على قلبه اطلاعاً

وضآله معلوماته، ويدعن لإرادته الحق ومشيئته، ويستسلم أمام قدرته وإرادته:

«وَاعْلَمَ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُتَبَلِي هُوَ الْمُعَافِي».

هذا الكلام إشاره للتوحيد الأفعالي وأن هذا العالم ليس له سوى مبدأ واحد ومؤثر فارد: «لا مؤثر في الوجود إلا الله» لا أن العالم يملك مبدأين مبدأ للخير وآخر للشر، أو اليزدان والأهريمن كما يتصور الثنويون، وأساساً فإن الشر لا وجود له في عالم الخلقه وكل ما هو موجود فهو خير، أما الشر فأمر نسبي، على سبيل المثال: لسع العقرب يعدّ وسيله دفاعيه له في مقابل أعدائه، مضافاً إلى أن سمّ الحشرات يحتوى على دواء لشفاء بعض الأمراض، فمن هذه الجهه يكون هذا السمّ خيراً، ولو ابتلى أحد بلدغ العقرب أو بلدغ حشره فإن هذا الشرّ ناشىء من جهله وعدم اطلاعه على الخطر.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى عدم استقرار الدنيا واختلاط الجيد والردىء والخير والشرّ فيها، ويقول: «وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ، وَالْإِبْتِلَاءِ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ، أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا تَعْلَمُ».

أجل، هذه طبيعه الدنيا التى خلقت بهذا الشكل وفقاً للحكمه الإلهيه، لأنّ الإنسان إذا غرق دوماً فى النعمه والحبور فسوف يعيش الغفله عن المصير، وإذا ابتلى دوماً بالمشاكل والآلام فإنّ اليأس سيهيمن على وجوده ويستولى على فكره وبيتعد بذلك عن الله تعالى، ومن هنا فإنّ الله قد خلط بين هذين الأمرين ليعيش الإنسان حالات اليقظه والانتباه ويتحرّك فى مسيره الحياه المعنويه بالاستمداد من اللطف الإلهي.

وبما أنّ بعض الأفراد الجهّال يطلقون أحياناً كلمات الاعتراض بسبب جهلهم وعدم اطلاعهم على الحكمه من حوادث العالم، يحذّر الإمام عليه السلام ولده ويقول: «فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَاتِكَ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقَتْ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ

عَلَّمَتْ، وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، يَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ».

وهذا يعنى أنّ الشخص الذى بإمكانه الاعتراض على ما يشكل عليه هو الذى يعلم بجميع الأمور ومطلع على كافه التفاصيل، ويعرف فلسفه جميع الحوادث والغرض منها، ثم يرى أنّ أحد الأمور لا تتوافق مع الحكمة والغرض من الخلقه فيحق له أن يفتح فمه بالاعتراض ويضع علامات الاستفهام، فى حين أنّ الإنسان ليس كذلك، فمعلوماته بالنسبه لمجهولاته كالقطره بالنسبه للبحر، فهو فى بدايه عمره جاء إلى الدنيا ولا يعلم شيئاً، ثم تدريجياً يطّلع على بعض الأمور ويعلم ببعض المسائل، وما أكثر الأمور التى لا يعلم الحكمة والغرض منها فى بدايه الأمر ثم بعد ذلك تبينت له الحكمة من هذا الشىء والغرض من هذه الظاهره، فهل يحقّ للإنسان مع هذا العلم المحدود وهذا الكمّ القليل من المعلومات التى يمتلكها، أن يعترض على بعض الأمور التى لا يعلم الغرض منها؟

وفى ختام هذا المقطع من الوصيه يأمر الإمام عليه السلام ولده بالتمسك بالألطف الإلهيه والالتفات إلى الذات المقدسه، فإنّه مفتاح للنجاه من كلّ هلكه، يقول: «فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلِيَكُنْ لَهُ تَعْبُدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغَبْتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقْتُكَ».

هذه التوصيات الأربع القصيره والزاهره بالمضمون، تضمن قطعاً سعادته كلّ إنسان، فالاعتصام والتمسك بالألطف الإلهيه والتوجه إليه بالدعاء وطلب الحاجات والخشيه من عقابه، كلّ ذلك يقود الإنسان نحو مرفأ السلامه وساحل النجاه.

وقوله: «الَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ» مقتبس من الآيات القرآنيه الشريفه:

«الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى \* وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى» (١)، فبدايه يشير إلى أمر الخلقه، ثمّ مسأله الرزق، ثمّ التسويه فى عمليه الخلق، وتنظيم أجهزه الإنسان وأعضائه وقواه البدنيه والروحيه، فى حين أننا نعلم أنّ البدايه هو الخلق ثمّ التسويه

ص: ٤٧٣

ثمّ الرزق، ولكن مع الالتفات إلى أنّ العطف في الواو لا يعنى دائماً الترتيب، فلا نواجه مشكله في تفسير هذه العبارة.

ويحتمل أيضاً أنّ نظر الإمام عليه السلام في هذه العبارة مراحل تكامل الجنين ونموّ الطفل بعد ولادته، لأنّ النطفه عندما تستقرّ في رحم الأمّ فإنّها تتغذّى على الرزق الإلهي المتوفّر في رحم الأمّ بشكل متناسب، ثمّ يطوى الجنين مراحل تكامله واحده بعد الأخرى إلى أن تحين ولادته، ويتبدّل غذاؤه من الدم في الرحم إلى اللبن في ثدى الأمّ، وهكذا تنطوى مراحل التسويه والتكامل لمده طويله، وعلى هذا الأساس يمكن القول أنّ الرزق الإلهي للإنسان يبدأ قبل طي مراحل التكامل والنموّ.

### تأمل: المقارنه بين علم الإنسان وجهله

لا شك أنّ الإنسان عندما يأتي إلى هذه الدنيا لا يعلم شيئاً من أمر الحياه، رغم أنّه يملك استعداداً عجيبيّاً لتقبّل المعارف واستلهاّم المعلومات، ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقه أيضاً: «وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» (١).

ثمّ إنّ الإنسان يبدأ في التعلّم من خلال ثلاث طرق:

١. طريق التجربه التي تتخذ أشكال اللعب اللهو في مرحله الطفوله.

٢. طريق التعليم والتربيه من قبل الوالدين والمعلم.

٣. طريق تفتّيح العلوم الفطريه (فطره التوحيد، الحسن والقبح العقليين، الأمور الوجدانيه وأمثال ذلك) حيث تتجلى يد القدره الإلهيه في واقع الإنسان ووجدانه، وكلّما يتقدّم أكثر في مسيره الحياه فإنّه يدرك سعه مجهولاته أكثر فأكثر، على سبيل المثال أنّ علماء النجوم عندما كانوا ينظرون إلى الكواكب والنجوم في السماء الفسيحه وبالوسائل الابتدائيه، كانوا يرون مقداراً محدوداً من هذه النجوم

ص: ٤٧٤



والكواكب، وكانت تفاصيلها غامضة ومجهوله، وعندما تطوّرت أجهزه الرصد شاهدوا المجزّات العظيمه فى الفضاء الفسيح وكلّ واحده منها تتألف من ملايين أو مليارات النجوم والكواكب، ومع اكتشاف مجرّه منها فإنّ عالماً من المجهولات يتجلّى لهؤلاء العلماء ويتحدّاهم، فلو استطعنا يوماً أن ننظر إلى بعض هذه النجوم بدقّه كامله بواسطة التلسكوب، فإنّ عالماً من المجهولات يتجلّى لنا بالنسبه لهذه الكوكب، وعلى ضوء ذلك فكلّما يتقدّم العلم وتتطوّر الأجهزه التقنيه فإنّ افق معلوماتنا يتضاءل أمام جبل مجهولاتنا إلى أن يصل بنا الأمر إلى حدّ يقول عنه أحد الفلاسفه: «بلغت من العلم إلى مرتبه بحيث إننى علمت بأننى لا أعلم».

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم وتدبرنا الآيات التى تشير إلى علم الله تعالى المحيط بعالم الوجود، تقول الآيه: «وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرِهِ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعُهُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ» (١).

وفى هذا السياق يقول القرآن الكريم فى مورد آخر: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» (٢).

يقول العالم الفيزيائى المعروف أنشتاين: إذا اجتمعت جميع علوم البشر منذ اليوم الأول ولحدّ الآن فى مكتبه شامله ووضعناها فى مقابل مجهولات البشر فإنّ مقدار هذه المكتبه تكون بالنسبه لتلك المجهولات بمثابة صفحه واحده من كتاب ضخّم.

ومن هنا ندرك جيّداً من خلال النتيجة التى ذكرها الإمام عليه السلام فى العبارة أعلاه، أننا لو واجهنا بعض الأسئلة وعلامات الاستفهام بالمسائل المتعلّقه بالمبدأ والمعاد وأسرار الحياه ولم نعثر على جواب، فينبغى حمل ذلك على جهلنا وقصور معلوماتنا ولا نطلق ألسنتنا بالإنكار والاعتراض، وهذه هى الحقيقه المؤيده من قبل العقل والمنطق.

ص: ٤٧٥

١- (١). سوره لقمان، الآيه ٢٧.

٢- (٢). سوره الأسراء، الآيه ٨٥.



وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَارْضَ بِهِ رَائِدًا، وَإِلَى النَّجَاهِ قَائِدًا، فَإِنِّي لَمْ آلِكَ نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنْ اجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

### الشرح والتفسير: اجعل من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مرشداً لك

يتحرّك الإمام عليه السلام في هذا المقطع من وصيته لابنه العزيز مشيراً إلى نقطتين مهمتين، الأولى: أن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله خير دليل وأفضل قائد يقود الإنسان في طريق الصلاح والنجاح، والآخر: أن والده أمير المؤمنين عليه السلام لم يأل جهداً في هدايته وإرشاده، ومن هذا المنطلق ينبغي عليه الإصرار في هذا المسير اتباعاً لهدى هذين القائدين.

يقول عليه السلام: «وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَارْضَ بِهِ رَائِدًا» (1)، وَإِلَى النَّجَاهِ قَائِدًا.

وهذا التعبير يشير إلى أن الوحي السماوي الذي نزل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يمثل عصاره جميع تعاليم الوحي النازل على الأنبياء السابقين، ففي تلك الأعصار كان الوحي السماوي ينزل على الأنبياء السابقين وفقاً لقابليات أقوامهم ومتناغماً مع

ص: ٤٧٧

١- (١). «رائد» من مادة «رود» على وزن «عود»، وكما ورد في المتن أن الأصل فيها بمعنى السعي وبذل الجهد للعثور على الماء والكلاء، ثم اطلقت على كل سعي للعثور على شيء، والحديث الشريف «الرَّائِدُ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ»، ناظر إلى هذا المعنى، وبما أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان في صدد تحقيق السعادة لأنصاره وأتباعه فيقال عنه أنه «رائد».

ثقافته وعقلية ذلك العصر، ولكن في عصر خاتم الأنبياء فقد نزل آخر خطاب إلهي للبشرية كافة على قلبه المبارك.

إنَّ المقارنه بين القرآن الكريم والتوراه والإنجيل الحاليين (رغم امتداد يد التحريف إليهما) شاهد ناطق على هذا التفاوت العظيم، فبالنسبه لمعرفة الله وأدله التوحيد والصفات الإلهيه فإنَّ القرآن الكريم طرح قضايا هامه على هذا الصعيد لا توجد في أي من الكتب السماويه الأخرى، بل حتّى لا- يوجد فيها عشر معشارها، وبالنسبه للمسائل المتعلقة بالمعاد، وعلى حدّ قول بعض المحققين يوجد ألفى آيه في القرآن تتحدّث عن المعاد وتفاصيله وحالاته، فالقرآن الكريم تحدّث في هذا المجال بحيث لا يمكن تصوّر كلام آخر في هذا الشأن، وفي البحوث الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والمسائل التي تتصل بالحكومته وتاريخ القدماء، فالقرآن الكريم زاخر بهذه البحوث، ومن هنا يستوحى الإمام عليه السلام دليله في كلامه المذكور أعلاه ويقول: لا يوجد أحد كالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله بين للناس تعاليم الوحي السماوي والمعارف الإلهيه بهذه الصورة الياضعه، ولهذا ينبغي عليك أن تتمسك بهذا القائد والمرشد بوصفه أفضل مرشد لطريق الخير والصلاح في واقع الحياه.

وينبغي الالتفات إلى أنّ مفرد «رائد» في الأصل تعني الشخص الذي يذهب للبحث عن المرتع والماء للماشية والدواب، وعندما يكتشف وجود ماء وكلاء يعود ليخبر قومه، ثمّ توسّعوا في استخدام هذه الكلمه وأطلقوها على الأشخاص الذين يمسون بمقاليد الأمور في حياه الناس.

«القائد» في الأصل بمعنى الشخص الذي يمسون زمام الناقه ويقودها في المسير، ثمّ اطلق على كل من يقود طائفه من البشر.

ويواصل الإمام عليه السلام تقسيم نصيحته لولده ويقول: «فَأَيُّ لَمْ أَلْكَ (1) نَصِيحَةً. وَإِنَّكَ

ص: ٤٧٨

١- (١). «آل» صيغه المتكلم الواحد، من ماده «ألو» على وزن «دلو» وهي في الأصل بمعنى التقصير، وجمله «لم ألك نصيحه» تعني لم اقصر في اسداء النصح إليك، واللافت أنّ هذا الفعل لازم لا يأخذ مفعول، رغم أنّ البعض تصور أنّه يأخذ مفعولين، المفعول الأول هو ضمير الخطاب «آلك» والمفعول الثاني «نصيحه»، في حين أنّ النصيحه تمييز وضمير الخطاب متعلق بمحذوف وهو في الأصل «لَمْ آلُ لَكَ».

لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنْ اجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ».

إنَّ هدف الإمام عليه السلام من هذا الكلام حثُّ ولده لتقبُّل هذه النصائح والالتزام الواعي بها من خلال تقديم دليلين: أحدهما: أنَّ الإمام، وبسبب شفقتة ومحَبَّته الشديدة له، لم ولن يدع رأياً نافعاً ونظراً مفيداً لولده إلَّا وذكَّره، والآخر: أنَّ ولده شابٌّ لا يمكن أن يحيط بالأمر كإحاطة والده الإمام عليٍّ عليه السلام، ومن هنا قيل: إنَّ ما يراه الشاب في المرآة، يراه الشيخ في الآجر الخام.

\*\*\*

ص: ٤٧٩



وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَيْدًا وَلَمْ يَزَلْ. أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَةٍ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نَهَائِهِ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحْاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصِيرَةٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَتَّبِعِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ، وَقَلِّهِ مَقْدَرَتِهِ، وَكَثْرَهُ عَجْزِهِ، وَعَظِيمَ حَاجَّتِهِ إِلَى رَبِّهِ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سِيْخِطِهِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنِ قَبِيحٍ.

### الشرح والتفسير: الإيمان بالواحد الأحد

يتحدّث الإمام عليه السلام في هذه الفقرة من الوصية عن أحد أدلّه التوحيد الذي يمثّل الركن الأساس والعمود الفقري لجميع منظومه الدين، يقول: «وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفعالَهُ وَصِفَاتِهِ».

ويستعرض الإمام عليه السلام في قراءه سريعه، الدليل على نفي الشريك وإثبات التوحيد بثلاثه أمور:

الأول: إذا كان لله شريك فلا بدّ أن يكون حكيماً، والإله الحكيم يجب أن يعرّف نفسه لعباده ويكشف لهم عن تعاليمه وأحكامه بواسطة الأنبياء الذين يرسلهم

للناس، فى حين أنّ جميع الأنبياء دعوا الناس لإله واحد، والآيات القرآنيه والنصوص السماويه شاهد على هذا المطلب.

ومن جهه أخرى فلو كان هناك إله آخر فيلزم من ذلك أن تظهر آثار ملكه وسلطانه وقدرته على هذا العالم، فى حين أننا مهما دققنا النظر فى ظواهر هذا العالم فسنجد الوحده والانسجام التام مهيمناً على جميع أركانه، وهذه الوحده والتجانس من نواه الذره إلى المجزآت العظيمه، كلها تسير وفق قانون واحد وتتحرك وفق نظام متجانس ومنسجم، وهذا دليل على وحده الخالق جلّ وعلا.

ثم إن الإمام عليه السلام يشير فى سياق حديثه إلى سبع صفات من صفات البارى تعالى، بدايه يقول: «وَلَكِنَّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ».

وهذه الصفه للذات المقدسه تقع نتيجة الاستدلال الذى تقدم به الإمام عليه السلام آنفاً من أنه لو كان هناك معبود آخر غير الله تعالى لأرسل رسوله للناس وتجلت آثار ملكه وسلطانه فى جميع أرجاء الكون والطبيعه، ولرأيت أفعاله وصفاته منعكسه على مرآه الخلقه والطبيعه، وبما أن الأمر ليس كذلك فنستنتج أنه إله واحد.

أضف إلى ذلك أن الله تعالى فى القرآن الكريم وصف نفسه مرّات عدّه بالواحد الأحد، كما ورد نموذج من ذلك فى سوره التوحيد، وبما أن الله صادق ولا يعقل فى كلامه الكذب والغشّ والزيف، والتى هى حالات ناشئه من الحاجه والعجز وأتباع الأهواء، فلذلك يمكننا الاستناد لإثبات هذه الصفه وسائر الصفات على الأدله السمعيه، أى الآيات والروايات القطعيه.

الصفه الثانيه يقول الإمام عليه السلام: «لَا يُضَادُّهُ فِى مُلْكِهِ أَحَدٌ».

وهذا هو التوحيد فى الحاكميه، الذى هو فرع من التوحيد الأفعالى، فالمالك واحد والحاكم أيضاً، والدليل على ذلك واضح، لأنه عندما نعتقد بأن الله هو الخالق، فمن الطبيعى أن يكون هو المالك والحاكم لا غير، وبخاصه أن خالقيه الله مستمره وفيضه دائم، يعنى أننا نخلق لحظه بعد أخرى مثل ضوء القنديل أو السراج،



فلو انقطع ارتباطه بمع منبع الطاقة، فسوف ينطفئ، أجل إن الله تعالى خالق في كل يوم وكل لحظة، إذن فهو الحاكم والمالك دوماً وأبداً.

ثم تحرّك الإمام عليه السلام لبيان الصفه الثالثه والرابعه ويقول: «وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ».

والدليل على ذلك واضح، لأننا نعلم أن الله واجب الوجود، وأن واجب الوجود حقيقه ينبع وجودها من ذاتها إذا صحّ التعبير، وعلى هذا الأساس فإنّ هذا الوجود أزليّ، ويجب أن يكون أبدياً أيضاً، والموجودات حادثه لا تستقى وجودها من ذاتها، بل من موجود آخر، وسائر الموجودات فانيه لأنّ وجودها لا ينبع من ذاتها بل يصل إليها الوجود من خارج ذاتها.

وتأسيساً على ذلك يمكن استنباط الصفه الخامسه والسادسه ممّا تقدّم آنفاً، يقول الإمام عليه السلام: «أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّهِ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نَهَائِهِ».

وهاتان الصفتان من لوازم أزليه وأبديه الذات المقدسه، وناشئه من كون الله تعالى واجب الوجود.

وفى الصفه السابعه والأخيره يقول الإمام عليه السلام: «عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ».

والدليل على ذلك بين، فربوبيه الذات المقدسه أزليه وأبديه ولا-بدايه لها ولا نهايه، وأنها تحيط بعالم الوجود بجميع أبعاده وآفاقه الممتده، وعلى ضوء ذلك فإنّ هذه الربوبيه الواسعه لا يمكن مشاهدتها بالعين، ولا تصوورها بالذهن، لأنّ ربوبيته غير محدوده، واللامحدود لا يمكن الإحاط به بفكر الإنسان المحدود.

وبعد أن يبين الإمام عليه السلام عظمه الله تعالى وتوحيده وأزليته وأبديته وإحاطه ربوبيته على جميع الكائنات فى عالم الوجود، يواصل كلامه فى وصيته لولده ويتبّه لصغره وضعفه وحاجاته الكثيره فى مقابل قدره الله المطلقه، ويقول: «فَإِذَا عَرَفْتَ

ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يُتَّبَعِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ (١)، وَقَلَّ مَقْدَرَتَهُ وَكَثُرَ عَجْزُهُ، وَعَظِيمَ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ».

إنَّ الصفات الأربع التي يصف بها الإمام عليه السلام ولده قابله للتطبيق على جميع أفراد البشر، فكل إنسان في مقابل الله تعالى صغير وحقير وضعيف وكثير الحاجات إلى ربه، ولكن بشرط أن يعرف الإنسان ذلك في نفسه ولا يغفل عن هذه الحقيقة، وإلا فإنه سيخرج عن طريق العبودية ويسلك سبيل الطغيان والغرور، أجل فإن معرفه عظمه الله تعالى من جهه، ومعرفه صغر النفس وحقارتها في مقابل الذات المقدسه من جهه أخرى سبب وعامل أساس في السير في خط العبودية والطاعة، ونسيان هذه الحقيقة يعتبر منشأ الطغيان والظلم والعدوان.

يقول القرآن الكريم: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (٢).

ثم إن الإمام عليه السلام يبين معالم الطريق لولده وقلده كبده وكيفيه الإتيان بالأعمال الصالحة ويقول: «فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَالْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرَكَ إِلَّا بِحَسَنِ، وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ».

ويلخص الإمام عليه السلام في هذا الكلام العمل الصالح في ثلاثه أمور: الطاعة لله، والخشيه من عقوبته، والشفقه من غضبه وسخطه.

وبديهى أن الخشيه والإشفاق في مقابل عقوبه الله وسخطه يبعثان على الطاعة، ومن هنا فالإمام في البدايه يشير إلى طاعة الله تعالى، ثم يؤكد على الدوافع والبواعث النفسيه لتحقيق تلك الطاعة، وأما الفرق بين الخشيه والإشفاق فكما أشرنا

ص: ٤٨٤

١- (١). «خطر» في هذا المورد يعنى القدر والمنزله.

٢- (٢). سوره الحشر، الآيه ١٩.

أنّ الخشيه تعنى الخوف، ولكنّ الإشفاق أو الشفقه هى الخوف المقترن بالأمل والرجاء، وعلى ضوء ذلك، فالخوف من العقاب الإلهي ليس كالخوف من الحوادث المخوفه التى يفقد الإنسان فيها الأمل، بل هو خوف مقترن بالأمل بلطف الله وعطفه وكرمه.

والمفهوم من جمله: «فَبِأَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ...» أنّك لا تحسب أنّ إطاعتك لله تعالى ستضيف شيئاً لجلاله وعظمته، أو أنّ الله تعالى يحتاج إلى هذه الطاعه، على العكس، فأنت المحتاج له، لأنّه قد أمرك بما يحقّق لك سعادتك ونهاك عن القبائح والرذائل التى تقودك فى دروب الشقاء والمسكنه والذلّه.

وهذه العبارة دليل يبيّن على الحسن والقبح العقليين، وللأسف فإنّ جماعه من المسلمين، الذين ابتعدوا عن مدرسه أهل البيت عليهم السلام والتمسك بالكتاب والعترة، تحرّكوا فى هذه المسأله من موقع الإنكار والمخالفه، وأنكروا هذه المسأله البديهيّه والعقليه بسبب بعض البواعث والدوافع السقيمه.

## تأملان

### ١. العلاقه بين الأيديولوجيه والرؤيه الكونيه

فى هذا المقطع من الرساله، وبعد أن يبيّن الإمام عليه السلام سلسله من الحقائق فيما يتّصل بالذات المقدّسه والصفات الألوهيه، ويبيّن عجز وضعف الإنسان وقصوره عن الإحاطه بالعلوم والمعارف الأنفسيه والآفاقيه، يستنتج الإمام عليه السلام أنّه ينبغى على الإنسان أن يتحرّك فى خطّ العباده والعبوديه بما يليق بمقام الألوهيه وبعضمه الذات المقدّسه وصغر الإنسان.

وهذا يعنى أنّ تكاليف الإنسان مرتبطه بشكل وثيق مع الحقائق الموضوعيه، أى أنّ القوانين تنطلق دائماً من قلب الحقائق، وأنّ ما ينبغى وما لا- ينبغى وليد الوجود والعدم، وبعبارة أخرى، أنّنا نستنبط من هذه المعرفه والحقائق الموجوده فيما يتّصل بغنى الله وفقر الإنسان، لزوم عباده والامتثال لأوامره وتطبيق أحكامه، وهذا هو البحث المهم الذى يطرح عاده فى موضوع الارتباط بين الأيديولوجيه والرؤيه

الكونيه وحيث يطرح هذا التساؤل: هل هناك ثمّة ارتباط بينهما؟

إنّ الرّؤية الكونيه هي عبارته عن معرفته بالحقائق، والآيدولوجيه في هذا المورد تعنى الأحكام والقوانين الناتجه باعتقادنا من قلب هذا العالم والحقائق الموجوده في الطبيعه.

ومن هنا يتبين الجواب عن شبهه من يقول: إنّ الأحكام الشرعيه أمور اعتباريه ولا ترتبط بالحقائق أو الأمور التكوينيّه، فالإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصيه يشطب بخطّ البطلان على هذه الشبهه، لأنّ الفصل بين هذين الأمرين يلغى أى اعتبار للأحكام الشرعيه، فالحكم إنّما يكون له قيمه إذا كان مرتبطاً بالحقائق الموضوعيه، وهذه هي فلسفه الأحكام التي تمنحها اعتباراً وقيمته، وهذه العلاقه الوطيدّه بين الحكم الشرعيّ والحقيقه الموضوعيّه هي التي تعمل على تجسيد الحكم وترسيخه.

والأحكام التعيّديه أيضاً غير مستثناه من هذا القانون، فجميع هذه الأحكام تتوافق مع المصالح والمفاسد الواقعيه، رغم أنّنا أحياناً لا نعرف الحكمه منها، لأنّه في غير هذه الصوره نواجه الترجيح بلا مرجح، وعلماء الشيعه جميعاً يتفقون على هذا لرأى.

والآيات القرآنيه والروايات الشريفه أيضاً تصرّح بوجود مثل هذه العلاقه بين الأحكام الشرعيه والواقع الموضوعي.

مثلاً، نقرأ في القرآن الكريم في سورة المائده: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»<sup>(١)</sup>، وهكذا نرى أنّ الله تعالى في هذه الآيات الكريمه بعد يبيّن موارد الضرر الواقعي للأرجاس، كالخمر والقمار، ويذكر

ص: ٤٨٦

١- (١). سورة المائده، الآيتان ٩٠ و ٩١.

المسلمين أنّ هذه الأمور من عمل الشيطان، ويبين الحكم الواقعي لها وينهى المؤمنين عن ارتكاب شرب الخمر والميسر، ثمّ يستعرض مرّه أخرى الحقائق الموضوعية التي تساهم في تحقيق السعادة للإنسان وأنّ عمل الشيطان في تحقيقه هو إثارة العداوة والبغضاء والابتعاد عن ذكر الله وترك الصلاة.

وبالنسبة للصوم ورد أيضاً: «صُومُوا تَصِحُّوا»<sup>(١)</sup> وفي مورد آخر يبيّن القرآن الغاية من الصوم ويقول: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحقيقة أنّ جميع الروايات الشريفة الواردة في باب علل الشرائع، تعدّ دليلاً واضحاً على هذا المدعى.

## ٢. بدايه الخلقه ودوام الفيض

رأينا في كلمات الإمام عليه السلام الناطقه في هذا المقطع من رساله أنّ الذات المقدسه تعتبر مبدأ كلّ شيء بدون بدايه لها، ونهايه كلّ شيء بدون نهايه لها، ويصطلح على هذا المفهوم الأزليه والأبديه، وهنا يفرض هذا السؤال نفسه: هل أنّ للمخلوقات حدوثاً زمانياً؟ يعنى أنّ الله في زمان كان موجوداً ولم تكن المخلوقات موجوده (وطبعاً التعبير بالزمان هنا من باب التسامح، لأنّ الزمان بنفسه إمّا مخلوق أو نتيجة حركه المخلوقات) كما ورد في بعض العبارات: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ»<sup>(٣)</sup> فإذا كان الأمر كذلك فإنّ مسأله دوام الفيض يواجهه مشكله هنا، لأنّ مفهوم هذا الكلام أنّ الله تعالى كان فياضاً منذ البدء إلّا أنّه كان متوقفاً عن الفيض، في حين أنّ الفيض ملازم للذات المقدسه وعدم الفيض يعدّ نقصاً.

والجواب على هذا السؤال: إنّ العالم له حدوث ذاتي، يعنى إذا قلنا بوجود

ص: ٤٨٧

١- (١) . بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٢٦٧، ح ٤٦.

٢- (٢) . سوره البقره، الآيه ١٨٣.

٣- (٣) . بحار الأنوار، ج ٥٤، ص ٢٣٨.

المخلوقات دائماً وأبداً، فذلك المخلوق بدوره يستند في وجوده إلى الذات المقدّسه ومرتبطة بالقدره الإلهيه، لا أنّه واجب الوجود، كما أنّ نور الشمس مرتبط بشكل وثيق بالشمس، فإذا كانت الشمس موجوده دائماً وتشعّ بنورها في كلّ آن، فمع ذلك تعتبر الشمس أصلاً ونورها فرعاً.

وبعبارة أخرى أنّ كلمه «مع» في جملة «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ» تبين هذه الحقيقه وهى أنّ الله تعالى كان منذ الأزل ولم يكن معه شيء بنفس المستوى وبذات الكينونه (لا بواسطته).

\*\*\*

ص: ٤٨٨

يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعَدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا بِبَنَاتِهِمْ مِنْزِلًا حَيْدِيَّةً، فَأَمُّوا مَنْزِلًا خَصِيْبًا وَجَنَابًا مَرِيْعًا، فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفَرَّاقَ الصَّدِيقِ، وَخُسُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَمَّا يَرُونَ نَفَقَةَ فِيهِ مَغْرَمًا. وَلَمَّا شِئْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلِ خَصِيْبٍ، فَتَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلِ جَدِيْبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْطَحَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ.

### الشرح والتفسير: السالكون طريق الآخرة

ينطلق الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصية لبيان مكانه الدنيا والآخرة في منظار المتألهين من خلال مثالين جميلين، ويقول: «يَا بَنِيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعَدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ، لِتَعْتَبِرَ بِهَا، وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا».

إنَّ للأمثله دور مهم جدًّا في فهم وإدراك المسائل المعقَّده والمفاهيم الغامضه سواء العقليه منها أو الحسيه، فيستطيع المخاطب من خلال المثال فهم هذه المسائل

من موقع العمق والوضوح فى الرؤيه، وبذلك يتم تشويقه وحثه لأداء الأعمال المفيده والخيره والابتعاد عن الرذائل والقبايح.

والقرآن الكريم يستخدم كثيراً الأمثله الجميله والعميقه المغزى، حيث تشكّل الأمثله قسماً مهماً من الآيات القرآنيه، ونرى فى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغه أمثله كثيره وذات معانٍ عميقه أوردتها الإمام عليه السلام فى خطبه ووصاياہ بغايه الفصاحه والبلاغه.

بعد أن يذكر الإمام عليه السلام هذه المقدمه يستعرض مثالين للدنيا والآخره فيقول أولاً:

«إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ (١) الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا (٢) نَبَأَ بِهِمْ مَنَزِلُ جَدِيدٍ (٣)، فَأَمُّوا (٤) مَنَزِلًا خَصِيبًا (٥) وَجَنَابًا (٦) مَرِيحًا (٧)، فَاخْتَمَلُوا وَغَثَاءَ (٨) الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُونَةَ (٩) المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنَزِلَ قَرَارِهِمْ».

فأهل الآخره يعلمون أنهم فى سفر وأن ما يواجهونه من أتعاب وآلام وجشوبه العيش ومعاناه الطريق إنما هى حالات مؤقتة وبمتابه الثمن الذى يدفعونه لتحصيل السعاده الدائمه والوصول إلى منزل القرار والاستقرار والراحه الأبدية فتكون هذه الأمور والصعوبات بالنسبه لهم هينه ويسيره، ولذلك يقول الإمام عليه السلام بعد ذلك:

ص: ٤٩٠

١- (١). «خَبَرَ» فعل ماضى من «الخَبَرَ» على وزن «قفل» بمعنى الاطلاع على الحدث، وأحياناً تأتي بمعنى الاختبار للاطلاع على الخير.

٢- (٢). «سَفَرُوا» جمع مسافر.

٣- (٣). «جَدِيدٍ» بمعنى الجاف وبدون ماء وعلف، وهو من ماده «جَدَب» على وزن «جلب».

٤- (٤). «أَمُّوا» من ماده «أَمَّ» على وزن «غم» بمعنى القصد.

٥- (٥). «خَصِيبٍ» بمعنى كثير النعمه والماء والنبات، من ماده «خصب» على وزن «جسم» وهو زياده النعمه وكثرتها.

٦- (٦). «جَنَابٍ» بمعنى الناحيه.

٧- (٧). «مَرِيحٍ» بمعنى كثير النعمه والخير، من ماده «مرع» على وزن «رأى» وهو الكثيره والوفره، و «أَرْضٌ مَرِيحَةٌ» الأرض الكثيره المحصولات الزراعيه.

٨- (٨). «وَعَثَاءٌ» من ماده «وعث» على وزن «درس» بمعنى الرمال الناعمه التى تدخل فيها الأقدام وتمنع الشخص من إدامه المسير، أو يعسر عليها المشى، ثم اطلقت على جميع المشكلات التى تعيق الإنسان فى حركه الحياه، و «وَعَثَاءُ الطَّرِيقِ» إشاره إلى مشكلات السفر.

٩- (٩). «جُشُونَةَ» بمعنى الخشونه والغلظه.



«فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْماً وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَهُ فِيهِ مَغْرَمًا. وَلَا شَيْءٌ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ».

أجل، فهذا هو نمط تفكير المؤمنين الصالحين وأولياء الله الذين يسرون في مسلك الطاعة والمعنوية، لأن هؤلاء لا ينجذبون أبداً لزخارف الدنيا ولا ينجذبون ببريقها، بل إن الدنيا تمثل لهم مجموعه من الأتعاب والآلام والهموم والغموم وحالات التوتر التي تفرضها حالات الصراع والنزاع، في حين أن الإيمان بالمعاد والجنّة والنعيم الخالد والاعتقاد بالوعد الإلهي يوحى لهم بأنهم سيواجهون غداً مستقبلاً مشرقاً ويرفلون بالنعيم المادي والمعنوي بعيداً عن كل أشكال الهمّ والغمّ والألم، والأهمّ من ذلك أنهم يصلون إلى مقام القرب الإلهي وهذا هو الذي يجعلهم يتقبلون الصعاب والآلام في هذا المسير بكل رحابه صدر ويتحملون كل مشقّه في هذا الطريق لأنهم متوجهون إلى كعبه الحبيب، فجميع ما يجدونه من وخز الأشواك في الطريق يكون بالنسبة لهم كفراش الحرير وتبدّل المراره إلى عذوبه.

ثمّ يستعرض الإمام عليه السلام المثال الثاني فيما يخصّ أهل الدنيا والمتشبهين بزخارفها وملذّاتها ويقول: «وَمَثَلٌ مَنِ اغْتَرَبَ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيْبٍ، فَتَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيْبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ (١) عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ، إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ، وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ».

أجل، فهم يعلمون أنّ مصيرهم في النهايه النار والعذاب الأليم، فتكون الدنيا بالنسبة لهم بجميع مشاكلها وآلامها عذبه ومريحه جدّاً، ولهذا السبب يخافون من الموت ويخشون حلول الأجل، خوفاً من المستقبل المظلم، كما أخبر القرآن الكريم عن طائفه من بنى اسرائيل ممّن يعيشون حبّ الدنيا: «وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَخِّجِهِ مِنَ الْعَذَابِ

ص: ٤٩١

١- (١). «أَفْظَعَ» بمعنى غير مقبول، من «الفضاعه» وهى الشناعه والغلظه.

أَنْ يُعَمَّرَ»(١).

وكذلك ورد في حديث معروف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جِسْرٌ هُوَ لَاءِ إِلَى جَنَانِهِمْ وَجِسْرٌ هُوَ لَاءِ إِلَى جَحِيمِهِمْ»(٢).

وفي هذا الصدد رواه عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام عندما سأله أحدهم: «مَا بَالُنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ وَلَا نُحِبُّهُ؟». فأجاب: «إِنَّكُمْ أَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ وَعَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ فَانْتُمْ تَكْرَهُونَ النُّقْلَةَ مِنَ الْعُمَرَانِ إِلَى الْخَرَابِ»(٣).

\*\*\*

ص: ٤٩٢

١- (١) . سورة البقره، الآيه ٩٦.

٢- (٢) . بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٤.

٣- (٣) . معانى الأخبار، ص ٣٩٠.

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحِبِّ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

### الشرح والتفسير: نظره واحده لمصلحه الفرد والجماعه

يشير الإمام عليه السلام في هذه الفقرة من وصيته لأحد أهم الأصول الأخلاقية والمثل الإنسانية ويقول: «يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ».

والميزان عاده ذو كفتين، والوزن الصحيح يتم عندما تكون الكفتان متساويتين في الخط الأفقي، وهذا الكلام إشارة إلى أنه ينبغي عليك أن تحب للآخرين ما تحبه لنفسك، وما تكره لنفسك فينبغي أن تكره للآخرين لتساوى كفتا الميزان في عرض واحد.

ثم يوضح الإمام عليه السلام هذا الأصل الأخلاقي المهم في سبع جمل ويبين أبعاده وزواياه المختلفه:

يقول الإمام عليه السلام في الجملة الأولى والثانية: «فَأَحِبِّ لِعَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا».

وفي الجملة الثالثة: «وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ».

وفى الجملة الرابعه: «وَأَحْسِنُ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحَسِّنَ إِلَيْكَ».

ويقول فى الجملة الخامسه: «وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ».

ثم يضيف الإمام عليه السلام فى الجملة السادسه: «وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ».

وأخيراً وفى الجملة السابعه يقول: «وَلَا تَقُلْ مَا لَاتَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلَا تَقُلْ مَا لَاتُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ».

وهو إشاره إلى أنك كما لا تحب أن يستغيبك الناس أو يتهمونك بأمر معين أو يخاطبونك بكلمات ناييه ويذكرونك بألقاب قبيحه، أو يتحدثون عنك بكلمات تسوؤك وتثير غضبك، فينبغى عليك أن لا تتحدث عن الآخرين بآليات الغيبه والتهمه والسب والشتم وما إلى ذلك، أو تتلفظ بكلمات لا مسؤوله تؤذى الآخرين وتسيء إليهم.

والحقيقه أن هذا الأصل الأخلاقى المهم بالتفاصيل والأغصان السبعه التى ذكرها الإمام عليه السلام لو طبّق فى أى مجتمع وعمل به الناس فى تواصلهم وتعاملهم فيما بينهم، لساد الصلح والأمن فى أجواء ذلك المجتمع وزالت كل أشكال النزاع والصراع، ووصلت الملقات القضائيه فى المحاكم إلى الحد الأدنى، وبلغت المحبه والتعاون والتكاتف الحد الأقصى فى واقع الحياه والمجتمع، لأن جميع المشاكل الاجتماعيه تنشأ من أن البعض يريد كل شىء لنفسه ولا يفكر إلفى نفعه وراحته وسعادته، ويتوقع من الآخرين أن يتعاملوا معه بالقيم والعدل ولكنّه لا يجد فى نفسه أى التزام بهذه القيم، ويريد أن يكون حراً تجاه الآخرين، أو لا يقيم وزناً لحيثيه الآخرين وراحتهم وسعادتهم، أو يهتم براحه الآخرين ولكن لا بمقدار ما يهتم لنفسه، فيريد لنفسه الحد الأقصى من النفع والسعاده والراحه، وللآخرين الحد الأدنى.

وما ذكره الإمام عليه السلام فى بيان هذا الأصل الأخلاقى لم يرد بهذه السعه والشمول فى كلام أى شخصيه علميه أخرى، رغم أن جذور هذا الأصل كما يقول الشيخ

مغنيه في شرحه لنهج البلاغه ذيل هذا الكلام للإمام عليه السلام، موجود بشكل إجمالي في تراث القدماء.

يقول مغنيه: «ولا- نعرف أول من نطق بهذه الذهبية... وأيضاً كان فهي لجميع الناس، لأنّ الحبّ معناه الأخوه والإنسانيه والتكامل والتضامن والقوه والنجاح، وبالحبّ تستقيم الحياه، ولا معنى لحياه بلا حبّ، وأيضاً لا معنى للكرهيه إلّا الحرب والشقاق والفشل والتخلف»(١).

وقد ورد في تعاليم الإسلام هذا المضمون أيضاً وطرحه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بصياغه جميله ورائعه، فقد ورد في الحديث الشريف أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كان راكباً دابته وهو يريد بعض غزواته، فجاء إليه أعرابي فأخذ يغمز راحلته فقال: «يا رَسُولَ اللَّهِ عَلَّمَنِي عَمَلًا أُدْخِلُ بِهِ الْجَنَّةَ».

فقال صلى الله عليه وآله: «مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأْتِهِ إِلَيْهِمْ وَمَا كَرِهْتُ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَلَا تَأْتِهِ إِلَيْهِمْ خَلِّ سَبِيلَ الرَّاحِلَةِ»(٢).

وجاء في حديث آخر في سيره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه جاء شابّ إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال له: أتأذن لي بالزنا، فنهره الأصحاب وأغلظوا عليه، فأدناه النبي صلى الله عليه وآله منه وقال له:

«أَتُحِبُّ أَنْ يُزْنِيَ بِأُمَّكَ أَوْ أُخْتِكَ أَوْ بِنْتِكَ أَوْ خَالَتِكَ أَوْ عَمَّتِكَ؟» قال الشابّ: لا يارسول الله، فقال له: «كُلُّ النَّاسِ كَذَلِكَ»، ثم وضع يده المباركه على صدره: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» وبعد ذلك لم يره أحد وهو جالس إلى امرأه أجنبيه(٣).

وينبغي الالتفات إلى هذه النقطة أيضاً، وهي أنّ الإمام عليه السلام في عبارته السابعة من الكلام المذكور يقول على سبيل المقدمه: «وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قُلَّ مَا تَعْلَمُ». وهذا

ص: ٤٩٥

١- (١). في ظلال نهج البلاغه، ج ٣، ص ٥٠٢.

٢- (٢). الكافي، ج ٢، ص ١٤٦، باب الانصاف والعدل، ح ١٠.

٣- (٣). مجمع الزوائد للهيتمي، ج ١، ص ١٢٩. وهذا الحديث ذكره المرحوم المحدّث القمي في كتابه منتهى الآمال في فصل الفضائل الأخلاقية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

إشاره إلى أنّ معلوماتك وإن كانت محدوده وقليله فاقنع بها ولا تتدخل في أمور لا تعلم بها، فإنّ ذلك سيقودك إلى متهات الخطأ والانحراف.

\*\*\*

ص: ٤٩٤

وَاعْلَمَ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ، وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ، وَإِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ لِقَضِيكَ فَكُنْ  
أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ.

### الشرح والتفسير: لا تكن خازناً لغيرك

فى هذا المقطع من الوصيه النورانيه يشير الإمام عليه السلام إلى أربع فضائل أخرى ويوصى بها ولده وقلده كبداه الإمام الحسن  
المجتبى عليه السلام.

بدايه يقول: «وَاعْلَمَ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَآفَةُ الْأَلْبَابِ».

وهذا يعنى أن الإنسان المعجب بنفسه لا يدرك الحقائق الموضوعيه عن نفسه وعن الآخرين، فهذه الصفه الذميه تسدل حجاباً  
على عقله، وليست فقط تغطى عيوبه بل يرى عيوبه ورذائله نقاط قوه وعناصر كمال لنفسه، وأحياناً يعيش عمره فى هذا الوهم  
ويغادر الدنيا دون أن يتحرك لإصلاح الخلل والعيوب.

وعلى حدّ تعبير الشيخ مغنيه فى شرحه لنهج البلاغه، أنّ العجب كالخمر من حيث إنّهما يسكران الإنسان، والسكران حاله حال  
المجانين وينبغى الابتعاد عنه والفرار منه.

وقد ورد فى القرآن الكريم والروايات الإسلاميه فى ذمّ العجب والغرور نصوص كثيره، منها ما ورد الآيه ٨ من سوره فاطر: «أَفَمَنْ  
زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِيرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا  
يَصْنَعُونَ»، فهذا الشخص بسبب العجب يرى سوء عمله حسناً وكأنه يرى الحقيقه

والواقع، ولكنَّ الله تعالى يقول عنه أنه ضالٌّ وغير جدير بالهدايه ويوصى النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله أن لا يتحسّر ويأسف على مثل هؤلاء.

وقد وردت في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام تعبيرات وكلمات عجيبة عن العجب والغرور، في مورد يقول: «العَجْبُ آفَةٌ الشَّرْفِ» (١) وفي مورد آخر يقول: «آفَةُ اللَّبِّ العَجْبُ» (٢).

وفي مورد آخر يقول: «العَجْبُ يُفْسِدُ العَقْلَ» (٣).

وفي مورد آخر يقول: «ثَمَرَةُ العَجْبِ البَغْضَاءُ» (٤).

وأخيراً يقول: «العَجْبُ رَأْسُ الحِمَاقَةِ» (٥).

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام يواصل كلامه ويستعرض الوصية الثانية ويقول: «فَاسَعِ فِي كَذْحِكِ».

وهذا هو الأمر الذي ورد التأكيد عليه كثيراً في الروايات الإسلاميَّة إلى درجة أننا نقرأ في الحديث النبويِّ المعروف: «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقَى كَلَّهُ عَلَى النَّاسِ» (٦).

لو أنَّ جميع المسلمين وبخاصَّة الشبَّان عملوا بهذه التوصية فلا أحد سيكون محتاجاً للآخرين سوى العجزة والمعوقين، وبديهي أنَّ المجتمع الإسلامي سيتحرَّك في خطِّ الرقيِّ والتقدُّم ويحرز حالة من الإزدهار الاقتصادي والحضاري بدرجات عالية، بل إنَّ البلدان الإسلاميَّة سوف لا تكون أداه طيعه للبلدان الأجنبيَّة، لأنَّ ذلك لا ينتج لهم سوى الذلَّة والمهانة والتبعيَّة.

وذهب بعض شراح نهج البلاغة إلى معنى آخر لهذه العبارة وقالوا: إنَّ المقصود

ص: ٤٩٨

١- (١). غرر الحكم، ص ٣٠٩، ح ٧١٠٣.

٢- (٢). المصدر السابق، ص ٦٥، ح ٨٤٨.

٣- (٣). المصدر السابق، ح ٨٤٦.

٤- (٤). المصدر السابق، ص ٣٠٩، ح ٧١٠٦.

٥- (٥). المصدر السابق، ح ٧٠٩٦.

٦- (٦). الكافي، ج ٥، ص ٧٢، ح ٧.



منها السعى والكدح فى طريق الإنفاق، فكلمه «كدح» تعنى أن الإنسان يكدح ويتعب نفسه فى البذل، وفى هذه الصورة تكون هذه العبارة مقدّمه لما يأتى بعدها، ولكن يبدو أن التفسير الأول أصح.

ثم بيّن الإمام عليه السلام التوصيه الثالثه، ويقول: «وَلَا تُكُنْ حَازِنًا لِغَيْرِكَ».

ويشير بذلك إلى أن الأشخاص الذين يتعبون أنفسهم فى جمع الأموال والثروات ولا ينفقونها فى سبيل الله، هم من المساكين الذين يتعبون أنفسهم فى جمع وحفظ الأموال وينتفع بها الورثه، وفى القيامه يحاسبون عليها بينما يلتذّ بها وينتفع بها الآخرون، أى الورثه الذين لا يعيشون أحياناً أى مودّه واهتمام بالمورث وصاحب المال، ولا ينفقون منها فى سبيل الله لحساب صاحبها، بل أحياناً يوبخونه ويذمّونه بأنه لم يترك لهم ثروه كافيه، وحتى لو كان الورثه من الأشخاص الصالحين واستثمروا هذه الأموال فى طريق الطاعه والصلاح، فمع ذلك ستكون حسره على صاحب المال لأنه أتعب نفسه من أجلها بينما ربح ثوابها الآخرون، وهذا هو ما وردت الإشارة إليه فى الروايات الإسلاميه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام فى تفسير هذه الآيه الشريفه: «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ»<sup>(١)</sup>. قال: «هُوَ الرَّجُلُ يَدْعُ مَالَهُ لَأَيْتَفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ بُخْلًا ثُمَّ يَمُوتُ فَيَدْعُهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَإِنْ عَمِلَ بِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ رَأَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ فَرَأَهُ حَسِيرَةً وَقَدْ كَانَ الْمَالُ لَهُ وَإِنْ كَانَ عَمِلَ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ قَوَاهُ بِذَلِكَ الْمَالِ حَتَّى عَمِلَ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(٢)</sup>.

ثم يتعرض الإمام عليه السلام لبيان التوصيه الرابعه ويقول: «وَإِذَا أَنْتَ هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَحْشَعُ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ».

وهذا يعنى أن جميع النعم والمواهب الإلهيه تستحقّ من العبد الشكر، وأى نعمه

ص: ٤٩٩

١- (١). سورة البقره، الآيه ١٦٧.

٢- (٢). الكافي، ج ٤، ص ٤٢، ح ٢.

أعظم على الإنسان من الهدايه لطريق الخير والصلاح مع أنّ مجاميع كثيره من الناس ساروا في خطّ الضلاله والتمتاهه، وشكر كلّ نعمه يجب أن يتناسب مع تلك النعمه، وشكر نعمه الهدايه يستلزم الخضوع للحقّ تعالى وإطاعه أوامره ونواهيّه.

\*\*\*

ص: ٥٠٠

## إشارة

وَاعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ، وَأَنَّهُ لَأَغْنَى بِكَ فِيهِ عَنِ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ، وَقَدْرِ بَلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفَّةِ الظَّهِيرِ، فَلَمَّا تَحْمَلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونُ ثِقْلُ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ، وَإِذَا وَجِدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَا فَيْكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمَهُ وَحَمَلُهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثَرُ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ، وَاعْتَنِمَ مِنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عَشْرَتِكَ.

## الشرح والتفسير: الآخرون يحملون متاعك إلى الآخرة!

فى هذه الفقرة من الوصية يتحدّث الإمام عليه السلام عن طول سفر الآخرة وحاجه الإنسان الشديده للزاد والمتاع لهذا السفر من الطاعات وأعمال الخير وخاصه الإنفاق فى سبيل الله.

بدايه يقول: «وَاعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ، وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ».

إنّ طريق الدنيا مهما كانت طويله وشاقه فإنها بالنسبه لطريق الآخرة سهله وميسوره، وطريق الآخرة ملىء بالمنعطفات والمطبات وتحتاج لمجاهده النفس وتربيتها على الفضائل الأخلاقية، وأحياناً يستغرق سلوكك هذا الطريق سنوات طوال.

وبعد هذا التحذير يتبّه الإمام عليه السلام إلى لزوم تهيئه الزاد والمتاع لهذا السفر الملىء

بالمخاطر ويقول: «وَأَنَّهُ لَأَغْنَى بِكَ فِيهِ عَن حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ (١) ، وَقَدَّرَ بِلَاغِكَ (٢) مِنَ الزَّادِ، مَعَ خِفِّهِ الظُّهْرِ».

إنَّ الأصل والأساس في هذا الزاد والمتاع هو ما ورد في القرآن الكريم يقول:

«وَتَرَوُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (٣).

وعبارته: «حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ» مع الالتفات إلى أنَّ كلمه «الارتياذ» تعنى الطلب، فالمراد من العبارة حسن الطلب، أو بكلمه أخرى التدبير وإبتغاء المنهج الصحيح فى سلوكك الطريق (أى فى تهيئه الزاد والمتاع لسفر الآخره).

وعبارته: «خِفِّهِ الظُّهْرِ» إشاره إلى ما ذكره القرآن الكريم، حيث يقول: «وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ» (٤)، فالإمام عليه السلام يوصى ولده أن لا يكون مثل هؤلاء الأشخاص الذين يحملون أوزارهم وأوزار الآخرين على ظهورهم، فالمؤمن يسعى لتخفيف حملة ما أمكنه ذلك.

وسبق أن ذكرنا فى شرح الخطبه الحاديه والعشرين أن الإمام عليه السلام تحدّث عن هذا المضمون بعبارة وجيزه جداً وعميقه المغزى وقال: «تَخَفُّوْا تَلْحَقُوْا»، فى الماضى وعندما كانت القوافل تسير فى طرق صعبه وتصل إلى منعطفات خطيره فإنّ المثقلين يعجزون عن مواصلة الطريق، وبما أن القافله لا- تستطيع التوقّف بسببهم، فإنّها تستمرّ فى مسيرتها، ويبقى هؤلاء وحدهم فى الصحراء ويكون مصيرهم نهباً لقطاع الطرق وطعاماً لذئاب البرارى.

وبعد هذه المقدّمه الوجيزه والعميقه المعنى يطرح الإمام عليه السلام مسأله الإنفاق فى

ص: ٥٠٢

---

١- (١) . «ارتياذ» من ماده «رود» على وزن «قوم» فى الأصل تعنى الذهاب والمجىء مع المداراه والملاءمه فى طلب الشىء، وبالنسبه لمشتقاتها تاره تغلب جهه الطلب وأخرى جهه الرفق والمداراه، ومفرده «إراده» مشتقه من هذ الأصل أيضاً.

٢- (٢) . «بلاغ» بمعنى الشىء الذى يوصل الإنسان إلى مقصده.

٣- (٣) . سوره البقره، الآيه ١٩٧.

٤- (٤) . سوره العنكبوت، الآيه ١٣.

سبيل الله وأنه أهما زاد ومتاع ليوم القيامة ويقول: «فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ ظَهْرَكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ، فَيَكُونَ ثِقْلٌ ذَلِكُ وَبِأَلَا عَلَيْكَ».

ويشير بذلك إلى أنك لا تدخر لنفسك أكثر مما تحتاجه في حياتك ومعاشك بحيث تستطيع الإجابة يوم القيامة عنه، لأن ما تجمعه من هذه الدنيا سيكون ثقيلاً عليك في الآخرة، فالحمل الذي لا تنتفع به في هذا المسار سوف لا يجديك سوى التعب والعناء.

ثم يدعو الإمام عليه السلام للإنفاق في سبيل الله بعبارات رائعة وجدّابه فيقول: «وَإِذَا وَحِدَتْ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيُؤَافِيكَ بِهِ عَدَاً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَأَعْتِنْمَهُ وَحَمْلُهُ إِيَّاهُ، وَأَكْثَرُ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ».

ثم يضيف: «فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ» (1).

وفي ختام هذا المقطع من الوصية يستخدم الإمام عليه السلام عبارات أخرى لترغيب المخاطب إلى الإنفاق في سبيل الله ويقول: «وَأَعْتِنِم مَنِ اسْتَفْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ، لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ».

وحصيله الكلام أن الإنسان العاقل ينبغي أن يستثمر وجود نمطين من الناس:

الشخص الذي يتبرع بحمل زاد الإنسان على كتفه مجاناً ويوصله بفرح وسرور إلى المنزل المقصود، والآخر الشخص الذي يستقرض من الإنسان بعض أمواله في حال عدم حاجته إليه ويسدده له في وقت هو بأمرس الحاجة إليه، أجل، هكذا حال الأشخاص الذين يتحرّكون في الإنفاق في سبيل الله، وهذا التعبير عن هؤلاء يعتبر أبلغ وأجمل تعبير يجسد في طياته القيم الأخلاقية الرفيعة.

ص: ٥٠٣

---

١- (١). بالنسبة للضمير «تَطْلُبُهُ» وجمله «فَلَا تَجِدُهُ» هناك خلاف بين شراح نهج البلاغة في عوده هذا الضمير، فالاحتمال الأول أنه يعود إلى الشخص الفقير والمحتاج فكأنه يحمل على أكتافه الصدقات والمثوبات ويسلمها يوم القيامة لصاحبها، والاحتمال الآخر أنه يعود على المال نفسه، يعني سيحين الوقت الذي تطلب مالاً لانفاقه في سبيل الله وليس لديك مال، ولكن التفسير الأول أرجح كما ذكرنا في المتن، وجمله «وَأَعْتِنِم» شاهد على ذلك.

والتعبير الثاني مقتبس من القرآن الكريم ويقول: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً» (١)، وطبعاً فالآية الشريفة تضيف نقطه أخرى على مسأله القرض، وهى أن الله تعالى هو الذى يستقرض من عباده، ثم يسدد لهم أضعافاً مضاعفه.

والتعبير الأول يحتمل أن يكون من الآيات الشريفة فى سورة البلد، تقول الآيات: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكُّ رَقَبَةٍ \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ...» (٢).

والجدير بالالتفات أن المرحوم الصدوق ينقل فى كتابه علل الشرائع روايه رائعه مناسبه للكلام الوارد فى الوصيه مورد البحث، يقول سفيان بن عيينه قال: رأى الزهرى (من التابعين المعروفين) على بن الحسين عليه السلام ليله بارده مطيره وعلى ظهره دقيق وهو يمشى، فقال له: يا ابن رسول الله ما هذا؟ قال: «أريد سيفراً أعدُّ له زاداً أحمله إلى موضع حرير»، فقال الزهرى: فهذا غلامى يحمله عنك، فأبى، قال: أنا أحمله عنك فإنى أرفعك عن حمله، فقال على بن الحسين: «لكننى لأرْفَعُ نَفْسِي عَمَّا يُنْجِنِي فِي سَفَرِي وَيُحْسِنُ وُرُودِي عَلَيَّ مَا أَرِدُ عَلَيْهِ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ لَمَّا مَضَيْتَ لِحَاجَتِكَ وَتَرَكْتَنِي». فانصرف عنه، فلما كان بعد أيام قال له: يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثراً، قال: «بلى يا زهرى ليس ما ظننت ولكنَّهُ المَوْتُ وَلَهُ كُنْتُ أَسْتَعِدُّ إِنَّمَا الْأَسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ تَجَنَّبُ الْحَرَامَ وَبَدَّلَ النَّدَى وَالْخَيْرِ» (٣).

\*\*\*

ص: ٥٠٤

١- (١) . سورة البقره، الآيه ٢٤٥.

٢- (٢) . سورة البلد، الآيات ١١-١٤.

٣- (٣) . بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٦٥، ح ٢٧.

وَاعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَهُ كَوْودًا، الْمُخْفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا. مِنَ الْمُثْقَلِ، وَالْمُبْطِئِ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا. مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَمَحَالَهُ إِمَّا عَلَى جَنِّهِ أَوْ عَلَى نَارٍ، فَارْتَدَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ، وَوَطِئَ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، «فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ»، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

### الشرح والتفسير: ضع عن كتفك هم يومك!

يعود الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصيه النورانيه ليتحدّث مرّه أخرى في مسأله سفر القيامه الطويل والملىء بالمخاطر والعقبات، ويبيّن معالم هذا المسير بدقه متناهيه، ويتحدّث عن وسيله النجاه فيه.

بدايه يقول: «وَاعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَهُ كَوْودًا (١) ، الْمُخْفُ (٢) فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا. مِنَ الْمُثْقَلِ (٣) ، وَالْمُبْطِئِ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ».

والمراد من العقبه الكؤود والمنعطف الخطير في هذا المسار إمّا الموت وسكراته، أو عالم البرزخ، أو جسر الصراط (ويحتمل أن يكون جميع ذلك).

وبديهيّ أنّه لإحراز السلامه في عمليه العبور من هذه المآزق والمنعطفات الخطيره ينبغى التخفيف من الأثقال، والإسراع في المسير، لأنّه في مثل هذه

ص: ٥٥

١- (١). «كؤود» بمعنى الطريق الشاق وصعب العبور، من ماده «كئد» على وزن «عهد» بمعنى شدّه وصعوبه والعسر.

٢- (٢). «مخفّ» يعنى الشخص الذى يحمل حملاً حفيفاً، من «خفّ» على وزن «صف» بمعنى الخفيف.

٣- (٣). «مثقل» يعنى الشخص الذى يحمل حملاً ثقيلًا، من ماده «ثقل».

المنعطفات الخطيره يكثر قطاع الطرق أو الحيوانات المفترسه التي يواجهها الإنسان فى هذا الطريق وتعيقه عن إكمال المسير.

وهذا التعبير أيضاً مقتبس من القرآن الكريم حيث يقول: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ \* فَكَّ رَقَبَهُ \* أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ...» (١).

وذهب بعض المفسرين فى شرح هذه الآيات أن العقبه تعنى هوى النفس، وذهب آخرون إلى المآزق والمنعطفات الخطيره يوم القيامة، وكلام الإمام عليه السلام هنا يتناسب مع الثانى.

ويواصل الإمام عليه السلام حديثه عن هذا المسير المعنوى ويقول: «وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَهٖ إِمَّا عَلَىٰ جَنِّهِ أَوْ عَلَىٰ نَارٍ».

ثم يضيف: «فَارْتَدَّ (٢) لِنَفْسِكَ قَبْلَ نَزُولِكَ، وَوَطِئَ الْمُنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ (٣) وَلَمَّا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ (٤)».

والجدير بالذكر أن جملة: «لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ» قالها لأول مره رسول الله صلى الله عليه و آله فقد ورد فى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه و آله: «لَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ أَكْثَرُوْا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَاتِ وَمُنْغَصِ الشَّهَوَاتِ» (٥).

وجمله: «وَلَمَّا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ»، تعكس حقيقه جليله أشارت إليها الآيات القرآنيه والروايات الشريفه بشكل واسع، القرآن الكريم يقول: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا...» (٦).

ص: ٥٠٦

١- (١). سورة البلد، الآيات ١١-١٤.

٢- (٢). «ارْتَدَّ» يعنى انتخب واختر لك، من «الإرتياد» كما ذكرنا فى تفسيرها سابقاً.

٣- (٣). «مُسْتَعْتَبٌ» مصدر ميمى، يعنى الاعتذار وطلب رضا، من ماده «عتب» على وزن «عطف» وله معانٍ متعدده وأحدها الرضا والبهجه، والشخص الذى يعتذر للشخص المقابل يطلب فى الحقيقه رضاه وشفوه، ولذلك تستعمل هذه المفرده بمعنى الاعتذار.

٤- (٤). «مُنْصَرَفٌ» مصدر ميمى بمعنى العوده.

٥- (٥). مستدرک الوسائل، ج ٢، ص ١٠٤، ح ١٦.

٦- (٦). سورة المؤمنون، الآيه ٩٩ و ١٠٠. وأشار إليها فى الآيات ٢٨ من سورة الانعام و ٣٧ من سورة فاطر أيضاً.



ونقرأ في الخطبه ١٨٨ من نهج البلاغه في حديث الإمام عليه السلام عن الموتى ويقول:

«لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالَ وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ اِرْتِدَادًا».

أجل، إنّ هذا المنزل في يوم القيامة وما بعد الموت غير قابل للعودة، كما أنّ الوليد المعوق لا يستطيع أبداً العوده إلى رحم امّه لينمو من جديد بشكل صحيح ولا يمكن للثمره التي انفصلت عن الشجره أن تعود إلى غصنها، فالأشخاص الذين يغادرون هذا العالم إلى عالم البرزخ لا يستطيعون أبداً العوده إلى الدنيا، وأهل البرزخ بدورهم عندما ينتقلون إلى القيامة لا يستطيعون العوده إلى عالم البرزخ، وهذا تحذير لنا جميعاً بأن نعلم أننا ربّما سنواجه لحظه وينتهى كلّ شيء وتوصد أمامنا أبواب التوبه ولا نستطيع تحصيل الزاد والمتاع، فنغادر الدنيا بقلوب مليئه بالحسرات.

\*\*\*

ص: ٥٠٧



وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي يَبِيدُهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَدَانَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحِمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنُّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرَكَ بِالْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضْحُ يَحُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسِينَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الْإِسْتِعْتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْتَشْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعْنَتْهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصَحْحَةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدَانَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى سَأَلْتَهُ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمَطَرْتَ شَأْسِيْبَ رَحْمَتِهِ، فَلَمَّا يُفَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النَّيِّبِ، وَرُبَّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيْتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيْتَهُ، فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيَمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ.

فى هذا المقطع من الوصيه النورانيه يشير الإمام عليه السلام إلى عدّه مواضيع مهمّه ويقول: ينبغي عليك أن تهتمّ بمسأله الدعاء، فالدعاء يمثّل قضيه مصيريه فى حياتك: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ».

وفى هذه العبارات يشير الإمام عليه السلام إلى نقاط عدّه لتشويق المخاطب للدعاء، فيقول أولاً: يجب أن تطلب حاجاتك ممّن يملك جميع الأمور ويده مقاليد السماوات والأرض ويستطيع أن ينعم عليك بالرزق والعطايا، وبكلمه واحده أن تدعو من يملك جميع الكائنات، وعلى ضوء ذلك تكون فى طلبك ودعائك قريباً من الإجابة.

وفى الجمله الثانيه يقول: إنّ الله تعالى أذن لك بالدعاء، أى فى الحقيقه أنّه دعاك لتأتى إلى ساحه قدسه وتسأله من فضله وكرمه وتدعوه وتناجيه، وهذا يمثّل غايه اللطف والرحمه بحيث أنّه تعالى دعا المحتاجين إليه وقال: تعالوا إلىّ واطلبوا منّى، وهذا المعنى أشارت إليه الآيات القرآنيه فى قوله تعالى: «قُلْ مَا يَعْجُبُوكُمْ بِرَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ» (١).

وفى الجمله الثالثه يقول: إنّ الله تعالى قد ضمن لك استجابته الدعاء، وهذا أيضاً إشاره لقوله تعالى: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (٢) وغيرها من الآيات الشريفه.

وفى الجمله الرابعه يتوسّع الإمام عليه السلام فى هذا الموضوع وأنّ الله تعالى قد تجاوز مسأله الإذن فى الدعاء، بل أمرك أن تسأله وتدعوه وتطلب من لطفه ورحمته ويعطيك وينعم عليك ويرحمك، وهذا ما ورد فى الآيات الشريفه، نظير: «وَأَسْأَلُوا

١- (١) . سورة الفرقان، الآية ٧٧.

٢- (٢) . سورة غافر، الآية ٦٠.

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (١).

وفى الجملة الخامسة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ».

وهذا إشاره إلى أنّ الدين الإسلامى يقوم على أساس أن البشر يستطيعون إقامة علاقه مباشره مع الله تعالى بدون توسط أحدٍ من العباد، كما هو الحال فى الصلاه التى نصلّيها كلّ يوم، فإننا من بدايتها إلى انتهائها وبخاصّه فى سوره الفاتحه نتحدّث مع الله تعالى بشكل مباشر بدون أيه واسطه بيننا، وهذا يعدّ افتخاراً كبيراً للإسلام والمسلمين حيث فتح الإسلام طريق الارتباط المباشر مع الله للجميع، والآيات القرآنيه شاهده على هذا المعنى، لا سيّما الآيات الشريفه التى تبتدىء بكلمه «رَبَّنَا».

على العكس من ذلك بعض المذاهب الباطله التى تشترط وجود واسطه من المرشد وشيخ الطريقه بين العبد وربّه وأحياناً لا يجيدون إقامة ارتباط مباشر مع الله تعالى.

وهنا يثار هذا السؤال، وهو أنّ مسأله الشفاعه فى الإسلام، أى شفاعه النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام المعصوم عليه السلام وصالح المؤمنين، وردت بكثره فى الآيات القرآنيه والروايات الشريفه حيث تدلّ على شفاعه الشفعاة فى الدنيا والآخرة، ألا تتنافى مثل هذه الشفاعه مع الارتباط المباشر مع الله تعالى؟

والجواب على هذا السؤال يتّضح بالالتفات إلى نقطتين:

الأولى: إنّ هذا المعنى لا ينفى وجود الارتباط المباشر، بل إنّ الارتباط المباشر بالله تعالى محفوظ فى محلّه، والمسلمون يرتبطون بالله فى كلّ يوم وليله بشكل مباشر فى صلاتهم ودعائهم، والشفاعه بدورها لها مكانه خاصّه وثابته، وبعبارة أخرى أنّ كلا الطريقين يوصلان الإنسان برحمه الله ولطفه ولا تقاطع بينهما حيث

ص: ٥١١

الثانية: وردت في الآيات القرآنية الإشارة إلى هذه النقطة في أكثر من مورد وهي أنّ الشفاعة بدورها إنّما تتحقّق بإذن الله، وعلى ضوء ذلك فالشخص الذى يتوسّل بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام ويطلب منهم الشفاعة، يجب عليه إلى جانب ذلك أن يطلب من الله الإذن لهم بالشفاعة، فإذن الشفاعة يعتبر مكمل للارتباط المباشر بالله تعالى.

وبيان آخر، إنّنى أطلب قضاء حوائجى من الله تعالى مباشرة، ولكن أحياناً تكون الحاجه معقده ومهمه، أو إنّنى ملوّث بالذنوب بدرجة أشعر معها أنّنى لا أستطيع نيل بغيتى وتحقيق مرادى لوحدى ومن خلال الدعاء فقط، هنا أتوسّل بالأولياء الإلهيين الذين لهم مكانه واعتبار عند الله تعالى أن يشفعوا لى عند الله تعالى بإذن الله، على سبيل المثال، نرى أنّ إخوه يوسف بعد ما ارتكبوا تلكم الجرائم فى أخيهم شعروا بأنّ ذنبهم عظيم إلى درجه أنّهم لا يستطيعون طلب العفو بشكل مباشر من أخيهم يوسف عليه السلام أو من الله تعالى، وبذلك توسّلوا بأبيهم وقالوا: «يا أباَنَا اسْتَعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ» (١).

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام بعد أن يطرح مسأله الدعاء يتعرّض لمسأله التوبه ويتحدّث عنها بكلمات بليغه وزاخره بالمضامين العالیه ويبين أنّ اللطف الإلهيّ يشمل المذنبين التائبين، ويؤكد هذا المعنى فى ثمان جمل:

١. «وَلَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ»، حيث فتح أمامك أبواب التوبه مع إساءتك.

٢. «وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ»، فأخّر العقوبه لعلّك تتوب من ذنبك.

٣. «وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ»، كما هو حال الأشخاص الذين يعيشون حبّ الانتقام من التائبين ويواجهونهم باللوم والتوبيخ والتفريع.

٤. «وَلَمْ يَفْضَحْ حَيْثُ الْفَضَّةُ يَحُهُ بِكَ أَوْلَى»، وليس كما يتعامل بعض أصحاب النفوس الضعيفه الذين يتحرّكون على مستوى فضح الطرف المقابل بأدنى زلّه.

٥. «وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ»، بخلاف ما يتعامل به أصحاب الشخصيات الهزيلة مع الآخرين.

٦. «وَلَمْ يُنَاقِشْكَ (١) بِالْجَرِيمَةِ»، بل يصفح عنك ومن دون استعتاب ومؤاخذه.

٧. «وَلَمْ يُؤَيِّدِكَ مِنَ الرَّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ (٢) عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتِكَ عَشْرًا»، ومهما كان ذنبك عظيماً ووزرك ثقيلاً فإنّ الله تعالى فتح باب العوده والتوبه والإنابه إليك، وجعل هذه العوده حسنه لك، والأهم من ذلك أنه جعل سيئتك واحده، وضاعف حسنتك إلى عشر حسنات.

٨. «وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، وَبَابَ الْإِسْتِعْتَابِ (٣)»، أى أنّ الله تعالى فتح باب العوده إليه دائماً.

هذه العبارات فى الحقيقه مقتبسه من الآيات القرآنيه الكريمه التى تتحدّث عن التوبه وآثارها والألطف الإلهيّه بالنسبه للتائبين والمنيبين.

والقرآن الكريم يقول: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٤).

وفى مورد آخر يتحدّث عن قبول التوبه ويقول: «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ» (٥).

وفى مورد آخر يتحدّث عن عدم تعجيل العقوبه للمذنبين ويقول: «وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

ص: ٥١٣

١- (١). «لَمْ يُنَاقِشْكَ» من «المناقشه» بمعنى الدقه والتشدد فى الحساب، ومن هنا اطلقت هذه المفرده على المناظره الدقيقه والمباحثات الكلاميّه الشائكه.

٢- (٢). «نُزُوعٌ» بمعنى الانفصال عن شىء، ومن هنا اطلقت كلمه «نزع» على حاله الإنسان فى سكرات الموت لأنّها لحظات انفصال الروح عن الجسد.

٣- (٣). «الاستعتاب» مرّ تفسيرها فى القسم الثامن عشر من هذه الوصيه.

٤- (٤). سوره النور، الآيه ٣١.

٥- (٥). سوره الشورى، الآيه ٢٥.

ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ» (١).

وفيما يخصّ عدم اليأس من رحمه الله يتحدّث القرآن الكريم بعبارات زاخره باللطف ومفعمه بالمحبّه، يقول للنبيّ صلى الله عليه وآله: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٢).

وبالنسبة لتبديل السيئات بالحسنات يقول تعالى: «إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» (٣).

وما يخصّ كتابه السيئات بمقدارها وكتابه الحسنات بعشر أمثالها يقول تعالى:

«مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (٤).

ومن المعلوم أنّ التوبه تعتبر أوّل خطوه في طريق السلوك إلى الله تعالى ومن هنا يعتبر السالكون إلى الله التوبه أوّل منزل من منازل هذا الطريق، وعندما نرى أنّ الإمام عليه السلام يذكر التوبه بعد الدعاء، فذلك لأنّ التوبه أيضاً نوع من الدعاء، أى الدعاء لطلب العفو والرحمه من الله تعالى، وما لم يتقدّم الإنسان بهذه الخطوه، لن يغسل عن روحه وقلبه غبار الذنوب، وما لم يزح حجاب المعصيه عن عين قلبه، فإنّ سلوك هذا الطريق يكون عسيراً أو غير ممكن.

ونقرأ فى الأدعيه وروايات المعصومين عليهم السلام أيضاً إشارات كثيره وتعبيرات لطيفه عن هذا الموضوع، وذلك ما ورد فى مناجاه التائبين (وهى أوّل مناجاه من المناجيات الخمسه عشر للإمام زين العابدين عليه السلام) فنقرأ: «إلهى أنت الذى فتحت لِعِبَادِكَ باباً إلى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ فَقُلْتَ: «تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً» فَمَا عُذِرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ».

ص: ٥١٤

١- (١) . سورة الكهف، الآية ٥٨.

٢- (٢) . سورة الزمر، الآية ٥٣.

٣- (٣) . سورة الفرقان، الآية ٧٠.

٤- (٤) . سورة الأنعام، الآية ١٦٠.



أجل، فالإمام عليه السلام بوصفه مرشداً مطلعاً مجرباً يأخذ بيد ولده الشاب ويسير به في هذا الطريق من منزل لآخر إلى حيث الوصول إلى منزل القرب الإلهي.

ثم يواصل الإمام عليه السلام كلامه لولده ويوصيه بالدعاء والمناجاة لله وطلب الحاجه إليه، ويقول: «فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ، فَأَفْضَيْتَ (١) إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ، وَأَبْتَشْتَهُ (٢) ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ، وَاسْتَعْنَيْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ».

ففي هذه الفقره من كلام الإمام عليه السلام يعلم الإمام ولده كيفية المناجاة والابتهاج مع إلى الله تعالى ويقول: اطلب حاجتك منه تعالى وافتح له قلبك وأبرز له هواجسك ومكنوناتك، وتحدث معه عن معاناتك وهمومك، واطلب منه المعونه في جميع أمورك، فهذه الأمور الخمسه تشكل محاور مناجاه العباد مع ربهم وقد أشار إليها الإمام عليه السلام بعبارات بليغه وموجزه.

ثم إن الإمام عليه السلام بين لولده كيفية الطلب من الله تعالى وعدد له مواهبه ونعمه المهمه التي ينبغي للإنسان أن يطلبها من الله تعالى دائماً ويقول: «وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ، مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ، وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ، وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ».

فهنا نرى الإمام عليه السلام بعد أن يؤكد على أن الله تعالى يملك مواهب ونعماً في خزائن رحمته ولا يستطيع أي مخلوق إعطاء هذه النعم للإنسان، يشير الإمام عليه السلام إلى ثلاث من هذه النعم:

١. العمر الطويل، الذي يتيح للإنسان أن يتحرك على مستوى بناء ذاته وتركيبه نفسه وزيادة حسناته.

٢. الصحه والسلامه، وبدون هذه الصحه والسلامه فلا يترتب على زياده العمر

ص: ٥١٥

١- (١). «أفضيت» من «الإفضاء» و «فضاء» وتأتي بمعنى الوصول إلى شيء وكأثماً دخل في فضائه وجوه.

٢- (٢). «أبتشته» من ماده «بث» بمعنى فرق ونشر، وهنا جاءت بمعنى نشرت له عن سرّك وأظهرت عن مكنوناتك.

سوى مزيد من الألم والمعاناه وأحياناً يؤدي إلى الابتعاد عن الله والإعراض عن رحمته.

٣. الرزق الوفير، لأنّ الإنسان بدون إمكانيات ماليه غير قادر على أداء الكثير من الحسنات والخيرات، من قبيل صلة الرحم، كفاله الأيتام، إعانه المحتاجين، بناء المدارس، المستشفيات، نشر علوم الإسلام ومعارف أهل البيت عليهم السلام، ضيافه المؤمنين وما إلى ذلك.

وطبعاً هذا في صورته أن يكون المقصود من الأرزاق في هذه العبارة الأرزاق الماديه، ولكن إذا توسّعنا في مفهوم الرزق بحيث يشمل العلوم والمعارف، النفوذ الإجتماعي، القوى الجسميه والنفسيه وما شاكل ذلك، فسوف يكون المطلوب أوضح وأبين.

ومما لا شك فيه أنّ طول العمر وصحة البدن وسعه الرزق تتصل بشكل وثيق بسعي الإنسان وجهده بأن يراعى المسائل الصحيه ويجتنب عوامل الضرر وموجبات المرض، ويتحرك في واقع الحياه بطلب الرزق، ولكن بشكل عام فإنّ هذه الأمور مرتبه بمشيئته الله تعالى، والعوامل التي يفرضها ويقررها الباري في عالم الغيب وهي خافيه علينا، وعلى حدّ تعبير الإمام عليه السلام: إنّها من خزائن رحمه الله تعالى الذي لا يقدر على إعطائك غيره.

ويشير القرآن الكريم إلى هذا الموضوع أيضاً في حديثه عن دعاء النبي إبراهيم عليه السلام وقوله: «الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ \* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي يَسْقِينِ \* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ \* وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ» (١).

ومن المعلوم أنّ المواهب الإلهيه لا تنحصر بزياده العمر وصحة البدن وسعه الرزق، ولكن لا شك أنّ الأركان الأصليه لهذه النعم والمواهب الإلهيه تتمحور حول هذه الأمور الثلاثه، لأنّ الأصل والعمده في أعمال الخير ينبثق من هذه الأمور.

ص: ٥١٦

وفى بيان مفاتيح هذه الخزائن الإلهية يقول الإمام عليه السلام: «ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ».

ويتبين من هذا الكلام أنّ الدعاء والابتهاال إلى الله تعالى له تأثير كبير فى نيل المطلوب والانتفاع بالنعم المتوفّره فى هذه الخزائن اللامتناهيه ويتبين أيضاً دور الدعاء فى فتح أبواب هذه الخزائن الغيبية.

وطبعاً فالدعاء يستلزم توفّر شروطه، منها أن يبذل الإنسان جهده بما لديه من إمكانيات فى هذا السبيل، ثم يتوسّل بالدعاء لما ليس له قدره عليه وما هو خارج عن إمكانياته.

ثم يخرج الإمام عليه السلام بهذه النتيجة: «فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمَطَرْتَ شَأْيِبَ (١) رَحْمَتِهِ».

ومعلوم أنّ خزائن الله تمثّل مجموعه النعم الماديه والمعنويه للمخلوقات، وأنّ مفتاح أبواب هذه الخزائن هو الدعاء، وبكلمه أخرى أنّ الإمام عليه السلام شبه نعم الله تعالى بمطر الرحمه حيث يستطيع الإنسان أن يستمطر هذه الرحمه الإلهيه من سماء القدره الإلهيه المطلقه واللفظ الإلهي العميم على أرض وجوده ويروى ظمأ قلبه وعطش روحه.

وجاء فى حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الدُّعَاءُ مَفَاتِيحُ النَّجَاحِ وَمَقَالِيدُ الْفَلَاحِ وَخَيْرُ الدُّعَاءِ مَا صَدَرَ عَنِ صَدْرٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ تَقِيٍّ» (٢).

وهنا يشار سؤال مهمّ ومعروف، والإمام عليه السلام يجب عنه بلا- فصل، وهو: لماذا لا- تستجاب الكثير من أدعيتنا، أو تتأخر الإجابة مدّه طويله، فلو كان الدعاء يفتح أبواب رحمه الله، فلماذا لا يفتح هذا المفتاح الباب أو يستغرق فتحها مدّه من الزمان؟ فى حين أنّ الآيات الشريفه التى تعتبر الدعاء مفتاح الإجابة المطلقه وشامله

ص: ٥١٧

١- (١). «شأيب» جمع «شؤبوب» على وزن «بهلول» بمعنى هطول المطر بغزاره وأحياناً تأتي بمعنى كل شدّه.

٢- (٢). الكافي، ج ٢، ص ٢٦٨، ح ٢.

لجميع الحالات، ففي مورد يقول القرآن الكريم: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (١)، وفي مورد آخر يقول: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (٢).

ويجب الإمام عليه السلام عن هذا السؤال بالإشارة إلى أربع نقاط:

الأولى: أحياناً تكون نية الداعي ملوثة ولا يصدر الدعاء عن قلب نقي وطاهر من الذنوب، يقول: «فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ».

وهذا الحديث الشريف الذي قرأناه آنفاً مذكور في كتاب الكافي وأن الدعاء إنما يستجاب إذا صدر من قلب نقي وطاهر، وعلى هذا الأساس إذا لم تستجب بعض الأدعية ويستجاب البعض الآخر، فذلك ناشىء من تلوث النية، والروايات التي تقرّر أن أحد شرائط استجابته الدعاء التوبة من الذنوب، تشير إلى هذا المعنى أيضاً.

وأشار الإمام عليه السلام إلى المانع الثاني في قوله: «وَرُبَّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ، وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْأَمَلِ».

وبيان آخر أن الله تعالى قد يؤخر استجابته دعاء عبده ليقبى العبد فتره أطول أمام باب بيته، وبالتالي يحصل على مواهب أكثر وأوفر وذلك بسبب محبة الله لهذا العبد.

ثم يشير الإمام عليه السلام إلى المانع الثالث من استجابته الدعاء ويقول: «وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ، وَأُوتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً».

وهو إشارته إلى أنك ربّما تطلب شيئاً قليلاً وتافهاً من الله تعالى ولكن الله بمقتضى عظمته وسعه رحمته لا يستجيب لك ولا يعطيك ما تطلب، بل يعطيك خيراً منه عاجلاً أو آجلاً، كالشخص الذي يتوجه لشخص كريم فيطلب منه داراً وضيعه مثلاً ولكن ذلك الكريم لا يقبل ويمتنع عن إعطائه ما يريد، لأنه سيعطيه فيما بعد داراً أوسع وأفضل ممّا طلب.

ص: ٥١٨

١- (١). سورة غافر، الآية ٦٠.

٢- (٢). سورة البقرة، الآية ١٨٦.

ثم بيّن الإمام عليه السلام السبب الرابع لعدم استجابته الدعاء، والذي يعتبر أهم سبب في ذلك، يقول: «أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ».

فالكثير من الناس وبسبب عدم اطلاعهم على عواقب الأمور يطلبون مسائل وحاجات من الله تعالى بإصرار وإلحاح، في حين أنّ هذا الطلب فيه هلاكه وفساده، وبما أنّ الله تعالى عالم بعواقب الأمور، فإنّه لا يستجيب مثل هذا الدعاء، ولكنّه لا يخيّب أمل عبده، فيعطيه ما فيه فلاحه ونفعه.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة أيضاً ويقول: «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» (١).

ونقرأ في حديث شريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ عِبَاداً لَا يَصِلُحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينِهِمْ إِلَّا بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَالصَّحَّةِ فِي الْبَدَنِ فَأَبْلُوهُمْ بِالْغِنَى وَالسَّعَةِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ فَيَصِلُحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينِهِمْ وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِعِبَاداً لَا يَصِلُحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينِهِمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالسُّقْمِ فِي أَيْدِيهِمْ فَأَبْلُوهُمْ بِالْفَاقَةِ وَالْمَسْكِنَةِ وَالسُّقْمِ فَيَصِلُحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينِهِمْ» (٢).

وهناك نماذج جليّة على امتداد التاريخ وحتى في زمان صحابه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمّه الهدى عليهم السلام تحكى عن وجود بعض الأفراد من ذوى الذهنية الضيّقة يطلبون من الله تعالى وإبصاراً ويتوسّلون إليه بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله أو الأئمّه المعصومين عليهم السلام أن يوسّع في رزقهم، وبعد الإصرار والطلب من النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام أن يدعو لهم بسعه الرزق تفضى بهم سعه الرزق إلى حالة من الطغيان والتمرد، بل ينطق بعض هؤلاء بكلمات يستشّم منها الإرتداد عن الدين والإيمان كما في القصة المعروفه عن ثعلبه بن حاطب الأنصاري الذي كان يصرّ على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أن يدعو له بالمال الوفير،

ص: ٥١٩

١- (١). سورة البقره، الآية ٢١٦.

٢- (٢). أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٠، ح ٤.

وكان النبي يعلم بحاله ومستقبله وكان يقول له: «قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ»، أليس من الأفضل أن تتأسى بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتقعن بحياه بسيطه؟ ولكن ثعلبه بقى مصرّاً على طلبه، وأخيراً دعا له النبي وحصل على ثروه كبيره من ميراث خلفه له أحد أرحامه، فاشتري بهذا المال ماشيه، وازدادت وكثرت تدريجياً حتى أصبح من العسير الاحتفاظ بها في المدينه، فاضطرّ ثعلبه إلى الخروج إلى خارج المدينه وعلق بحياته الماديه حتى ترك صلاه الجماعه والجمعه خلف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله خلافاً لعاداته السابقه حيث كان يشترك في جميع صلوات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وبعد مدّه أرسل إليه النبي من يقبض منه زكاه أمواله، فامتنع ثعلبه من دفع الزكاه واعترض على أصل تشريع هذا الحكم الإلهي وقال: هل هذا إلّا الجزية التي تؤخذ من أهل الكتاب، نحن أسلمنا لئلا ندفع الجزية، وعندما وصل خبره إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «يا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ» (١).

ثمّ يواصل الإمام عليه السلام كلامه في مسأله الدعاء ويصل إلى نتيجة مهمّه ويقول:

«فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ، وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ؛ فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ».

### تأمل: شروط استجابته الدعاء

قد يتصوّر البعض أنّ عبارات من قبيل: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (٢) مطلقه وغير مقيدة بأي قيد وشرط وأنّ الإنسان عندما يدعو بأيّ دعاء فعليه أن يتوقّع الإجابة

ص: ٥٢٠

١- (١) انظر: تفسير مجمع البيان والقرطبي والطبري و تفسير الأمثل و كتب أخرى في ذيل الآيه الشريفه ٧٥ إلى ٧٨ من سوره التوبه.

٢- (٢) . سوره غافر، الآيه ٦٠.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَسْتَجِيبُ لَهُ هَذَا الدُّعَاءَ بِلُطْفِهِ وَكَرَمِهِ، فِي حِينَ أَنْ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَقَدْ وَرَدَ فِي رَوَايَاتٍ عَدَّةٍ عَنِ الْأَئِمَّةِ الْمُعْصَمِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شُرُوطَ عَدَّةٍ لِاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ، مِنْهَا التَّوْبَةُ وَصَفَاءُ الْقَلْبِ، يَقُولُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حَتَّى يَبْدَأَ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ وَالْمِدْحَةِ لَهُ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ ثُمَّ الْإِعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ وَالتَّوْبَةِ ثُمَّ الْمَسْأَلَةِ» (١).

والشرط الآخر أن يعيش الداعي حياه الطهر والنقاء، خاصه من الأطمعه المحرّمه والكسب الحرام كما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْتَجَابَ دُعَاؤُهُ فَلْيَطِيبْ مَطْعَمَهُ وَمَكْسَبَهُ» (٢).

في حين أنّ الكثير من الناس في حال الدعاء لا يعيشون حاله التوبه ولا يجتنبون الأطمعه المحرّمه أو الملوّثه، ثم يتوقعون أن يستجيب الله تعالى لهم دعاءهم.

وكذلك من شروط الدعاء السعى وبذل الجهد في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأشخاص الذين يشاهدون مظاهر المنكر والذنوب ولا يثير ذلك فيهم أي ردّه فعل، فلا يحقّ لهم أن يتوقعوا استجابته دعائهم، كما ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «وَلَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَيْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيَسْلِطَنَّ اللَّهُ سِتْرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ» (٣).

وجاء في الحديث الشريف أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وشكا إليه عدم استجابته دعائه، وقال: لماذا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فذكر الإمام عليه السلام في هذا الحديث الشريف ثمانية شروط لاستجابته الدعاء، وقد ورد بعضها في الأحاديث المذكوره

ص: ٥٢١

١- (١) . مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ٢١٦، ح ١١ وكتب عديده أخرى.

٢- (٢) . بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٧٢.

٣- (٣) . أصول الكافي، ج ٥، ص ٥٦، ح ٣.

أعلاه (١).

ولمزيد من التوضيح راجع كتاب «المفاتيح الجديدة» ص ٢١ إلى ٢٥ والتفسير الأمثل في ذيل الآية الشريفه: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي...» (٢).

\*\*\*

ص: ٥٢٢

---

١- (١) . سفينه البحار، ج ١ بحث الدعاء.

٢- (٢) . سورة البقره، الآية ١٨٦.



وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي قُلْعِهِ وَدَارِ بُلْغِهِ، وَطَرِيقِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئِهِ، فَذَكَرْتُ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

### الشرح والتفسير: الغايه من الخلق

يتحدث الإمام عليه السلام في هذه الفقرة من الوصيه عن عدّه أمور مهمّه حول الغايه من خلق الإنسان وحقيقه الدنيا والحياه وموقف الإنسان في مقابل الموت، حيث تمثل كل هذه التوصيات تحذيراً لولده وجميع الأشخاص الذين يقرأون هذه الوصيه.

بدايه يقول: «وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا وَلِلْفَنَاءِ لِلْبَقَاءِ وَلِلْمَوْتِ لِلْحَيَاةِ».

في منظار الإسلام والأديان الإلهيه أنّ الهدف من خلق الإنسان ليس هو الحياه في هذه الدنيا، بل إنّ هذه الحياه تعتبر ممراً وقنطرةً يعبر منها الإنسان إلى الآخرة، وسوقاً للتجاره لكسب الزاد والمتاع، ونهايه هذه الحياه الدنيويه ستنتهي إلى الموت والفناء، ولا يبقى حتى الأنبياء الإلهيون.

وبالنسبه للغرض من خلق الإنسان وردت تعبيرات مختلفه في الآيات والروايات الشريفه، والقرآن الكريم يقول في سوره الذاريات: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وعلى هذا الأساس فإنّ الهدف من خلق الإنسان كما تبين الآيه الشريفه هو العبوديّة والعباده لله تعالى.

ويقول في الآيه الثانيه من سوره الملك: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

ومن المعلوم أنّ الاختبار الإلهيّ يهدف إلى تحسين عمل الإنسان في واقع الحياه والعبوديّه لتهديب النفوس، ونتيجه كلّ ذلك نيل السعاده الأبدية في الآخرة، ومن هذا المنطلق تعود جميع الأهداف إلى هدف واحد.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى النقطه الثانيه، يعنى حقيقه الدنيا ومكانتها في الرؤيه الكونيه ويقول: «وَأَنَّكَ فِي قُلُوبِهِ (٢) وَدَارِ بُلُغِهِ (٣)، وَطَرِيقِ إِلَى الْآخِرَةِ».

وهنا يبيّن الإمام عليه السلام الهدف من خلق الإنسان وكذلك ماهيه الحياه الدنيويه، فالهدف من خلق الإنسان ضمان الحياه السعيده في الآخرة لا مجرّد الحياه في هذه الدنيا، ومن هنا فإنّ نهايه الحياه الدنيا هي الفناء لا البقاء، وعلى حدّ تعبير القرآن:

«وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» (٤)، وهذا المعنى انعكس في الكثير من الآيات القرآنيه.

أمّا تعبير الإمام عليه السلام عن الدنيا بأنّها «قُلْعَه» (وهي المحلّ والمنزل الذي ينبغى مغادرته)، وعبارته «بُلُغَه» (المحلّ الذي ينبغى التزوّد منه وتحصيل الزاد والمتاع) فهذه الحقيقه انعكست أيضاً في الآيات القرآنيه من قبيل قوله تعالى: «إِنَّكَ مَيِّتٌ

ص: ٥٢٤

١- (١) . سوره الذاريات، الآيه ٥٦.

٢- (٢) . «قُلْعَه» لها معانٍ كثيره: وتطلق على الإنسان الضعيف والشخص العاجز عن حفظ نفسه على سرج الجواد، ولا يقدر على حفظ أمواله فلا- تبقى بيده، كذلك تطلق كلمه «قُلْعَه» على المكان الذي ينبغى مغادرته، وفي عبارته أعلاه جاءت بالمعنى الأخير، وأصلها من ماده «قلع» و «يقلع».

٣- (٣) . «بُلُغَه» بمعنى الزاد المتاع الذي يوصل الإنسان إلى مقصده، وهو من «البلوغ» و «بلاغ»، لأنّ الزاد يبلغ الإنسان إلى مقصده.

٤- (٤) . سوره العنكبوت، الآيه ٦٤.

وَأِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (١).

«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» (٢).

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» (٣).

فكل هذه الآيات ناظرة إلى هذا المعنى، وكذلك قوله تعالى:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (٤) يشير أيضاً إلى دار «دار بلغة».

وعندما ننظر إلى الدنيا والآخرة من هذه الزوايا وبهذا المنظار الذى بينه الإمام عليه السلام فى هذه العبارة، فإن رؤيتنا للحياه ستبدل، فلا يبقى أثر للحرص والطمع، وسوف تزول الآمال الطويله والطموحات الموهومه، وينتهى التكالب على حطام الدنيا والنزاع مع أهلها لجمع الأموال والثروات ولا يبقى معنى للبخل واكتناز الأموال، بل كل شىء يكون لله وفى سبيل الله ومن أجل نيل رضا الله تعالى ولتحقيق السعاده الأبدية فى الآخرة.

ويشير الإمام عليه السلام فى النقطه الثالثه إلى هذه الحقيقه، وهى أن الموت من ورائك وسوف تقع فى شباكه حتماً، فلا مفر منه لكل حى: «وَأَنَّكَ طَرِيدٌ» (٥) الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ طَائِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ».

والتعبير ب «طريد» يعنى الشخص الهارب ممن يتعقبه، أو الصيد الذى يتعقبه الصياد، وهذا تعبير بليغ جداً، وكأن الإنسان فى بدايه عمره يفتر من الموت الذى يريد اصطياده، فتارةً يصطاده فى مرحله الطفوله، وأخرى فى مرحله الشباب، وثالثه فى مرحله الشيخوخه، فلا أحد يستطيع النجاه والهرب من هذا الصياد كما يقول القرآن الكريم: «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ» (٦).

ص: ٥٢٥

١- (١) . سورة الزمر، الآية ٣٠.

٢- (٢) . سورة العنكبوت، الآية ٥٧.

٣- (٣) . سورة الرحمن، الآية ٢٦.

٤- (٤) . سورة البقره، الآية ١٩٧.

٥- (٥) . «طريد» بمعنى «مطروء» أو الصيد الذى يتبعه الصياد وهو من ماده «طرد» بمعنى دفعه إلى الهرب.

٦- (٦) . سورة النساء، الآية ٧٨.

وفى آيه أخرى يقول: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَزْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» (١).

أجل، فالإنسان مهما شكَّ فى أى شىء فإنه لا يستطيع الشكَّ فى هذه الحقيقه الحاسمه، وهى أنه سيأتى اليوم الذى لابد أن يرحل من هذا العالم، وهذا اليوم غير معلوم، لا فى تاريخه ولا فى الساعه أو الدقيقه، فربما يكون بعيداً وربما يكون قريباً جداً، اليوم أو غد، والملفت أنه لا يوجد أى استثناء لهذا القانون، فأصحاب القدره والثروه والأطباء الحاذقون وحتى الأنبياء والأولياء يخضعون لهذا القانون، والقرآن الكريم يخاطب النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» (٢).

ثم إن الإمام عليه السلام يشير إلى نقطه مهمه هى آخر تحذير فى هذا المقطع من الوصيه ويقول: «فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ، قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيُحَوِّلُ بَيْنَكَ بَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ».

وفى هذا التحذير والإنذار يلفت الإمام عليه السلام نظر ولده إلى هذه الحقيقه، وهى أن زمان الموت مبهم وغير معلوم فى كل الأحوال، فأحياناً يرتكب الإنسان معصيه وينوى التوبه وتطهير صحيفه أعماله من لوث هذه المعصيه بعد ذلك، ولكن الموت يفاجئه بغته ويسلب منه هذه الفرصه، وكلنا رأينا أو سمعنا فى حياتنا بعض الأشخاص الذين أرادوا القيام بأعمال حسنه أو سيئه ولكن الموت باغتهم فى تلك اللحظه فلم يستطيعوا إنجاز ما عزموا عليه، ولم ينالوا بغيتهم.

وفى هذه الأيام التى نكتب فيها شرحاً لهذه الوصيه سمعنا خبراً من أجهزه الإعلام أن مهرجاناً اقيم فى بلدنا لأحد العلماء المعروفين، وقد اشترك فى ذلك المهرجان جماعه من الشخصيات والمدعوين وجلس ذلك العالم وهو ينتظر بفارغ الصبر استلام الجائزه، وفجأه فى ذلك المكان حان أجله وأصيب بسكتة قلبية، وانتهى كل شىء (٣).

ص: ٥٢٦

١- (١). سوره الأحزاب، الآيه ١٦.

٢- (٢). سوره الزمر، الآيه ٣٠.

٣- (٣). كان المرحوم الدكتور باقر آيه الله زاده الشيرازى استاذاً قديراً فى مجال الترميم والعمران، وله إعتقادات دينيه قويه وعميقه، وقد ابتداءً بهذه الآيه الشريفه «إِنَّا لَأَنْضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» (الكهف، الآيه ٣٠) فى محاضراته فى ذلك المهرجان.

ونقرأ فى روايه المفضّل المعروفه أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول للمفضّل: إذا كنت تسأل لماذا جعل الله تعالى مدّه حياه الإنسان مستوره وخفيّه وربّما حان أجله فى ساعه يمارس فيها الإثم ويقترب المعصيه؟ فالجواب: الغرض من ذلك أنّ الإنسان مع أنّه لا يعرف زمان موته، إلّا أنّه يتحرّك فى خطّ المعصيه وارتكاب الإثم، ولو كان يعلم زمان موته وحدود أجله، وكان يأمل بطول البقاء، فإنّه سيتجرّأ على المعاصى أكثر، ومن هنا فإنّ توقّع الموت فى كلّ لحظه وعلى أيّه حال أفضل من اطمئنانه بالبقاء، وعندما نرى أنّ هذا الانتظار لا- ينفع مع بعض الناس فإنّه مؤثّر قطعاً فى البعض الآخر، حيث يتعدون عن الذنوب والمعاصى ويتحرّكون فى خطّ الطاعه والمسؤوليه والأعمال الصالحه، وينفقون أموالهم على الفقراء والمساكين ويهتمون ببناء آخرتهم وإعمارها(1).

\*\*\*

ص: ٥٢٧

---

١- (١) انظر: بحار الأنوار، ج ٣، ص ٨٤، (مع التلخيص والنقل بالمعنى).



يَا بُنَيَّ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذَكَرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بِغَيْدِ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَكَ، وَلَا يَأْتِيكَ بَعْتُهُ فَيَبْهَرَكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَدْ تَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ، وَسَبَّاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهْرُ بِعُضِّهَا عَلَى بَعْضِ، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا دَلِيلَهَا، وَيَقْفَهُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعْمَ مُعَقَّلَةٌ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا. سُرُوحٌ عَاهِيَةٌ بِوَادٍ وَعُثٌّ، لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسَيِّمٌ يُسَيِّمُهَا. سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرَقُوا فِي نَعْمَتِهَا وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

### الشرح والتفسير: الدنيا الخداعه وأهلها

فى هذا المقطع من الوصية يحذر الإمام عليه السلام ولده من الركون إلى الدنيا ويؤكد عليه أن يذكر الموت ويستعد له ولا يغتر بأفعال وسلوكيات أهل الدنيا.

بدايه يقول: «يَا بُنَيَّ أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَذَكَرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ، وَتُفْضِي بِغَيْدِ الْمَوْتِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ حِذْرَكَ (١)، وَشَدَّدَتْ لَهُ أَرْكَكَ (٢)، وَلَا يَأْتِيكَ

ص: ٥٢٩

١- (١). «حذر» بمعنى التوقى من الخطر والانتباه فى مقابل المستجدات.

٢- (٢). «أزر» فى الأصل من «إزار» وهو اللباس، وبخاصه اللباس الذى يرتديه الإنسان على وسطه، وبهذه المناسبه توحى هذه الكلمه بالتأييد والقدرة وامتلاك القوه.

وهذه هي الحقيقة الواضحة التي يعيش غالبية الناس الغفلة عنها، فالجميع يعلم أنّ عمر الإنسان ليس له تاريخ محدد حسب الظاهر، وأنه ربّما يواجه الموت في كلّ لحظة وفي كلّ زمان، بسبب الحوادث الخارجيه أو الحوادث الباطنيه (الأمراض المفاجئه) على مستوى الفرد والجماعه، والكثير من الناس يدركون هذه الحقيقة ويرون ظاهره الموت، إلّا أنّهم غافلون عنها، وأحياناً يغرقون في تفكير عميق عندما يشتركون في مجالس العزاء لأحد المفقودين من أعزائهم وأرحامهم، وربّما قرّروا في تلك اللحظه التهيؤ لسفر الآخره والاهتمام لتحصيل الزاد لهذا السفر المصيرى، ولكنّهم ما أن يخرجوا من ذلك المجلس حتّى يوضع هذا القرار في زاويه النسيان.

ويؤكّد الإمام عليه السلام في كلامه هذا على أنّك لا ينبغي أن تنسى هذه الحقيقة الملموسه، وعليك بالاستعداد لاستقبال الموت، واحذر من أن يباغتك فجأه وأنت غير مستعدّ له.

ومرّ علينا قول الإمام عليه السلام في الخطبه ١١٤ في نهج البلاغه: «فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بُعْتَهُ الْأَجَلَ».

وفي الديوان المنسوب للإمام أمير المؤمنين على عليه السلام نقراً أشعاراً عميقه المعنى في هذا المجال منها:

يَا مَنْ بَدُنِيَاءُ اشْتَغَلَ

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه في تحذير ولده من الاغترار بالدنيا والاندفاع بأعمال أهلها فإنّهم كالحوانات المفترسه يتكالبون على ملذّاتها وزخارفها، ويقول: «وَأَيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادٍ (٢) أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا، وَتَكَالِبِهِمْ (٣) عَلَيْهَا».

ص: ٥٣٠

١- (١). «يبهر» من «البهر» على وزن «بحر» بمعنى حاله تجعل الإنسان مبهوراً أمام الشىء.

٢- (٢). «إِخْلَادٍ» من «الْخُلْد» و«خُلُودٍ» بمعنى السكون المستمر في مكان واحد، و«الإِخْلَادِ إِلَى الْأَرْضِ» بمعنى الالتصاق بها، و«الإِخْلَادِ إِلَى الدُّنْيَا» يعنى التمسك بأمور الدنيا والتشبث بها.

٣- (٣). «تكالِب» يعنى الهجوم لتحصيل شىء، وهى فى الأصل من ماده «كلب».



ثم يذكر دليلين لهذا الكلام ويقول: «فَقَدْ تَبَّأَكَ اللَّهُ عَنْهَا وَنَعَتْ (١) هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا».

وهنا آيات عدّه في القرآن الكريم تتحدّث عن وهميّة الدنيا وعدم ثباتها، منها:

«وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا» (٢).

وهذا المثال ناظر للأشخاص الذين يطوون مراحل العمر المختلفه (الطفولة والشباب والشيخوخه)، ولكنّ الكثير منهم لا يصلون لمراحل متقدّمه، بل يحين أجلهم ويغادرون الدنيا في المراحل الأولى أو المتوسطه لأسباب وعوامل مختلفه.

وأما قوله: «وَنَعَتْ هِيَ لَكَ عَنْ نَفْسِهَا، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا»، فالمقصود أنّ الدنيا تحدّثت معك بلسان الحال، وهذا ما ورد في كلام آخر للإمام أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال: «أَيُّهَا الدَّائِمُ لِلدُّنْيَا الْمُعْتَرِّ بِغُرُورِهَا الْمُخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا...»

مَتَى غَرَّنَكَ! أَمْ بِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبَلِي، أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى! (٣).

وكما قال الشاعر:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ لِمَنْ عَلَيَّهَا

أجل، فبريق الدنيا يثير في الإنسان النشاط والحركة، ولكن عندما يتعمّق الإنسان في حالاتها، يرى كثرة المتغيّرات فيها، وعدم وفائها وعدم ثباتها على حال، ويقوده التفكير والتدبّر في أمرها للبكاء والحزن.

ص: ٥٣١

١- (١). «نعت» من ماده «نعي» على وزن «سعي» وتعني الإخبار بموت شخص.

٢- (٢). سورة الكهف، الآية ٤٥.

٣- (٣). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ١٣١.

ويستطرد الإمام عليه السلام فى كلامه فى بيان الدنيا وحالاتها، فيقسّم أهل الدنيا إلى أربع طوائف ويقول: «فإنّما أهلها كلابٌ عاويةٌ (١)، وسبّاعٌ ضاريةٌ (٢)، يهْرٌ (٣) بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، وَيَأْكُلُ عَزِيْزُهَا ذَلِيْلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيْرُهَا صَغِيْرَهَا، نَعْمٌ (٤) مُعَقَّلَةٌ (٥)، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ (٦)».

والحقيقه أنّ هذا التقسيم رائع ودقيق جدّاً:

إنّ الإمام عليه السلام يشبّه طائفه من الناس من أهل الدنيا بالكلاب التى اجتمعت حول جيفه وكلّ واحد منها يريد الاستحواذ عليها، فينبح على سائر الكلاب ويريد إبعادها عن هذه الجيفه، والمصداق البارز لهذه الطائفه الأثرياء والمترفين الذين يعيشون الغفله عن الله تعالى ويسعون دوماً لجمع الثروات واكتناز الأموال وإقصاء الآخرين عن طريقهم، فأحياناً يصرخون بوجههم، وأخرى يلتجئون إلى المحاكم ويسعون من خلال المحامين المنحازين أن يستحوذوا على أموال الآخرين بصيغ قانونيه، ونرى مثل هذه الحاله من التنافس بين الحكومات والدول من خلال الحرب الباردة وأجهزه الإعلام الكاذب حيث يسعون لاحتكار أسواق بلدان العالم الثالث والهيمنه والسيطره على ثروات الشعوب الأخرى.

وطائفه من أهل الدنيا يتمثلون فى عصرنا بالحكومات الاستكباريه وأصحاب القدره والنفوذ، (أو الأثرياء الذين يدعمون مثل هذه الحكومات) فنراهم يعيشون دوماً حالات التنافس غير المشروع ويسعون لنهب مصادر الثروه من الآخر، وفى كثير من الأحيان يشعلون الحروب المدمره من أجل التوصل إلى مقصودهم، ويسفكون دماء الآف الأبرياء ويدمرون المدن والقرى، أجل، هؤلاء الذئاب العاويه

ص: ٥٣٢

١- (١). «عاوية» بمعنى الكلاب التى تعوى.

٢- (٢). «ضارية» بمعنى المتوحشه، وهى من ماده «ضرو» على وزن «ضرب» وتعنى حاله التوحش فى النفس.

٣- (٣). «يهْرٌ» من «الهير» وتعنى العواء والنباح.

٤- (٤). «نعم» الدواب وغالباً تطلق هذه الكلمه على الإبل (وتأتى هذه المفرده أحياناً بمعنى المفرد أو أخرى بمعنى الجمع، وفى هذه الجمله تشمل الإبل والبقر والغنم).

٥- (٥). «مُعَقَّلَةٌ» وهى المشدوده بالعقال، والعقال جبل خاصّ تربط به رجل البعير حول ركبته.

٦- (٦). «مُهْمَلَةٌ» يعنى المتروكه، وهنا تعنى الحيوان المتروك لحاله.

يتصارعون فيما بينهم على جيفه الدنيا، ويسحق الأقوياء منهم حقوق الضعفاء، ويتحرك الكبار فى إزاحه الصغار من طريقهم.

أما الطائفة الثالثة، فهم جماعه لا يملكون شيئاً من النفوذ والقدرة، ولكن نراهم لا يمتنعون من أيه ذلك من أجل تحقيق متاع الدنيا، فيتعاملون مع أصحاب النفوذ والمستكبرين من موقع العبوديه والخنوع والخضوع.

الطائفة الرابعه تعيش كالحيوانات المتمرده والمتوحشه التى تعيش فى البرارى والقفار، وعلى حدّ تعبير الإمام عليه السلام فى كلامه: «قَدْ أَصَلَّتْ عُقُولُهَا، وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا سُرُوحٌ (١) عَاهَهُ (٢) بَوَادٍ وَعُثٌّ (٣)».

ثم يضيف: «لَيْسَ لَهَا رَاعٌ يُقِيمُهَا، وَلَا مُسَيِّمٌ (٤) يُسَيِّمُهَا، سَيَلَكْتُ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى، وَأَخَذْتُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى فَتَاهُوا (٥) فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرَّقُوا فِي نِعْمَتِهَا، اتَّخَذُوهَا رَبًّا، فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا، وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا».

هؤلاء هم الفئة التى تعيش فى كلّ زمان بخاصّه فى عالمنا المعاصر، حيث تتخذ من العالم ميداناً لجولاتها وتتحرّك فى كلّ مكان على مستوى الإفساد والتخريب، ويعيشون حاله الشغف اللامحدود بالمال والثروه والجاه والمقام، قد أعموا عيونهم عن رؤيه الحقائق، وأصمّوا آذانهم عن سماعهم كلمه الحقّ وغرقوا فى النعم الماديه من الذهب والثروات والمجوهرات والدرهم والدينار، وهؤلاء عبده الدرهم والدينار الذين يشعلون نار الحرب من أجل تحقيق مطامعهم الدنيويه، وأحياناً يصنعون أسلحه الدمار الشامل وبيعونها بأثمان باهظه لهذا وذاك ويوقدون نار الفتنة بينهم، فهؤلاء أضحوا العوبه بيد الدنيا والدنيا العوبه بيدهم، ومن هذه الجبهه نسوا الله

ص: ٥٣٣

١- (١). «سُرُوح» جمع «سرح» على وزن «شرح» وهو الحيوان الذى ترك فى الصحراء لياكل ويرعى.

٢- (٢). «عاهه» بمعنى الآفه والعيب.

٣- (٣). «وُعُثٌّ» يعنى الطريق التى يسير فيها الشخص بصعوبه.

٤- (٤). «مُسَيِّمٌ» وهو الشخص الذى يسوق الحيوانات للرعى، وهى من «السؤم» على وزن «صوم» ويعنى الرعى.

٥- (٥). «تاهوا» من «التيه» وهو الحيره والتيه.

والمعاد واليوم الآخر تماماً.

والإمام عليه السلام فى هذه الكلمات يحذّر ولده وولده كبدته من هذه الطوائف الأربعة ويدعوه بالابتعاد عنهم، ليس لكونه ابن الإمام فقط، فالمخاطب للإمام عليه السلام يمتدّ ليشمل جميع أفراد البشر.

و «عقول» فى جملة «قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهُمَا» جمع عقل وهو الفهم والدراية، ولكنّ البعض ذهب إلى أنّها جمع عقال (وهو الحبل الذى يعقل به الجمل) وحينئذٍ يكون مفهوم العبارة: هؤلاء قد أضلّوا الضوابط التى تضبط أمورهم فى الحياه، وبذلك يعيشون الحيره والتهيه فى صحراء الحياه، ولكن مع الالتفات إلى الجملة الثانية «وَرَكِبْتُ مَجْهُولَهَا» فإنّ المعنى الأوّل أنسب، مضافاً إلى أنّ «عقول» جمع عقل لا جمع عقال، لأنّ جمع عقال «عقل» على وزن قفل و «عُقُل» على وزن كُتِب.

وعلى أيّ حال فالتقسيم الذى ذكره الإمام عليه السلام لأصناف أهل الدنيا وطوائفهم المختلفه يعتبر تقسيماً دقيقاً ورائعاً بحيث يستطيع المرء تشخيص هذه الفئات بسهولة ويتحرّك بحذر ويقظه بعيداً عنهم، وهذه الطوائف والفئات:

١. فئه الفوضويين وأصحاب وسائل الإعلام المضلّله.

٢. فئه الوحوش الذين يتكالبون على ثروات الدنيا ويرومون السيطرة عليها.

٣. فئه العبيد الذين يتحرّكون فى خطّ الذلّه والمهانته من أجل التوصل إلى المال والمقام.

٤. فئه الأراذل وأتباع الشهوات الذين تركوا عقولهم وساروا فى متاهات الحياه، وهؤلاء يعبدون الذهب والفضه والدرهم والدينار، وغايتهم من الحياه إشباع الغرائز وطلب الملذّات الرخيصه.

ج ج

ص: ٥٣٤

رُوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامَ، كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ! وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُّ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَإِدْعَاءً.

### الشرح والتفسير: السائرون بمركب الليل والنهار

فى هذا المقطع من الوصيه يحذّر الإمام عليه السلام مرّه أخرى ولده العزيز من هجوم الموت ونهايه العمر، ويقول: رُوَيْدًا (١) يُسْفِرُ (٢) الظَّلَامَ».

والمقصود من الظلام فى هذه العبارة الجهل بحال الدنيا وتقلباتها حيث يتصوّر بعض الجهال ثباتها وديمومه حالاتها، ولكن لا تمضى فتره حتّى يواجهون الموت بهيئته الموحشه.

ثمّ يشبّه الإمام عليه السلام، أهل هذا العالم بالمسافرين الذين يتحرّكون باتّجاه المنزل المقصود ويقول: «كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتِ الْأَطْعَانُ (٣)».

ص: ٥٣٥

١- (١). «رُوَيْدًا» من ماده «رود» على وزن «عود» فى الأصل تعنى الغدو والرواح والسعى لأداء عمل معيّن بلطافه وليونه، وهذه المفردة تأتى بمعنى المصدر وتقترب من التصغير، يعنى أملهنى وفتره وجيزه، والسبب فى نصب رويداً أنّها مفعول مطلق لفعل محذوف، وكأّنها فى الأصل يقال: «أَمْهَلُ إِمْهَالًا قَلِيلاً».

٢- (٢). «يُسْفِرُ» من ماده «سفر» على وزن «فقر» وتعنى كشف الغطاء وإزاحه اللثام، ولذلك يقال للمرأه غير المحجّبه سافره، وتستعمل هذه الكلمه فى طلوع الصبح وكأنّ الصبح يكشف عن لثامه ويزيح نقابه ويشرق، وهنا ظلام فاعل، وفى الحقيقه أنّه شبّه الصبح بموجود نورانيّ قد حجب بظلمات الجهل ولكن يوشك أن يزاح النقاب عنه.

٣- (٣). «أَطْعَانُ» تأتى أحياناً جمع «طعينه» بمعنى الهودج الذى يوضع على الجمل أثناء السفر للركوب، وورود الأطعان يعنى أنّ المسافرين أوشكوا على الوصول.

ثم يضيف: «يُوشِكُ (١) مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ»، فمن يسير بسرعه في هذا السفر يوشك أن يصل إلى الموت.

والمراد من «مَنْ أَسْرَعَ» جميع أفراد البشر لا طائفه خاصه، لأنّ جميع الناس يتحرّكون بسرعه باتجاه المنزل النهائي، وهو نهايه الحياه.

ويطرح الإمام عليه السلام تشبيهاً جميلاً عن الناس في هذا العالم ويقول: «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ (٢) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا (٣)».

وهو إشاره إلى أنّ الحركه باتجاه نهايه العمر هي حركه إجباريه وحتميه لا اختياريه، فالجميع يركبون مطيه الزمان ويتحرّكون بيد التقدير الإلهي، وسرعان ما يصلون - شأؤوا أم أبوا - إلى نقطه النهايه، وإن كان الكثير منهم يعيشون الغفله عن هذا المصير.

وهناك تعابير أخرى وردت في سائر كلمات الإمام عليه السلام في هذا المجال، منها قوله: «أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكِبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ» (٤).

ويقول في مورد آخر: «نَفْسُ الْمَرْءِ خُطَاةٌ إِلَى أَجَلِهِ» (٥).

وفي حديث آخر يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا وَيَأْخُذَانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُمَا» (٦).

وينقل ابن أبي الحديد في هذا المورد قصه جميله عن أستاذه ويقول: واستقرأني أبو الفرج محمّد بن عبّاد (رحمه الله) وأنا يومئذ حدث، هذه الوصيه فقرأتها عليه من

ص: ٥٣٦

١- (١). «يُوشِكُ» من ماده «وَشَكَ» على وزن «فقر» وتعنى السير السريع، وعلى ضوء ذلك فإنّ مفهوم هذه العبارة أنّا للقوق سرعان ما يتحقق (والصحيح في يوشك أن تقرأ بكسر الشين وأحياناً تقرأ بفتحها).

٢- (٢). «مَطِيئَهُ» من ماده «مطو» على وزن «عطف» تعنى الحركه الجديه لغرض النجاه في المسير.

٣- (٣). «وادع» هو الشخص الذى يجلس بهدوء وسكون، وهذه الكلمه من «الوداعه» أى السكون والهدوء.

٤- (٤). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ٦٤.

٥- (٥). المصدر السابق، ٧٤.

٦- (٦). غرر الحكم، ح ٢٧٨٩.

حفظي، فلما وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحةً شديده وسقط، وكان جباراً قاسى القلب (أى لا يتأثر بسرعه بالمواعظ)(١).

### تأمل: السالكون إلى العالم الآخر!

فى هذه العبارات يشبّه الإمام عليه السلام الناس بالمسافرين الذين يركبون مراكب سريعه، وهذه المراكب تقودهم إلى المنزل المقصود والنهائى، ولا شك أنّ جماعه من هؤلاء المسافرين يتوقفون فى محطات وسط الطريق، وجماعه أخرى يستمرون فى مسيرتهم إلى آخر عمرهم الطبيعى، والعجيب أن لا أحد يعلم فى أى محطه يتوقف وينزل.

وهناك أمران مسلمان فى هذا السفر، أحدهما: أنّ هذا السفر غير اختيارى وأنه يملك نهايه مقرره سلفاً، فجماعه يطوون هذا السفر فى حال الغفله والسكر والنوم، وجماعه آخرون يتحرّكون من موقع اليقظه والانتباه، وهناك جماعه ثالثه يتحرّكون بحاله من اليقظه تاره والغفله تاره أخرى، وبعد نزولهم فى محطات الطريق سيجدون نعماً وفيره وبركات كثيره فى كلّ محطه، فيتزودون منها لمواصله المسيره، فأما من يطوى طريقه فى حال الغفله والنوم، أو لا يدرك جيّداً مواقعه فى هذا الطريق، وكما ورد فى الحديث الشريف: «الناس نيامٌ إذا ماتوا اُنْتَبَهُوا»(٢)، فإنّهم يصلون إلى المنزل النهائى بأيدٍ خاليه وجعبه خاويه.

والأمر الآخر: إنّ الأنبياء والرسل الإلهيين مكلفون بتحذير هؤلاء المسافرين وإثارة انتباههم فى هذا الطريق ويهتفون بالغافلين والنائمين أن يستيقظوا من غفلتهم وينتبهوا من غفوتهم ويتزودوا من المنازل والمحطات فى أثناء الطريق بما يحتاجونه

ص: ٥٣٧

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ٩١.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٤، ص ٤٣.

لمواصله المسير، لأنهم عندما يصلون إلى المقصد فلا يمكنهم حينئذٍ توفير ما يحتاجون من وسائل ومتاع، والأهم من ذلك أنّ طريق العوده من هذا المسير موصده وممتنع.

فجماعه يؤمنون بهذه التوصيات والنصائح ويستقبلون كلام الأنبياء والأولياء بكلّ عواطفهم وقلوبهم، وجماعه أخرى يتعاملون مع هذه التعاليم السماويه من موقع الانكار، أو يستمعون إليها من غير تطبيق، وعندما يصلون إلى المقصد سيجدون الحقيقه الحاسمه أمامهم، فترتفع أصواتهم بالحسره ويقولون: «يا لَيْتِنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(١)</sup>، ولكن، ولات حين مناص.

\*\*\*

ص: ٥٣٨

---

١- (١) . سورة الأنعام، الآية ٢٧.



وَاعْلَمَ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوا أَجْلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ. وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ؛ فَلَيْسَ كُحْلٌ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَيْئِهِ وَإِنْ سَافَقْتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَتِيذُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً. وَلَا تَكُنْ عَيْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَأَيْنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسِّرُ لَأَيْنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ؟! وَإِيَّاكَ أَنْ تُوَجِّفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ. وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ دُوْنِ نِعْمِهِ فَاَفْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسِيمٌ، وَآخِذٌ سَاهِمٌ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ شَيْبَحَانُهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ.

### الشرح والتفسير: لا تذلل نفسك أبداً

في هذا المقطع من الوصية يشير الإمام عليه السلام إلى ست نقاط مهمه تمثل كل واحد منها نصيحه للسائرين في طريق الحق والمعنويه، ولكن قبل ذلك يذكر الإمام عليه السلام مقدمه ويقول: «وَاعْلَمَ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ، وَلَنْ تَعْدُوا أَجْلَكَ»، أنت لا تستطيع أن تتجاوز ما تقرّر من عمرك، فأنت تسير في نفس الطريق الذي سار فيه القدماء، فأولئك ماتوا وذهبوا لحال سبيلهم وأنت سوف تلحق بهم.

ثم يستنتج الإمام عليه السلام هذه التوصيه: «فَخَفِّضْ (١) فِي الطَّلَبِ وَأَجْمِلْ (٢) فِي

ص: ٥٣٩

١- (١). «خَفِّضْ» من ماده «خَفَضَ» يعنى جرّ الشيء إلى الأسفل في مقابل رفعه إلى الأعلى، وهنا جاءت بمعنى الطلب القليل وترك الطمع في الكثير.

٢- (٢). «أَجْمِلْ» من «الإجمال» وهو الاعتدال في العمل وعدم الافراط.

جملة: «لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكُ» تبين حقيقته واضحه وهى أنّ كل إنسان فى هذا العالم لن يستطيع أنّ يحقق جميع آماله وطموحاته فى أرض الواقع والحياه، ومن هذا المنطلق لا معنى للحرص فى طلب الرزق والإصرار فى تحصيل المكتسبات الدنيويه.

وجمله «وَلَنْ تَعُدُّوا أَجَلَكَ» إشاره إلى أنّ عمر الإنسان محدود على أيه حال ولا أحد يستطيع أن يغادر هذا العالم قبل وقته المقرر وقبل حلول أجله، فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يحرص الإنسان على اكتساب الأموال ويستنزف طاقاته أكثر من اللازم فى اقتناء الماديات.

ولفظتا: «خَفِضْ» و «أَجْمِلْ» كلاهما تشيران إلى هذه الحقيقه، وهى لزوم ترك الحرص لاكتساب الرزق، فالمفروض أن يسلك الإنسان طريق الاعتدال والتأنى فى الطلب، وهذا التعبير لا يعنى أبداً ترك السعى وبذل الجهد لاكتساب الرزق الحلال.

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه فى بيان هذه الحقائق من موقع الاستدلال عليها يقول:

«فَإِنَّهُ رَبٌّ طَلَبٌ قَدْ جَزَّ إِلَى حَرْبٍ (١)؛ فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ».

ومثل هذا المضمون ورد فى حديث شريف عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال:

«أَجْمِلُوا فى طَلَبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ كُلَّ مُسَيَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» (٢).

وعبارته: «رَبٌّ طَلَبٌ قَدْ جَزَّ إِلَى حَرْبٍ» تعتبر على حدّ قول بعض الكتّاب، من أمثال العرب، والمقصود أنّ السعى الكثير ربّما يؤدى إلى عكس الغرض، وفى ذلك يقول الشاعر:

أُقَسِّمُ بِاللَّهِ لَمَصُّ النَّوَى وَشَرْبُ مَاءِ الْقَلْبِ الْمَالِحِ

ص: ٥٤٠

١- (١). «حَرْبٍ» وهى الغاره، وهنا جاءت بمعنى الفعل المبني للمجهول يعنى من ابتلى بالغاره عليه.

٢- (٢). كتاب السنه، عمرو بن ابى عاصم، ص ١٨٢.

أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ ذَلِّهِ

ويقول الآخر:

لَا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ

وقوله: «فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ... وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ...» في الواقع بمثابة الدليل على ما ورد في العبارات السابقة في لزوم رعايه الاعتدال في طلب الرزق وتشير إلى هذه الحقيقة، وهي أن السعي الحثيث لا يعني دوماً زيادة الرزق، ولا أن رعايه الاعتدال والتأني قلّه الرزق، بل إن اللطف الإلهي يقرر أن من توكل على الله وترك الحرص والطمع وسعى في طلب الرزق بشكل معتدل، فإنه سيعيش حياه أفضل مقترنه بالسكينه والاستقرار أكثر، ومثل هؤلاء يفتحون المجال للآخرين ليتحرّكوا في طلب الرزق ولا يتعاملون مع الناس من موقع الإقصاء والتهميش أو يضيّقون الخناق عليهم في هذا السبيل.

ويتحدّث الإمام عليه السلام في التوصيه الثانيه ويقول: «وَأَكْرَمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَيْئِهِ (١) وَإِنْ سَأَفْتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ (٢)، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ (٣) بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوْضًا».

وهذا إشاره إلى أن بعض الرغبات والذنوب النفسانيه تتطلّب أحياناً تنازل الإنسان عن كرامته وشخصيته، فالجدير بالإنسان الذي يعيش الكرامه والحريه أن لا يخضع لمثل هذه الرغبات، ولا يرد نفسه في هذا المسير، فلا ينبغي للإنسان أن

ص: ٥٤١

١- (٣). «دَيْئِهِ» الشئء الحقير والوضيع، من ماده «الدناءه» بمعنى الوضاعه.

٢- (٤). «رغائب» جمع «رغيبه» وتعنى الشئء المطلوب والمرغوب.

٣- (٥). «تعتاض» من «الإعتياض» وتعنى أخذ العوض عن شئء وفي الأصل من «عوض».

يهين نفسه ويحقق رغباته عن الشخصيه أو يتنازل عن طموحاته المعنويه لحساب الميول الماديه والدينيه.

وكما قال الشاعر:

مَا اغْتَاضَ بِإِذْلٍ وَجْهَهُ بِسُؤَالِهِ

وهذا يعنى أنّ الإنسان إنّما يريد المال لحفظ حيثته وسمعته، ولكن لا ينبغي أن ينفق من حيثته وماء وجهه لكسب المال، ولا يجدر بالإنسان أن يلهث وراء الأمور الماديّه على حساب اهتزاز شخصيته وسمعته.

ويواصل الإمام عليه السلام توصياته لولده ويقول فى التوصيه الثالثه، ويقول: «وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا».

وهذه العبارة من أهم وأروع وصايا الإمام عليه السلام التى ينبغي أن تكتب بماء الذهب وتجعل نصب العين دائماً، أجل إنّ الله تعالى خلق الإنسان حرّاً ولا ينبغي أن يستبدل هذه الحريه بأى أثمان ماديّه، بل أحياناً ينبغي أن يعيش الإنسان بإمكانات محدوده ويقنع بالمعانه والمشقه حفظاً لماء الوجه ولا يذلّ نفسه ويخضع لمشيئه الآخرين ويتعامل معهم من موقع الخنوع.

وهذا الكلام صادق بالنسبه للأفراد والشعوب كذلك، فما أكثر الشعوب والأقوام الضعيفه والمتخلفه المستعدّه لبذل حريتها وكرامتها من أجل عوض زهيد، والمستكبرون وقوى الاستعمار يعرفون نقطه الضعف هذه فى الشعوب المتخلفه ويعملون على تكريس واقعها المتخلف للإستيلاء على ثرواتها واستعبادها، بل إنهم يتحرّكون على مستوى فرض ثقافتهم الخاطئه على هذه الشعوب مقابل بعض المساعدات الاقتصاديه الزهيده، وأحياناً يسلبون منهم دينهم وإيمانهم.

ولكنّ الأشخاص الذين يعيشون قوه الشخصيه، والشعوب الحرّه يربحون الموت على حياه العبوديه والذلّه.

وهذه التوصيه فى الحقيقه من نتائج ولوازم التوصيه السابقه التى يقول فيها الإمام عليه السلام: «وَأَكْرَمَ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَيْتِهِ...».

وأحد المصاديق البارزه لهذا الموضوع هو ما تجلّى فى نهضه الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه فى كربلاء حيث قال الإمام الحسين عليه السلام فى هذه الوقعه التاريخيه الهامه «أَلَا وَإِنَّ الدَّعَى بِنِ الدَّعَى قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَيْنِ بَيْنَ السِّلْمِ وَالدَّلِّهِ وَهَيْهَاتَ مِنَّا الدَّلِّهِ»(١).

ويطرح الإمام الصادق عليه السلام هذا المضمون بكامل أبعاده وجهاته ويبين أنّ الشخصيه الحرّه ينبغى أن تتوفر فيها خمس خصال قال: «خَمْسُ خِصَالٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ كَثِيرٌ مُسْتَمْتَعٍ: أَوَّلُهَا الْوَفَاءُ وَالثَّانِيهِ التَّدْبِيرُ وَالثَّلَاثَةُ الْحَيَاءُ وَالرَّابِعَةُ حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْخَامِسَةُ وَهِيَ تَجَمُّعُ هَذِهِ الْخِصَالِ الْخُرَيْبِيَّة»(٢).

وفى التوصيه الرابعه يقول الإمام عليه السلام: «وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَأَيُّنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ، وَيُسْرٌ لَأَيُّنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ».

وهذا يعنى أنّ البعض ومن أجل التوصل إلى غايتهم ومقصودهم يستخدمون كلّ وسيله تتيح لهم ذلك وتيسّر لهم تحقيق مطلبهم، فى حين أنّ تعاليم الإسلام تقرّر أنّ التوصل إلى الغايات والأهداف لا بدّ أن يكون من طريق مشروع وصحيح، وبيان آخر، (الغايه لا- تبرّر الوسيله) وكذلك لا ينبغى لغرض تحصيل السعاده والراحه التوجّه إلى المقدمات والوسائل التى تضيق الخناق على الإنسان وتجعله يعيش الضغوط النفسيه والماليه.

وقد فسّرنا العبارة أعلاه بشكل جمله خبريه، ولكن البعض فسّرها بصيغه الجمله الاستفهاميه، وطبقاً لهذا التفسير سيكون معنى العبارة: ماذا ينفع ذلك الخير الذى لا يحصل عليه الإنسان إلّا بطريق الشرّ؟ وماذا تنفع الراحه التى تتأتى بطريق المعاناه

ص: ٥٤٣

١- (١). اللهوف، ص ٩٧؛ بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨.

٢- (٢). الخصال، ج ١، ص ٢٨٤، ح ٣٣.

والعسر؟ ومن الواضح أن نتيجة كلا التفسيرين واحد رغم تفاوت البيان وصياغه البلاغه.

ويشبه هذا المعنى ما ورد في كلمات الإمام عليه السلام القصار، حيث يقول: «مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ وَمَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ» (١).

ويستطرد الإمام عليه السلام في بيان وصيته ويخاطب ولده في خامس توصيه من هذه التوصيات: «وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ (٢) بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ (٣) الْهَلَكَةِ».

وهنا يشبه الإمام عليه السلام موارد الطمع بمنزله المطايا والدواب الجامحه والمتمرده التي إذا ركبها الإنسان فسوف يفقد زمامه واختياره وربما تقوده إلى وادي الهلكه، والتعبير «مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ» فيه إشارة لطيفه إلى هذه الحقيقه، وهى أن الإنسان يتوجه لمنبع الماء لإرواء عطشه، ولكن المنبع الذى تقوده إليه مطايا الطمع ليس فقط لا يروى عطشه منها، بل لا يوجد ماء أساساً وتوجد بدله موارد الهلكه.

وقد جربنا فى حياتنا مرات عديده هذا، والتاريخ بدوره يشهد على صحه هذا الكلام وهو أن الأشخاص الذين يعيشون حالات الطمع يواجهون الفشل والإخفاق فى حياتهم، لأن الطمع يعمى عين الإنسان عن رؤيه الحقيقه ويصم أذنه عن سماع النصحيه، ولا يسمح بتشخيص الطريق القويم من المتاهه، ومحلّ النجاه من الهاويه، بل يمكن القول إن أغلب الأشخاص الذين يشتغلون فى الشأن التجارى وأمثال ذلك، والذين يواجهون الإخفاق والإفلاس فى نهايه المطاف فالسبب فى ذلك يعود إلى حاله الطمع والجشع فيهم.

ويشبه هذا المعنى ما ورد الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام المذكور فى كتاب بحار الأنوار حيث يقول: «الطَّمَعُ خَمْرُ الشَّيْطَانِ يَسْتَقِي بِيَدِهِ لِحَوَاصِّهِ فَمَنْ»

ص: ٥٤٤

١- (١) . نهج البلاغه، الكلمات القصار، ٣٨٧.

٢- (٢) . «تُوجِفُ» من «الإيجاف» وتعنى السير بسرعه، وهى فى الأصل من «وَجِفَ» على وزن «حذف» وتعنى الحركه السريعه، وبما أن هذه الكلمه وردت فى عبارته أعلاه متعديه بالباء فتعنى الحث على سرعه المسير.

٣- (٣) . «مَنَاهِلَ» جمع «مَنْهَلٍ» وهو منبع الماء.

سَكَرَ مِنْهُ لَيَضْحُو إِلاَّ فِي أَلِيمٍ عَذَابٍ لِلَّهِ أَوْ مُجَاوِرِهِ سَاقِيهِ» (١).

وفى حديث آخر يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الطَّمَعُ يُذْهِبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَمَاءِ» (٢).

ونقرأ فى حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَا هَدَمَ الدِّينَ مِثْلَ البِدْعِ، وَلَا أَفْسَدَ الرَّجُلَ مِثْلَ الطَّمَعِ» (٣).

ثم ينطلق الإمام لبيّن التوصية السادسة والأخيرة فى هذا المقطع من الوصية ويقول: «وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَاَفْعَلْ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسِيمِكَ، وَأَخِذْ سَهْمَكَ، وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ».

ويستند الإمام عليه السلام فى هذا التوصية إلى مسأله أخلاقيه مهمه وهى أنّ الإنسان مهما أمكن لا ينبغي أن يقتيد نفسه رهن إحسان الآخرين ومنتهم، بل يجب عليه الاعتماد على ما يملكه من إمكانيات وطاقات لينال حصّته من النعم والمقدرات الإلهيه، فإذا نال نصيباً أقلّ من هذا الطريق، فإنه أفضل من النصيب الأوفر إذا كان من خلال الاستعانه بالآخرين وقبول منتهم، وفى الحقيقه النصيب الأقلّ مع حفظ كرامه الإنسان وشخصيته ومقامه يعتبر فى الحصيله أكثر من تلك الحصه الأخرى، لأنّ الإنسان فى هذه الحاله يحفظ شخصيته وكرامته ولا يبذل منها شيئاً لا يمكن إرجاعه بعد ذلك.

وعلى رغم أنّ عباره الإمام عليه السلام فى هذه فقره مطلقه وتشمل عدم الخضوع لمنه أى شخص حتى لو كان من المحبين والمشفقين عليه، كالأب والابن والأخ الذين يتقبلون أى طلب ويستجيبون لأيجاهه برحابه صدر، ولكن من الواضح أنّ

ص: ٥٤٥

١- (١) . بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٦٩، ح ٦.

٢- (٢) . كنز العمال، ج ٣، ص ٤٩٥، ح ٧٥٧٦.

٣- (٣) . بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٩٢، ح ٩٨.

الإمام عليه السلام فى هذا الكلام يرى أنّ شخصيه الإنسان تتعرض بالسؤال والطلب من الآخرين إلى الخلل والاهتزاز، وعاده ما يقترن السؤال مع الذلّه أو المنه.

والشاهد على هذا الكلام ما ورد فى الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه:

«قَالَ يَوْمًا رَجُلٌ عِنْدَهُ: اللَّهُمَّ اغْنِنَا عَنْ جَمِيعِ خَلْقِكَ. فَقَالَ: أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَقُلْ هَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: اللَّهُمَّ اغْنِنَا عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَسْتَعْنِي عَنْ أَحِيهِ»<sup>(١)</sup>.

ونقرأ فى حديث آخر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لولده الإمام الحسن:

«يَا بُنَيَّ إِذَا نَزَلَ بِكَ كَلْبُ الزَّمَانِ وَقَحِطَ الدَّهْرُ فَعَلَيْكَ بِدَوَى الْأَصُولِ الثَّابِتَةِ وَالْفُرُوعِ النَّابِتَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ وَالْإِيثارِ وَالشَّفَقَةِ، فَإِنَّهُمْ أَقْصَى لِلْحَاجَاتِ وَأَمْضَى لِلدَّفْعِ الْمَلَمَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

وبيان آخر أنّ الإنسان كثيراً ما يكون قادراً على أداء عمل معين ولكن بسبب الكسل وطلب الراحة فإنه يطلب المعونه من الآخرين ويضع كفه عليهم، وهذا العمل مذموم وقبيح، ولكن فى بعض الموارد لا يتيسر العمل ونيل المقصود إلّا بالآليه التعاون والتكاتف، ففى مثل هذه الموارد لا إشكال فى طلب المساعدة من الآخرين، لأنّ حياه الإنسان مقترنه دوماً بعنصر التعاون فى حركه المجتمع.

وجمله: «وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ» فى الحقيقه إشاره إلى التوحيد الأفعالى للذات المقدسه وأنّه على فرض أن يطلب الإنسان المعونه والمساعدة من الآخرين (فيما لا ينبغى طلب المعونه فيه) ثمّ يمدون له يد العون، فلو دققنا النظر فى هذا المورد أيضاً لرأينا أنّه حتّى هذا المورد من قبل الله تعالى، لأنّ الإنسان لا يملك شيئاً فى واقعه حتى يعطيه لغيره، فما يملك فهو من الله تعالى وما حصل عليه فإنه قد اكتسبه بإذن الله وبما أودع الله فيه من قوه وقدره.

يقول المرحوم مغنيه فى شرح نهج البلاغه ذيل هذه التوصيه لأمير المؤمنين عليه السلام

ص: ٥٤٦

١- (١). بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٧٢، ح ٥.

٢- (٢). المصدر السابق، ج ٩٣، ص ١٥٩، ح ٣٨.



نقلًا عن الشيخ محمد عبده العالم المصرى المعروف، فى جمل قصيره وعميقه المضمون، يقول: لا يوجد كلام يقع مؤثرًا فى قلب الإنسان أفضل من هذا الكلام، الكلام الذى يتسبب بقوّه التأثير وإصابه الحقّ بحيث ينقل القارئ المؤمن من هذه الدنيا وأهلها ويجعل جميع همّه متوجّهًا إلى الله تعالى.

وكما يقول الشاعر:

وَيَحِكُّ يَا نَفْسُ دَعِي

\*\*\*

ص: ٥٤٧



وَتَلَّافِيكَ مَيَا فَرَطٍ مِنْ صَيْمَتِكَ أَيْسِرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشِدَّةِ الْوِكَاءِ، وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَيَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ. وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ، وَالْحِرْزُفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ، وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِنَفْسِهِ، وَرُبَّ سِيَاحٍ فِيْمَا يَضُرُّهُ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ، بِنَسِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ! وَظَلَمَ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ! إِذَا كَانَ الرَّفِيقُ حُرُوقًا كَانَ الْخُرُوقُ رِفْقًا. رَبِّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً، وَرَبِّمَا نَصِيحَ غَيْرِ النَّاصِحِ، وَعَشَّ الْمُسِيءُ تَنْصِيحًا. وَإِيَّاكَ وَالْإِتْكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ، وَخَيْرٌ مَا جَرَّبْتَ مَيَا وَعَظَمَكَ. يَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبِيلَ أَنْ تَكُونَ عُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصَيِّبُ، وَلَمَا كُلُّ غَائِبٍ يُثُوبُ. وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ، وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ، سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ.

التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ، وَرُبَّ يَسْتِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ! لَأَخَيْرٍ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِي صَيْدِيْقٍ ظَنِينٍ. سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ، وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةَ اللَّجَاجِ.

### الشرح والتفسير: سبع وعشرون موعظه ثمينه

يستعرض الإمام عليه السلام في هذا المقطع من وصيته النورانية مجموعته منسجمه ومتجانسه من النصائح المتنوعه لولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام والتي تتضمن كل

واحد منها نقطه مهمه فى حياه الإنسان وسلوكه الأخلاقى، وتشكل بمجموعها منهاجاً مفصلاً لتحقيق الحياه السعيده لكل فرد.

بدايه يقول الإمام عليه السلام: «وَتَلَاْفِيكَ (١) مَا فَرَطَ (٢) مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِذْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مُنْطِقِكَ».

وهذا يعنى أنّ الإنسان إذا امتنع عن التحدّث بشيء ثم علم بعد ذلك أنّ صمته كان خطأً فإنّه يستطيع فوراً تلافى هذا النقص وتدارك هذا الخلل، فى حين أنّه إذا كان قد تحدّث بكلام ثم فهم بعد أنّ هذا الكلام خطأً، فإنّ تدارك هذا الخطأ غير ممكن، كالماء الذى اريق على الأرض، فإنّ جمعه غير ممكن حينئذٍ.

ويستعرض الإمام عليه السلام فى إدامه كلامه الطريق الصحيح للوصول إلى هذا المقصود بذكر المثال، ويقول: «وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ».

«الويعاء» الظرف الذى يوضع فيه الشيء، والمراد به هنا القلب وروح الإنسان، «الوكاء» الحبل الذى تشدّ به فوهه القربه، وهو إشاره إلى لسان الإنسان وفمه، فلو أنّ الإنسان ملك لسانه ومنطقه، فإنّه لا تصدر منه كلمات نابيه ولا مسؤوله قد توجب له الندم بعد صدورها منه.

ثم يتطرق الإمام عليه السلام للتوصيه الثانيه ويقول: «وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلْبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ».

وهو إشاره إلى أنّ الكثير من الناس وبسبب حالات الإسراف والتبذير فى الأموال، يفقدون ما لديهم من ثروه، ويضحون محتاجين للآخرين، ويفقدون عزّتهم ومكانتهم، ولو أنّ الإنسان سلك طريق الاعتدال والاقتصاد فى حياته فإنّه لا يحتاج إلى الآخرين، ومن هذا المنطلق فإنّه التوصيه المذكوره لا تدعو للبخل أبداً، بل تعنى الدعوه للاعتدال وترك الإسراف والتبذير.

ص: ٥٥٠

١- (١). «تلافى» من ماده «لفى» على وزن «نفى» وتعنى الجبر والتعويض و «الفاه» بمعنى وجده وعثر عليه.

٢- (٢). «فرط» من «الفرط» على وزن «شرط» يعنى التقصير فى أداء العمل، و «إفراط» التطرف وتجاوز الحد.

ثم يتطرق الإمام عليه السلام للتوصيه الثالثه التي ترتبط بما قبلها ويقول: «وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ». أى «اليأس» مما فى أيدي الناس أفضل من الطلب إليهم.

والمراد من «اليأس» فى هذه العبارة هو حاله من قطع الأمل بالآخرين من موقع الاختيار بحيث إن الإنسان يوصد على نفسه باب الطلب من الناس، وهذا العمل وإن كان صعباً وشاقاً، ولكنه يمنح الإنسان العزّه والشرف والكرامه، ولهذا يقول الإمام عليه السلام، إن مثل هذه المراه أفضل من حلاوه الطلب والسؤال إلى الناس.

وعبارته «الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ» بوصفها قيمه وفضيله أخلاقيه وردت فى روايات عدّه عن الأئمه المعصومين عليهم السلام منها ما ورد فى روايه عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «وَحَيْرُ الْمَالِ الثَّقَةُ بِاللَّهِ وَالْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ» (١).

وهذا الكلام لا- يعنى أن الإنسان يعرض عن التعاون والتكاتف مع الناس فى أمور الحياه، وأن الحياه الاجتماعيه لا تقوم إلا على أساس التعاون، بل المراد أن لا ينظر المرء إلى أموال الناس بعين الطمع ولا يجعل الناس كلاً، بل يسعى لكسب معاشه بنفسه.

وكما يقول الشاعر:

وَإِنْ كَانَ طَعْمُ الْيَأْسِ مُرّاً فَإِنَّهَا لَدُّ وَأَحْلَى مِنْ سُؤَالِ الْأَرَادِلِ

ثم بيّن الإمام عليه السلام فى التوصيه الرابعه ويقول: «وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ».

العفّه فى اللغه وموارد استعمالها عند علماء الأخلاق لا تعنى ضبط النفس من حيث الغريزه الجنسيه، بل ضبط النفس عن كلّ ذنب، وجاءت فى الجمله أعلاه بهذا المعنى، لأنّ البعض لا يمتنع من اقتراف أى ذنب ومعصيه فى جمع الثروه والمال من هذه الجهه أو تلك، أما المؤمنون الذين يعيشون الطهر والنقاء القلبي ربّما يجمعون

ص: ٥٥١

ثروه أقل، من خلال الطرق المشروعه والبعيده عن كل أنواع الإثم والعدوان، والإمام يقول: إن هذا الأخير أفضل وأرجح من السابق.

ويستطرد الإمام عليه السلام في بيان التوصيه الخامسه ويقول: «وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ»، لأنّ الإنسان أكثر اهتماماً وتشدداً لحفظ أسرارهِ من الآخرين، لأنّ إفشاء هذه الأسرار يوجب له الضرر والخساره، وقد يتسبب في هتك حرمة وفضح شخصيته، في حين أنّ الآخرين ربّما لا يتضررون من إفشاء سرّه، ومن هذا المنطلق إذا أراد الإنسان حفظ أسرارهِ، فيجب أن يضعها في مكنون صدرهِ ويحكم إغلاق بابهِ، كما ورد ذلك في كلمات الإمام عليه السلام القصار: «صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ».

وفي التوصيه السادسه يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّ سَاعٍ (١) فِيمَا يَضُرُّهُ».

وهذا إشاره إلى أنّ سعى الإنسان يجب أن يكون مدروساً ومحسوباً، وبيان آخر، أنّ السعى يجب أن يقترن بالتدبير، حتى لا ينعكس الأمر عليه ويقطع أصله بسيفه، وهذا يعدّ من أسوء أنواع المصائب.

وفي التوصيه السابعه يقول الإمام عليه السلام: «مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ (٢)».

أجل، فأحد فوائد الصمت، عدم التورط في شباك الكلام الركيك والموهن، وقد ثبت بالتجربه أنّ الأشخاص الثرثارين يتحدّثون بكلمات كثيره ليس لها معنى ولا مفهوم، لأنّ الكلام المحسوب والمدروس يحتاج إلى فكر ومطالعه، في حين أنّ الثرثارين ليس لديهم مجال للتفكير، والإمام في غرر الحكم يبيّن العواقب السيئه الكثيره لظاهره الثرثره وما يترتب عليها ويقول: «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ زَلَّ (٣)»، وهذا الأمر يؤدّي إلى سقوط شخصيته من أعين الناس ويتسبب في ذلته وفضيحتهِ، بخلاف الأشخاص الذين يتحدّثون بكلام قليل ومدروس، فإنّ ذلك من شأنه أن يمنحهم

ص: ٥٥٢

١- (١). «ساع» «ساعي» الجاد في العمل، من ماده «سعى».

٢- (٢). «اهجر» من «الهجر» على وزن «فجر» وفي الأصل بمعنى الابتعاد والانفصال. ثم استخدمت في معنى هذيان المريض، لأنّ الكلام في تلك الحال غير مطلوب ومبعد.

٣- (٣). غرر الحكم، ٤١١٩.

مكانه مرموقه وسمعه حسنه فى أنظار الناس وكما يقول الشاعر:

وَالصَّمْتُ أَجْمَلُ لِلْفَتَى

وفى الوصيه الثامنه يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ»، أى أبصر حقائق الحياه وسلك الطريق القويم فى حياته.

إنَّ أهمِّيَّه التفكير فى أمور الدنيا والآخره ليست شيئاً خافياً على أحد، فجميع الأفراد الذين حقّقوا نجاحاً فى حياتهم سلكوا هذا الطريق.

يقول القرآن الكريم فى هذا المجال: «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ \* فى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (١).

وفى التوصيه التاسعه يقول الإمام عليه السلام: «قَارِنِ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنِ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنِ عَنْهُمْ».

وهذا إشاره إلى أنّ تأثير المجالسه والمعاشره لا يقبل الإنكار، فمجالسه الأشرار تقود الإنسان إلى وادى الهلكه والشقاء، بينما مجالسه الأخيار تقوده نحو فضاء السعاده والنجاه، وفى الآيات القرآنيه إشارات جليّه على هذا المعنى، يقول تعالى:

«وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولاً» (٢).

وجاء فى الحديث الشريف المشهور عن النبىِّ الأكرم عليه السلام يقول: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَقَرِينِهِ» (٣).

وهذا هو المعيار الأفضل لمعرفة شخصيه الإنسان المعقّده والغامضه من خلال

ص: ٥٥٣

١- (١). سورة البقره، الآيتان ٢١٩ و ٢٢٠.

٢- (٢). سورة الفرقان، الآيات ٢٧-٢٩.

٣- (٣). أصول الكافى، ج ٢، ص ٣٧٥، ح ٣.

النظر إلى قرينه وصديقه، كما ورد ذلك في حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«فَمَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ وَلَمْ تَعْرِفُوا دِينَهُ فَانظُرُوا إِلَى خُلَطَائِهِ فَإِنَّ كَثَاوَاتِ أَهْلِ دِينِ اللَّهِ فَهُوَ عَلَى دِينِ اللَّهِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ فَلَا حَظَّ لَهُ مِنْ دِينِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ويقول عليه السلام في التوصية العاشرة: «بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ».

ويتحدث القرآن الكريم عن الأشخاص الذين يأكلون أموال اليتامى بأنهم يأكلون النار في بطونهم: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا»<sup>(٢)</sup>. وهكذا بالنسبة للأطعمه المحرّمه فإنها تشبه أموال اليتامى من هذه الجهة، وقد ورد في الروايات أنّ من جملة موانع استجابة الدعاء، تناول الأَطعمه الحرام، وقد أشرنا قبل ذلك إلى حديث نبويّ في هذا المجال.

ويواصل الإمام عليه السلام بيان توصيات ولده ويقول في التوصية الحادية عشر: «وِظْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ»، لأنه غير قادر على الدفاع عن نفسه، وينقل الكليني في كتاب الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ الوُفَاةَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِيَّ أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ حَضَرَتْهُ الوُفَاةَ وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بَنِيَّ إِيَّاكَ وَظَلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ»<sup>(٣)</sup>.

وبديهى أنّ الظلم قبيح تجاه كلّ إنسان، ولكن إذا ظلم رجل شخصاً ثرياً وسرق مقداراً من ماله، فرغم أنّ هذا العمل يعدّ مخالفه أخلاقية، إلّا أنه لا يتسبّب في إلحاق أذى وضرر كبير لصاحب المال، بخلاف ما لو سرق من فقير ماله.

وفي التوصية الثانية عشر يقول الإمام عليه السلام: «إِذَا كَانَ الرَّفِيقُ خُرْقًا»<sup>(٤)</sup> كَانَ الخُرْقُ رِفْقًا. رَبُّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً».

إنّ أصل مناهج الحياه يقوم على أساس المداراه والليونه والانعطاف، فأحياناً

ص: ٥٥٤

١- (١). بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٩٧، ح ٣١.

٢- (٢). سورة النساء، الآية ١٠.

٣- (٣). كافي، ج ٢، ص ٣٣١، ح ٥.

٤- (٤). «خُرْقٌ» وتعني العنف والشده (ضد الرفق والمداراه).



يوجد بعض الأشخاص من سيئى الاستفادة من هذا السلوك الإنسانى، فتزداد حالات العنف فيهم، فمع مثل هؤلاء الأشخاص يكون استخدام العنف الطريق الوحيد لإصلاحهم، والجمله اللاحقه فى الحقيقه بمشابه علّه لهذه الجمله، فهناك موارد يكون الدواء فيها مزيداً فى العلّه والمرض، ويكون تحمّل الألم دواءً وعلاجاً لهذا المريض كما قال الشاعر:

ألا فاصبرِ على الحَدثِ الجليلِ وداوِ جِواكِ بالصَّبْرِ الجميلِ

وَلَا تَيْأَسْ فَإِنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ

وهذا يعنى أنّ الجراح التى يتوقّف علاجها على الكيّ بالنار، فمن المعلوم أنّ استخدام الرقى والأدويه مرّه أخرى تكون عبثاً، وربّما تتسبّب فى زياده المرض، وبالعكس ذلك تاره يكون المرض عارضاً على الإنسان بحيث يتسبّب فى شفاء المريض من أمراض أهمّ وأخطر.

وفى الوصيه الثالثه عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ، وَعَشَّ (١) الْمُسْتَنْصَحُ (٢)».

وهذا إشاره إلى أنّه لا- ينبغى إساءه الظنّ بكلام الأشخاص ممّن ليسوا من أهل النصح، وأحياناً تصدر منهم كلمات حكيمة ونصيحه نافعه، على العكس من ذلك تاره يصدر من أهل النصح والصلاح خيانه فى نصيحتهم بسبب الخطأ أو الحسد أو عوامل أخرى، وعلى ضوء ذلك لا ينبغى أن نقبل كلامهم بدون تدبّر، بل ينبغى فى كلا الحالتين العوده إلى حكم العقل والعمل على تمييز الكلام النافع من غير النافع لهؤلاء الناصحين من خلال الشواهد والقرائن.

ينقل العلامة المجلسى فى بحار الأنوار روايه مشهوره وجميله فى هذا المجال،

ص: ٥٥٥

١- (١). «عَشَّ» من ماده «عش» (بكسر الغين) بمعنى الخيانه.

٢- (٢). «المستنصح» (إذا جاء بصيغه اسم مفعول) تعنى الشخص الذى تُطلب النصيحه منه.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لَمَّا دَعَا نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى قَوْمِهِ أَتَاهُ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ فَقَالَ: يَا نُوحُ إِنَّ لَكَ عِنْدِي يَدًا أُرِيدُ أَنْ أَكْفِيكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُ يَبْغِضُ إِلَيَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عِنْدِي يَدٌ فَمَا هِيَ؟ قَالَ: بَلِي، دَعَوْتُ عَلَى قَوْمِكَ فَأَغْرَقْتَهُمْ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَأَنَا مُسْتَرِيحٌ حَتَّى يَظْهَرَ قَرْنٌ آخِرٌ وَأُغْوِيَهُمْ، فَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ما الذي تريد أن تكافئني به؟ (وفي بعض الروايات أن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى نوح أن كلمه واسأله فأنتى سأنطقه بمحجّه عليه، إلّا أنّ نوح عليه السلام لم يقبل أن يكلمه) (١) قال إبليس: «أذكُرُنِي فِي ثَلَاثِ مَوَاطِنَ فَإِنِّي أَقْرَبُ مَا أَكُونُ إِلَى الْعَبْدِ إِذَا كَانَ فِي إِحْدَاهُنَّ: إِذَا ذُكِرْتَنِي إِذَا غَضِبْتُ، وَإِذَا ذُكِرْتَنِي إِذَا حَكَمْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ، إِذَا ذُكِرْتَنِي إِذَا كُنْتُ مَعَ امْرَأَةٍ خَالِيًا لَيْسَ مَعَكُمْ أَحَدٌ» (٢).

وهذا الحديث في الحقيقة يبين أحد المصدايق الواضحة لكلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي التوصية الرابعة عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَأَيَّاكَ وَالِاتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى (٣)».

المقصود من كلمة «المنى» الآمال الطويلة والعريضة التي هي إلى الخيالات والأوهام أقرب، والأشخاص الذين يعيشون هذه الحالة من الاعتماد على الآمال البعيدة والطموحات الخيالية فإنهم يستنزفون قواهم الفعّالة ويهدرون طاقاتهم الحيوية، ثم لا يصلون إلى شيء، ومن جهة أخرى الاعتماد على هذه الآمال يستنزف عصاره فكر الإنسان وعمره لحساب الوهم ويصرفه عن التفكير في المعاد والحياة الآخرة.

وهذا ما ورد في الحديث المشهور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وكذلك عن الإمام

ص: ٥٥٦

١- (١). بحار الأنوار، ج ١١، ص ٢٨٨، ح ١٠.

٢- (٢). المصدر السابق، ص ٣١٨، ح ٢٠.

٣- (٣). «نوكى» جمع «أنوك» على وزن «ابتر» وهو الشخص الجاهل والأحمق.

أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغه، قال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ وَطُولَ الْأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» (١).

وفي التوجيه الخامس عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ».

إشاره إلى أن الإنسان عندما يجمع التجارب التي اكتسبها من واقع الحياه ومن الآخرين، ومع الالتفات إلى القاعده المعروفه: «حُكْمُ الْأَمْثَالِ فِيمَا يَجُوزُ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ وَاحِدٌ»، والحديث المعروف: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ» (٢) فإن ذلك من شأنه أن يمنح الإنسان قدره على مواجهه الحوادث والمستجدات بأساليب صحيحه، ويتعاطى معها من خلال ما اكتسبه من تجارب قديمه، وبالتالي يستطيع تفادي الكثير من الأخطاء والتخلص من الكثير من الأزمات.

إن الكثير من القواعد العقليه الكليه مستوحاه من هذه التجارب الجزئيه، (وفقاً لقاعده الاستقراء المنطقيه) وطبعاً فهذه التجارب تاره تتعلق بالإنسان نفسه، وأخرى يستقيها الإنسان من تجارب الآخرين، وهذا كما يسمي «نورٌ على نورٍ»، ومن هذه الجبهه يهتم المدرء والقاده بمطالعه تاريخ القدماء ليستوحوا منه الدروس والعبر.

وخلاصه الكلام أن الإنسان إذا تحرك في حياته على مستوى حفظ تجاربه والاستفاده من تجارب الآخرين، فإنه يستطيع استخدامها في الموارد المشابهه دون أن يكرر أخطاءه الماضيه، وكذلك يستخلص قانوناً كلياً من الموارد الجزئيه لنفسه وللآخرين في جميع شؤون الحياه.

ورد في رساله الإمام عليه السلام المرقمه ٧٨ من نهج البلاغه تعبيراً أشد في هذا المجال، يقول عليه السلام: «فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حَرَّمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ».

والتوجيه السادس عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَحَيْرٌ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ».

ص: ٥٥٧

١- (١). نهج البلاغه، الخطبه ٤٢ وفي بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٥، ح ٣٧ أيضاً مع اختلاف يسير عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ١٩، ص ٣٤٥.

وهذا إشارته إلى أن التجارب تارته تمنح الإنسان نفعاً مادياً، وأخرى نفعاً معنوياً، وأن أفضل التجارب هو ما نفع الإنسان على المستوى المعنوي والأخلاقي.

وفي كلمات الإمام عليه السلام القصار: «لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ» (١).

وفي التوجيه السابع عشر يقول عليه السلام: «بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً».

والفرصة يعنى توفير المقدمات للتوصيل إلى المقصود، وأحياناً يكون للإنسان مقصد مهم ولكن لم تتوفر مقدماته، وفجأة وفى لحظه تنهياً وتتوفر هذه المقدمات، فحينئذ ينبغى عليه المسارعة فى الاستفاده من هذه اللحظة قبل فوات الأوان، وإيصال نفسه إلى المقصد، فإذا غفل عن ذلك وأفلت الفرصة من يديه، فربما لا تتوفر أبداً فى المستقبل تلك الظروف لتحقيق الغايه والوصول إلى الهدف، والفرص مثل الرياح الموافقه التى تهبّ باتجاه المقصد، فلو لم ينتفع الملاح فى السفينه الشراعيه من هذه الفرصه، فربما يبقى ساعات وأياماً على سطح البحر دون أن يتحرك فى المسير الصحيح، ويتحول ضياع تلك الفرصه إلى غصه.

وجاء فى الحديث المشهور عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ أَلَا فَتَعَرَّضُوا لَهَا» (٢).

وورد فى حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخَيْرِ فَلْيَنْتَهِزْهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ» (٣).

وقد وردت بهذا المضمون روايات كثيره عن المعصومين عليهم السلام وفى عبارات الأعاظم، ونختم هذا الفصل بحديث عن أميرالمؤمنين عليه السلام حيث يقول: «أَشَدُّ الْغُصَصِ فَوْتُ الْفُرْصِ» (٤).

ص: ٥٥٨

١- (١). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ١٩٦.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ٢٢١.

٣- (٣). كنز العمال، ح ٤٣١٣٤.

٤- (٤). غرر الحكم، ١٠٨١٨.

وفى التوصيه الثامنه عشر يقول الإمام عليه السلام: «لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يُؤُوبُ».

وهاتان الجملتان بمثابة العله للتوصيه بالمبادره واستغلال الفرص قبل فوات الأوان، لأنّ الإنسان إنّما يصل إلى مقصوده فيما لو سعى لتوفير الأرضيه اللازمه والظروف المناسبه للنجاح، وفى غير هذه الصوره فإنّ سعيه سيكون عقيماً، وكلمه «غائب» يمكن أن تشير إلى الفرص الضائعه التى لا تعود أبداً، وفى ذات الوقت يمكن أن تكون توصيه مستقلّه وإشاره إلى أنّ الإنسان لا ينبغى أن يتوقّع أن يصل إلى نتيجة من سعيه وعمله دائماً، وبيان آخر أن لا- يصاب باليأس والقنوط ممّا يواجهه من إخفاقات فى حركه الحياه.

وفى الوصيه التاسعه عشر يقول الإمام عليه السلام: «وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ».

والمقصود من الزاد هنا هو زاد التقوى والمتاع لسفر الآخره، فلو أنّ الإنسان أضاع هذا الزاد فإنّه سيفسد معاده وتضيع آخرته.

وفى التوصيه العشرين يقول: «وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ».

وذلك إشاره إلى أنّ الإنسان عندما يقدم على أى عمل، يجب أن يتدبّر فى عاقبته، ولا يتحرّك فى طريق ويقوم بعمل دون تفكير ومحاسبه، فلو كانت عاقبته حسنه فإنّه يقدم عليه وإلّا فلا.

وجاء فى غرر الحكم عن الإمام أميرالمؤمنين على عليه السلام هذه العبارة مع إضافه، يقول: «وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ حُلُوهٌ أَوْ مُرَّةٌ» (١).

وفى التوصيه الحاديه والعشرين يقول الإمام عليه السلام: «سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قَدَّرَ لَكَ».

والمقصود أنّه لا- ينبغى أن يعيش الإنسان الحرص بدون مبرّر، وهذا لا يعنى أنّ الإنسان يترك السعى لطلب المعاش وتحسين ظروف الحياه، بل الغرض من ذلك أن

ص: ٥٥٩

يجتنب الجهد العقيم والسعى غير المثمر، وجميع الروايات التي تشير إلى تقدير الرزق، ناظره إلى هذا المعنى.

وفى التوصيه الثانيه والعشرين يضيف الإمام عليه السلام: «التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ (١)».

فالتاجر لا ينتفع ويربح من تجارته دائماً، وكما يقال إنّ التجاره نوع من الحظّ، ومن هنا فالإنسان ينبغي أن يتحلّى بالشجاعه ويتوكّل على الله ولا يخشى من الأضرار المحتمله ولا يفقد أمله من مواجهه الضرر والخساره، فالتاجر يجب أن يسعى ويبذل جهده فى هذا السبيل مع التدبّر فى معطيات هذا المسير ومخاطره، ولكن إذا واجه ضرراً وخساره، فلا ينبغي له أن يتألم ويحزن.

ويحتمل أن تكون هذه الجملة إشارة إلى الأبعاد المعنويه للتجاره، لأنّ التاجر تتلوّث أمواله أحياناً بالحرام وتواجه سعادته الخطر من ذلك، وعلى ضوء ذلك يجب عليه الانتباه من الوقوع فى هذه الأخطار وخاصّه فى عصرنا الحاضر الذى ازدادت فيه الأموال الحرام والتجاره غير المشروعه وأحياناً تسدل الأرباح الوفيره حجاباً على عقل الإنسان وتقود التاجر إلى التورّط فى مهاوى الذنوب والانحراف.

ثم إنّ الإمام عليه السلام يستعرض التوصيه الثالثه والعشرين ويقول: «وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ».

إشاره إلى أنّ الإنسان لا ينبغي أن ينظر إلى كميه الأعمال والأفعال، بل المهمّ الكيفيه والنوعيه، فكم من الأعمال القليله وبكيفيه أفضل وإخلاص أوفر تعطى ثماراً أكثر، يقول القرآن الكريم: «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (٢).

وهنا احتمال آخر فى تفسير هذه الجملة، وهى أنّ الإنسان لا ينبغي أن يهتمّ فى حياته الماديّه بزياده رأس ماله وثروته، وربّما يكون الرأسمال القليل حلالاً

ص: ٥٦٠

١- (١). «مخاطر» الذى يلقى نفسه فى الخطر.

٢- (٢). سوره الملك، الآيه ٢.

وطاهراً، وفي التالي ينمو ويزداد بشكل أكبر، يقول القرآن الكريم: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيُزْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاهٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» (١).

ثم إن الإمام عليه السلام يطرح التوصيه الرابعه والعشرين ويقول: «لَمَّا خَيْرٌ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ (٢)، وَلَمَّا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ (٣)»، لأنَّ الصديق المهين إذا كان يعيش الحقاره والدناءه فإنَّ عمله هذا سيكون مقترناً غالباً بالمن، مضافاً إلى أنَّ شخصيه الإنسان ستواجه الاهتزاز في أنظار الناس، لأنَّه يتخذ من الشخص الدنيء معيناً ورفيقاً، والصديق المتهم وإن أدى حقَّ الصداقه والزماله، فإنه يتسبب في توجه التهمه إلى صديقه ويسىء إلى سمعته، وهنا ينبغي على العاقل أن يغضَّ نظره عن معونته وعطائه.

وفي التوصيه الخامسه العشرين يقول الإمام عليه السلام: «سَاهِلٍ (٤) الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ».

وهو إشاره إلى أنه من الممكن أن لا تعود مثل هذه الفرصه في المستقبل، ويحتمل أيضاً في تفسير هذه الجمله أنَّ الدهر إذا تعامل معك من موقع المداراه فعليك أن تداريه أيضاً وكما قال الشاعر:

إِذَا الدَّهْرُ أَعْطَاكَ العِنَانَ فَيَسِرْ بِهِرْوَئِدًا وَلَا تَعْنَفْ فَيُصْبِحُ شَامِسًا

وفي التوصيه السادسه والعشرين يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ».

فأحياناً تتوفر نعم كثيره لدى الإنسان، ولكن حاله الطمع وطلب المزيد تدفعه من أجل اكتساب المزيد من النعم والثروات، أن يخاطر بحياته وبإمكاناته، وهذا العمل يتقاطع مع العقلانيه، من قبيل أنَّ الإنسان يضع ماله بيد أشخاص لا يعرفون

ص: ٥٦١

١- (١). سورة الروم، الآيه ٣٩.

٢- (٢). «مهين» وهو الحقير والضعيف، وأصلها «مهانه».

٣- (٣). «ظنين» وهو الشخص المتهم، والأصل من «ظن» وتأتى بصيغه اسم المفعول.

٤- (٤). «ساهل» فعل أمر من «مساھله» بمعنى المداراه.

شيئاً من أمر التجاره والمضاربه، طمعاً فى ما وعدوه من أرباح وفيره، فتكون النتيجة أنه ليس فقط لا يربح شيئاً، بل يفقد أصل رأس ماله أيضاً.

وأخيراً وفى التوصيه السابعه والعشرين (فى هذا المقطع من الوصيه) يقول الإمام عليه السلام: «وإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ (١) بِكَ مَطِيئَهُ اللَّجَاجِ».

اللجاج هو أن الإنسان يصرّ على كلامه الباطل أو سلوكه المنحرف الذى ثبت له بطلانه، خوفاً من اهتزاز شخصيته أمام الآخرين، فى حين أن الإنسان فى مثل هذه الموارد لو تعامل مع الحقيقه من موضع التواضع والإذعان لها، فإنه سيكسب المزيد من السمعه فى أنظار الناس.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِيَّاكَ وَاللَّجَاجَةَ فَإِنَّ أَوْلَهَا جَهْلٌ وَآخِرَهَا نَدَامَةٌ» (٢).

وفى حديث آخر يقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «لَا مَرْكَبَ أَجْمَعَ مِنَ اللَّجَاجِ» (٣).

والحقيقه أنه لو قرأ الإنسان هذه الوصايا السبع والعشرين فقط فى هذه الوصيه التى وردت بعبارات موجزه وعميقه المحتوى، وتحرك على مستوى تطبيقها وتجسيدها فى واقع الممارسه والعمل، فسوف يعيش السعاده المنشوده، ولو أن المجتمع جسّد هذه المواعظ والنصائح فلا شك أن مثل هذا المجتمع سيعيش الحيويه والنشاط والسعاده والإزدهار.

\*\*\*

ص: ٥٦٢

١- (١). «تجمع» فعل مضارع من «الجموح» بمعنى التمرد والنفور والعصيان.

٢- (٢). بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٦٩، ح ٦.

٣- (٣). غررالحكم، ح ١٠٦٤٣.



أَحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صِرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبُذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُدْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتَعَادِيَ صَدِيقَكَ، وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ، حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً، وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةً. وَلَنْ لِمَنْ غَالَطَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَنَّ لَكَ، وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ. وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ.

### الشرح والتفسير: الإحسان في مقابل الإساءة!

ينطلق الإمام عليه السلام في هذا المقطع من الوصية لبيان وظيفه الإنسان في مقابل إخوانه وأصدقائه وكيفيه التواصل معهم من موقع حسن الخلق، وذلك بتقديم عدّه توصيات، يقول بدايةً:

«أَحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صِرْمِهِ (١) عَلَى الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ (٢) عَلَى

ص: ٥٦٣

١- (١). «صِرْمٌ» بمعنى القطع والفصل، وهنا جاء بمعنى قطع العلاقة مع الآخر وهي في مقابل الصلّة وتوثيق العلاقة مع الآخر.

٢- (٢). «صُدُودٌ» مصدر بمعنى المنع.

اللِّطْفِ (١) وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ (٢) عَلَى الْيَذَلِّ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ».

في هذه التوصية يحذّر الإمام عليه السلام ولده من الردّ بالمثل فيما يواجهه من نفور ولا مبالاه من أصدقائه، وضمناً يوصيه بسبّ جمل بليغه تتضمّن بلاغه الجناس، بأنّ الردّ بالمثل من شأنه أن يهدّد أساس المودّة والصدّاقه بين الأصدقاء، فيفقد المرء صديقه بسبب ذلك، ولكن كلّما تعامل مع الإساءة بالإحسان ومع اللامبالاه بالمودّة، فسوف يدرك صديقه خطأه ويخجل من نفسه ويتحرّك على مستوى جبر الخلل وتقويه وترسيخ دعائم المحبّه والمودّة أكثر فأكثر.

والعبارات التي يستخدمها الإمام عليه السلام في هذه الفقرات تمثّل في الحقيقة شرحاً لما ورد في القرآن الكريم في قوله: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» (٣).

ورغم أنّ هذه الآيه نزلت في مورد الأعداء، ولكن ممّا لا شك فيه أنّها صادقه على الأصدقاء أيضاً، فسيره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمّه الهدى عليهم السلام وعلماء الدين الكبار تشير إلى هذه الحقيقة أيضاً إلّا في موارد استثنائية، وأنهم كانوا لا يواجهون العدوان والإساءة من الأصدقاء والأعداء بالمثل، إلّا في موارد خاصّه ونادره.

وبما أنّ بعض السدّج وذوى الفكر الضيق ربّما يسيئون هذا السلوك الإنساني معهم، فالإمام عليه السلام استثنى هذه الفئه من هذه القاعده وقال: «وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ».

والفرق بين جملة «وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ...» وجملة «أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ...» أنّ الجملة الثانيه

ص: ٥٦٤

١- (١). «اللِّطْفِ» على وزن «شرف» وفي بعض النسخ على وزن «قفل» وتعنى إظهار المحبّه والإحسان إلى الطرف المقابل.

٢- (٢). «جمود» وتعنى في هذه العبارة البخل، في مقابل البذل والعتاء.

٣- (٣). سورة فصلت، الآيتان ٣٤ و ٣٥.

تشير إلى الأشخاص الذين يعيشون الحقد والعناد، وأنّ الاحسان إليهم في مقابل إساءتهم قد تتسبب في زياده جرأتهم وعدوانهم، فيكون الإحسان إليهم كالأحسان إلى الذئب، ولكنّ الجملة الأولى ناظره إلى الأشخاص الذين لا يعيشون مثل هذه الحالة، ولكن ربّما يقودهم الإحسان إليهم في مقابل إساءتهم أن يتصوّروا خطأ أنّهم أخيار وأنّ عملهم جيّد وليس فيه إشكال.

والتعبير ب «أحمِل» في بدايه هذه التوصيه إشاره إلى أنّ عمليه الإحسان في مقابل الإساءه وإن كانت صعبه على الإنسان، ولكن ينبغي عليه أن يتحمّل ذلك ويحمل هذه القضية على نفسه.

ويقول الإمام عليه السلام في التوصيه الثانيه: «لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ».

فهذا العمل يعدّ من جمله النفاق، حيث يطرح الإنسان المودّه مع صديقه ومع عدوّ صديقه أيضاً، فهذا هو اسلوب الأشخاص الذين لا يعيشون واقع الصداقه وحقيقه المودّه، وغرضهم من ذلك الانتفاع والمصلحه الشخصيه من كلا الطرفين، فلا يمتنعون في هذا السبيل من الوقوع في مثل هذا التناقض والسلوك والعواطف.

وطبعاً هذا في مورد تكون عداوه العدو ناشئه من ظلمه وعدوانه، لا أنّ الصديق مقصّر وقد ارتكب إساءه في حقّه بحيث أدّى ذلك إلى معاداته.

وكذلك يصدق هذا الكلام في مورد لا يكون الغرض من إقامه علاقه مع عدوّ الصديق إصلاح ذات البين، فإن كان المقصود من المودّه معه إصلاح ذات البين فإنّه ليس فقط عمل غير ذميم بل عمل إنسانى ممدوح.

ومما يجدر ذكره أنّ توصيه الإمام عليه السلام في هذا الباب لا تتناول الأشخاص فقط، بل تشمل الفئات والشعوب والدول أيضاً، رغم أنّ الكثير من الدول في العالم المعاصر يطرحون المودّه والصداقه مع كلا طرفي النزاع دون أن يقصدوا من ذلك المصلحه بينهما، بل هدفهم من ذلك استغلال هاتين الدولتين المتخاصمتين لضمان

مصالحهم الشخصية، فيقيمون روابطه سياسيه واقتصاديته مع الأصدقاء ومع الأعداء على حد سواء، واللافت للنظر أنهم لا يخفون ذلك، بل يصرحون بإقامه مثل هذه العلاقة العميقه معنا، وكذلك مع أعدائنا في ذات الوقت.

ففي روايه أن رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبك وأحب فلاناً، وسمي بعض أعدائه فقال عليه السلام: «أما الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر»<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات أنه ذكر معاويه.

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام قاله له رجل: إن فلاناً يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءه من عدوكم، فقال الإمام عليه السلام: «هيهات، كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا»<sup>(٢)</sup>.

ويقول القرآن الكريم مخاطباً النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم»<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول الإمام عليه السلام في هذه الفقرة من الوصيه: «والمحض»<sup>(٤)</sup> أخاك النصيحة، حسنه كانت أو قبيحه».

وهو إشاره إلى أن بعض الأصدقاء يمتنعون أحياناً من بذل النصيحة خوفاً من إزعاجنا وامتعضنا فيخفون الحقائق عنا، فهؤلاء في الواقع ليسوا مخلصين في نصحتهم ومودتهم، لأنه لو نصحوا شخصاً وحدروه من مغبه عمل معين واستاء مؤقتاً من ذلك، ولكنه سلم من خطر أو ضرر بسبب هذه النصيحة، فإن ذلك أفضل بكثير

ص: ٥٦٦

١- (١) . بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٥٨، ح ١٧.

٢- (٢) . المصدر السابق، ح ١٨.

٣- (٣) . سورة المجادله، الآية ٢٢.

٤- (٤) . «المحض» من «المحض» على وزن «وعظ» بمعنى إخلاص الشيء وتنقيته، وتستعمل في مورد النصيحة وتعني طلب الخير للطرف المقابل الخالي من أي شائبه وغرض شخصي.

من اختيار السكوت وتركه يواجه المشاكل والأخطار بسبب ذلك السلوك الخاطيء.

وللأسف فإن الكثير من الأشخاص، وبسبب هذه الملاحظات، يصرفون النظر عن تقديم النصيح في الموقع المناسب، فيبتلون بسخط الله تعالى والخيانة لخلق الله.

ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديث شريف: «أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي»<sup>(١)</sup>.

يعنى أن الإنسان العاقل ليس فقط لا يتألم من بيان عيوبه من قبل الآخرين، بل ينبغي أن يحثهم على بيانها وذكرها، ليستطيع إصلاح العيب والخلل.

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لأحد أصحابه: «اتَّبِعْ مَنْ يُبَكِّيكَ وَهُوَ لَكَ نَاصِحٌ وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ يُضْحِكُكَ وَهُوَ لَكَ غَاشٌّ»<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام عليه السلام في التوصية الرابعة: «وَتَجَرَّعَ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً»<sup>(٣)</sup>.

فهنا نرى أن الإمام عليه السلام يشبه الغضب بالدواء المر الذي يتجرعه الإنسان على مضض ولهذا يتناوله جرعه بعد جرعه، ولكن عاقبته الشفاء من المرض، ونهايته حلوه ومريحه، وهكذا حال كظم الغيظ وتجرع الغضب، لأنه ينقذ الإنسان من الوقوع في هوه الندم والخجل والأضرار الكثيره المترتبة على حاله السخط والحده في صوره عدم ضبط الإنسان لنفسه.

وفي الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قَالَ لِي أَبِي: يَا بَنِيَّ مَا مِنْ شَيْءٍ أَقْرَ لِعَيْنِ أَبِيكَ مِنْ جُرْعَةٍ عَاقِبَتُهَا صَبْرٌ وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِذَلِكَ نَفْسِي حُمْرٌ»

ص: ٥٦٧

١- (١). أصول الكافي، ج ٢، ص ٦٣٩، ح ٥.

٢- (٢). المصدر السابق، ص ٦٣٨، ح ٢.

٣- (٣). «مغيبه» العاقبه، وأصلها من «غَبَّ» وأحياناً تأتي هذه المفرده في مورد الأعمال والتي تعنى عدم التوالى أو الانقطاع بين فتره وأخرى، كما ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه: «زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا». (مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٣٧٤، ح ١٢٢١٠).

النَّعَم»(١).

وفى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضَاءً»(٢).

ويضيف الإمام عليه السلام فى التوصية الخامسة ويقول: «وَلَنْ (٣) لِمَنْ غَالَطَكَ (٤) فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ».

الكثير من الأشخاص يسلكون سبيل العنف فى حال الغضب والسخط، وتزداد وتيره الحدّه وتتفاقم حاله الغضب حتى تصل أحياناً إلى مواقع الخطر، ولكن إذا أمسك الإنسان زمام نفسه وكظم غيظه وضبط حدّه الغضب بإرادته، وبدلاً من استخدام آليه العنف فإنه يستخدم آليه المداراه والانعطاف، فليس فقط تزول حاله الصراع والنزاع مع الطرف الآخر، بل تحلّ المودّه والمحبه محلّها، كما ورد هذا المعنى فى القرآن الكريم حيث تؤكد الآيه الشريفه على لزوم الإحسان فى مقابل الإساءه لتحويل الطرف المقابل من عدوّ إلى صديق وتقول: «ادْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ \* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»(٥).

ثم يتحدّث الإمام عليه السلام فى التوصية السادسة عن التفضّل على العدو، ويقول:

(وَحُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ)، أى الظفر عن طريق العنف والقوه، والظفر عن طريق المحبه والمودّه.

وهذه الجملة فى الحقيقه تأكيد على ما تقدّم من توصيات، ولكنها تتمتع ذات جمال أخذ فى صياغتها، يقول: ربّما تنتصر على عدوك بآليات العنف والقوه، ولكن

ص: ٥٦٨

١- (١). الكافى، ج ٢، ص ١١٠، ح ١٠.

٢- (٢). المصدر السابق، ح ٦.

٣- (٣). «لن» فعل أمر، من «اللين» على وزن «صين» وتعنى المرونه وعدم القساوه.

٤- (٤). «غالط» من «الغلطه» وهى الخشونه (وتقع على الضد من اللبونه والانعطاف).

٥- (٥). سوره فصلت، الآيتان ٣٤ و ٣٥.

يمكنك أن تحقّق هذا النصر من خلال إبراز المحبّه والمودّه، ومعلوم أنّ الطريق الثاني أحلى وأحسن عاقبه، لأنّك في المستقبل ستعيش فارغ الذهن عن خوف الانتقام من العدوّ في حين أنّك إذا انتصرت عليه باستعمال القوّه، فسوف تتوقّع في كلّ وقت ظهور نزاع جديد باستخدام القوّه من قبل العدوّ، وبعبارة أخرى، أنّ العدوّ سيبقى في الطريق الأول عدوّاً، في حين أنّه في الطريق الثاني سيتبدّل إلى صديق.

ينقل أبو الفرج الاصفهاني في كتاب مقاتل الطالبين قصّه جميله في هذا المجال عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطّاب كان بالمدينه يؤذى أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه، ويشتم عليّاه السلام، فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن ذلك أشدّ النهي وزجرهم أشدّ الزجر، فسأل عن العمري، فذكر له أنّه يزرع بناحيه من نواحي المدينه، فركب إليه فوجده في مزرعه له، فدخل المزرعه بحماره، فصاح به العمري:

لا توطئ زرعنا، فتوطّأه أبو الحسن موسى عليه السلام بالحمار حتّى وصل إليه، فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه وقال له: «كَمْ غَرِمْتَ فِي زَرْعِكَ هَذَا؟» (أى صرفت على زرعك).

فقال العمري: مائه دينار، فقال الإمام عليه السلام: «وَكَمْ تَرْجُو أَنْ تُصِيبَ؟» (أى تريح من الزرع).

قال العمري: لست أعلم الغيب، فقال الإمام عليه السلام له: «إِنَّمَا قُلْتُ لَكَ كَمْ تَرْجُو أَنْ يَجِيئَكَ فِيهِ»، قال العمري: أرجو أن يجيئني فيه مائتا دينار.

فأخرج الإمام الكاظم عليه السلام صرّه فيها ثلاثمائة دينار وقال: «هَذَا زَرْعُكَ عَلَى حَالِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُكَ فِيهِ مَا تَرْجُو».

فقام العمري فقبّل رأسه وسأله أن يصفح عن فرطه (أى ما فرط في حقّ الإمام عليه السلام) فتبسّم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف.

قال الراوي: وراح الإمام الكاظم عليه السلام إلى المسجد فوجد العمريّ جالساً، فلمّا

نظر إليه قال: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»، فوثب أصحاب العمرى إليه، فقالوا له:

ما قصّتك، قد كنت تقول غير هذا؟

قال العمرى: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبى الحسن الإمام الكاظم عليه السلام، فخاصموه وقاطعهم، فلما رجع أبو الحسن عليه السلام إلى داره، قال لجلسائه الذين سألوه فى قتل العمرى: أيما كان خيراً، ما أردتم أو ما أردت، إننى أصلحت أمره بالمقدار الذى عرفتم وكفيت شره (١).

ويقول الإمام فى التوصية السابعة: «وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَهُ أَحْيِكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمَ مَا».

وهذا يعنى أنّ الإنسان ينبغى أن يسير فى مسأله الصداقه فى خطّ الاعتدال، ولا يفشى أسراره كلّها لصديقه، حتّى لا يتورّط فيما لو انقلبت هذه الصداقه يوماً ما إلى عداوه ويواجه الضرر والخساره، وهكذا بالنسبه للحاله الأخرى، فالإنسان لا ينبغى أن يقطع صلته تماماً مع صديقه ويهدم كلّ الجسور خلفه، لأنّه ربّما يندم ويريد إعادة العلاقه مع الطرف الآخر، ولكنّه لا يجد طريقاً لمدّ جسور الثقة معه.

وهذا المضمون ورد بشكل أشمل فى كلام آخر لأمير المؤمنين عليه السلام (طبقاً لما ورد فى بحار الأنوار) قال: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا» (٢).

وينقل ابن أبى الحديد عن بعض العلماء هذا المعنى بيان آخر قال: «إِذَا هَوَيْتَ فَلَا تَكُنْ غَالِيًا وَإِذَا تَرَكَتَ فَلَا تَكُنْ قَالِيًا» (٣).

وفى التوصية الثامنة والأخيره من هذا المقطع من الوصيه يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ».

ص: ٥٧٠

١- (١) . مقاتل الطالبين، ص ٣٣٢. وأورد هذه القصة المرحوم العلامة المجلسى بشكل أوسع فى بحار الأنوار، ج ٤٨، ص ١٠٢، ح ٧ (مع اختلاف يسير).

٢- (٢) . بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٧٧، ح ١٤.

٣- (٣) . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١١٠.



وهو إشاره إلى أنّ شخصاً لو كان يظن أنّك من أهل الخير والبذل والعطاء وطلب منك شيئاً أو استعان بك على أمر، فعليك أن تصدّق ظنّه وتثبت له أنّك عند حسن ظنّه.

ومثل هذا السلوك يمتاز بمزيتين؛ فمن جهة يكرّس حسن ظنّ الناس بالشخص، ومن جهة أخرى يقوده حسن الظنّ في طريق الخير والصلاح.

وقد يصادف كثيراً أن يأتي بعض الأشخاص لدى المرء ويقولون: إننا نواجه مشكله ونعتقد أنّ حلّها بيدك، فهنا يجب على الإنسان أن يسعى لحلّ مشكله هؤلاء ويؤكّد لهم صدق ظنّهم ولا يتبدّل حسن الظنّ إلى سوء الظنّ.

\*\*\*

ص: ٥٧١



وَلَمَّا تُضَمِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعَّتْ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَزَعَبَنَّ فِيمَنْ زَهَّدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِدْقَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ. وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَلَمِكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ.

### الشرح والتفسير: لا تضيع حق الصديق

فى هذا المقطع من الوصيه التيره يطرح الإمام عليه السلام كما فى القسم السابق، ست نصائح مهمه فى عبارات موجزه لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يقول أولاً: «وَلَمَّا تُضَمِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعَّتْ حَقَّهُ».

وهذا يعنى أن جميع الإخوه والأصدقاء يتوقعون من أصدقائهم احترام حقوقهم، ولو شاهدوا خلاف ذلك فإن من شأنه تعريض أركان الأخوه والصدقه إلى الاهتزاز، ولكن للأسف فإن بعض الأشخاص يفكرون بخلاف هذه الطريقه ويحسبون أنهم إذا لم يراعوا حق الأخ والصديق والرفيق، فذلك ليس بالأمر المهم ويتوقعون من الطرف الآخر القبول والإغماض، فى حين أن هذا خطأ كبير، لأن مثل هذه السلوكيات الجافه وهذه اللامبالاه للحقوق إذا لم تؤثر عاجلاً فى إضعاف وشائج الموده، فإنها بالتدريج تعرّض دعائم الأخوه والصدقه إلى الضعف والاهتزاز.

وهذا الكلام من قبيل ما لو أن شخصاً مديناً لعدد كبير من الناس وكان يسعى

لإرضاء الآخرين وكسب ودّهم، ويغفل عن مطالبات أصدقائه ويعتقد أنّ هذه اللامبالاه بحقوقهم لا يترتب عليها شيء.

وفى التوصيه الثانيه يضيف الإمام عليه السلام ويقول: «وَلَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ».

أى لا ينبغي أن تتعامل مع أهلك بآليات الإساءه بحيث يقفون منك موقفاً سلبياً ويتمنون موتك وزوال النعمه عنك.

وهناك احتمال آخر فى تفسير هذه الجملة أيضاً، وهو أنه لا- ينبغي أن تبذل كل اهتمامك لأصدقائك وتغفل عن أهلك وأسرتك وتتركهم يعيشون فى حاله من الشقاء والمعاناه.

الكثير من الأشخاص يصرفون جلّ أوقاتهم مع الأصدقاء والزملاء ويعيشون معهم غالباً فى أجواء المحبّه ويبذلون لهم كلّ مساعده، ولكنهم يحرمون اسرتهم من هذه المودّه والصفاء أو القيام بمسؤوليات الأسره.

ونقرأ فى حديث عن الإمام أبى الحسن علىّ بن موسى الرضا عليهما السلام قال: «يَبْغَى لِلرَّجُلِ أَنْ يُوسِّعَ عَلَى عِيَالِهِ كَيْلًا يَتَمَنَّوْا مَوْتَهُ»، فجدير بالإنسان عندما يحصل على نعمه أن يرفه على عياله ولا يضيق عليهم، حتّى لا يقفوا منه موقفاً سلبياً.

ثمّ إنّ الإمام عليه السلام فى ذيل هذه الروايه يقول: «الأسيرُ (العائله) عيالُ الرَّجُلِ وَيَبْغَى لِلرَّجُلِ إِذَا زِيدَ فِي النَّعْمَةِ أَنْ يَزِيدَ اسْرَاءَهُ فِي السَّعَةِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فُلَانًا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّعْمَةَ، فَمَنَعَهَا اسْرَاءَهُ وَجَعَلَهَا عِنْدَ فُلَانٍ، فَذَهَبَ اللَّهُ بِهَا» (١).

وفى التوصيه الثالثه يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ (٢) عَنْكَ».

لأنّ مثل هذه العلاقه تقود الإنسان إلى مهاوى الذلّه والمهانه، وصحيح أنّه طبقاً للتوصيات السابقه فأنّه يجب على الإنسان أن يحتفظ بالعلاقه مع الشخص الذى

ص: ٥٧٤

١- (١). الكافى، ج ٤، ص ١١، ح ٣.

٢- (٢). مفرده «زهّد» سواء كان متعديه ب «فى» أو ب «عن» تعنى فى كلا الأمرين عدم الاهتمام والاعتناء، والزاهد إنّما يقال له زاهد لأنه لا يعتنى بزخارف الدنيا ولا يهتم بمتطلباتها.

قطع علاقته به؛ ولكن هذا المعنى إنما يصح فيما لو وقف الطرف المقابل موقفاً إيجابياً منه، ولكن إذا تعامل معه من موقع التحقير واللامبالاه، فلا ينبغي على الإنسان أن يذلل نفسه ويتوجه إليه ويتوسل به، بل ينبغي أن يغض النظر عنه، فالإنسان كما يقول المثل يجب أن يضحى لمن يهتم به.

وفى التوصيه الرابعه يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَكُونَنَّ أَحْوَكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ».

وهذا إشاره إلى أن الطرف المقابل مهما سعى لقطع العلاقة معك، فينبغي عليك أن تصرّ على توثيقها وتقويتها، وكلما رأيت منه إساءه، فيجب أن تقابلها بالإحسان.

وطبعاً هذا فى مورد الأشخاص الذين تؤثر فيهم المحبّه والإحسان، وعلى هذا الأساس لا تتنافى مع الجمل السابقه.

وفى التوصيه الخامسه يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا يَكْبِرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ، فَإِنَّهُ يَشْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَنَفْعِكَ».

وهذا يعنى أن الإنسان لا ينبغي أن يستاء كثيراً فى مقابل حالات الظلم التى يواجهها، ولا يدع لليأس أن يتخذ طريقاً له فى حياته، بل عليه أن يعتقد بأن هذا الظالم الذى قصّر فى حقّه وظلمه، إنّما يظلم نفسه وينفع المظلوم فى نهايه المطاف حيث يحمل وزر المظلوم على ظهره يوم القيامه، والحقيقه أن ضرر الظلم يصيب مرتكبه ويخفف عن كاهل المظلوم وزره.

وهذا الكلام يشبه ما ورد فى الروايات فى باب الغيبه وأن أحد العلماء سمع رجلاً يغباه ويتحدّث عنه بسوء، فأهدى إليه هديه، فتعجب ذلك الرجل فقال له هذا العالم: سمعت أنّ حسناتك قد انتقلت إلى صحيفه أعمالى، وقد تقبلت سيئاتى، وأنا بدورى أشكرك على هذه الخدمه وهذا الإحسان إلى.

وهذا الكلام لا- يعنى أنّ الإنسان ينبغي أن يلتزم الصمت فى مقابل الظالمين ولا يتصدى لهم بالاعتراض، لأننا نعلم أنّ شعار الإسلام هو: «لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

تُظَلَّمُونَ» (١)، ونعلم أنّ الإمام عليّ عليه السلام ذكر في وصيته لأبنائه وهو في فراش الشهاده قال: «كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا» (٢) بل المقصود أنّ الإنسان عندما يقع مظلوماً ولا يملك القدره على ردّ الظلم والتصدي للظالم، لا ينبغي له اليأس والتشاؤم وإطلاق كلمات اللعن والتأوه، والشاهد على هذا الكلام ما ورد في الحديث المشهور عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عندما سرق أحدهم عقد عائشه وأخذت عائشه بلعن السارق، فقال لها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «لَا تَمَسِّحِي عَنْهُ بِدُعَائِكَ» (٣)، أي لا تدرئي عنه العذاب بهذا اللعن، فعليك بضبط نفسك ولسانك عنه واعلمي أنّه قد ظلم نفسه وإنّ الله تعالى سيثيبك على صبرك وتحملك.

وهنا توجد نقطه دقيقه ينبغي الالتفات إليها، وهي أنّ الظالم كالسارق مثلاً، عندما يورد الضرر والخساره الماليه على المظلوم من جهه ويجعله يعيش الحزن والألم الروحي من جهه أخرى، فإنّ الله تعالى يشبهه على كلا الأمرين، ولكن لو دعا المظلوم على من ظلمه وأخذ يلعنه باستمرار ليشفى غيض قلبه ويهدئ من غيظه، فمن الطبيعي أن يخفف ذلك من عذاب الظالم.

فيتبين ممّا تقدّم أنّ ما ذهب إليه بعض شرّاح نهج البلاغه كابن أبي الحديد من اتّخاذ السكوت في مقابل ظلم الظالمين كقاعده كليته، خطأ كبير، بل ينبغي القول أنّ هذا المورد يعدّ استثناءً وناظر إلى موارد خاصّه، وأمّا الأصل الكليّ في الإسلام فهو أن لا يقع الإنسان مظلوماً ولا ظالماً.

وأخيراً يقول الإمام عليه السلام في التوصيه السادسه من هذا المقطع من الوصيه:

«وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ».

وهذه النصيحه مقتبسه من القرآن الكريم حيث قال: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا

ص: ٥٧٦

١- (١) . سورة البقره، الآيه ٢٧٩.

٢- (٢) . نهج البلاغه، الرساله ٤٧.

٣- (٣) . شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١١١.

وذهب بعض الشراح إلى أنّ هذه الجملة لا- تعتبر كلاماً مستقلاً، وقالوا: إنّها استمرار للتوصيه السابقه، وأنّ الإمام عليه السلام يقول: إنّ الظالم إنّما يضرّ نفسه وينفعك، ومن هذا منطلق فالشخص الذي أوصل إليك النفع لا ينبغي أن تسوءه (من خلال الدعاء عليه وإظهار التظلم بشكل متكرّر).

\*\*\*

ص: ٥٧٧

---

١- (١) . سورة الرحمن، الآية ٦٠.





وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. مَا أَقْبَحَ الخُضُوعَ عِنْدَ الحَاجِهِ، وَالجَفَاءَ عِنْدَ العِنْيِ، إِنَّمَّا لَمَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثَوَاكَ، وَإِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الأُمُورَ أَشْبَاهُ؛ وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغَتْ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ العَاقِلَ يَتَعَطَّ بِالمَادَابِ، البُهَائِمَ لَا تَتَعَطُّ إِلَّا بِالمَضْرِبِ. اطْرَحْ عَنكَ وَارِدَاتِ الهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ اليَقِينِ. مَنْ تَرَكَ القِصَّةَ دَخَارًا، وَالمَصَاحِبَ مُنَاسِبًا، وَالمُصَدِّقَ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ. الهَوَى شَرِيكَ العَمَى وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٌ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَالمُغْرِبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ. مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مِذْهَبُهُ، وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ، بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عِدُوكَ. قَدْ يَكُونُ اليَأْسُ إِذْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَكَاءً. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ، وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ، وَرُبَّمَا أَخْطَأَ البَصِيرُ قِصْدَهُ، وَأَصَابَ الأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخْرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ، وَقَطِيعَةُ الجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ حَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ.

لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابًا. إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ. سَلِّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذُكَّرَ مِنَ الكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ.

فى المقطع السابع والعشرين من هذه الوصيه الرائعه يشير الإمام عليه السلام إلى ثمان وعشرين موضوعاً مهمّاً من موقع النصيحه، وبذلك يزيد من ثراء وعمق هذه الوصيه.

الأولى: يتحدّث الإمام عليه السلام أولاً عن مسأله الرزق حيث يتحرّك الكثير من الناس طلباً له بحاله من الحرص والولع ويقول: «وَاعْلَمَ يَا بَنِيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ».

وهذه الجملة، بقربنه ما ورد فى جملة مشابهه لها وأكثر تفصيلاً فى كلمات الإمام عليه السلام القصار(١)، ناظره إلى أنّ الإنسان لا ينبغي أن يعيش الحرص والوله بالرزق، ولا ينبغي أيضاً أن يتكاسل فى طلبه.

ومراد الإمام عليه السلام من الرزق الذى يجب على الإنسان أن يطلبه، هو الكسب والعمل اليومى فى طلب المعاش، مثل، الزراعه، الصناعه، التجاره وأمثال ذلك، ومراده من الرزق الذى يطلب الإنسان ويأتيه وإن أعرض عنه الإنسان أو لم يطلبه، الهدايا أو التجاره والأرباح التى يصيبها الإنسان من غير احتساب، وعلى ضوء ذلك إذا ضاق عليه القسم الأول من الرزق فلا ينبغي أن ييأس من لطف الله بل يتوقّع، مع استمراره فى الحركه والسعى والكسب، أن يرزقه الله من حيث لا يحتسب.

وعندما يرى الإنسان فى عالم الخلقه موارد كثيره من الرزق من النوع الثانى، فإنّ هذا الأمل سيقوى ويتعمّق فى قلبه، ففى يوم كان الجنين فى عالم الرحم يأتيه رزقه من خلال المشيمه والحبل السرى المتّصل برحم الأم، وبعد ولادته يأتيه رزقه من صدر امّه لإدامه حياته وما يحتاجه بعد ولادته من الغذاء، يقول القرآن الكريم: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ»(٢).

ص: ٥٨٠

١- (١). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ٣٧٩.

٢- (٢). سوره هود، الآيه ٦.

وعندما يسير الإنسان فى خطِّ التقوى والورع ويجتنب الأموال والأرباح المحرّمة، فإنَّ الله تعالى يبشّره بسعه الرزق ويقول: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا \* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (١).

ومن جهه أخرى نشاهد فى عالم الخلقه وجود أرزاق كثيره وضروريه لحياء الإنسان وبشكل وافر، بمقتضى رحمانيه الله تعالى لجميع أفراد البشر أعمّ من المؤمن والكافر، فنور الشمس وبركات الأرض، والأمطار، والأوكسجين فى الفضاء ممّا لا يستطيع الإنسان فى الحياه بدونها، فكلّها من الأرزاق والنعم الإلهيه التى أنعم الله بها على الإنسان ممّا لم يطلبه ويتحرّك فى سبيل كسبه.

ويقول القرآن الكريم أيضاً: «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ» (٢).

ويقول أيضاً: «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» (٣).

وبالرغم من أنّ هذه الآيه الشريفه، ومن خلال القرائن الموجوده فيها، ناظره فقط إلى قطرات المطر، ولكن الآيه السابقه لها تملك مفهوماً أوسع وأشمل بحيث تشمل نور الشمس الذى يعدّ العله الرئيسيه لكلّ حركه فى الكره الأرضيه كحركه الرياح والهواء الذى يعتبر مصدر حياه جميع الأحياء أيضاً.

وفى تاريخ القدماء نقرأ أحياناً بعض القصص التى تكشف عن الحوادث التى تعتبر مصداقاً حياً فى الرزق الذى يطلب الإنسان دون أن يطلبه أو يتوقّعه، فمن ذلك ما ذكره ابن أبى الحديد فى شرحه لهذه الجملة عن عماد الدوله (من سلاطين آل بويه): والقصه هى: دخل عماد الدوله أبو الحسن بن بويه مدينه شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت وأجلاه عنها، وهو فقير لا مال له، فساخت إحدى قوائم فرسه فى الأرض، فنزل عنها وابتدرها غلمانها وخلصوها، فظهر لهم فى ذلك الموضع نقب

ص: ٥٨١

١- (١) . سورة الطلاق، الآيتان ٢ و ٣.

٢- (٢) . سورة الذاريات، الآيه ٢٢.

٣- (٣) . سورة الجاثيه، الآيه ٥.

وسيع، فأمرهم بحفره، فوجدوا فيه أموالاً عظيمة وذخائر لابن ياقوت، ثم استلقى يوماً آخر على ظهره في داره بشيراز التي كان ابن ياقوت يسكنها، فرأى حيه في السقف، فأمر غلمانه بالصعود إليها وقتلها، فهربت منهم ودخلت في خشب الكنيس، فأمر من يقلع الخشب وتستخرج وتقتل، فلما قلعوا الخشب وجدوا فيها أكثر من خمسين ألف دينار ذخيره لابن ياقوت.

واحتاج أن يفصل ويخيط ثياباً له ولأهله، فقبل: هاهنا خياط حاذق كان يخيط لابن ياقوت، وهو رجل منسوب إلى الدين والخير، إلمائه أصم لا يسمع شيئاً أصلاً، فأمر بإحضاره فأحضر وعنده رعب وهلع، فلما أدخله إليه كلمه فقال: أريد أن تخيط لنا كذا وكذا قطعه من ثياب، فارتعد الخياط واضطرب كلامه وقال: والله يا مولانا ما له عندي إلا أربعة صناديق ليس غيرها، فلا تسمع قول الأعداء فيّ، فتعجب عماد الدوله وأمر بإحضار الصناديق فوجدها كلها ذهباً وحليه وجواهر، وديعه لابن ياقوت (١).

الثانية: والنصحية الثانية للإمام عليه السلام يقول: «مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى».

وهذا إشاره إلى أنّ الأشخاص من ضعفاء النفوس عندما يحتاجون إلى هذا وذاك، فإنهم يعرضون حاجتهم بالكثير من حالات الذلّ بحيث تتعرض شخصيتهم للاهتزاز، ولكن عندما يعيشون القدره وعدم الحاجه، فإنهم يتعاملون مع المحتاجين من موقع الانزدراء واللامبالاه، وكلاهما تين الصفتين من الرذائل الأخلاقية، فينبغي للإنسان عند الحاجه أن يحفظ مناعه الطبع والعزّه في نفسه، وعند القدره وعدم الحاجه لا يبخل في اللطف وإظهار المحبّه والتواضع للمحتاجين.

وذهب بعض شراح نهج البلاغه (٢) إلى أنّ هذا الكلام ناظر إلى مورد في الآيه

ص: ٥٨٢

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١١٤.

٢- (٢). المصدر السابق، ص ١١٥.

الشريفه: «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْمِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ \* فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْبُغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» (١).

وعلى هذا الأساس فإن العبارات أعلاه ناظره إلى العلاقة بين الخلق والخالق في حين أن الأمر ليس كذلك، والظاهر أن هذه الجمل والعبارات ناظره إلى العلاقة بين المخلوقين أنفسهم، لأن الخضوع أمام الخالق محمود على أي حال.

ولا يخفى أن المراد من الخضوع في هذا المورد ليس هو التواضع المعقول، بل التواضع المقترن بالذلة والحقاره، والمراد من الجفاء، إظهار الكراهية وعدم الاحترام، وأمثال ذلك.

ونقرأ في الحديث الشريف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلِبًا لِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيَةُ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالًا عَلَى اللَّهِ» (٢).

ويقول أحد الشعراء في هذا المجال:

خُلِقَانِ لَا أَرْضَاهُمَا لِفَتَى

الثالثة: «إِنَّمَا لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ، مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ» (٣).

وهذا إشاره إلى أن الثروات الدنيوية تذهب وتروح، وأحياناً قد يترك الإنسان آلاًفاً مؤلفه منها للورثة، ويبقى حسابها ووزرها عليه في الآخرة، ويتمتع بها الآخرون في الدنيا، فهذه الأموال لا تعتبر مالاً حقيقياً للإنسان، والمقدار الذي يعتبر

ص: ٥٨٣

١- (١). سورة يونس، الآيتان ٢٢ و ٢٣.

٢- (٢). نهج البلاغه، الكلمات القصار، ٤٠٦.

٣- (٣). «مشوى» كما أشرنا سابقاً أنها تعنى المكان والمنزل، وهنا جاءت بمعنى منزل الآخرة.

ملكه فى الحقيقه هو ما استخدمه لإصلاح آخرته وأرسله أمامه إلى حياته بعد الموت.

ونقرأ فى الكلمات القصار للإمام عليه السلام قوله: «لِكُلِّ امْرِئٍ فى مَالِهِ شَرِيكَانِ:

الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ»(١).

ونقرأ فى حديث آخر عن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله قوله: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مِائِي مِائِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ مَالُ الْوَارِثِ»(٢).

يعنى أن المال الحقيقى للإنسان يكون على قسمين: قسم يستفيد منه بمصارفه ومعيشته فى الدنيا، وقسم آخر يجعله ذخيره لآخرته ويوم معاده، وسائر أمواله موهومه ربّما تسلب منه فى بعض الحوادث، ولو بقى منها شىء فهو نصيب الورثه.

الرابعه: يشير الإمام عليه السلام هنا إلى نقطه أخرى، وجدير بالإنسان أن يتذكّرهما كلّ يوم وهى قوله: «وَإِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَى مَا تَفَلَّتَ (٣) مِنْ يَدَيْكَ، فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ».

الكثير من الأشخاص عندما يفقدون المال والمقام الذى كانوا يملكونه تراهم يرتفع عويلهم وصراخهم ويتحسّرون على ذلك أياماً طويلاً، وربّما شهوراً وأعواماً مديده، ولكنهم بالنسبه للأموال والمقامات التى لم يحصلوا عليها أبداً لا يعيشون تجاهها هذه الحاله، فى حين أننا إذا دققنا النظر فإنّ كلا الحالين سواء، فالتقدير الإلهى قضى بأنّ هذا المال أو المقام يكون من نصيبى لمدّه سنه أو عدّه سنوات ثم يزول إلى غيرى، بحسب الأسباب الظاهريه أو الغيبية، فما الفرق بين البقاء والحدوث؟ فإذا لم نجزع على غير المقدّر حدوثه فلماذا لا نعيش هذه الحاله فى حال فقده؟ وطبعاً أحياناً يتصوّر الإنسان أنّ هذا المال أو المقام لا بدّ أن يبقى عنده

ص: ٥٨٤

١- (١) . نهج البلاغه، الكلمات القصار، ٣٣٥.

٢- (٢) . بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٣٨، ح ٦.

٣- (٣) . «تَفَلَّتَ» من «الفلت» على وزن «فقر» وفى الأصل بمعنى الخلاص، وتأتى أيضاً بمعنى الأمور التى تصدر من الإنسان بشكل عفوى وبدون تأمل.

أكثر من المدّة المقدّره، ولكن بحسب عالم الأسباب والمسبّبات فإنّ هذا تصوّر مجرّد خيال باطل، والتأسّف عليه مثل تأسيّف الشخص الذى رأى فى منامه أنّه يملك مالاً ومقاماً وعندما يستيقظ فإنّه يجرع على ما ذهب من يده فى منامه.

الخامسه: يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصيه إلى نقطه مهمه أخرى ويقول:

«اشْتَدَلَ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ».

وهذا يعنى وجود سلسله من القوانين الكليه الحاكمه على عالم الوجود وعلى المجتمعات البشريه، ولها فى كلّ زمانٍ مصاديق فى أرض الواقع، ولكن كلّ هذه المصاديق والموارد مشموله لتلك القوانين الكليه، وعليه فالإنسان بإمكانه - من خلال مطالعه حالات القدماء والمجتمعات الماضيه بل وحتى مراجعه ما واجهه من حوادث ومتغيّرات فى سنوات عمره الماضيه - أن يتعرّف على المسائل التى تواجهه فى الحاضر والمستقبل من خلال المقارنه، لئلا يتورّط بعناصر الخطأ والضرر والخسران.

وهذا الكلام يشبه ما ورد عن الإمام عليه السلام فى خطبه أخرى حيث قال: «عَبَادَ اللَّهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَيِّنَاتِ كَجَزْيِهِ بِالْمَاضِينَ»<sup>(١)</sup>، وهذا الكلام متداول فى تعبيراتنا اليوميّه حينما نقول: التاريخ يعيد نفسه.

وفى ذيل الخطبه يتحدّث الإمام عليه السلام عن كيفيه تكرار التاريخ، وقد تحدّثنا فى شرحها تحت ستّه عناوين: الزوال السريع للنعم، عدم ثبات الحوادث فى العالم، عدم وفاء الدنيا وأهلها، الغرور والإخفاقات الناشئه عنه، تغيّر الحالات والروحيات لدى الأفراد بحيث إنّ أقرب المقرّبين ربّما يتحوّل إلى أخطر الأعداء، وأخيراً أنّ الذى يبقى ويعدّ ذكرى جميله للإنسان فى هذا العالم، أشكال الإحسان والمحبه والإخلاص، وما يؤدّى إلى اللعن ويسبّب السمعه السيئه للإنسان هو الظلم والجور وسلب الحقوق.

ص: ٥٨٥

أجل، هذه الأمور كلها تتكرر حالياً كما وقعت في السابق، ومن هنا فإنّ العقلاء من الناس هم الذين يطالعون ماضيهم وتاريخ القدماء من بعمق وتمعن ويستلهموا منها الدروس والعبر.

السادس: يقول: «وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَاتَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَعَتْ فِي إِيْلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ، وَالْبَهَائِمَ لَاتَنْفَعُ إِلَّا بِالضَّرْبِ».

وهو إشارة إلى أنّ الناس على نحوين: فبعض يتعظ بأدنى تفكير وتنبه ويلتفت إلى خطئه ويسعى لإصلاحه، هؤلاء هم الأشخاص الواقعيون، ولكنّ البعض الآخر لا يتعظ بسهولة إلا إذا وصلت السكين إلى العظم فما لم يشعروا بالتوبيخ والتحقير والذمّ أو يواجهوا الضرر والخساره نتيجة أعمالهم، فإنّهم لا يراعون عن غيهم، فهؤلاء حالهم حال الأنعام والبهائم التي لا تتعلم إلا بالضرب، ولا تسكن وترتك الجموح إلا بالسوط.

السابع: يشير الإمام عليه السلام إلى توصيه مهمّة أخرى ويقول: «أَطْرَحَ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بَعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ».

إشارة إلى أنّ الحياه عباره عن مجموعه من الحوادث المرّه والحلوه، وكلّ وقت تهجم على الإنسان الغموم والأحزان، تاره على شكل هموم اجتماعيه وأخرى سياسيه وثالثه ماديه أو عائليه، فالإنسان إذا رضح وخنق أمام هجوم هذه الهموم فسوف يعيش الإخفاق والفشل في حياته، ولكنّه يستطيع التغلب على هذه الهموم والتحديات بالاستعانه بقوتين:

الأولى: قوّه الصبر والاستقامه، وأن يعلم أنّه سواء صبر أو لم يصبر، فإنّ مثل هذه الحوادث خارجه عن اختياره، فإذا كانت هذه الهموم ناشئه من جهله وتساهله في الأمور، فعليه تغيير المسار وإصلاح الخلل، فلو التزم بآليه الصبر فإنّه يكون عند الله مأجوراً وسليماً أيضاً، وإن ترك الصبر فإنّ حوادث الدهر تستمرّ في مسيرتها ويفقد الأجر والثواب.



والأخرى، أن يجهز الإنسان نفسه بقوّه اليقين، وعلى حدّ تعبير القرآن الكريم يقول: «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» (١)، ومعلوم أنّ التقديرات الإلهية تنطلق من موقع الحكمة والتدبير الإلهي، سواء علمنا بهذه الحقيقة أم لم نعلم، وبالتالي نستطيع بهاتين القوتين التصدي لواردات الهموم وتسكين خلجات النفس وترطيب أجواء الحياة.

ينقل المرحوم مغنيه في شرحه لنهج البلاغه قصه مفيدة ويقول: ومن جمله ما قرأت أنّ رجلاً أحس بضعف وانحراف في صحته، ولمّا عرض نفسه على الطبيب قال له أنّه مريض بسرطان الدم، وأنّه يموت بعد مده قصيره، فلم ينزعج وتحدي المرض، وقال في نفسه: لا- فرق بين أن أموت فجأه أو بإنذار سابق، ومضى في عمله كأن لم يكن شيء، استمرّ فيه حتى الآن، ولو أنّه استسلم للوساوس لخارت قواه وأمسى طريح الفراش ينتظر الموت في كلّ لحظه، ومعنى هذا أنّه يموت في اليوم مرّات، ولمّا قيل له: كيف تعمل وأنت على هذه الحال؟ قال: اجرب الحكمة القائلة: خير الدواء العمل (٢).

ويقول لقمان الحكيم أيضاً في مواظه الجميله لولده: «وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» (٣).

الثامنه: يقول: «مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارًا».

وهذا يعنى أنّ إحراز السلامه في الدين والدنيا يمرّ من خلال الاعتدال، وأنّ كلّ إسراف وتفريط يقود الإنسان إلى دروب الضلاله والشقاء والإخفاق، وأنّ الصراط المستقيم الذي ندعو الله تعالى كلّ يوم في صلاتنا أن يهدينا إليه، هو صراط الاعتدال والاستقامه.

ص: ٥٨٧

١- (١). سورة التوبه، الآيه ٥١.

٢- (٢). شرح نهج البلاغه للشيخ مغنيه، ج ٣، ص ٥٢٦.

٣- (٣). سورة لقمان، الآيه ١٧.

التاسعه: «وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ (١)». أى حاله حال أقرباء الإنسان وأرحامه.

وهذا إشاره إلى أنّ رابطة الصداقه تاره تكون قويه إلى درجه أنّها تحلّ محلّ رابطة القرابه والنسب، بل تاره تكون أقوى من ذلك، وهناك مثل معروف يقول أنّه سئل شخص: أيهما أفضل الصديق أم الأخ؟ فقال: الأخ الصديق أفضل، وهناك مثل معروف أيضاً لدى العرب حيث يقال: «الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ وَالْأَخُ نَسِيبُ البَدَنِ» (٢).

وقد نستوحى من هذا الكلام هذه النتيجة، وهى أنّ ذات الحقوق المقرره للأرحام والأقرباء ينبغى أخذها بنظر الاعتبار من الأصدقاء الجيدين أيضاً.

العاشره: يقول: «وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ».

وهو إشاره إلى الأشخاص الذين يظهرون المحبّه والعشق والعلاقه فى حضور المرء، ولكن ربّما لا- يكون ذلك علامه حقيقيه على صدقهم وصدقتهم، فالصديق الواقعى إنّما يتبين فى غياب صديقه ويراعى حقوقه فى غيبته كما فى حال حضوره ويتحدّث عنه فى غيبته كما يتحدّث أمامه.

الحاديه عشر: يشير الإمام عليه السلام فى هذه التوصيه إلى نقطه مهمه أخرى ويقول:

«وَالهَوَى شَرِيكُ العَمَى»، فكما أنّ الأعمى لا- يرى ما حوله من الأجسام حتّى لو كانت قريبه منه ومجاوره له، فإنّ أتباع الدنيا والسالكين فى خطّ الأهواء محرومون من الحقائق الجائيه، لأنّ حجاب الهوى يعتبر أشدّ الحجب ظلاماً ولا توجد آفه للمعرفه أضّر وأسوء من هذه الآفه.

يقول القرآن الكريم: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهُ أَفَلَا تَدْرُؤُونَ» (٣).

ص: ٥٨٨

١- (١) . «مناسب» من ماده «نَسَب» وجاءت هنا بمعنى الأقرباء.

٢- (٢) . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١١٧.

٣- (٣) . سورة الجاثيه، الآيه ٢٣.

وَيَصْرَحُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رِسَالِهِ لَهُ لِأَحَدِ أَصْحَابِهِ بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَيَقُولُ: «فَارْفُضِ الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ وَيُبَيِّنُكُمْ وَيُذِلُّ الرَّقَابَ» (١).

الثانية عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، وَقَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ».

وهو إشارة إلى أنّ العلاقات الجسديه لا تدلّ دائماً على العلاقه القليه والتجانس الفكرى بين الأقرباء، فأحياناً يكون البعيد أقرب إلى الإنسان من قريبه، فالمهم وجود ارتباط قلبى وعلاقه روحيه بين الطرفين، فلو لم يجد الإنسان مثل هذه العلاقه لدى أرحامه وأقربائه فيامكانه البحث عنها فى غيرهم.

ونقرأ فى القرآن الكريم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» (٢).

الثالثة عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَيْبٌ».

الأمر الذى يخرج الإنسان من عتمه الغربه، المحبّه، والأشخاص الذين لا يعيشون المحبّه من قبل الآخريين يواجهون الوحشه والوحده، ولهذه الغربه عوامل مختلفه، فأحياناً يقود الكبر والغرور والأنانيه صاحبها إلى زاويه الوحده وتبعد الناس عنه، وأخرى عناصر الحسد والحده، وتاره حالات عدم الوفاء وعوامل أخرى.

ومن هذا المنطلق، ولأجل التخلص من وحشه الغربه، ليس لنا طريق سوى تطهير نفوسنا من الرذائل الأخلاقيه والتحلّى بالفضائل التى توفر لنا أصدقاءً مخلصين وإخوه صالحين.

الرابعه عشر: فى هذه التوصيه يشير الإمام عليه السلام إلى نقطه فى غايه الأهميه ويقول: «مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ»، لأنّ طريق الحقّ واسع ومعبد ونورانى، أمّا

ص: ٥٨٩

١- (١). أصول الكافى، ج ٢، ص ١٣٦، ح ٢٣.

٢- (٢). سورة التغابن، الآيه ١٤.

طريق الباطل فملىء بالعثرات والمطبات والمنعطفات الخطيره والمآزق الضيقه، والسائرون فى طريق الحق يتحرّكون بسرعه نحو مقصدهم وهدفهم، لأنّ عالم الوجود يتحرّك فى طريق الحق، ومن كان منسجماً مع عالم الوجود فإنّه يتحرّك فى هذا المسير أيضاً، ولكن السالكون طريق الباطل كمن يسبح عكس التيار، ومن يخالف مسار الطبيعه وقوانين الوجود، يوقع نفسه فى مآزق عمليه ولا يصل إلى نتيجته.

أضف إلى ذلك فإنّ مسير الحق كالجاده الواضحه التى نصبت عليها علامات المرور التى ترشد السالكين فيه لمعرفة وضع المسير، ولكن طريق الباطل يفتقر لكلّ هذه الأمور، ولذلك يقود السالك فيه إلى مهاوى الضلاله ومتاهات الحيره.

الخامسه عشر: يشير الإمام عليه السلام فى هذه فقره إلى موضوع معروف ومهمّ ويقول: «وَمَنْ افْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ».

وبهذا المضمون وردت عباره أخرى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى كتاب غرر الحكم، قال: «رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً عَرَفَ قَدْرَهُ وَ لَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ» (١).

والتجربه تشير إلى أنّ الأشخاص الذين تجاوزوا حدودهم ولم يعرفوا قدرهم، أثاروا الناس ضدّهم، بحيث أنّ الناس ليس فقط لم يعترفوا لهم بمقامهم الزائف الذى يدّعون، بل سلبوا منهم موقعهم الذى يستحقّون، والسبب واضح، لأنّ الناس يرون فى هؤلاء المدّعين الطوبائين والذين يعيشون حالات النرجسيه والغرور أنّهم أشخاص انتهازيون وخونه، وأحياناً حمقى وسفهاء، ولهذا لا يحسبون لهم أية قيمه، ولكنّ الأشخاص الذين يعيشون الصدق والنزاهه والقانعين بحقّهم، يعتبرهم الناس شخصيات محترمه ويمنحونهم المكانه اللائقه ويراعون حقّهم فى واقع الحياه الاجتماعيه.

السادسه عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذَتْ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ».

ص: ٥٩٠

وهو إشاره إلى أن التمسك بالوسائل الماديّة واللجوء إلى المخلوقين والطلب منهم، طريق لا يعتمد عليه، وربما لا يوصل إلى نتيجة مطلوبه، فهذه الأسباب لا يوثق بها في تحصل المراد، والأصل الثابت والأساس القائم والخالد هو البارى تعالى الذى لا يمكن لأيشىء مخالفه مشيئته وقدرته المطلقة، وعلى ضوء ذلك فالشخص الذى يلتجىء إلى الذات المقدسه فإنه يلتجىء إلى حرز حريز وملاذ أمين غير قابل للزوال والاهتزاز، وهذا هو التوحيد الأفعالى الذى يقرّر: «لا مُؤَثَّرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ». والقرآن الكريم يقول: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» (١).

وذهب بعض إلى أن المراد من الوسيله الإيمان والقرآن الكريم، ولكن من الواضح أنّ الجملة لها مفهوم واسع تشمل جميع الوسائل التى تقرب الإنسان إلى الله تعالى.

ومعلوم أنّ هذا الكلام لا يعنى أن نترك عالم الأسباب والمسببات، ولا يعنى أيضاً ترك التوسل بالمعصومين، لأننا إذا توسلنا بالمعصومين وبالأسباب الطبيعیه وكان نظرنا إلى ما ورائها من القدره الإلهیه، وكان نظرنا إلى مسبب الأسباب، فمثل هذا التوسل وطلب الشفاعة من هؤلاء الأولياء يمثل تقرباً إلى الله تعالى وهو من المصاديق البارزه للعلاقه الوثيقه مع الذات المقدسه.

السابعه عشر: يقول الإمام عليه السلام: «وَمَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عَدُوٌّ كَ».

وطبعاً فالمراد الشخص الذى يرتبط مع الإنسان بنحو من الارتباط، وربما ادعى المحبه والمودّه، ولكن عندما تحين لحظه الدفاع عن الحقّ والعرض والسمع، فإنه يواجه هذا الموقف من موقع اللامبالاه وبحاله من البروده، وهذا يشير إلى أنه غير صادق فى إظهار المحبه والصدقه، بل يضمّر نوعاً من العداوه فى داخله ونفسه.

ص: ٥٩١

وعلى ضوء ذلك، فلا داعى لحمل هذه الجملة على أنها ناظره للعلاقة بين الناس والحكام، والقول بأن بعض الناس - فيما يتصل بالشأن السياسى والاجتماعى وما إلى ذلك - لا- يتحرّكون على مستوى الانسجام مع برنامج الحكومه ويتعاملون مع الخطط والمناهج التى تقرّها الدوله من موقع اللامبالاه وعدم الاهتمام، فهؤلاء فى الحقيقه مخالفون لهذا النظام وأعداء لذلك المنهج(1)، وبخاصّه إذا رأينا أنّ أجواء هذه الوصيه لا- يرتبط بمقوله العلاقة بين الحاكم والمحكومين، بل بين أفراد المجتمع أنفسهم.

الثامنه عشر: يقول الإمام عليه السلام فى هذه التوصيه المثمره: «قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا».

وهذا يعنى أنّ الإنسان أحياناً يسعى للتوصّل إلى هدفه وغايته، ويطمع أن ينال بغيته، فى حين أنّ الله تعالى يعلم أنّ ذلك مضرّ له وفيه خسارته، وبذلك يحرمه من تحقيق غايته، وفى هذا المورد، وإن لم يصل هذا الشخص ظاهراً إلى غايته وهدفه، إلّا أنّه فى الحقيقه حصل على الهدف الحقيقى وهو السلامه والمنفعه الحقيقيه الكامنه فى وجدانه، وعلى ذلك لا ينبغى أن يعيش الإنسان حالات اليأس وفقدان الأمل فى عدم الوصول إلى النتيجة ويحسب أنّ ذلك خساره وإخفاقاً، بل تعدّد هذه الظاهره فى كثير من الموارد نجاحاً وتوفيقاً.

التاسعه عشر: يقول الإمام عليه السلام: «لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ».

هناك احتمالات عدّه فى تفسير هذه العبارة: الاحتمال الأول: إنّهُ إذا كنت تعتقد بأنّ البعض ذو شخصيه كامله حسب الظاهر ولا نقص ولا- عيب فيه، فلا- تغتبر بهذه الحاله الظاهريه، لأنّه ربّما كانت هناك عيوب خفيّه لم تظهر لك، وعليه ينبغى الاحتياط على كلّ حال، وهذا ما ذهب إليه جماعه من شراح نهج البلاغه.

ص: ٥٩٢

---

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد و شرح نهج البلاغه الشيخ مغنيه.

الاحتمال الثاني: إنّ الإنسان إذا رأى في نفسه أنّه سليم من كلّ عيب ونقص ظاهراً، فلا يَغْتَرّ بذلك، لأنّ الكثير من العيوب لا تظهر للإنسان إلّا بالتأمّل والتفكير والدقّه، كما ذكروا في حالات بعض العظماء أنّه بعد ثلاثين سنه مثلاً انتبه فجأه ومن خلال حادثه معينه، إلى وجود بعض العيوب في نفسه.

الاحتمال الثالث: إذا كانت لديك عيوب ونقاط ضعف وترى أنّك أدنى وأقلّ مرتبه من الآخرين بسبب ذلك، فلا تقلق، بل عليك بإصلاح نفسك وسدّ هذه الثغرات في شخصيتك، لأنّ الآخرين يملكون عيوباً أيضاً ويسعون لإخفائها عن الآخرين. ويديهي أنّ هذه التفاسير لا تتقاطع فيما بينها، وربّما تجتمع كلّها في مفهوم هذه الجملة، وإن كان التفسير الأول أنسب حسب الظاهر.

العشرون: يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ».

يعنى إذا فقدت فرصه فلا تحزن، لأنّ الفرصه أحياناً تأتي بشكل مفاجيء بحيث أنّ الإنسان لا يوفّق للاستفاده منها، رغم أنّه لا بدّ من السعى الجادّ لاستغلال الفرص، ولو أنّ الناس استطاعوا استغلال جميع الفرص بدون أن تزول فرصه، فإنّ حياه البشر ستتغير وتختلف كثيراً عمّا عليه الآن.

وهذا الكلام النوراني يمنحنا درساً كبيراً، لأننا كثيراً ما رأينا بعض الأشخاص الذين يعيشون التحسّر طيله عمرهم على فقدان فرصه، ويقولون: إذا كنت قد عملت ذلك العمل في اليوم الفلاني فسأكون كذا وكذا، أو ليت أنّي كنت مستيقظاً في تلك الساعه ولم أفقد تلك الفرصه، هؤلاء وبدلاً من التفكير بالمستقبل يتحسّرون دائماً على الماضي.

الحاديّه العشرون: في هذا التوصيه يطرح الإمام عليه السلام موضوعاً مهمّاً آخر ويقول: «وَرُبَّمَا أخطأَ البَصِيرُ قَصِيْدَهُ، وَأَصَابَ الأَعْمَى رُشدَهُ».

وهذا يشير إلى لزوم التدبّر في أعمال أهل الخيره والمطلّعين من الناس، فلا تتصوّر أنّهم يتحرّكون في مسيرهم بدون ارتكاب خطأ، وكذلك عليك بالدقّه في

أعمال الجهله والسطحيين من الناس ولا تظنّ أنّهم جميعاً على خطأ في مسيرهم، فربّما لا يصل الخير إلى مقصوده بسبب بعض العوامل، في حين يحصل الجاهل على غايته.

ونقرأ في روايه عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام عن آباءه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «كَلِمَتَانِ غَرِيبَتَانِ فَاحْتَمِلُوهُمَا، كَلِمَةٌ حِكْمَةٌ مِنْ سَفِيهِ فَأَقْبَلُوهَا وَكَلِمَةٌ سَفِيهٌ مِنْ حَكِيمٍ فَأَغْفِرُوهَا»<sup>(١)</sup>.

وجاء في الأمالى، في ذيل هذا الحديث: «فإنّه لأحكيّم إلّا ذو عثره ولا سفيه إلّا ذو تجربيه»<sup>(٢)</sup>.

الثانيه والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «أخِرُ الشَّرِّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ».

وهذا يعنى أنّ الخير يحتاج إلى مقدّمات، وأنّ الإنسان يجب أن يتعجّل هذه المقدّمات، في حين أنّ الشّرّ في كلّ زمان وفي جميع الظروف لا يحتاج إلى مقدّمات بل هو ممكن الصدور من أى شخص.

وربّما يراد من هذه العبارة أنّك لا تتعجّل في العقوبه والتوبيخ والمؤاخذه لو كنت على حقّ، لأنّ ذلك متيسّر في كلّ زمان، وستشعر بالندم بعد ذلك، في حين أنّ طريق العوده موصل.

ويحتمل أيضاً في تفسير العبارة مورد البحث أنّ هذه الجملة كناية عن ترك كلّ أشكال الشّرّ والإساءه بدون حقّ، من قبيل أن يقول أحد الأشخاص مثلاً: لقد تألمت بشدّه إلى درجه أنّى قرّرت الانتحار، فنحن نقول له: إنّ الانتحار لا يفوتك، وأنّه ممكن في كلّ زمان، فتعال لنعثر على طريق لإصلاح مشكلاتك والبحث عن الحلول الناجعه لها، ومعلوم أنّ مفهوم هذا الكلام لا يعنى أنّ عليك الانتحار بعد ذلك، بل هو كناية عن تركه.

ص: ٥٩٤

١- (١). من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٦، ح ٥٨٧٩.

٢- (٢). الأمالى للشيخ الصدوق، ص ٥٨٩، ح ١٠.



الثالثه والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ».

هذه العبارة إشاره إلى أنه كما ينتفع الإنسان من الارتباط مع العقلاء فإنه ينتفع كذلك من القطيعه مع الجهال (وطبقاً لهذا المعنى فإنّ الجاهل والعاقل بمنزله المفعول لقطيعه وصله).

ويحتمل أيضاً في تفسير هذه العبارة أنّ الجاهل إذا قطع علاقته معك فلا تحزن لذلك لأنه بمنزله أن يقوم عاقل بايجاد رابطه معك، وبالتالي فأنت تتخلص من شرّه وضرره بقطع علاقته معك (وطبقاً لهذا التفسير فإنّ الجاهل والعاقل في هذه العبارة لهما موقع الفاعل).

الرابعه والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ».

والجمله الأولى إشاره إلى أنّ أى نعمه من نعم الدنيا لا- يمكن أن يعتمد عليها، فأشكال النجاحات، والانتصارات، والثروات، والجمال والحسن، المحبوبيه والمكانه الاجتماعيه، وسائر المواهب الماديه الأخرى معروضه للزوال في كلّ لحظه، والأشخاص الذين يعتمدون على هذه الأمور فسوف يواجهون فجأه خيانه الدنيا لهم، وستؤخذ منهم هذه النعم والمواهب واحده بعد الأخرى، وهذا من قبيل أنّ الإنسان يبنى في مسير السيل داراً فخمه، يحتمل في كلّ لحظه أن يأتي سيل عظيم ويجرف معه تلك الدار وينقضها، وعلى ضوء ذلك فالمراد من الزمان هنا الدنيا والمواهب الماديه والنعم الدنيويه.

والمراد من الجمله الثانيه أنّ الإنسان يرى أهميه الدنيا في عينه ويتحرّك لتحصيل النعم الماديه فيها بأى طريق كان وبأيه وسيله، وبديهي أنّ مثل هذا الشخص سيعيش الذلّه والمهانه ويسقط في أنظار الناس.

ويحتمل أيضاً في تفسير الجملتين أعلاه أنّ المقصود من الزمان، أهل الزمان، يعنى أنّ الإنسان لا ينبغي له أن يثق بجميع أهل زمانه، لأنه ربّما يطعن من الخلف ويواجه الغدر والخيانه، والمراد من تعظيم الزمان هو تعظيم أهل الزمان وبخاصّه

أصحاب القدره والثروه وصنّاع القرار والمستكبرين، فالاعتماد على هؤلاء وتعظيمهم يتسبب في إضعاف شخصيه الإنسانه وسقوطه، ولذلك نرى أنّ الكثير من الأكابر والعلماء السابقين كانوا يحرمون الاقتراب من الحكّام الجائرين والطواغيت، ويحدّرون الشخصيات المحترمه من إقامة علاقه وطيده مع السلاطين، وما نرى في ترجمه حال الأكابر القدماء من شكواهم من فساد الزمان، فمقصودهم فساد أهل زمانهم (١).

ونقرأ في الأشعار المنسوبه لعبدالمطلب:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلَّهُمْ زَمَانًا

الخامسه والعشرون: يقول الإمام عليه السلام في هذه العبارة من وصيته الرائعه: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابًا».

وهو إشاره إلى أنّه لا- ينبغي للإنسان أن يتوقّع الوصول إلى مقصده وتحقيق هدفه دائماً بحيث لو أنّه لم يحقق النتيجة المرجوّه يصاب باليأس، أو أنّ الأشخاص الذين يرتكبون بعض الأخطاء التي تعيقهم عن تحقيق هدفهم، يقعون ضحيه الذمّ والتقريع والتوبيخ، فالبشر غير معصوم ويحتمل في حقّه الخطأ والاشتباه (سوى المعصومين عليهم السلام).

والغرض من هذا الكلام تسليه خاطر وتقويه الإراده من بعض الإخفاقات التي يواجهها الإنسان في حركه الحياه والاحتفاظ بالأصدقاء والمدراء وعدم نبذهم بسبب بعض الأخطاء والهفوات.

ويحتمل أيضاً أنّ المقصود من هذه العبارة أنّ كلّ رامٍ لا يوفّق لإصابه الهدف، بل

ص: ٥٩٦

---

١- (١). ذكرنا مفهوم فساد الزمان أكثر في نفحات الولاية في الجزء الثاني ذيل الخطبه ٣٢.

الرامي الماهر والمجرب هو الذى ينجح فى إصابه الهدف.

ولا يبعد أن يكون المقصود من هذه العبارة كلا المعنيين المذكورين.

السادس والعشرون: فى هذه التوصيه المباركه يتعرّض الإمام عليه السلام لمسأله تغيير الأوضاع وتبدل الظروف فى زمانه ويقول: «إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ».

وهذا يعنى أنّ أوضاع المجتمع تدور حول محور وضع الحكّام وأصحاب السلطه والقدره، فليس فقط أنّ «النّاسُ على دين مُلوكِهِم» يمثّل حقيقه واقعيه، بل إنّ أغلب حركات وسكنات الناس تدور حول محور نوع الحكومات ونمط إداره النظام السياسى، فلو كان الحكّام من أهل الخبره والتقوى والعداله، فإنّ الناس يتحرّكون فى خطّ التقوى والعداله، وإن كانوا من الظلمه والقساه وأهل الجور، فإنّ ذلك سينعكس على جميع روحيات المجتمع ونفسيات أفراده، ولهذا السبب كان الأنبياء الإلهيون يسعون قبل كلّ شيء لإقامه الحكومه العادله ليتيسّر لهم إصلاح الناس فى ظلّ مثل هذه الحكومه، أمّا الأشخاص الذين يعتقدون بفصل الدين عن السياسه، فهم بعيدون جدّاً عن الحقيقه والصواب، لأنّ ترويج الدين ونشر التعاليم السماويه لا يمكن بدون إصلاح الحكومه، ومن هنا فإنّ النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله تحرّك على مستوى تشكيل الحكومه الإسلاميه فى أوّل فرصه سنحت له ليستطيع التأثير فى الأُمّه وتبليغ الرساله بشكل صحيح من خلال آليات القدره ويعمل على استبدال الثقافه الجاهليه بثقافه سليمه وإنسانيه، وبخاصّه ما نراه فى عالما المعاصر من تأثير وسائل الإعلام فى أفكار الناس وكذلك البرامج المتعلّقه بالتعليم والتربيه من المراحل الابتدائيه إلى المستويات العاليه كلّها بيد الحكومات أو العناصر المرتبطه بالحكومه، فهل يمكن بدون الأخذ بزمام هذه الأمور من إصلاح المجتمع وتطهيره من عناصر الفساد والرذيله؟

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ المراد من الزمان، تغيير أفراد المجتمع، والمراد من تغيير السلطان تغيير حالات السلطان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَيَّمَا صَيَّمَا لَمْ يَلْحَثْ أُمَّتِي وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتْ أُمَّتِي، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمَا؟ قَالَ الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ» (١).

وجاء فى بعض المصادر التاريخيه أنّ انوشيروان استدعى يوماً عمّاله على القرى والقصبات وبيده درّه ثمينه يقبّلها، فقال: أىّ شىء أضرب بارتفاع السواد وادّعى إلى محقّقه؟ أيكم قال ما فى نفسى جعلت هذه الدرّه فى فيه.

فقال بعضهم: انقطاع الشرب، وقال بعضهم: احتباس المطر، وقال بعضهم: استيلاء الجنوب وعدم الشمال، (غلبه رياح الجنوب وعدم هبوبها من الشمال)، فقال لوزيره (بوذرجمهر): قل أنت فإنّى أظنّ عقلك يعادل عقل الرعيه كلّها أو يزيد عليها، فقال:

تغيّر رأى السلطان فى رعيته، وإضمار الحيف لهم والجور عليهم.

فقال: لله أبوك بهذا العقل أهل آبائى أجدادى لما أهلوك له، فدفع إليه الدرّه وجعلها فى فيه (٢).

السابعه والعشرون: يقول الإمام عليه السلام: «سَلُّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ».

وقد أثبتت تجربه صحّحه كلام الإمام عليه السلام هذا، فالناس قد جرّبوا ذلك مراراً لأنّ الستار والحجاب يزول غالباً فى السفر وتبرز بواطن الأشخاص ومكنوناتهم، فلو كان رفيق السفر شخصاً وقحاً وغير متورّع أو كان بخيلاً وسىء الخلق مع الآخرين، فإنّ ذلك من شأنه أن يسلب الراحة والهناء من أصدقائه فى السفر، وهكذا بالنسبه إلى الجار السىء فإنّه يسلب الراحة من الإنسان حتّى وهو فى داره.

ونقرأ فى حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كَانَ إِذَا سَافَرَ يَقُولُ: مَنْ كَانَ يُسَىءُ إِلَى جَارِهِ فَلَا يَصْحَبْنَا لِأَنَّ الْجَارَ رَفِيقٌ مُلَازِمٌ» (٣).

ص: ٥٩٨

١- (١) . بحار الأنوار، ج ٢، ص ٤٩، ح ١٠.

٢- (٢) . شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد، ج ١٦، ص ١٢١.

٣- (٣) . بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٢٦٦، ح ٣.

يقول المرحوم التستري في شرحه لنهج البلاغه نقلاً عن كتاب تاريخ بغداد: كان لمحمد بن ميمون أبي حمزة السكري (١) من مشاهير عصره) جار أراد أن يبيع داره، فقبل له: بكم، قال: بألفين (دينار) عن الدار، وألفين (دينار) عن جوار أبي حمزه، فبلغ ذلك أبا حمزه فوجه إليه أربعة آلاف (دينار)، فقال: خذ هذه ولا تبع دارك (٢).

الثامن والعشرون: يقول الإمام عليه السلام في هذه الفقرة الأخيرة من وصيته الزاخره بالقيم والنصائح المفيدة: «إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا، وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ».

لأنّ مثل هذا الكلام يزيل هيبة الإنسان من جهة، ومن جهة أخرى يقترب غالباً بالغيبة أو السخرية من الآخرين من ذوى الوجاهه فى المجتمع، ومن هنا سيكون مثل هذا الكلام باعثاً للإضرار بالإنسان فى الدنيا وفى الآخرة، سواء كان هذا الكلام من عنده أو نقلاً عن شخص آخر، فلا فرق فى الغيبة أو السخرية أن تكون من إبداع الشخص نفسه أو حكاية عن غيره.

وطبعاً فإنّ هذا لا يعنى أنّ الإنسان يجب أن يترك كلّ أشكال المزاح المشروع والفكاهه اللطيفه، أو أن يجلس فى المجالس بوجه عبوس ومكفهر، لأننا نعلم أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمه أهل البيت عليهم السلام والعلماء الكبار كانوا يمزحون فيما بينهم ويتحدّثون باللطائف والفكاهه أحياناً، بل وردت التوصيه بالمزاح فى السفر أكثر للتخفيف من ضغط المشاكل والصعوبات التى يواجهها الإنسان فى سفره، يقول العلّامة السيد بحر العلوم فى أشعاره الفقهيه:

وَ أَكْثَرَ الْمِزَاحِ فِي السَّفَرِ إِذْ لَمْ يُسْخِطِ الرَّبَّ وَ لَمْ يَجْلِبْ أذى

وهذا الكلام مقتبس من الحديث النبوى الشريف، قال النبى الأكرم صلى الله عليه وآله: «وَأَمَّا

ص: ٥٩٩

---

١- (١) . كان هذا الشخص فى زمانه من شيوخ خراسان وكان عالماً وخبيراً وكريماً وذا فكااهه فى كلامه ولهذا لقب «السكرى». (اعلام الزركلى).

٢- (٢) . شرح نهج البلاغه العلّامة التستري، ج ٨ ص ٤٥٥ ووردت هذه الروايه أيضاً فى كتاب تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ٥٤٨ عم تاريخ بغداد.

الَّتِي فِي السَّفَرِ فَبَدَلُ الزَّادِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَالْمِزَاحُ فِي غَيْرِ الْمَعَاصِي»(١).

وخلصه الكلام أنّ هذه الأمور تعتبر حسنه وجميله إذا كانت في حدّ الاعتدال، وإن تجاوزت الحدّ أو أدت إلى إهانته الآخرين وظهور المتكلم بمظهر المهرج في أنظار الناس أو قاده هذا الكلام إلى ارتكاب الذنوب ممّا يسخط الله تعالى؛ فمثل هذا الكلام والمزاح يكون منهيّاً عنه في الشرع والعرف.

والإنصاف أنّ من بين هذه النصائح الثمانية والعشرين التي ذكرها الإمام عليه السلام في عبارات قصيره وعميقه المعنى وتمثّل كلّ واحده منها درساً مهماً في حركة الحياه الماديه والمعنويه للإنسان؛ تعتبر من أروع ما ورد في النصائح والمواعظ وجدير أن تكتب بماء الذهب وتعلّق أمام أنظار الجميع، سلام الله وصلواته على روحك الطاهره وكلماتك الزاهره يا أمير المؤمنين عليه السلام.

\*\*\*

ص: ٦٠٠

---

١- (١). بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٢٦٦، ح ٣.

وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ، وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ. وَكَفُّنَّ عَلَيْنَهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْنَهُنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَأْيُوثِقُ بِهِ عَلَيْنَهُنَّ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ، لَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ. وَلَا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لغيرِهَا.

وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ وَالتَّبْرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ.

### الشرح والتفسير: السلوك العادل والحكيم مع المرأة

وفي القسم الثامن والعشرين من هذه الوصية التاريخيه يتحدث الإمام عليه السلام بالقضايا التاريخيه المتعلقه بالنساء ويوصي ولده بثمان وصايا.

بدايه يقول: «وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ (١) وَعَزْمُهُنَّ إِلَى وَهْنٍ».

ويبين الإمام عليه السلام في مطاوي هذه النصائح والتوصيات الثمان العله وراء هذه التوصيات والتي بإمكانها الإجابة عن جميع الأسئلة وعلامات الاستفهام التي تثار حول هذه التوصيات، فالإمام يقول: لأن المرأة ريحانه وليست بقهرمانه (مديره ومسيطره).

ومن المعلوم أن مثل هذا الكائن اللطيف لا يستطيع أن يكون طرفاً للمشوره في

ص: ٦٠١

١- (١). «أفن» بمعنى النقصان وقلة الفكر والعقل.

المسائل المهمه، ومعلوم أيضاً أنّ كلّ حكم عام له استثناءات، وما من عام إلّا وقد خصّ، وفي هذا المورد ثمة نساء يملكن من العزم والإرادة والرأى الثاقب بحيث يوازن الرجال من أهل الخبره، أضف إلى ذلك أنّ القضايا العاطفيه والأحاسيس النفسانيه تتغلّب على النساء، وهذا هو الأمر الذى يؤثّر عليهن فى مقام المشاوره.

ثمّ يتعرّض الإمام عليه السلام للتوصيه الثانيه ويقول: «وَكَفُّ عَالِيَهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ».

ومثل هذه التوصيه وردت فى الآيه ٣١ من سوره النور: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ».

وهذا يشير إلى حقيقه مخالفه لتصور الكثير من الناس، فجميع أشكال الفتنه وحالات الإرباك فى الأخلاق والمجتمع، لا تنطلق من نظر الرجال إلى النساء، بل إنّ الكثير منها ناتج عن نظر النساء إلى الرجال ووسوستهنّ وترغيبهنّ، والإمام عليه السلام قدّم هذه التوصيه وأمر بلزوم حجبهنّ لمنع مثل هذه الفتنه.

وبديهى أنّ هذا الأمر السلبي لا يشمل جميع النسوه بل ناظر إلى النسوه الضعيفات الإيمان أو المتحللات خلقياً.

وفى التوصيه الثالثه يقول: «وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَأَيُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ»، فلا ينبغى إدخال الأشخاص غير الموثوقين فى خلقهم والتزامهم الدينى عليهنّ، فذلك أشدّ وأشنع من خروجهنّ إلى الملأ العام.

وفى التوصيه الرابعه التى تعتبر تتمه للتوصيه السابقه يقول الإمام عليه السلام: «وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ».

وهو إشاره إلى هذه الحقيقه، وهى أنّ من الضرورى أن يطلبن حاجتهنّ منك فقط لا- من غيرك، وحتى لو أردن شيئاً من الآخرين فذلك يكون عن طريقك وبواسطتك، أى أنّ أى ارتباط بين النساء والآخرين ربّما يتبدّل فى كثير الموارد إلى علاقته فاسده، ولا بدّ من قطع مثل هذا الارتباط، فعليك بتحكيم وتوثيق علاقتك بأهلك



ونسائك في جميع الموارد، ومن هذا المنطلق تتم الاستجابة من جهة إلى جميع ما يطلبن، ومن جهة أخرى يتم قطع الروابط غير السليمة مع الآخرين.

ويستعرض الإمام عليه السلام التوصية الخامسة بقوله: «وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسِيهَا، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ، وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ (١)».

وهذا يعني أنّ النساء وبسبب ما يملكن من الحالات العاطفية واللطائف الروحية لا يستطعن تولى الأمور الصعبة وإداره القضايا المعقّده، وعلى ضوء ذلك لابدّ من تحديد دائره عملهنّ في المسائل الخاصه بهنّ لا- المسائل المتعلقة بالآخرين وبخاصه ما يتصل بالمناصب الحساسه والثقيله في المجتمع الإسلامى.

أمّا العله التي ذكرها الإمام عليه السلام لمثل هذه التوصيات فهي علّه حسّاسه ودقيقه جدّاً تنسجم وتتناغم مع البناء الروحي والجسمى للمرأة، رغم أنّ بعض المتأثرين بالغرب غير مستعدّين لقبول هذه الحقيقه، ولكنهم على مستوى العمل يسعون لتجسيد هذه التوصيات في واقعهم العائلى، حتّى في الغرب ومع طرح شعار المساواه بين الرجال والنساء لعقود من الزمان فإنّهم على مستوى العمل والممارسه يسلكون سبيلاً آخر، بحيث قلّما تستطيع إمراه استلام مقاليد الأمور في المناصب الحساسه، ونسبه النسوه اللاتى يحرزن مثل هذه المناصب الحساسه إلى النسوه اللاتى لا يستطعن ذلك، ربّما لا تصل حتّى إلى ٥٪.

وخلاصه الكلام أنّ رعايه العداله بين النساء والرجال ورفع أشكال التمييز والإجحاف رغم أنّه يعتبر حقيقه ملموسه، ولكن لا يمكن تنظيم قوانين المجتمع بحيث تتقاطع مع التكوين النفسى والجسمى للمرأة، وإطلاق الشعارات التي تدعو لمثل هذه المساواه، هي مجرد شعارات براقه ومضللّه ويقصد بها الرياء والتظاهر ولا تتصل بالحقائق الموضوعيه على أرض الواقع النفسى للمرأة.

ص: ٦٠٣

١- (١). «قهرمان» كلمه فارسىه في الأصل وانتقلت إلى اللغه الغريبيه وتعنى المدير والمدبّر والشخص الذى يتولى أمور النفقه، وأحياناً تأتي بمعنى البطل والشجاع أيضاً.

وفى التوصيه السادسة يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تَعْدُ (١) بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا».

وهذا يعنى أنّها كلما تتعامل مع الآخرين من موقع الاحترام والإكرام ربّما تتولّد علاقته عاطفيه بينهما، هذه الرابطه يمكن أن تكون منشأ للفساد فى المستقبل.

وفى التوصيه السابعه التى ترتبط بما سبقها من توصيه، يقول الإمام عليه السلام: «وَلَا تُطْمَعُهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِعَٰثِرِهَا»، لأنّ مثل هذه الشفاعات ربّما تكون أيضاً منشأ للعلاقه العاطفيه، فيكون ضررها وفسادها أكثر من نفسها.

والخلاصه أنّه لا بدّ من حفظ احترام المرأه ولكن بحدودها، ولا تتجاوز إلى غيرها، سواءً على مستوى قبول شفاعتها أو بدون ذلك، لأنّ لهذه الأمور آثاراً سلبيه على المستوى النفسى وتبعث على تشجيعهن لإيجاد العلاقه مع الآخرين.

ويذهب بعض شرّاح نهج البلاغه فى تفسير جمله: «وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا» أنّ المقصود أن لا يحترمها الرجل أكثر من اللازم، بل يقتصر تكريمهنّ بمقدار معين، ولكن هذا التفسير لا يتناسب مع سياق هذه الجملة وكلماتها، والظاهر أنّ المراد منها هو ما تقدّم آنفاً.

وفى التوصيه الثامنه (والأخيره فى هذا المقطع من هذه الوصيه) يقول الإمام عليه السلام:

«وَأَيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ (٢) فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالتَّبْرِيئَةَ إِلَى الرِّيبِ (٣)».

مما لا شكّ فيه أنّ كلّ إنسان وبخاصّه النساء، لا يرتكبون مخالفه حفظاً للسمع، والاهتمام بالوجهه لدى الناس، ولكن إذا عاش الأقرباء والأزواج حالات الغيره اللامبرره وأسأواوا الظنّ بهنّ إلى درجه الاتهام فإنّ ذلك من شأنه خرق حجاب العفّه وخلق حاله من اللامبالاه بالقيم والعرف لديهنّ، فتقول هذه المرأه: الآن وقد فضحني

ص: ٦٠٤

١- (١). «لا تعد» أى لا تتجاوز الحد، من ماده «عدو» على وزن «سرو» وهو تجاوز الحد.

٢- (٢). «التغاير» من «الغيره» بمعنى الشده فى العمل لحفظ النواميس أو رأس المال المهم للآخرين.

٣- (٣). «ريب» (مع الالتفات إلى فتح الياء) جمع «ريبه» على وزن «غيبه» بمعنى الشك وسوء الظن.

وأتهمنى زوجى بدون مبرر فما الداعى لأن أحفظ نفسى واهتمّ بسمعتى وعفتى، فلأفعل ما أشاء فليكن ما يكون، وهذا الكلام لا يختصّ بالنساء فقط، بل يمتدّ ليشمل الأبناء، الشركاء، الخدم والأصدقاء أيضاً، فكلّ سوء الظنّ غير المبرر يبعث على تشجيع الطرف الآخر للتلوّث والسقوط فى مهاوى الفساد والرذيله، وسبق أن ذكرنا أنّ كلّ شىء جيّد وحسن إذا كان بصورة الاعتدال حتّى حالات الغيره والتعصب لحفظ القيم.

### تأمل: مكانه المرأة فى المجتمع

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أمرين:

١. ثمّ شعارات كثيره فى عالمنا المعاصر بالنسبه لمقوله المساواه بين الرجل والمرأه، حيث تعقد مؤتمرات دوليه ومعاهدات ولوائح تزداد يوماً بعد آخر، والتأكيد على عدم وجود أى تفاوت بين الجنسين، ومن هذا المنطلق بإمكان كلّ من الرجل والمرأه تحيّل المسؤوليات الاجتماعيه، سواءً ما يتصل بالقضاء أو قياده الجيش أو إداره الحرب، أو الرحلات الفضائيه، أو الرحلات العلميه للتحقيق والبحث فى أعماق البحار، والخلاصه أن يتولّى الرجل والمرأه جميع أشكال الإيداره على جميع الصعد والمستويات.

والعجيب هنا، أنهم عندما تصل النوبه لمرحله التطبيق والعمل فإنّ الفوارق تبرز بشكل جليّ، فالرجال يستلمون الإيداره على المستويات العليا والمتوسطه إلآفى موارد نادره ومحدوده جدّاً، فلا يسمحون للنساء بتولّى هذه المناصب الحساسه والورود إلى هذه الميادين، ولا يختلف الحال أيضاً فى البلدان الاوربيه والأمريكيه، فعندما يسألون أنّ هذه الظاهره تتضمّن تناقضاً فى القول والعمل، ولماذا يختلف مستوى التطبيق عن تلكم الادّعاءات الرنّانه والشعارات البراقه؟ فلا جواب لديهم.

وهذا التناقض وليد التفاوت بين الحقائق الموجوده على الأرض والشعارات التي تطلق في عالمنا المعاصر وفي المحافل والمؤتمرات، فمن أجل كسب آراء النساء في الانتخابات السياسيه وإسكات اعتراضهنّ يرفعون شعار المساواه ويصرّون عليه بحجّه الدفاع عن حقوق المرأه، ولكنّهم في مرحله العمل يجدون أنفسهم مرغمين لقبول هذه الحقيقه، وهى أنّ بنيه النساء من حيث المستوى الجسمى والنفسى يختلف عن الرجال، فكلّ واحد من الجنسين خلق لمسؤوليه معيّنه وكلّ واحد منهما إنسان يملك حقوقاً فرديه واجتماعيه، ولكن أن نقول أنّهما يملكان قابليات وملكات متساويه وقادرون على تولّى جميع المسؤوليات، فهو خطأ كبير.

يقول الفيزيائى والجراح الفرنسى المعروف (الكسيس كارل) الذى ألف كتاباً معروفه وله شهره عالميه، يقول فى كتابه «الانسان ذلك المجهول»: إنّ الرجل والمرأه بحكم قانون الخلقه، يختلفان فى التشكيله البنيويه، وهذا الاختلاف والتفاوت يسرى إلى الوظائف والحقوق... ولعدم الالتفات إلى هذه النقطه الأصلية والمهمه فإنّ أنصار حقوق المرأه يتصوّرون أنّ كلا-الجنسين بإمكانهما امتلاك مستوى واحد من حيث التعليم والتربيه و المشاغل والمسؤوليات المختلفه، فالمرأه فى الحقيقه تختلف عن الرجل من جهات عدّه، فكلّ خليه من خلايا البدن، وكذلك الأجهزة وخاصّه الشبكه العصبية، تحمل علائم جنس صاحبها، ثمّ يضيف: إنّ القوانين الفسيولوجيه أيضاً، حالها حال القوانين الفلكيه وعالم الطبيعه، ثابته وغير قابله للتغيير، ولا يمكن إيجاد التغيير فيها برغبه البشر، فنحن مجبورون على قبولها كما هى عليه (لا كما نريد).

ثمّ يختم كلامه بهذه العبارة: ينبغى على النساء أن يتحرّكن باتجاه مواهبهنّ الطبيعيه ويسرن فى طريقهنّ الخاصّ بهنّ بعيداً عن حالات التقليد الأعمى للرجال، ووظيفه المرأه فى سبيل تكامل البشريه أكثر بكثير من الرجال، ولا ينبغى التسامح

والتساهل في هذا الأمر(١).

والملفت أنه في سنة ١٩٩٥ اجتمع عشرات الآلاف من أعضاء مؤسسات الحقوق الرسميه وغير الرسميه في بكين عاصمه الصين لتدوين وثيقه على أساس المعاهدات الدوليه لمحو جميع أشكال التمييز ضدّ النساء، وإمضاء هذه المعاهده التي تمّ تنظيمها مسبقاً، ولكن بعض مواد هذه اللائحه كانت من البطلان والزيف لدرجه أنّ الكثير من المنظّمات والمجامع في العالم اعترضت عليها، وبعض المشتركين في ذلك المؤتمر تركوا الجلسه، ومنهم السيده شارون هير النائبه في برلمان كندا ورئيسه الهيئه الكنديه المشاركه في ذلك المؤتمر، حيث قامت من مكانها وتوجّهت بالخطاب إلى الصحفيين وقالت: «إنّ التساوى المقصود في وثيقه بكين لا- يأتى بالتساوى الحقيقي للنساء، وأنا أعود لبلدى بأول طائره وأسعى لحفظ الفوارق بين الرجل والمرأه (وبتبعها المسؤوليات المختلفه)، فهذا التفاوت موجود في أصل الخلقه، وهذه الفوارق هي التي ستحفظنا»(٢).

وتفصيل هذه المسأله خارج عن عهدته هذا البحث المختصر، ويكفى القول إجمالاً بأنّ هذه الشعارات البرّاقه ليس أنها لاتحلّ مشكله لنساء العالم، فحسب بل تترتب عليها آثار مخزبه أيضاً(٣).

وعلى ضوء ذلك ينبغي القبول بالحقائق المتعلّقه بكلا- الجنسين بعيداً عن الشعارات الخاويه وتخطيط المناهج والبرامج على أساسها ووضع كلّ واحد من الجنسين في موقعه الاجتماعى اللائق به بدون أن نقبل بأيّ ظلم وتحقير للنساء.

٢. ما ورد في كلمات الإمام عليّ عليه السلام في هذه الوصيه وفي بعض خطبه والكلمات القصار كان مورد بحث ونقاش من جهه بعض الكتّاب والمفكرين، فهل

ص:٦٠٧

١- (١). الإنسان ذلك المجهول، ص ١٠٠ وما بعدها.

٢- (٢). نقلاً عن تقرير وصفى لمؤتمر بكين، من كتاب الشورى الثقافيه الاجتماعيه للنساء (شوراي فرهنگي اجتماعي زنان)، ص ١٠.

٣- (٣). وللمزيد من الاطلاع انظر: دائره المعارف للفقّه المقارن، ج ١، ص ٨٤-٨٩.

أن مفهوم هذه العبارات في رسائل الإمام عليه السلام وخطبه يعكس موقفاً سلبياً من المرأة؟

وعندما نبحث في جذور هذه الخطب والرسائل ونقارن بينها وبين الحوادث التاريخية في ذلك الوقت، فسوف يتبين أن كل هذه التعبيرات غير ناظرة لجميع النسوة، بل إشاره لفئة خاصه من النسوة ممن كانت مصدر مفاسد اجتماعيه وعائليه، وبخاصه مع الالتفات إلى أن بعض كلمات الإمام علي عليه السلام في هذا الشأن صدرت بعد واقعه الجمل، ونعلم أن حرب الجمل، وهي الحرب التي راح ضحيتها وفقاً لروايه، سبعة عشر ألف مسلم، قد أشعل فتيلها إمرأه أو أنها اشتركت وساهمت في إشعالها.

وعلى ضوء ذلك، فنظر الإمام عليه السلام في هذه المقولات يتجه لمثل هؤلاء النسوة، وبكلمه أخرى أن خطاب الإمام عليه السلام في هذه الموارد ليس موجبه كليّه بل موجبه جزئيه.

والشاهد على هذا الكلام رؤيه القرآن في ما يخص النساء، وعلى سبيل المثال نشير إلى قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (١).

فلو كانت النسوة جميعهنّ ناقصات العقول، فكيف تتحقّق هذه السكينه والمودّه والرحمه بين الزوجين؟

وفي آيه أخرى يقول تعالى: «هُنَّ لِيَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٍ لَهُنَّ» (٢).

فلو كانت النساء يملكن صفات سلبيه فقط فكيف، يعبر القرآن على أنّهنّ زينه لأزواجهنّ والعامل في حفظ هؤلاء الأزواج؟

وفي آيه أخرى نقرأ: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً

ص: ٦٠٨

١- (١) . سورة الروم، الآية ٢١.

٢- (٢) . سورة البقره، الآية ١٨٧.

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (١).

وفى الآيه ٣٥ من سوره الأحزاب يستعرض القرآن الكريم عشر فئات من المؤمنين الصالحين والنساء الصالحات ويعددهم فى نهايه المطاف بأجر عظيم: «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا».

وثمه بحوث كثيره فى هذا المجال لا يسع المقام استعراضها لأنها خارجه عن موضوعنا، ولكننا لحسن الختام نعود لكلام الإمام على عليه السلام فى هذا المقطع من الوصيه حيث قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ». ونعلم أن الورد والرياحين تملك فى حد ذاتها مزايا كثيره، فهى عنصر لخلق السكينه والراحه النفسيه، وكذلك تعتبر زينه، ولها فوائد كثيره أخرى، ولكن فى ذات الوقت فهى كائن لطيف ورقيق بحيث إذا تركت بدون رعايه كافيه فسوف يصيبها الذبول والجفاف، فالحقيقه أن هذه الجمله إشاره إلى أن المشاعر والعواطف للنساء هى الغالبه، فى حين أن العقل للرجال غالب على العواطف والأحاسيس، وبديهي أن هذين الجنسين بهذه الخصوصيات إذا اجتمعا وعملا سوياً فإن ذلك من شأنه تقويه نظام الأسره وتعميق وشائج العلاقه بين أفراد المجتمع.

\*\*\*

ص: ٦٠٩





وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ وَأَكْرَمَ عَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ.

### الشرح والتفسير: تقسيم المسؤوليات

فى هذا المقطع من الوصيه يؤكد الإمام على توصيتين مهمتين فى مجال الإدارة والتعاون، وفى الحقيقه أن هذه التوصيه لا تتعلق بولده البار، بل بجميع أفراد البشر بوصفه والدًا شفيقًا لجميع الناس.

بدايه يقول الإمام عليه السلام: «وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ، فَإِنَّهُ أُخْرَى أَلَّا يَتَوَاكَلُوا(١) فى خِدْمَتِكَ».

إن تقسيم العمل يعدّ من أهم أصول ومبادئ الإدارة الناجحه، لأنّه بدون ذلك فإنّ العمّال والموظفين يتواكلون غالباً ويتوقعون من الآخرين أن يقوموا بالمسؤوليات الملقاه على عاتقهم، وعندما يتأخر العمل ويتباطأ الإنتاج فإنّ كلّ فرد منهم يستطيع تبرير عمله فى مقابل مؤاخذه ربّ العمل بأنّه كان يظن أنّ هذا العمل من مسؤوليه آخرين، وإذا سئل الآخرون عن ذلك فإنّهم يجيبون بنفس الجواب، ولكن عندما يتمّ تقسيم العمل والمسؤوليات، فإنّ كلّ شخص يعلم أنّه مسؤول عن

ص: ٦١١

١- (١). «يتواكلوا» من «التواكل» و«وكاله» و«تواكل» هو أن يعتمد الشخص فى أموره وأعماله على شخص آخر ويلقى بالمسؤوليه عليه.

عمله الخاصّ ويبدل جهده للقيام به بأفضل وجه، وهذه التوصية تدلّ على أنّ الإمام عليه السلام ملتفت تماماً لمبادئ الإدارة،  
رؤيوى بها ولده.

وفى عصر النبىّ الأكرم صلى الله عليه وآله كانت هذه المسأله على رأس الأولويات، سواء فى الحرب أو فى غيرها، فيتّم انتخاب  
رجل لقياده ميمنه الجيش وآخر لقياده الميسره وثالث يكون مقرّه فى قلب الجيش، وهو الذى يعين المسؤوليات ويصدر الأوامر،  
وهكذا بالنسبه لجمع الزكاه، فنّمه عمال مأمورون بهذه المهمّه، وكذلك لكسب المعلومات عن وضع العدو حيث يتمّ إختيار  
أفراد خاصّين لهذا الغرض، وهكذا فى سائر أمور إداره البلد الإسلامى فى جميع أبعاده السياسيه والاجتماعيه والثقافيه وما إلى  
ذلك، حيث يتمّ إختيار أفراد واعين وملتزمين يقومون بهذه المهام.

وفى التوصيه الثانيه يقول الإمام عليه السلام: «وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَضْلُكُ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ  
الَّتِي بِهَا تَصُولُ(١)».

ونرى أنّ الإمام عليه السلام فى هذه العبارة يشبّه الأقرباء والأرحام بثلاثه أشياء كلّ واحدٍ منها ناظر إلى زاويه خاصّه، فنّمه تشبيهه  
بالجناح وتشبيهه بالأصل وثالث باليد.

والتشبيه الأول يشير إلى التقدّم والإزدهار والرقىّ فى ظلّ التكاتف والتعاون بين أفراد العشيره، والتشبيه الثانى يشير إلى عدم  
الشعور بالوحده فى مقابل التحدّيات المفروضه، والتشبيه الثالث يشير إلى مواجهه الأعداء والتصدّى لهم بمساعده أفراد العشيره  
والأقرباء.

وفى الحقيقه أنّه كما أنّ المجتمع الكبير فى ظلّ التكاتف والتعاون بين أفرادهم يصل إلى مراتب متقدّمه من التطور والرقى  
والإزدهار، فكذلك المجتمع الصغير المتكوّن من العشيره والأقرباء الموجودين فى قلب المجتمع الكبير، فإنّه بالتعاون والتكاتف  
بين أفرادهم، يعيش المجتمع التآخى والنجاح والتغلّب على الصعاب، وحتى القبائل فى الجاهليه أيضاً أدركت هذه الحقيقه،  
ولذلك كانت العلاقه القبليه

ص: ٦١٢

١- (١). «تصوّل» من «الصوّل» على وزن «دوله» بمعنى الهجوم والحمله فى الميدان.

واعتماد الفرد على قبيلته يساهم بشكل أساس في التغلب على المشاكل والأزمات التي تواجه العرب في عصر الجاهلية، وطبعاً مع فارق أن العرب في عصر الجاهلية كانوا يدافعون عن القبيلة، والقبيلة تدافع عن أفرادها بدون النظر إلى مسأله الحق والباطل، والعدل والظلم، أى بدون قيد أو شرط، ولكن في الإسلام أضحى هذا الدفاع المتقابل بين الفرد وقبيلته محدوداً بحدود الحق والعدالة، فالدفاع عن الباطل مرفوضاً حتى في مقابل الأخ والأم والأخت وأمثالهم.

وفي القسم الرابع من الخطبه ٣٢ وفي الجزء الثاني من هذا الكتاب ثمه بحث متعمق في هذا المجال.

ويورد ابن أبي الحديد بعض النماذج من دفاع القبيله عن أفرادها المظلومين ويبين أن هذه الحمايه كانت مؤثره كثيراً، ومن ذلك أن الفرزدق كان لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلا قاعداً، فدخل على سليمان بن عبد الملك يوماً، فأنشده فخرأ به وبآبائه، وقال من جملته:

تالله ما حملت من ناقيه رجلاً مثلي إذا ربح لفتني على الكورى

فقال سليمان: هذا المدح لى أم لك؟ قال: لى ولك يا أمير المؤمنين. فغضب سليمان وقال: قم فأكمل ولا تنشد بعده إلا قائماً، فقال الفرزدق: لا والله أو يسقط على الأرض أكثرى شعراً، فقال سليمان: ويلي على الأحقق ابن الفاعله، لا يكنى، وارتفع صوته، فسمع ضوضاء بالباب، فقال سليمان: ما هذا؟ قيل: بنو تميم على الباب، قالوا: لا ينشد الفرزدق قائماً وأيدينا فى مقابض سيوفنا، قال: فلينشد قاعداً (١).

\*\*\*

ص: ٦١٣

١- (١). شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ١٢٨.



اسْتَوْدِعَ اللَّهُ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلِهِ وَالْآجِلِهِ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرِهِ، وَالسَّلَامُ.

### الشرح والتفسير: ضع كل وديعه عند الله

وأخيراً يتحدث الإمام عليه السلام في آخر هذه الوصيه وأقصرها مخاطباً ولده ويذكر توصيتين تجمعان كل شى في ثناياهما.

يقول الإمام عليه السلام بدايةً: «اسْتَوْدِعَ (١) اللَّهُ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ».

ثم يضيف: «وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلِهِ وَالْآجِلِهِ، وَالْدُنْيَا وَالْآخِرِهِ، وَالسَّلَامُ».

وبديهى أنه لا- أحد أفضل وأحسن من الله تعالى لحفظ دين الإنسان ودينه، ولا أحد أحسن منه فى تأمين أفضل المقدرات والعطايا لدين الإنسان وآخرته، فالذات المقدسه مصدر جميع الخيرات ومنبع كافه البركات، وكل ما يملكه المخلوقون فهو صادر منه، كما نقرأ فى القرآن الكريم: «بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٢).

ولا شك أن الإنسان يواجه فى دنياه ودينه الكثير من الآفات والمزالق والمآزق،

ص: ٦١٥

١- (١). وردت هذه الكلمه فى موارد كثيره من نهج البلاغه بصيغه المتكلم بدلاً من صيغه الأمر «اسْتَوْدِعْ» و «اسأل» وتعنى أننى أضع دينك ودينك وديعك عند الله وأسأله تعالى أفضل ما قسم وقدر لك فى الدنيا والآخرة، وطبعاً فإن مفهوم كلا العبارتين واحد فى الحقيقه، رغم أن النسخه الأخيره أنسب حسب الظاهر وخاصه مع الالتفات إلى كلمه «لك».

٢- (٢). سوره آل عمران، الآيه ٢٦.

وطبعاً فإن الآفات التي تمس الدين أكثر، وهذه الآفات إلى درجه من الكثره والتنوع بحيث أن التغلب عليها لا يتيسر للإنسان إلا بالاستعانه بالذات المقدسه واللجوء إلى صاحب القدره المطلقه

قال الشاعر:

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحْمَنِ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ

\*\*\*

نكتب هذه الكلمات الأخيره من الجزء التاسع ونحن على أعتاب إطلاله عيد الغدير الأغرّ من سنه ١٤٢٨ هـ ق، وختاماً نترنم بهذا الدعاء الرائع ونقول:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلَايَةِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَيْمَةِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَام».

نهايه الجزء التاسع

ص: ٦١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة



نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

